

# الجزائر وادربها

1830 - 1500

تأليف  
د. ب. وولف

ترجمة وتعليق  
الدكتور أبو القاسم سعيد الله

عالم المعرفة  
الجزائر

جميع الحقوق محفوظة

طبعة خاصة

2009

رقم الإيداع : 4679 - 2009  
رقمه : 3-51-912-9947-978

**عالم المعرفة**

للمنشر والموزع  
الجزائر

**دار الرائد**  
الجزائر

[alemelmaarifa@yahoo.fr](mailto:alemelmaarifa@yahoo.fr)

نوع 3/5453 ح

# الجزائر واورب

1830 - 1500

تأليف  
جون ب. وولف

ترجمة وتعليق  
الدكتور أبو القاسم سعيد الله

عالم المعرفة  
الجزائر

دار الرائد  
الجزائر

John B. Wolf  
173 Beacon Lane  
Jupiter Inlet Colony, Florida 33458

June 6, 1982

Professor Belka ccm. Saadallah  
cité les Asphodeks  
El Biar, Alger (Algiers)  
Algeria

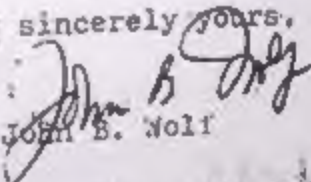
Dear Professor Saadallah,

Please let me thank you for your letter of MAY 21. It is always a pleasure to hear from young men (I'm 75 now) who were students when I was teaching at the University. It is even a greater pleasure when the student expresses interest in some of my work. Some day you will also have this kind of pleasure I am sure.

Of course I will be flattered to have you translate my recent book into Arabic. If you need another copy to make easier the task, please let me send you one. Norton has recently published the book in paperback format, and I have some twenty copies---one of which I will be happy to send to you. May I note in passing that if you find a publisher, be sure that he--or the firm--gives you the lion's share or any royalty. I will be mostly interested in having a few copies of an Arabic edition; if there are royalties they should mostly go to the translator.

Obviously you are to be congratulated on your career both in the USA and in Algiers. We are always happy to learn that young men who studied in our University do well as professional historians. This, I do believe, is the most important grace that is given to a professor and his colleagues.

Most sincerely yours,

  
John B. Wolf

P.S. You will see by my address that I am retired and living in Florida.



## مقدمة المترجم

حين دخلت جامعة مينسوتا سنة 1961 كان مؤلف هذا الكتاب ، جون بابتست وولف من اطفيافها في قسم التاريخ ، كان تخصصه هو التاريخ الفرنسي الحديث ، وكان اسم ( فرنسا ) يطنني بحكم استعمارها لبلادي ويحكم جهلي بتاريخ العالم الآخر حتى ان معرفتي البسيطة بتاريخ فرنسا تبدو عظيمة مما جعلني احضر محاضرات البروفيسور وولف لاختبار معرفتي والإطلاع على رايه . ورغم ان البروفيسور وولف كان عندئذ يقترب من سن التقاعد فقد حضرت عليه محاضرات في الحضارة الأوروبية واخرى في تاريخ فرنسا باللغات . كان وولف متحرر الفكر ، لا تكي الرأي ، مادي التفسير للاحداث التاريخية ، وكان لا يخفى اعجابه بقوة الدول الأوروبية العسكرية ، وسيادة الفكر على الدين في الحضارة الأوروبية الحديثة ، وسيطرة الطبقة الليبرالية في الحياة الاجتماعية ، والتقدم العلمي والتقني والمهارة والنبوغانية ، وكان هدفه ، كما اوضحه في مقدمة كتبه ( ظهور الحضارة الأوروبية ) هو تعليم الطلبة الأمريكيين ان حضارتهم ( الامريكية ) ما هي الا فرع من الحضارة الأوروبية التي يجب ان تدرس على انها واحدة وموحدة وبمعية عن كونها تاريخا قوميا لدول الأوروبية كل على حدة ، كما كان يريد تعليمهم ان التاريخ ليس علما ثابتا لبعض العلوم ، ولكنه يتطوّر لتفسير كل جيل حسب ما لديه من امكانيات النظر والثقافة ووفرة الوثائق ، ومما اذكره ايضا ان البروفيسور وولف كان طويل القامة ، ابيض الشعر ، حسن الهندام ، مهيب العظمة جهوري الصوت ، وكان درسه يمتاز بالوقار والهدوء والتأمل ، اللهم الا بعض الفرفشات التي كان يطلقها احيانا للترويح على الطلبة .

هذا هو البروفيسور وولف كما اذكره في بداية الستينات دون ان يعرفني ، ثم تلبت انا دراستي في التاريخ الأوروبي على اسئلة آخرين وغادر وولف جامعة مينسوتا الى جامعة اخرى ، لا اذكرها ، على عادة الاسئلة الأمريكيين المشاهير الذين تتجاذبهم الجامعات الكيرة لتكسب هي من سمعتهم وخبرتهم ويكسبون هم من امكانياتها ، ولكن كتب وولف بقيت مفررة علينا نحن طلاب التاريخ الأوروبي ، ولا سيما كتبه عن فرنسا مثل :

( ظهور الدول المعظمى 1685 - 1715 ) و ( فرنسا : 1814 - 1919 ) ،  
بالإضافة إلى كتابه ( ظهور الحضارة الأوربية ) و ( تاريخ الحضارة ) ( 1 ) .  
وقد كان أسلوبه في هذه الكتب يتميز بالوضوح ، وحرية الرأي ، والتوازن  
في المعلومات ، والجدية في البحث ، والمنهجية العلمية . وقبل أن أقدر أنا  
الولايات المتحدة سمعت من ظهور كتابه ( لويس الرابع عشر ) الذي حظي  
عليه بتقدير كبير ، وعلمت بعد أن رجعت إلى الجزائر أنه نشر أيضا الكتب  
الآتية : ( نحو توازن أودبي للقوة ) و ( وبنابات أوربا الحديثة ) و ( لويس  
الرابع عشر صورة جانبية Profile . وإلى نهاية السبعينات كنت اعتقد  
أن البروفيسور وولف ، المولود سنة 1907 ، قد اعتراه الكبر والسامة من  
العمل ، فهو أما من الذين توفاهم الله وأما من المتقاعدين الخاملين ، ولكنني  
فوجئت عندما عدت ( 1978 - 1979 ) إلى الولايات المتحدة الأمريكية  
للقضاء سنة سبتية فيها بوجود كتاب جديد ظهر سنة 1979 فقط بعنوان  
( ساحل شمال أفريقية : الجزائر تحت الأتراك ، 1500 - 1830 ) من  
تأليف جون باتيست وولف ، وبقدرة ما جلبني العنوان الذي يهمني باعتبار  
الكتاب يتناول تاريخ بلادي بقدر ما جلبني أيضا اسم المؤلف الذي سبق  
لي أن عرفته من المؤرخين البارزين ، ولعل الذي جعلني أقدم أيضا على  
شراء الكتاب هو ما قرأته مؤلف من الآثار العلمية الجادة ، فكتاب عن الجزائر  
بلم البروفيسور وولف يعتبر في حد ذاته هدفا هاما بالنظر إلى أن الذين  
تناولوا تاريخ الجزائر حتى الآن ، ولا سيما ذلك العهد البعيد ( العهد  
العثماني ) هم الفرنسيون ، أو بعض المبشرين أو المتطفلين على التاريخ من  
من غيرهم .

حملت الكتاب الآن إلى الجزائر ، وأخذت أقرأ فيه كلما وجدت فرصة ،  
وكلما عدت إليه وجدته كتابا يختلف عن الكتب التي تعودنا قراءتها ،  
مصادره ومشربه وتفسيره للأحداث . وهذا لا يعني أنني وجدت الكتاب  
خاليا من الصف والهبوات ، أو أن الكتاب ألف لكي يكون دعاية للجزائر  
تحتج به على وجودها التاريخي وعلى مساهمتها الحضارية وعلى قوتها  
العسكرية ( البحرية ) والدبلوماسية ، بالعكس لقد وجدت في هذا الكتاب  
أمورا تثير الفرابة وأخرى تصدم النفس ، وأخرى تزعزع الرأي السائد ،  
ولكن التاريخ الحقيقي هو ذلك كله . والكتاب الذي لا يجعلك تعيد النظر في  
معارفك ، ولا يحرك شعرا راسك ، ولا يتحدى عقلك أو عاطفتك فسللة  
المهملات به أولى ، وقد وجدت كتاب وولف عن الجزائر في العهد العثماني  
يتحدى الجزائريين في أكثر من موضع ، وهو لذلك جدير في نظري بالقراءة  
والتمعن ، ومن أجل ذلك أيضا عازمت على ترجمته إلى العربية لينتفع به

1 - يشع الكتاب الأخير في جزئين بالاشتراك مع زميله هورون ويبستر



القراء الراغبون في معرفة دور الجزائر في التاريخ سواء كانوا هم طلبة الجامعات أو القراء العرب على العموم .

وعندما عازمت على ترجمته عرضت الفكرة على احدى دور النشر الوطنية فرحبت بنشر الترجمة ولكنها اشارت علي بالانصال بالناشر الاصلي ، وقد لاحظت على الفلاف ان صاحب الحقوق هو المؤلف نفسه فراسلته عن طريق جامعة منيسوتا ( لانني لا اعرف عنوانه ) وعرضت عليه فكرة ترجمة كتابه الى العربية فجاءتني منه رسالة ودية رحب فيها بالمشروع وشجعني عليه وتنازل عن اي شروط مسبقة (2) فشرعت في العمل ، رغم انشغالي الدائم بتاريخ الجزائر الثقافي ، وقد كنت انتهيت من الفصلين الاول والثاني سنة 1982 ، واثناء تقديمي في العمل وردت علي رسالة من الناشر الأمريكي يطلب مني ان اخبره متى وجدت ناشرا لترجمة الكتاب فاعتراضي نوع من الركود والعزوف عن المشروع وتوقفت عن الترجمة حوالي سنة ونصف لان رسالة الناشر لم توضح الهدف من التدخل ، وبعد ان عدت الى الناشر الجزائري وتراسلت مع الناشر الأمريكي والمؤلف ، تبين ان الناشر الاخير يريد نسبة ماثوية من ريع الترجمة العربية ، وقد قبل الناشر الجزائري تحمل ذلك . وعدت انا الى المشروع ابتداء من ربيع 1984 ، وانتهيت منه في خريف العام المذكور ، ولم يبق علي سوى مراجعة الترجمة والتعليق عليها وترجمة البيبليوغرافية ومقدمة المؤلف اللتين اجلتهما بعض الوقت .

ان الصعوبات التي وجدها في الترجمة تتمثل في عدة امور :

1 - مصطلحات معروفة ، ولكن المؤلف لا يسير عليها بانتظام مثل الجزائر *Algiers* التي تعني المدينة ولكن المؤلف يقصد بها القطر الجزائري في احيان كثيرة ، ومثل المغرب *The Maghrib* الذي يستعمله المؤلف في هذا المعنى ( المغرب العربي اليوم ) وشمال افريقية ، بل احيانا يطلقه على الجزائر فقط وكذلك كلمة بربرية *Barbary* التي تعني شمال افريقية عند الاوربيين ، اما كلمة البربر والعرب والاهالي والقبائل ( جمع قبيلة ) والقبائل سكان زاوية القديمة فالمؤلف يستعملها بحرية كثيرة .

2 - ترجمة البيبليوغرافية ازعجتني ، لان المؤلف صنف الوثائق والكتب التي رجع اليها حسب موضوعاتها ، ثم حسب عصورها ، واهميتها . الخ بالاضافة الى انه كان يتدخل في عناصر البيبليوغرافية بالتقديم او التعليق . وهذه الطريقة تجعل الترجمة امرا مزعجا ، فلو كانت

البيبلوغرافية فوائده مصنفة إيجابيا وكفى لها أن الأمر ، ولكن كيف يتصرف المترجم إذا كان المؤلف يتدخل في كل حين لتقييم مصادره . وقد ارتأينا المحافظة على طريقة المؤلف نفسها بحيث أبقينا على ترتيبها مع ترجمة تدخلات المؤلف .

3 - كان من المحتم أن اعلق على المؤلف بعض التعاليف ، وكانت طريقته هي التعليق على موضوعاته بتسلسل الأرقام في الفصل الواحد . وقد احترت كيف يكون تدخله الخاص . وبعد النظر رأيت أن أدرك تعاليق المؤلف على ما هي عليه ، أما تعاليقي أنا فميزتها بنجمة ( وليس ربما ) . وينتهي تعليقي دائما بعبارة ( المترجم ) .

4 - المصطلحات البحرية كانت من بين الصعوبات التي واجهتني . وقد اجتهدت رأيي في ترجمة بعضها وتركت ما لم أجد إلى ترجمة له على حاله ، مع كتابه بعروف عربية .

5 - الأسماء الأجنبية سلكتنا نحوها الطريقة التالية : نكتب الاسم بالحروف العربية وأمامه الاسم بالحروف اللاتينية وذلك لكي يهتدي إليه القارئ في نطقه الأصلي ، إذا لم يعرفه من الحرف العربي .

6 - بالنسبة إلى الأسماء العربية والإسلامية رجعنا بها إلى أصولها ونهنا عليها أن كان المؤلف كتبها خطأ . ويدخل في ذلك أسماء الناس وأسماء الأماكن وأسماء الكتب أيضا مثل الزهرة النيرة ، وغزوات عروج ، ونسمة الكبار الخ .

7 - وأخيرا نذكر أن الكتاب في أصله يحتوي على ثبوت عام ، وقد وضعنا نحن أيضا للترجمة ثبوتا عاما على النسق العربي دون الاحتفاظ طبعاً بالأصل .



أن نظرة سريعة إلى البيبلوغرافية تعطي فكرة عن المجهود الذي بذله المؤلف لتأليف كتابه . فقد رجع إلى الوثائق والكتب النادرة والرسائل الجامعية والمطبوعات وبعدد من اللغات . كما أنه زار عددا من السواحل الأدبية على البحر الأبيض دون أن ينسى السواحل الإسبانية والفرنسية والإيطالية ، لمعرفة آثار الماضي ولربط ما شاهده من ماديات بما وجدته في الكتب والوثائق . وقد كنا نود أن المؤلف قد كلف نفسه زيادة بعض ولكن لمواجهة « الخطر » الأخر ، خصوصا وقد عرفنا منه أنه اشتكى من قلة المصادر المكتوبة ، من عربية وتركية ، التي تعكس وجهة النظر الجزائرية والمعتمانية - الإسلامية عموما لأحداث القرون الثلاثة التي تناولها . ومن



هنا جاء كتابه ، في نظركم ، مكتوبا ويمثل وجهة نظر واحدة - الأروبية - المسيحية - رغم قيمة الكتاب الوثائقية والطبية .

ولا يقولنا هنا أن نقول أن هذا الكتاب هو آخر ما ألفه البروفيسور وولف ، كما لاحظ ذلك بنفسه في مقدمته ، ومن ثمة فهو يمثل عمارة فكره وحصيلته تعاربه في الدراسات التاريخية التي بدأ بظهورها سنة 1940 وانتهى بها سنة 1979 ( تاريخ ظهور هذا الكتاب ) ، غير أن تركيزه على التجربة الأروبية في عصر القوة والتقدم التي تتصادف مع التجربة الجزائرية - الإسلامية - في عهد ضعفها وتظلمها ، جعل الكتاب يظهر وكأنه حكم محكمة على اتهم غيبيا دون أن يكون للمتهم محامون ولا حتى حق استئناف الحكم . ومن يشك في قوة أوروبا وتقدمها خلال الخمسة قرون الماضية ؟ ومن يظن في قوة الولايات المتحدة الأمريكية وتقدمها خلال القرن الماضي ؟ ولكن الحكم على الجزائر العثمانية من خلال التجربة الأروبية والأمريكية من قبل باحث مادي ليبرالي في عهد التقاعد ، يعتبر في نظركم هو عين التصسف . ومهما كان الأمر فإن تركيز المؤلف على دراسة التجربة الجزائرية من خلال التجربة الأروبية هو الذي جعلنا نغير عنوان الكتاب بعض الشيء ، فبدلاً من العنوان الأصلي الذي هو : ( ساحل الشمال الأفريقي : الجزائر تحت الأتراك ) اخترنا له ( الجزائر وأوروبا : 1500 - 1830 ) .

إن هناك أمورا كثيرة تستحق التطبيق ولفت الانتباه في هذا الكتاب ، ولكن هل مهمة المترجم القيام بشرح العمل الذي ترجمه ووضع حواش له ونحو ذلك من وسائل الزيادة والإيضاح ؟ لا نعتقد ذلك ، ولو فعل لكان الأولى له أن يؤلف هو كتابا من عنده ويربع المؤلف الأصلي والقراء معا . ولكن مهمة المترجم هي نقل النص بامانة ثم التنبيه على ما يجب التنبيه عليه . وقد أدبنا نحن هذه المهمة فيما نعتقد ، فنقلنا الكتاب بامانة وحافظنا على روح المؤلف وأسلوبه وفهمناه للقاريء كما يريد هو أن يصل إلى القاريء ، فلم نترك تعبرا خاصا ولا علامات تنصيص ولا تعجب ولا نكتة ولا تمليقا إلا حاولنا المحافظة عليه . ذلك أنه من حق المؤلف أن يتحمل مسؤوليته لدى قارئه ومن حقه أن يعرفه أيضا على علاقته . ومن جهة أخرى نبهنا على ما يجب التنبيه عليه في الهامش بعلامات النجوم التي أشرنا إليها . وما رأيناه واجب التنبيه هو الخط الواضح سواء كان تاريخيا أو طباعيا ، وكذلك التيارات التي يتفدى منها المؤلف . وعلى هذا الأساس نبهنا إلى أن المؤلف :

1 - لا يكاد يخرج عن المدرسة الكاثوليكية - الفرنسية - الاستعمارية عند التعرض إلى دراسة المجتمع الجزائري ، والإسلام والعلاقات بين المسلمين .

2 - لا يكاد يختلف عن الكتاب الآخرين في دراسة العلاقات بين الشرق والغرب بالمعنى القديم ، معتلة هنا على الخصوص في العلاقات بين الجزائر وأوروبا : تمجيد العمل الأدبي ، إعفاء الشرعية على تصرفات الساسة والأمراء والقبائل الأروبيين ، وبالمقابل الحط من قيمة العمل الجزائري ، الإسلامي - العثماني ، والشك في شرعيته وأهدافه .

3 - ينظر إلى تصرفات الأروبيين على أنها تخضع لقوانين وتقاليد يعتبرها هو من المسلمين التي توجبها الحرب والسلام والدبلوماسية والعلاقات الاجتماعية الدولية ، بينما ينظر إلى تصرفات الجزائريين - العثمانيين - المسلمين على أنها تصرفات يحركها الطمع وهبوط الفهم واليول الفردية وحتى التصيب الديني .

إن أمثال هذه القضايا والمواقف هي التي جعلتنا ننبه القاريء عليها في مجموعها لا في تفاصيلها . ونضيف هنا باختصار إلى أن المؤلف أخضع خطة الكتاب إلى تطورات الأحداث الأروبية ، بما في ذلك فتح وهران الأول والثاني . ولم نجد للمؤلف موقفا مخالفا من وصف الأروبيين المعاصرين ، مثلا ، حكام الجزائر بأنهم جماعة من قطاع طرق أو ذباحون أو أوباش .. فهو يستعير منهم هذه الأوصاف دون أن يرد عليها . ورغم لادكتيته فإنه عندما يأتي إلى تبرير الهزائم الأروبية أمام الجزائر يذكر نفس المعاذير التي استند إليها رجال الدين والسكريون المهزومون الأروبيون ، ومن أمثال هذه المعاذير حدوث أمور خارقة للعادة أدت إلى هزيمتهم : الزلازل ، والرياح ، والمواصف ، وهيجان البحر ، والطواعين ، الخ . أما خطط المدافعين وبطولة أهل البلاد ونحو ذلك فقلما يذكرها المؤلف من أسباب تلك الهزائم . وقد ألح المؤلف على شيوخ الرشوة لدى حكام الجزائر وطفيان الرغبة في المال لا يتركها أحد ، ولكن جعلها هي محور العلاقات وسببا لتعايش سواء بين الحكام والأهالي أو بين الحكام والأروبيين ، هو الذي تنكره على المؤلف ، والهدايا « هي الطريق إلى قلب حكام الجزائر كانوا مقتنعين بأن « الرشوة عند حدوث حرب أروبية فمارسوا هذه الطريقة بكل سخاء وتنافس أيضا . ولكن المؤلف يورد ليعود الأروبيين إلى هذه الوسيلة باسم الاضطراب . ويبدو أن منطق البروفيسور وولف كان الامبريالية المالية بمفهومها الحديث ، بما في ذلك فكرة التوسع الأمريكي ، فمهما تحرر المؤلف في الرأي واحتكم إلى التاريخ والوثائق فإنه لم نظرنا كمن « يفسر » الأحداث بمفهوم اليوم .

ولكن هناك نقاط هامة يبرزها المؤلف في كتابه تصيف اليه قيمة خاصة . ولا يمكننا ان نأتي على جميع ذلك ، ولكن يكفي ان الكتاب يعالج العلاقات الأوروبية - الجزائرية في حجمها الدولي ، وفي محتواها الاقتصادي - السياسي ، بينما عالج المؤلفون الآخرون هذا الموضوع في الغالب معالجة دينية أو وطنية ضيقة . كما أوضح دور المنافسة الأوروبية وأثرها على العلاقات الجزائرية ، وبرز دور هذا التنافس على التجارة والتكامل العسكري والسمعة والاستراتيجية ، ولا سيما بين فرنسا وبريطانيا وهولندا ، وهو ما نسميه بلفتنا اليوم السباق نحو السلع والمقنعة الدولية . ويمتاز الكتاب أيضا بابرار دور اليهود في الاقتصاد الجزائري بل في السياسة الداخلية الجزائرية . أما « الامتيازات » التي حصلت عليها جنوة وفرنسا وإسبانيا وغيرها ، فقد اعتبرها المؤلف ، من خلال المصادر الأوروبية ، نوعا من الاستعمار الحديث . ومن الطريف ان يقارن المرء بين عواقب « الامتيازات » على الدولة العثمانية وعلى الجزائر أيضا .

انني لا اشك لحظة في ان هذا الكتاب ، الذي ختم به البروفيسور وولف حياته العلمية سيحظى باهتمام كبير لدى القاريء العربي ، الذي سيجد فيه نروة كبيرة من المعلومات والأحكام والتفاسير الجديرة بالنظر والاعتبار . فنحن لأول مرة امام عمل جلد من باحث محامد الى حد كبير كرس حياته لخدمة التاريخ تعليمًا وتاليفًا . وكم انا سعيد ان وفني الله الى ترجمة هذا الكتاب الذي يخدم في نظري تاريخ الجزائر واللغة العربية ، وهما القصيتان اللتان أوقفت عليهما حياتي العلمية .

أبو العاسم سعد الله

مدينة الجزائر 13 يناير 1985



## مقدمة المؤلف

عندما توقف لويس الرابع عشر عن أن يكون قصة وأصبح كنانا (1) فكرت في موضوع جديد قد يكون ذا أهمية وعائدة ، وقد كنت ملتزما لأصدقائي أن أكتب بحثين طويلين ، راحي أن نكوننا معيدين بطلنة سنوات شهادة اللياس ، ولكي رغبت أيضا أن اتولى الكتابة في مشروع أكثر أهمية يشملني خلال السنوات الأولى من التقاعد ، وليس من الغريب أن يكون هذا المشروع موضوعا للتساؤل حول احتمال الانتهاء منه ، ومع ذلك فبحسب أن يكون مشروعنا ضحعا لدرجة تبرر العمل فيه .

وكيف برزت الجماعة التركية بالمرائر الى الوجود ؟ ان كل شخص يحاول تفسير السلوك الانساني يعرف انه من الصعب جدا أن نقول لماذا يفعل شخص ما « هذا » دون « ذلك » ، وكان قرارى ، ربما بطريقة لاشمورية ، راحما حزنا . الى أن أول بحث كتبه منذ حوالي خمسين سنة عندما كنت طالبا في جامعة كلورادو ، كان يتعلق بظهور من مظاهر العلاقات الفرنسية - العثمانية في القرن السادس عشر .

لقد كان هذا البحث قد فتح لي باب لاسمال دحائر المكتبة وأعطاني الفرصة لفهم بعض السموم المبرسة على استعمال المراسلات الدبلوماسية لتوضيح منهج خاص في نظري ، ومارلت أذكر حينها أن خير الدين بربروسه ظهر في بحثي شخصه محبه . بصفه أسطورة ونصفه حقيقة تاريخية ، متفلاها وهالك على أنراف بحثي . ومن الواضح أن هناك أسانا أخرى . ربما أكثر أهمية . لاختار هذا الموضوع ، ولكن ما دام الأمر لا يتعلق بامتداد في التحليل النفسى ، فإن هذه الأسباب ستظل

---

1 - نشر المؤلف الى كتابه من بوس الرابع عشر الذي اشهر به من الباحثين المرحم

وراء الستار ، وقد يكون كافيا أن نقول انني لم أرد أن أزيد شيئا عن  
لوس الرابع عشر في المستقبل القريب .

إن نظرة سريعة إلى المواد الثقافية المتوفرة عن موضوع الجماعات البحرية  
للسال قريبة من افئنتي بأن الميدان غير مزدحم ، بل إنها تدعو إلى أن  
كتاما بالانكليزية قد يكون موضع ترحيب ، وقد انتهيت أيضا ، ببراءتي ،  
إلى أن المشروع سيكون محالا بسيطا وسيكون مهما جدا للدراسة سواء  
بالنسبة لسنواتي الأخيرة في ميدان التعليم أو سنواتي الأولى من التقاعد ،  
وقد رهنت التجربة على أن المشروع كان حققة هاما ، أما كونه بسيطا فلا .

وقد فصلت مؤسسة غوغنهايم Guggenheim بمنحى منحة ثانية سمحت  
لي بالتقل في حوض البحر الأبيض المتوسط والبحث في المكتبات ودور  
الوثائق عن مواد الكتاب ، وبعد عدة سنوات أعطاني ( مجلس البحث في  
العلوم الاجتماعية ) منحة مكتبتي من تصوير أشرطة ( ميكرو فيلم )  
كثيرة سواء في مجال الوثائق ( الأرشفات ) أو الكتب النادرة ، وخلال  
هذه السنوات مكتبتي يوبري Newberry من دراسة واستعمال غير محدود  
لحجراتها الممتازة ، ومنحتني جامعة السنوي ( شيكاغو سيركل ) سنة  
سنة استطعت خلالها أن أعاد الزيارة إلى أوروبا مدة سنة كاملة للدراسة  
والسفر ، وقد استعملت حرة من هذا الوقت لدراسة السواحل الاسمانية  
التي كانت متعرضة لهجمات البحارة ( من شمال افريقية ) حيث ما يزال  
مكر للبر ، أن يرى الاحراءات الدفاعية التي اتخذها كل من الملك  
والفلاحين ، وأخيرا فإن مكتبة فولمر شكسر

Folger Sheskeespeare  
قد دعيت إلى عقد حلقة ( سمنار ) بحث مما جعلني أتمكن من قضاء  
أربعة أشهر من البحث بواشنطن وذلك في مكتبتي الكونغرس وفولمر .  
وبالإضافة إلى مكتبتي فولمر ونيوييري ، فانتى مدس أيضا بالشكر إلى  
مكتبة السجلات العامة Public Record Office  
البريطاني ، والأرشف الوطني ، وأرشفات الشؤون الخارجية ،  
وأرشف تاج أرفنوز ، والمكتبة الوطنية ، ومكتبة جامعة أمستردام ،  
وذلك لسماعهم لي بتصوير كثير من المواد على الأشرطة ، وانتي سأضع  
هذه الأشرطة ( ميكرو فيلمات ) في مكتبة نيوييري عندما ينتهي طبع هذا

الكتاب ، وبالإضافة الى ما ذكره يجب علي أن أشير الى الدين الذي علي  
 لمكتبات جامعة شيكاغو ، وجامعة لينوي ، وجامعة ميسوتا ( مكتبة  
 Bell ) ، ان كل باحث في التاريخ يعرف كم هي مهمة  
 هذه المكتبات لها .

ان الأعمال المكتبة والوثائق تقدم للباحث الكثير من لمتعة وأحيانا  
 الكثير من الآثارة ، ولكن علي الباحث أن يسأل نفسه ، عاجلا أو آجلا ،  
 « ماذا سنفعل بكل هذه المعلومات ؟ » ان هذا السؤال ليس دائما محل  
 رحيب . انه يجبر المرء علي أن يحدد الطرق الهامة التي تبدو بارزة من  
 البحث ، كما يجبره علي أن يسأل السؤال الآخر : « هل هذه الأخبار  
 ستج كتابا مفيدا وربما كتابا مهما ؟ » وهل يمكن أن يكون كتابا  
 بالمرّة ؟ » وليس هناك مناص من أن نحني في الطرق التي كانت تتفاعل  
 في المغرب العربي (2) بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر كان  
 يقودني نحو قضايا عريضة ومتنوعة ، حكومة مجتمع فوضوي ، السياسة  
 الأوروبية الرسة ونشاط الجماعات الحرة ، والتوسع التجاري ومصالح  
 التجار المسيحيين ، ومحنة الرق والعداء ، والتقاليد القبية ، والاثيلوجيا ،  
 والحكومة في المجتمعات البدوية وشبه البدوية ، والهندسة البحرية  
 وطرق الحرب . والأسلحة والتنظيم العسكري ، ومجموعة أخرى من  
 القضايا الأقل أهمية ، والواقع ان بحثي كان يصبح سلسلة من النشوع  
 الرومانية أو من الصواريخ السماوية المطلقة في كل الاتجاهات ، ولكنها  
 كانت بصفة عامة مركزة علي أي موضوع رئيسي أو اعتبار ذي أهمية ،  
 وإذا استعرونا تعبير وينسون شرشل ، فإن الدراسة التي بدأت كلعبة  
 حذانة أو حتى خطلية حمله أخذت شكلا بعمقها نصبح وحشا كان  
 سنمو وينمو ... اللهم الا اذا اكتشفت طريقة ما لاحتوائه .

ومن الواضح اني او سمع بالدراسة كل المحاولات التي كانت تنفتح  
 أمامي لأحتجج الي هذه محلدات صحة لتقديم نتائج أبحاثي . ولكن

بالمغرب العربي ، وكلمته  
 شمال افريقية وكلمة Barbary

2 - خلال البحث كله نرحسنا كلمة Maghrib  
 Morocco بمراكش ، وكلمة North Africa  
 بشمال افريقية كذلك .  
 Coast



أي لانه سيطر في نشر عمل بهذه الصحافة عن المغرب العربي ؟ ، واكثر من ذلك من سيكون مستعدا لقراءته اذا استثنينا الحقنة الصغيرة من الباحثي ؟ ان من الواضح أن عملا كهذا سيكون خارجا عن النطاق . ان سلسلة من الكتب المتخصصة ( مونوغرافيات ) ستكون أفضل لأولئك الباحثين القلائل المهتمين بالموضوع ، ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن كتابا عاما لن يكون مفيدا ، فالواقع أنه لا يوجد كتاب بالانكليزية يتناول جماعة التركة البحرية في الجزائر .

ومع القرار سعيد مركز البحث ، فقد أصبح من الواضح أن الجماعة التركية البحرية في الجزائر يجب أن تكون هي في مركز المسرح . وكان صم يواريج نوس وطرابلس غير ممكن لأن اختلاف حياتهما الاقتصادية ونظامهما السياسي سيزيد فقط في ضخامة الكتاب ضخامة تخرجه عن الحجم المقبول دون المساهمة كثيرا لا في الأهمية ولا في الجودة ، ان دراستي في خصائص التطورات التي مرت بها الجزائر خلال هذه القرون الثلاثة ، قد قادت بسهولة الى الادعاء بأن هناك أطروحتين رئيسيتين هامتين يمكن البحث فيهما بفائدة واضحة : الأولى ، التطور التاريخي للمجتمع السياسي الذي كان قد تأسس أثناء « العهد البطولي » للبحارة المسلمين والذي انتهى في الأخير بالمعدوان الفرنسي سنة 1830 . وان التجربة الجزائرية هي المثال الوحيد . على حد علمي . لحكومة مؤلفة من جنس احتلال أجنبي دامت ثلاثمائة سنة . فتاريخها يعسر مهما كما يعتبر درسا ، أما الأطروحة الثانية فهي تأقلم الدول الاروسة المسيحية مع المشاكل التي تولدت عن وجود جماعة بحرية ملتزمة « بحرب مقدسة » ضد الدول المسيحية ، وكانت هذه الصعوبات قد تعقدت من كون الايالة الجزائرية كانت تكنيكيا جزءا من الدولة ( الامبراطورية ) العثمانية ، ومع ذلك فقد أصبحت مستقلة عن السلطان وكانت تتجاهل أوامرهم ( فرماناته ) ، لقد كان من الصعب على الحكام ( الأمراء ) الأوروبيين أن يفهموا أن جماعة البحارة الجزائريين كانت قادرة على اعلان الحرب وقد فعلت ذلك ، على أية دولة ترغب في نهيبها دون استشارة السلطان بل حتى رغم أنه رغبات السلطان ، وكانت هذه الطريقة تبدو غالبا قرصنة مكشوفة بدل الأعمال البحرية التي كان يقوم بها الخواص على غرار

المودح المستعمل في أوروبا ، لقد حاولت أن أجمل محور بحثي يدور  
حول هاتين الأطروحتين .

اسي ناهنت نتائج بحثي مع أصدقاء هم أكثر مني معرفة بالموضوع .  
وأي أرفع على الخصوص في شكر الأستاذة : بول بامفورد P. Bamford  
وأندرو هيس A. Hess ، على انصاتها لي وتقديم اقتراحات ، وهما  
بالطبع غير مسؤولين ، من أية طريقة ، على النتائج التي توصلت إليها ،  
ولعلمني قد أثقلت بمناقشاتي على أصدقاء آخرين كانت اهتماماتهم بعيدة  
عن المغرب العربي ، فيجب علي أن أطلب منهم الممو بدل أن ألومهم على  
أخطائي ، وأرغب أيضا في شكر زوجتي ، ثثة Theta على مساعدتها  
الكريمة في تطوير هذا الكتاب ، فلو لاها لكان من المحتل أن لا يكتمل  
الكتاب أبدا .

وأخيرا فاني مدين أيضا للسيد حسن ميرز Mairs نائب رئيس  
شركة نورتن Norton والمحرر الرئيسي بها ، على صبره ومساندته ،  
بالإضافة إلى دوره في التحضرات الأخيرة لهذا المخطوط للطبعة .

جون ب . وولف John B. wolf

جويتر اينليت كولوني ، فلوريدا

7 نوفمبر 1978

## الفصل الأول استيلاء الأتراك على الجزائر

في سنة 1830 نزلت حملة فرنسية على مدينة الجزائر وقضت بسرعة على النظام التركي الذي احتل هذا الجزء من المغرب أكثر من ثلاثة قرون .  
« ان اصول الحكومة التركية منسوجة من الأسطورة والخيال المدين  
تخللها حقائق مشتتة » ولكن هذا الجزء الوسطي من المغرب (1) له  
تاريخ طويل قبل أن يصله الأتراك ، فالفينيقيون والرومان والقوطيون  
والبريطانيون والعرب ، غزاة ومحتلين وحكاما ، بالإضافة إلى حركات  
صغيرة للقبائل الرحل التي تمشي إلى أطراف الصحراء — فكل هؤلاء قد  
أسواق تكون عاصر السكان وفي ذلك التاريخ الذي ينطوي في الماضي .

في زمن الرومان انقسم السكان إلى « أهل بيوت الشعر » و « أهل  
بيوت الحديد » أي حياض القبائل الرحل والمدن والقرى . وهذا التقسيم  
أيضا ما يزال صالحا عندما وصل الأتراك إلى المغرب في القرن السادس  
عشر ، وأيضا عندما احتل الفرنسيون مدينة الجزائر في القرن التاسع  
عشر . فالأرض مكونة من هضاب عجا ومن جبال وصحاري ومن مساحة  
صالحة للزراعة صغيرة نسب . أما ساحلها فقد كان على الصوم غير حاد  
للرسو . فدراسي كانت قبلة والرسو بها كان لا يصلح إلا حثيثا للسياح  
البحاري . حتى بعد كانت هناك مدن ساحلية تجمع ماضي بحري يعود

---

1 - المغرب هو الكلمة العربية لاسم المنطقة من طرابلس إلى المغرب الأقصى ، وهو  
الآن كلمة صالحة ، وتسمى منطقة من الساحل المغربي  
« الشمال الإفريقي »



على النقل إلى المود القوطية والرومانية ، ولكن ازدهار معظم هذه المدن لم يكن أبدا ازدهارا مدهشا . ومعظم الأراضي في المغرب الأوسط كان يسكنها رعاة رحالة ، منهم عرب وبعضهم بربر ، يبدلون ، من وقت لآخر ، جلودهم وأسوافهم وحيواناتهم بالاحتاج الزراعي ومصنوعات سكان القرى والمدن .

وان الفتح العربي للمغرب الذي بدأ في القرن السابع قد ترك عنصرين ثقافيين هامين في المنطقة . وهما الدين ( الاسلامي ) واللغة العربية . وقد أصر أحد المؤرخين البارزين على ان اعتناق شعوب شمال افريقية للإسلام كان حقا ثورة تجاوزت الثورتين القرية والرومية في عصرنا ، ولكن لسوء الحظ فانه لا أثر للوثائق ولا يوجد سوى قليل من البقايا الأثرية التي تعبرنا كيف حدثت تلك الثورة . غير ان الذي حدث فعلا هو كثرة المذاهب الاسلامية من أكثر النماذج تنصبا الى نوع أكثر تسامحا ، وهذه حقيقة نابعة من تاريخ الأرض نفسها . ومن جهة أخرى فاما دام القرآن مكتوبا بالعربية وما دام عدد معتبر من القبائل العربية قد هاجرت الى المغرب فان لغة وثقافة العرب كانتا وما تزالان هامتين .

ولكن العرب لم يستطيعوا ان يؤسسا نظاما سياسيا يشمل المنطقة كلها . ذلك أن فتوحاتهم ، من مصر الى اسبانيا ، كانت ، جغرافيا ، قد اتسمت جدا ولم يمد من السهل السيطرة عليها في عصر كان النقل فيه محصورا في الخيل والبغال . وقد مرت المنطقة ، من طرابلس الى المغرب الأقصى ، « بتغييرات جديدة » عنيفة خلال القرون السابقة للقرون الوسطى المسيحية . وكان يقود تلك التغييرات في العادة رجال من الصحراء حيث التنصب الديني والرغبة في الفضيحة قد بررا احتلال سكان المدن الذين يحبون الرفاهية والكسل . تلك هي قصة المدن منذ تطورت المراكز الحضرية لأول مرة ، فالقبائل القاطنة في الجبال تنتفض عليها وتنهب ثروتها .

وكان المغرب ( من المنطقة التي نسميها اليوم تونس الى المغرب الأقصى ) خلال القرن الثالث عشر مقسما بين ثلاث ممالك بربرية

استطاعت أن تسيطر على المدن وعلى سكان البوادي أيضا في تلك المنطقة . فالمملكة الحمصية التي تأسست في الجزء الشرقي ( وهو تقريبا ما سببه اليوم تونس ) استمرت في الحكم إلى القرن السادس عشر . وفي العرب ظهرت اتحادية من القبائل تحت طووك رعاة يسمون بـو مريين الدين انتصروا على الحوام الموحدين في منتصف القرن الثالث عشر ، وأنشأوا ، أو شجعوا ، تطور حضارة في المنطقة التي سببها اليوم المغرب الأقصى ، وهي الحضارة التي وصلت قممها في آخر القرن الرابع عشر . وبين هاتين المملكتين البربريتين أنشأت قبيلة أخرى بقيادة عبد الواد ، الذي هو أيضا ملك من الرعاة ، الأسرة الرينية في تلمسان التي هي مركز تجاري هام لتبادل البضائع الإفريقية وبضائع البحر الأبيض المتوسط ، وقد امتدت شرق إلى قسطنطينة وحدود المملكة الحمصية . غير أن الزيانيين كانوا منذ البداية في وضع مرمي للخطر لأن أراضيهم كانت تسبل بماء جيرانهم الأقوياء من الشرق ومن العرب . فالمرينيون هاجموا واحتلوا تلمسان مما احتل الحمصون قسطنطينة في الجزء الشرقي من المملكة . ونتيجة بذلك لم تظهر دولة قوية في المغرب الأوسط . وبعد نتائج القرن الخامس عشر لا وجود لسلطة مركزية حقيقية . كان هناك قبائل يعيشون على لبث من الحركة من مرمى إلى آخر وكان معهم يتقرون وقتا تكفهم لحصاد انتاج ، احد من القمع ثم يواصلون حركتهم . وكان هناك أيضا مدن صغيرة ، بعضها كان على علاقة تجارية مع بقعة البحر الأبيض . وقد كانت هذه في الواقع دول - مدن مستقلة رعاة زعائرها الدينيين أو الدوسيين .

وعندما نصل المغرب في نهاية القرن الخامس عشر صورة انحطاط سياسي وعسكري وبنمو اقتصادي . فالمملكة الحمصية كانت ما تزال حاكمه في الشرق ولكنها كانت ضعيفة وغير قادرة في الصواب على السيطرة على القبائل البربرية انقوى أو على حكم المدن التي تزعم السيادة عليها . وفي المغرب ما يزال دور المغرب الأقصى تسمح لبعض القوى السياسية والعسكرية . أهمها تلك التي سيطرت في فاس ، ولكن أحسن ما توصف به حكومة المغرب الأقصى أيضا هو الانحطاط وليس الحيوية السياسية . أما المغرب الأوسط ، أي المنطقة التي سمها اليوم الجزائر ، فقد كان

بدون حكومة يمكنها أن تزعم أنها تتكلم باسم كل المنطقة . فقد كان عبارة عن مستقع سياسي من مدن صغيرة وقرى مستقلة ومن قبائل بدوية أو نصف بدوية من البربر والغرب ، لكل أقوامهم هم سكان بلاد زواوة . أن هذا المغرب الأوسط هو الذي سيصبح الأيالة التي تحكمها جماعه البحارة المراسمة للترك العثمانيين وتتصح عاصمها مدينته الجزائر . ولكن هذا لم يحدث بدون صراع القوتين الصاعدتين في القرن الخامس عشر ، في طرفي البحر الأحمر ، ونسي بهما الممالك الإسلامية والدولة ( للإمبراطورية ) العثمانية .

دعنا نتابع ، أولا ظهور الدولة ( الإمبراطورية ) الإسلامية في المغرب . أن رواج فرديناند وإبراهيم قد جمع بين مملكتين من الممالك الثلاث (2) التي كانت موجودة في شبه جزيرة إسبانيا تحت سلطة تكاد تكون مشتركة ، رغم أنه لم يؤد فضلا إلى توحيد مملكتي كاستيل وإراغون في دولة إسلامية واحدة . ذلك أن مملكة فيردينا ، وهي إراغون قد استقرت في تكريس اهتمامها على حوز البحر الأحمر وعلى إيطاليا . وكانت محكومة من قبل دبلوماسيين وساحلي دوي اتعاه نهارى ، بما كان لمملكة كاستيل التي سطر عليها سلاء عسكريون ، نظرة سياسية أكثر عدوانية . ولم تكن تخط عرناطة ، آخر مملكة إسلامية على شبه الجزيرة . حتى مد رجال كاستيل بحومهم عبر مضيق جبل طارق إلى ميادين جديدة للسلطان العسكرى . وقد أرسلت إراغون حاسوسا لصراف على ما يجري في لصعة الأخرى . فكان تقريره كالتالى « أن كل البلاد في حالة مدو أو انه أراد أن سحقها لأصحاب الخلافة . » وكانت سياسة المدرك الكاثوليك في مملكة عرناطة المفتوحة تؤكد التحرك الإسلامى في شمال إفريقيا . ذلك أن رد فعلهم الأول لرعاياهم المسلمين كان التسامح . وهناك اتفاق كان يحرم الثقافة الإسلامية والقانون الذى يسمح بممارسة الدين الإسلامى . فأعطى المسلمين الإنسان المعروف بالبورسكوس عشر سنوات تفرقا من الحرية النسبية ليواصلوا

2 - راجع لمملكة القشتالة في إراغون . وقد استغرق فراد إبراهيم ، ملكة كاستيل ، من حمل خروج من عبرة أو دون أو من إبرة البرصقال ، بعض الوقت ، وكان فرادها الأخير قصيرة بالنسبة للمملكة القشتالة .



عشتهم التي كانوا عليها في الماضي . ولكن منذ فتح الفرن سادس عشر تميزت سياسة التسامح وعمل الملوك الكاثوليك على إقاربه تدرج في رعاياهم الموريسكيين . وكانت سببه الاضطهاد إرسال آلاف منهم كعبيد حريين إلى المغرب العربي وحتى إلى المغرب حيث أصبحوا يدعون إلى الجهاد ضد الممالك الأسبانية . وقد خرج بعضهم إلى البحر وهاجموا سواحل مواطنهم السابقة وهبوا القاصدين الأسبان والتجار الصغار الذين وفدوا في طريقهم . وقد جاء وائل بن الرائس إلى الملوك الكاثوليك يطلب أصحابها بالعداء ضد هؤلاء المتمردين بدس بصوا الفري والكنايس والحصوات واستمرروا القراء الذين وفدوا في أسبانيهم .

وأو عانت إزابيلا لاجئ عن تلك الشكاوي والرائس الاحلال الكاثوليكي للحرب بربن ( ١٥ ) . فمن عندما ماتت ( سنة ١٥٥٤ ) تركت وراءها المذبح لطيفها توسع نظره الكاثوليكية حتى شمل جميع شعب فرنسا . من مصبق حبل طارق إلى تونس . ولكن بوب روج اسبانيا لست ( سنة ١٥٥٦ ) وحسن اسبانيا ، جوهانا والخلع بين فيرديناند وحكومة فرنسا على عرش كاسيل - مع من حركة سريفة . كما أن مرشد الملكين الأسبانيين قد أصاب خطر حديد وهو أن فيرديناند عند ملك فرنسا لعرش أراغون لا علاقة به بكاسيل ، ولكن بعض وعائيه كاسيل رفض الساء فيرديناند الصام بأي حركة قد سح عنها حرمان أحاده من أرملا ، أحمد شارل وفيرديناند فود خامسورج ، في كاستيل . وبذلك يمكن هذا الشكل الحالي هو وحده الذي مع من احتلال شمال افريقية . فمن سنة ١٤٩٢ قامت حملة صادقة كزستوفر كولومبس باكتشاف اسام الجديدة الذي أحدث منذ أوائل القرن السادس عشر التلاوة والحدود لكاسيل برعس في الثروة والسلطة عبر الاطلنطي . وبذلك امتص العالم الجديد المعاصر الذي كان من المسكن أن يحتلوا شمال افريقية .

وبدأ حبه أخرى فقد كان همام فيرديناند ونجده الهام من أهل أراغون أكثر ماعداً وبالسرع الذي كان متطور هناك بين بدول الأرومة

١٥ - بل هذا لاقتد بر مصحح . مع فترامس آخر وهو : لو لم يزل المشاهير  
شمال افريقية . فترامس

من أية محاولة للاحتلال - وكان هو ومستشاروه الأراغونيون أكثر تسامحا مع الأمريكيين والاسلام من الكاسلين ، وكانوا ميالين الى الحلول الدبلوماسية أكثر من الحلول العسكرية - ولكنهم اهتموا بن شيب ما لاند من غلبه بعد من نشط « فرصة » المعبرين الأمريكيين التي كانت تعظم التجارة والواصل الاسانية ، غير انهم لم يكونوا مستعدين لاستثمار الثروة والقوة الضخمة الضرورية بضم احتلال الارض كلها . وافضل وصف للنسبة التي اتبناها هو « الاحواء » بدل الاحتلال . ذلك ان ميرديا لم تحاول مع الفرصة بالسيطرة على الموانئ التي يمكن للقرصنة القيام بانصليات منها .

والواقع ان احتلال اسانا مواني المدن على ساحل شمال الفريقة قد بدأ في السرات الأخيرة من القرن الخامس عشر . وذلك عندما احتل الدوق دي مادينا سيدونا de Medina Sidonia مملكة - غير انه كان قد مر حوالي عشر سنوات قبل ان تحتل قوة اسانية المرسى الكبير ( سنة 1505 ) لايضااد سناء مناسب للمين الاسانية . وبعد ست سنوات وبدافع من الأسقف خيمبر دي ميروس Chaperon وغيره استطاع بيدرو نادر و Navarro أن يحتل وهران وسجاية وماليز ( \* ) ، وطرانس ( سواب 1508 - 1511 ) . وكان هدف الهجمات الاسانية والمعاملة القاسية للسكان المحتلن قد أحدث رجة من الرعب على طول الساحل ، وأسرعت المدن التي لم يزلها بعد الأسطول الإسباني الى بيدرو نادر تطلب دحورا في مداهم كنوع من السلطنة . وجاء هذا الموقف من سياسة الخارجية ، لأن مطالبات كاث في تلك اللحظة أكثر أهمية من شمال افريقية . وكان بيدرو نادر نائب باقامة مراكز محجة Prezidos في أهم الموانئ على طول الساحل - حصنه وابحرر وعابر وهران والمرسى الكبير ومغيلة كانت اما محتلة من قبل القوات الاسانية واما أرغست على طول حدود اسانية في سواها مع مدافع تستطيع أن تتحكم في كل البحر كاث . وباست، وهران والمرسى الكبير وطرانس فان حكومة المدن في الواقع تركت في يد الأهالي . ومن الواضح أن هذه اساسة كانت

تهدف إلى وقف نشاط التجارة القراصنة الماشين ضد الممتلكات الأسيانية  
أكثر مما كانت مدفوعة بأية اعتبارات دينية - ولكن تبين أنها كانت سياسة  
غير صالحة - ذلك أننا نسري أنه بعد وفاة فيرناند، فتكت كل الحصون  
المذكورة من أيدي الأسبان ولم يبق إلا وهران والمرسى الكبير .

والصعوبة الأساسية لسياسة الاحتواء هذه تبدو لا محالة ماثلة في  
التعصب الديني للشعوب الأبريرية والبرية في تيار إفريقي، وهو التعصب  
الذي راده اشتعال الاستبداد الأسياني في معاملة السكان الماشين في  
إسبانيا - وهؤلاء المؤرسمون الذين أحرقوا على قبول النصر أو الهزيمة ،  
والذين سحقوا وأحرقوا من أجل عقيدتهم وعاداتهم الإسلامية ، قد نشروا  
في كل مكان قصص عدم تسمع للأساسيين ( أي المسلمين ) واستبدادهم  
وفسوقهم وعظمتهم - لكن يطمحوا من الاسم « الأسبان » شك قريباً .  
وقد عانت المسكرات الأساسية في المراكز المحتلة على سواحل شمال  
إفريقية من هذه الحفنة - وما دامت هذه المسكرات في جزر المراسي  
فإنها كانت معزولة من الأرض الإفريقية لدرجة أن الخبر واللحم من حصى  
الماء كان عالماً يأتي لها عن طريق البحر - وفي القرن السادس عشر حين كان  
التن والانتصارات ممرضة للخطر كان اعتماد تلك المسكرات الأساسية  
على المساعدة التي تأتي من الخارج مكفة - ومع ذلك فإن تلك المراكز  
المحتلة كانت قوية - وكان لها مداوم تستطيع صرب المراسي وقلة المدن .  
كما أن المسكرات كانت مسلحة بفرسان - ولم يكن المسلمون يعرفون  
هذا النوع من السلاح ولذلك لم تكن في استطاعتهم حتى رد « غزوات »  
( الغارات ) الحدود الأساسية صدهم - فلم يكن في قدره الفرسان أن يبرروا  
أو العرب المسلحين بالرمح والسيف أن يهزموا لحدود الأسبان إلا إذا  
كانوا محميين فعلياً بالماشين وعندما يحتل نظامهم أثناء البر .

ويكاد الوقت الذي بدأ فيه الأسبان في إنشاء المراكز في شمال إفريقيا  
هو نفسه الوقت الذي كانت فيه حصص من الماشين الشرقيين قد وصلت  
إلى وسط البحر الأبيض عندما فقه كلاً في أعينها وعرضها قصة  
كورتيز Cortez وبيرازو Bizarro في أعين الحديد - وكان رعيهم  
هو غرور وأخوته الذين ربما كانوا أثناء لحدي أنكشاري سابق من

انه لميس يوناني ارثوذكسي ، ان الاساطير تحيرونا ان هؤلاء القديس  
قد ربوا تربية اسلامية وروعة يسا كانت اخواتهم مسيحيات . غير ان  
المعتقد الثالث التي يعرفها عن عروج هي انه قبل عروبه كان سجارا مسترقا  
في إحدى السفن اسي حص عليها فرسان القديس يوحنا بجزيرة رودس  
وانه بعد مدينه أو هرويه جهده هو واخوته أمير مصري كقرصاة بطارية  
بنيرود على التجار المسيحيين . وهكذا فان ولي نعمته الأول لم يكن  
هو السلطان العثماني بل أمير مصري خضع أملاكه بعد ذلك بقليل في قبضة  
ذلك السلطان وحوشه . وحوالي مدار القرن السادس عشر ، وصل عروج  
واخوته . اسحق وجر الدين الى تونس لبدأوا حركتهم في غرب البحر  
الأبيض . لقد كانوا يحارب قرصاة ومطاعدين ضد المسحة . وكان  
عروج أيضا يحارب حرب ثار ضد الرجال الذين استرقوه في سفن فرسان  
القديس يوحنا . وقد رحب الحاكم الحمصي لتونس بهؤلاء المعتمرين  
وسمح لهم باسكان موايه في مقابل سهم في الضائم المأخوذة من اسنى  
مسحة . ولم تكن سنة 1510 حتى انتشرت قصص عائم هؤلاء البحارة  
— القرصاة تساروا واسا في الشرق والغرب . ولم يكن القضاء انقص  
على سفينتين كبيرتين محملين بالثبات ، والذين كانت ملكتهما البحرية ،  
الا واحدا من الهجمات الكثيرة والعدسة النظر التي أعطت لعروج  
الشهرة كرجل شجاع ومقدام وجرى . فقد تردد عدد سبعة الطاسة ،  
بالإضافة الى تلك السفن التي يهودها رياس (3) مشاركة آخرون . كانوا  
قد اتجهوا بدورهم نحو الغرب وحملوا أنفسهم تحت قيادة عروج .  
وهكذا كان عدد أسطوره احرصاني قد تحدد راسي عشر سفينة . وكان  
نامكانهم أن عصفرو في خط واحد ، كل على مرأى من حاربه ، وهي  
عملية يصح لهم سباحة وفصل أن سفنه قد تحاول أن تعبر شمسكهم .  
فلو أن الراس عروج أراد أن يقصى نفسه حربه كقرصان وأمير بحر لكائنات  
شهره وثروته مصنونه . ولكن عروج قد طور أفكارا أخرى . فقد رأى  
في النظام الأساسي غير المحدد الشكل للمغرب الأوسط امكانات لا تشبه  
سادة ساسة لسه ولاخوته نحب بقوة واسعة وكذلك بخلاص

3 . ان الراسي هو صابط وعائد سفينة فرنسية ، ويستعمل ضد اسمير في هذا المعنى  
خلال هذا الكتاب . والمفرد والمجمع لهذا نفس الشكل

في الآخرة . وكانت جهوده لتحقيق ذلك قد كلفته ذراعه في رعاية ثم حياته عندما جهد نفسه في مد سلطانه نحو نيس ونلسان .

ولكن في اسبوت الأولى من إنشاء المقببات ( المراكز المحصنة ) الأسبانية ، لم يكن هؤلاء لمراسة الشرفون هم الذين صابغوا حكمهم فيريدنا . فيما كان المستورقة بملكون الأسلحة بنارية ، كانت سببهم عبارة عن مفس من نوع الأبريق وورع الطيور ذات لحم الصغير وكانت مسبعة في أحسن الأحوال سدافع صغيرة لا يمكن أن يكون لها أي أثر على جدران الحصون الأسبانية . أما الذي صاق الأسبان حقاً بهم المعبودون الموريسكيون الذين لم يهاجروا بعد . متحركون لقص الأرقاء ، وحرقت منه أو تدبه معاديب في ألعاب الواحد ، وهي الزواجر سي من أهل احتاؤها في مصاب الأنهار الأسبانية ، من المعبودين ، مساعده الموريسكيون الذين لم يهاجروا بعد . متحركون لبعض الأرقاء ، وحرقت الكنائس وسطوة على أديرة الرهبان ( موسساري ) . ان هؤلاء القراصنة ، من بعض اكتشافهم ومن بعض الطرق عليهم . أما البحارة فمرحمة الشرفون الذين لم يكونوا في سوى العاصمات الأسبانية بسعة جيد أو سي كانت راف البحر الأسباني . فقد وجدوا ما فيه الكفاية من أسلحة سي رجع إلى الدويلات الأسبانية - حو ، وصله ، ونبولي ، بوسكدي . ودويلات لدوية به فكانوا بمسؤولها ويعتقدون صامها عدا . وأول اصطدام هام حدث بين المشارقة والاسبان كان عندما ود أهل مدية بمانه لشارقة مساعدتهم على طرد الأسبان من المقبسة التي كانت سببهم في صوابهم . وقد كانت مدافع القراصنة عبر صمانه . وهم يكن خروج ورجاء على استعداد لمواجهة شرسة المدفعية الأسبانية . ودر حريصات سي كانت صعب عليهم صبا . وقد جعلت دورع خروج مكره مدافع ، أصبح رجاله في موصى كبره . وبعد عدة سنوات . وبعد وفاة فيريدنا سنة 1515 وجد خروج مرة أخرى ، عندما ساعداه بشارتون مساعدتهم ضد المقيمة الأسبانية في مرصاهم . ان مدنييه كانت على درجة من الصعوبة لا يمكن معها أن يحقق مرعوبه . وهكذا سرعهم أن امراضه الشرفية كانوا يفسون نشاطهم في لحوض



الوسطى للحر الأبيض فاعلم كانوا ما يزالون في مستوى أصعب من القوة  
الأسبانية طالما كان فيريدبانك على قيد الحياة .

غير أن المشاركة التي هم في أنفسهم مملون ، كانوا في تعاطف مع  
أهل البلاد ، ومن ثمة كانوا أكثر مرونة من الإنسان في حركتهم البائدة  
إلى مركز أنفسهم في شمال إفريقية . وكانت أول قاعدة ملية لهم هي  
مدينة جيجل لصغيرة ، وهي بلدة ذات موسى تقع على مسافة 180 ميل  
شرقي مدينة الجزائر . وقد ظهر للمشاركة هناك عن طريق الصدفة بعبة ،  
وهي عذرة عن سبعة سفينة بحملة بالفتح في الوقت الذي كانت فيه البلدة  
( جيجل ) مهددة بساعة . واعتراضا بهذا الفصل دعا سكان البلدة غروج  
المسيح « ملكا » عليهم . وبعد سنوات قليلة أتاح موت فيريدبانك أروحة  
جديدة أمام المراسمة المشاركة . ذلك أن حصر مدينة الجزائر والشيوخ  
العرب الذين كانوا قد دعوا فيريدبانك لحكم بلدتهم ، قد شعروا أن موت  
( فيريدبانك ) قد أحلهم من بين الولاء الذي أدوه له . فدعوا غروجا إلى  
حصر المدونة إلى مدينة الجزائر لكي ساعدوهم على طرد الألمان  
من القصة لوائحه في مرسلهم . قام غروج أولا برؤية لبرشال ( وهي  
قصره ومن الرومان ) التي هي مدينة على الساحل تقع على حوالي  
مسافة 50 ميل غربي مدينة الجزائر ، يكاد سكانها يكونون جملة من  
لاجئي الأندلس . حيث سببه لها أحد ساعديه السابقين وحمل نفسه  
« ملكا » ، وكان غروج لا يريد مائتا . فزل لبرشال ، وتكلم مع  
ساعده « عبد الوهي » « اعتله وقطع رأسه . وقد انضم المشاركة  
لبرشال من راجح غروج به بعدوا حسدا ، استاء خدمة بق لبرشال  
بحو مدينة الجزائر » .

ولما حل غروج « الجزائر لبرشال في ربحه الألمان ولكنه استطاع أن  
يضع التسح الذي كان يحكم لمدته . وأحضر السكان على قبوله  
« ملكا » عليهم . وبعد ذلك عطل علم أن أعيان الحصر ( لبلدية ) كانوا  
يعاوضون سرا مع الألمان طالبين منهم المساعدة على طرد المشاركة فما  
كان من إلا أن جمع الحائرين في أحد المساحد وأعدم أعينهم وأكثرهم

ثمة . ان هذا العمل لم يعمل المشاركة يريدون حقا في مدينة الجزائر  
ولكنه تظ عزالم المحاولات الأخرى التي تهدف الى دفعه حكمهم .

ومن المريب ان هذه الطريقة التحية في الاستيلاء على السلطة لم تنجح  
مدا أخرى من أن طلب مساعدة القراصنة المشاركة . في مبر أصيد  
مدينة من ولده العديده بسان بوباء النامي على علاقة عرشي  
لديهم . وفي كلا الحالتين أدى الأمر الى أن يطلب أحد الطرفين المتنازعين  
المساعدة المتبادلة من حاكم مدينة الجزائر الجديد . بل أن عروج أخاه  
خير الدين ، الذي سيقب برؤوسه ، على مدينة الجزائر وتوجه هو وأخوه  
إلى البحر من المشاركة مع العرب . وقد ظهر في لبداه ان  
الجيش الصغير قد حقق نجاحا كبيرا في الحصول على ولاي الأهالي حتى  
كان يبدو أن جميع المناطق الواقعة بين مدينة الجزائر وطرابلس ستصبح  
قرب تحت طاعة حكم الممارسين المشاركة . ولكن في هذه اللحظة طلب من  
حج مدينة الجزائر قبل الجلاء من حاكم وهران الأساس دلائل له ان  
لمشاركه سويون على جميع العرب دا لم يوتقوا عند حذهم . وقد  
طلب حاكم وهران لمساعدته من ملك الأسان الجديد ، كارلوس الأول ،  
أدى أصبح عد قتل يسي شارل الخامس امبراطور الدولة الرومانية  
لمدينة وحاكم الأسمى الجمعية الرعائدية . بالاضافة الى معظم بلاد  
الاندلس وأندلس . وقد أرسل الملك سبب ( كارلوس ) قوة عسكرية  
برهنة على هذا أقوى بكثير من قوة مشاركته . ذلك ان كلا من عروج  
وأخيه قد ليس معاه دلايلهم الى معاه رحلتهم . ولما نجح من  
ملك ، قوة سري في هذا قدر الى مدينة الجزائر ليحرر مائتيه .

ان هذه هي عرمة مشاركته والأخبار التي معادها ان الأسان  
يسمكون لحمله أخرى تهدف الى طرد حمر الدين ورحانه من مدينة  
الجزائر كانت هي الأحداث الخاصة التي كانت معطى الكل الحكومه  
الحديثة الفرنسية في صبح لائمه الجزائريه The regency of Algiers  
وغيره مؤرخ مركي ، قد يكون كتب تاريخه من حمر الدين  
نفسه ان موت الأخوين قد بعض حمر الدين وأخوه . عندئذ عا

الفرسان ابودع الرئيس أحيان حصر المدينة وأجبرهم أنه غارم على العودة إلى المشرق ولكنه سبترك مدينتهم في رعايته رجاله المناره وأهل الاندلس غير أن الاعراضات سالت من كل جانب - أن مؤرخا يثيره أن السديه ( حصر المدينه ) قد رجعوا حير الدين بأن لا يتركهم - فاسترد عليهم عندئذ أنه في حالة دفاعه فإنه يرغب في دعوة سلطان الدوله عثمانيه لمجابهته ، وقد تلا ذلك مباحثه طويله ، وأجيرا التح عليه الاعيان الجزائريون أن يرسل غايه الموصى به ، وهو الحاج حسن ، إلى السلطان يأمي من عده بالمعروفه المطلوبة فيما يخص حير الدين معه في مدينه الجزائر للندم عنها . أن مؤرخا ثم يحرره ما إذا كان السلطان سليم خان ، المعروف بالمخيف ( The Great ) قد سأل أسئلة معده عن علاقت المناره الأوسى مع مصر ، ولكنه لم يؤكد لنا أن السلطان قد قبل عرض حير الدين في وسع موحاهته بحفظ مملكه لدولته عثمانيه باسم الحق ( الأقليم ) العربي في مقابل المساعدة العسكريه ، وهكذا أصبح حير الدين باشا تركيا ، كما أن يعود لمعروفه في مدينه الجزائر فحصل عندئذ صورة السلطان .

وبعد لأمر يس باباؤه التي يحكيها لنا صاحب كتاب ( الزهره سيره ) ( \* ) ، ومع أن المؤرخين ليسحق يعطونا بعض الفصه تقريبا ، ومع ذلك فإن الحقيقه هي أن السلطان سليم الاول ، قد قبل أن تكون الجزائر تحت غشابه حدوديا جديد . كما أرسل القوي من جنود الامكشاريه وأربعة آلاف من المناره لاجريس المحدثين في المليك لجزائريه ، بالإضافة إلى إرساله بعض المدافع ولذخيره الحربيه .

بعد كان ذلك حظوه حاسه في تصور ابناء الجزائر التركييه الذي سرى في سنة 1830 . أن دخول الامكشاريه التركيه قد وفر اتصال عسكريه ضروريه بين قسطنطينيه مع مدينه لجزائر ضد الأسباب ولكن بعد توسع رعايه المصالحات عثمانيه في الأخير تشمل كل المغرب الأوسط . ومن جهة اخرى فإن ادعاء ديون الامكشاريه باعتبارها

١. - د. محمد بن عبد الرحمن بن زويه سنة 1194 هـ ، والديوان الكامل هو ( الزهره سيره ) يثيره في الجزائر بين أطراف مليها جنود الكفر . انظر كتابنا تاريخ الجزائر الثماني ، ج 2 ، ص 351-353 ( الترجمة ) .



( البرلمان ) مملكة أراغون عقد جلسة في برشلونة أثناء سنة 1519 - 1520 وصوت على معونة قدرها عشرة آلاف دوكا سوبيا تدفعها إمارة كاتالونيا وممالك بلنسية وميورقة ، وسردييا . فإذا تذكرنا أن الملوك الأسبان قد عانوا كثيرا في الحصول على قروض من مملكة أراغون ( التي كانت تضم الإمارات السالفة ) عرفنا الإهية الحقيقية لهذه المنحة . أن هذه المنحة كانت تستعمل في بناء قوة بحرية لمواجهة القراصنة المسلمين ، كما كانت موجهة لبناء تحصينات ومراكز وقاية ما تزال شاهدة على أن الممالك الأسبانية كانت حقا واقعة تحت حصار من جهة البحر .

كانت الحراسة الأسبانية موجهة صد القواعد الرئيسية الممكنة للقراصنة ، وكان ميناء مدينة الجزائر ما يزال تحت رقابة لمدايح الأسبانية المنصوبة في المقضية الواقعة على جزيرة في المرسى . وكانت سفن خير الدين تصل في الموانئ الصغيرة على طول الساحل ، وخصوصا من جزيرة جربة حيث كان أخوه عروج قد أخذ الحرية القراصنة بعد هجوم على حلق ابواي الذي هو أهم مرسى تونس . لقد أقتنع ذلك سلطان تونس بوجود منهم من الأخصاء بسواة . وقد أزل الأسبان حوالي ثلاثة عشر ألف رجل في حرية . بعضهم ملحقون بسلاح يسمى الاسكوبتوس Escopetus وهو سلاح ناري حديد أكثر فعالية من القريبات . أن ذلك النسخ اسريري ( يسمى سلطان تونس ) ، الذي كان قد رغب بفتح حق اللجوء إلى القراصنة في مقابل نسبة من « غنيبتهم » ، كان مستعدا أن يحلف فور من الماعة لمك اسبابا وأن يمد بفتح القراصنة من دخول موانئ . ولكن لم تنص سواب قبلة فقط حتى نسي يمينه ووعدده . ولو أن الشاب كارلوس الأول ( شارل الخامس ) الأسباني لم يكن مشغولا جدا بأشياء أخرى كثيرة . فلربما قضى على هذا التهديد الذي مثله جماعة حير اندلس القراصنة - الانكشارية في مدينة الجزائر ، وهو التهديد الذي كان ماحا صد اسبابا وصد الميحيين .

وسمهم فمما أعصل لمادا لم نلجأ للممالك الأسبانية إلى حركة صارمة صد نواه جماعة القراصنة في ملك السواب الأولى ، اذا تذكرنا



بعض المشاكل التي كانت تواجه الملك تشارل (4) . قبل كل شيء ، كان الأسبانيون غير مستعدين لوصول حكومتهم . فقد حدثت ثورة في بلنسية سنة 1519 ، وأخرى في كاستيل سنة 1520 . كما حدثت ثورة في دياريا تشارل (كو ميوروس) سنة 1520 - 1521 . ذلك أن دعايا تشارل الأسبانيين لم يكونوا يرغبون في الاندماج في ملكه وحده يحكمهم قانون واحد . إن هذا الموضوع كان عليه أن ينظر إلى القرن الذي عثر حبه لم يتحقق إلا جزئيا . كما أن دعايا تشارل الأسبانيين لم تكن بهم إرادة مشتركة معه ولا هدف محدد . ومع ذلك فإن أسبانيا لم تكن سوى واحد . إن هذا الموضوع كان عليه أن ينظر إلى القرن الذي عثر حبه المقدسة ، أي في الوقت الذي كانت سبذل فيه فكرة الإصلاح اللوثرية . كما أنه ورث مشاكل عرش برغندي الذي كان يتصلي الرابع مع فرنسا على خلافه . وهكذا أصب مشاكل برغنديا إلى مشاكل إيطاليا لكني بحر تشارل على الدخول في حروب مع فرنسا الأولى ، ملك فرنسا ، وهي لحروب المعروفة بحروب الهاسبورج - فالو Valois التي دامت نصف قرن . لقد أفرغت هذه الحروب حرية تشارل وحرية حصصه الفرنسي . ولكن لما كان لم يوفقه عند هذا الحد ، تشارل لم تكن فقط معاصر للملكين فرنس - ميخائيل في أوروبا الغربية . وهذا فرنسا الأولى ملك فرنسا وهنري الثامن ملك إنجلترا . ولكنه كان معاصرا أيضا لسلطان لقاء في سلطان الدولة العثمانية . فكان على تشارل أن يأنس لحدة أوجه حروب يد الذي كان يحكم في ألمانيا بصفه « ملك الرومان » عندما هاجم الإمبراطور ماكسيمليان سنة 1529 .

والله اعلم بالصواب . حرب العرس في أسبانيا الأوروبية حاول حذر الدين أن يؤسس سياسة إسلامية في المغرب (1) . لقد كان حذر الدين رجل دولة كما كان سياسيا مبدعاً ، ذكره خلاص سمح حبه من أقصى

1 - تشارل ماكسيمليان 1500-1550 دولة لاروس حله من الأراضي المنخفضة ، ولقد كان برغنديا ، وفرنسي حبه الهاسبورج مثل « دياريا » كما كان اللورين الفرنسي أسبانيا . وقد سمح ملك فرنسا لاسرطوري للدولة البروتستانتية الهولندية ، وقد كان يدعى من أسبانيا تشارل الأولى ، عا في فرنسا بعد كان تشارل الخامس .

2 - سمح الملك ميخائيل تشارل المعروفة للدلالة على الحرب الأوسط - البحار (البحر)

الامر ، ولكنه كان ايضا مثلاً محبباً لغيره باعتباره حاكماً غلباً اذا اقتضى الامر ذلك ايضا . اعترف خير الدين بأن سياسة أخيه الهادئة الى الحصول على سلطة سيادة فوق المدن الداخلية كانت سياسة صحيحة ، بل كانت ضرورية لا مناص منها ، للتطور الناجح الذي عرفته دولة الأتراك - القرمان - الانتكارية . كما أو خير الدين كأن زعيماً مسلماً ورعاً يرى أن إعادة فتح اسباباً هدفاً هاماً للإسلام . وعندما استند قوانين شارل الدينية غير المتسامحة المظلمة في كاستيل الى أراغون ، جاء خير الدين لمساعدة المورسكين على الهروب من اسبانيا . ويبدو أن هذه التجربة قد أقدمت خير الدين بأن إعادة فتح اسباباً لا يمكن أن يتحقق إلا اذا أصبح العرب كله تحت سلطة اسلامية واحدة وهي السلطة التي تكون ممالكها تحبس حوض العودة الى الأرض الأساسية ، واداً كان عروج هو المؤسس الحقيقي لجماعة اقرصان فان خير الدين بربروس هو الذي كان السياسي الماهر والمظم العسكري ولقائد الذي أسس الامانة الحرازية التركية . انه هو الذي أعطى هذه الامانة شكلها المبرر وأعطى وجودها صفة الشرعية وربطها بالدولة العثمانية ( انظر الفصل الرابع الاخير ) .

ولكن يوجد مظنة الحرب المضطربة تحت سطوة واحدة لم يكن أمراً سهلاً . هذا انه من الممكن أن لا يحقق أحد . فبعد بدأ خير الدين حكمه كات المصائب الأساسية سيطر على الحركة في مواسم الحرائر وهران وسبي وخالف ( مدس ) وعنده ، وجاءه بالاضافة الى مواسم أخرى عديدة أقل أهمية ، وكانت . صعد بعدد من فاسدان وقسطنطينة في عرب وشرق المغرب الأوسط وقد أصدره غير مسر سؤوفهما نفسها ولا يريدون أي تدخل من الجاهل . أم في جهات و بهضبات اهلاً فقد كانت المشاكل البربرية ، التي لم تحل فبادة مروجها وأمرها ، ولا ترمد هي أيضاً أن تدفع صده أو يفرود سبالة ح حه . واداً كانت مشاكل خير الدين لا تسد حمة المسكك في حوض شارل الخامس على المدى البعيد فاجها كاد في له لا يقل عنها صعوبة في ضوء الامكانيات التي كانت لديه . عه كات بعده طريقة عامة ، وهي أن يستعمل لأحسن كاهه ، فبكا ، اعده الم . ك وكافوا مفكرهين

لديهم ولعب صاعدهم الحربي . ثم ان المدد الساحطة لا يسكنها طردهم  
( الأبيان ) الا بمساعدة الأتراك ، تلك هي أول فرصة سياسة لخير  
الدين .

وإذا كان لا تشارك في الدين بعد نقطة انجذبت من هناك سياسات أيضا .  
دعي طرفي الحرب الأوسط وأجه خير الدين قوات عسكرية من العرب  
وسرر أكثر استعدادا لمحاربه الكثرة التركية . ففي الحرب كان  
الأسان يحتلون وهران والمرسى الكبير حيث لهم مدافع وجعديات  
ورجال مسلحون بالقنصات . وكانوا أقوى من أية قوة يمكن لخير الدين  
أن يحصرها لمواجهتهم ، لقد كانوا حاجزا فعالا في وجه أي توسع نحو  
العرب لحكومته . وفي حروب وهران هناك سلطان قاس بندي كانت  
حرورية المتورطة ضد الأسان لم يحمله عقل رؤية حكومة قوية تظهر في  
العرب الأوسط . وقد سلطانها على تلبسان وقد تتوسع الى أبعد من  
ذلك . وكان هو أيضا سلك أسلحة حديثة مثل القنبلة والمدافع الصغيرة ،  
كأن كان له حدود مسطوح النيران من معروف للرب والعرب في منطقة  
خير الدين . ومن جهة أخرى سرور السلطة المراكشية ( قاس ) بهجرة  
الموريسكي من ساب . وقد رحب بهم سلطان قاس ، وأحصروا معهم  
عدد من عديم التي من سها من صناعة الأسلحة . بالإضافة الى الحدود  
المطوية في حسن المظفر . فإذ لم يسمع هؤلاء الحدود المراكشون  
( قاس ) في الاستشارة سريره في حالف حر . قد إعادة فتح أسيا  
سكور أسما أحلام . غير أنه من غير المحتمل أن المراكش ( قاس )  
سيتحرك من سعادته لمساعدوا بكل ساحة السلطة لتركة الهادفة  
الى التوسع والهيبة .

وفي سنة ١٤٠٤ هـ من العرب الأوسط وجه خير الدين أيضا قربة  
على البحرين كما هو من قبل حارب مقاتل العرب والبربرية ( \* ) .  
فسلامين يوس . وهم "حر العائله" بعضهم كانوا يحكمون بمقاطعه كان

نسخة هذا الكتاب في لندن . المطبعة ٦ بكتوب . لما بنو . خطب للموسم  
بدره . وحده سنة ١٤٠٤ هـ . وأما هناك (المباني)

فيها إنتاج القمح وزيت الزيتون والحبوب والخلود والتوابك وغيرها كثير من المواد قد سيج بادل بضائع عديدة في السوق العالمي ، ومن ثمة أيضا سيج بالحصول على مدخل أهم من مدخل المغرب الأوسط . ومن جهة أخرى كان عبد سلطان تونس مرتزقة ، كثير سهم كانوا من المسيحيين ، الذين تمكنوا اتصال الأسلحة الدرية قبل ظهور الأتراك ، ان هؤلاء الحكام الحمصيين كانوا مكروهين جدا من رعاياهم ، ولكنهم عرفوا كيف يحافظون مع المائلات العربية انقوبه ومن ثمة سيطروا على اسلاد . لذلك وجد خبر الدين وخلقواؤه أن تونس كانت تقف عائقا في طريق التوسع نحو الشرق . حقا أن سلاطين تونس كانوا يطمعون في مملكة وروابي بلاد القضايل من الناحية العربية لكونهم تماما كما كان حكام الامانة اتركة يرغبون في التوسع نحو الشرق التي الكبار والقبيروان .

وخلال عقد العشرينات ، 1520 - 1530 ، جرب النظام التركي القائم على الفرسية الانتصار والهيمنة في جهوده من أجل شيد دولة في المغرب الأوسط . وهناك هزيمة كاد ان تكون مدمرة لذلك النظام أو استطاع الأسبان ان يعضوا مرسة اللحظة للفرجة للقراصنة ، ذلك أنه بعد لانتصار السهل على دعم تحاديه بلاد رواوه المؤلفه من قائل كوكو بقيادة أبو شوحها ، وهو ابن القاسي . وبعد احتلال مدينتي قسنطينة وعيناه في الجهة الغربية من الأفلم - واحه مدينتي قسنطينة سلطان تونس . ان هذا التحالف بين رجال قائل كوكو والثوئين يكون مشكلا دائما لحكام الجزائر أثناء العود الثالثة . فابن القاسي المحالف مع انوسين لم تكف بهرسة اجنبي الاثكشاري الصغير ولكنه سرده أيضا من مدينتي الجزائر وأحر الأتراك على مدمرة هذه المدينتي . بعد انسحاب جنود الدين الى مرتبات بأسطوله وطلب اسجدة من سلطان مغربي لمساند الدين . ولكن السلطان لم يكن قادرا على مدد مساعدته لأنه كان في حالة حرب لاحتلال جزيرة رودس . كما كان بعد للهجوم على جوص اندانوب ، وهو الهجوم الذي جعل حدوده أمام أسوار فيد . ومن جسي حظ خير الدين ان رجال قائل كوكو ورعهم ابن القاسي ، لم يكونوا متعديين

للاستيلاء على الحكومة التي كان القراصنة الأتراك قد شرعوا في تسيدها  
وبدلاً من أن يحلوا محل الأتراك عبدوا إلى بيت منظم لمدينة الجزائر .  
وقد رأى اللديني ( انحصار ) ومهاجر الأندلس الموجودون في هذه  
المدينة ، أن النظام التركي كان أحسن النظم .

وأرسل حير الدين من جهة غرامته ليعصوا من السن المسيحية ،  
وبذلك يحصل على التقود الضرورية للاعتراف بقوته . كما أنه عقد  
حلفاً مع قبيلة بربرية ، هي القبيلة ، Kala ، التي كانت  
مصادرة لكوكو . وفي الهجوم الموالي كانت الدائرة قد دارت على ابن  
القاضي ، وأستطاعت جماعة انقراصنة التركية أن تستبد مركزاً في  
ساحة (5) ، وهي المنطقة المحيطة بمدينة الجزائر . وكان أهالي كوكو  
يرغبون في لسلام ، لذلك أرسلوا رأس ابن القاضي إلى الجزائر .  
أما حير الدين فقد أسس في الوقت الحاضر سلطة تركية في الجزء الشرقي  
من دولته .

أما في الغرب فإن النظم التركي القرصاني قد لقي تهيئات عندما  
قيمت مستعصم ، وهي مدينة بحرية ، حصانة خير الدين ضد الإسبان .  
إن هذه السلطة قد أعطت للقراصنة مرسى أما غير بعيد من وهران ،  
وهو المرسى الذي يمكنهم أن يحصروا فيه المدافع والبواخر الحربية  
لاحتلال المناطق القريبة بوهران وسلطة فارس . ومن حصنة  
أخرى أعان القراصنة حصن مدينة فالر ( بادس ) على طرف انحصانة  
الأساسة وبذلك أصبحوا لأنفسهم مدجلاً إلى مرسى آخر على الساحل  
المغربى . وحدثت حرب بين مدنة وهران . والواقع أن سماح مستعصم بالنقل  
عن طريق البحر قد جعل بإمكان قوات حير الدين أن تتوسل على  
تلسان . وهي العاصمة القديمة للمغرب الأوسط . ولكنه كان استلاء  
سهلاً ذلك أن أحد البحريين المندرجين في لخدمة اسحق بنحوود القراصنة  
البحراني لمساعدة مرشحته على عرش المدنة . ولما كانت مدينة الإسبان

5 - هو وهران من من لادرس مدنة من منى عربي مدنة الجزائر إلى ديس نوميها ،  
وكان يعرفون بحر سبعة أو دار اسطبل . وكان يحرقون من مدنة المركز خلال  
أسبوع الذكر . ما مدنة الأسبوع بعد كان مدنة من ثلاثة أسابيع ، نظر الحربية



يعوم على نصف مدام من الإجمالي تم تطلب به أن يقسم بين الولاء  
 ابن الملك الإسباني ، ثم يراحمون تاركين المدينة تحت حكمه « مدينة »  
 كانت الساحة التركية تقوم على اداة حامية التكتلانية في أية مدن  
 تمت تحت السلطة التركية ، وبذلك تنسى ولاد السكان . وكان الأسب  
 في وهران و مرفأين لهذه السياسة ، وحوالوا عدة مرات رساله فوات  
 بطرد الأتراك ، ولكنهم في سنة 1543 عندما نصحوا في الاستيلاء على  
 المدينة لم يقدروا على المحافظة عليها بحودهم الذين كان ديمهم مسود  
 من طرف سكان المدينة ، وهكذا سرعان ما رجع الأتراك إليها .

غير أن أكثر منكل كان يواجه حير الدين في هذه السواحل الأولى  
 كان في مدييه الحرائر نصفا . ذلك أن وجود احامه الإسبانية في المقعة  
 الكثافة على تحريرهم الصميرة في مرسى المدينة قد جعل من المتحبل  
 على سيمان سنة في هذا المرسى . وكان أسطوله الصغير لم تشجع  
 على مواجحه مدافع حصن الأسباني . ولذلك كان على انقراضه أن  
 يرسو في مكان آخر أو يحصروا في شواطئ ، بمدة عن مدينة الجزائر .  
 بدأ حير الدين حصار حديد الحصى الصغر سنة 1529 ، وقد حاربت  
 احامه الأسبانية بحدة وكفا كانت في حاحه الى الطعام والماء ، ولذخيرة  
 البحرية . ان من النوبي وصف من اسبانيا بعد أيام من استسلام قائد  
 احامه . وكانوا يساعدون الأرفاء الأسبان وهم يهدمون التحصينات  
 ويمملون لبحارهم للضروع في بناء المول ( Mole ) أو المرسف  
 البحري الذي سربط الحبره بالأرض وسبح معاً آناً الى حدمه لسن  
 صد عراض البحر الأسباني . ان المؤرخ لتركى يحرر أنه عندما سمع  
 منك اسبانيا سقوطه معبته الحرائر و لمة الله ( أي شارل ) دفع اصابعه  
 عفاً ، و عا ان عقد اجتماع مجلس ندوله . وكان الأعضاء جميعاً  
 صاميين لا لمسى دور ( Dona ) الذي اقترح مهاجمة بربروسة  
 ( وهذا هو الاسم المسخر لبحر اندلس ) . عندئذ عقد ملك اسبانيا السلام  
 مع فرنسا وأبحر دورن غاسبون عظم لمهاجمة شرشال حيث كان بربروسة  
 يصنع كمنكه .



## الفصل الثاني خير الدين ضد شارل الخامس

ان الاستيلاء على مقيمة مرسى الجزائر سنة 1529 جاء في نهاية عقد من الزمن كان فيه أمراء أوروبا مهتمين في حروب امتدت من سهول صقلية ( البحر ) الى جبال اليريبى فملك القالوا الفرنسي Valois فرسوا الأول كان سجين حرب في مدريد ، وملك هنغاريا قتل في معركة مع الأتراك ، واقتحمت مدينة رومة من قبل حود ملك اسبانيا الكاثوليكي . أما أمراء ألمانيا الشمالية فقد شكلوا حلفا باسم « حرب لوثر » ليحاربوا به ارادة امبراطورهم . ولم يتوحد الألمان الا سنة 1529 م عندما وصلت الجيوش التركية أمام فيينا فهوا ( الألمان ) لايهاد القوات العثمانية من الساب . وفي نفس السنة عقد سلام مؤقت في كامبري Cambray وهو المعروف « بسلام السدات » وقد أنهى الحرب بين عائلتي الهابسبورج والفالوا . ولكن هذا السلام لم يمنع فرسوا الأول من إرسال مبعوث الى كل من السلطان سليمان وخير الدين يقترح عليهما القيام بمصل فرنسي - تركي ضد أسطول أندريا دوريا المرتزق آخذا بالثار من دوريا الذي هرب من الخدمة القرنية الى الخدمة الاسانية . ان هذا هو العهد الذي وصفه ماكنا فلي في كتابه ( الأمير ) بأنه عصر الزعماء الانتهازيين والنعميين والسبايين العازمين على تأمين المنافع من أجل أنفسهم .

ومن الممكن أن يكون طلب الملك فرنسوا قد أهم السلطان ومستشاريه ، ذلك أن دوريا قام ، بأمر من شارل الخامس ، بنارة على خليج كورنث Corinth قبل ستة فقط من ذلك التاريخ . ولكن مستشاري السلطان كان لديهم أمور أخرى تستحوذ على اهتمامهم . ان العزيمة في فيينا سنة

1529 كان سها جيس شارل الخامس بالاضافة الى جنود أخيه فيرديناند ملك الرومان ، الذي كان الحاكم الفعلي في ألمانيا . فهل يمكن أن يكون الطريق الى أوروبا الوسطى عبر الدانوب ، مطلقا من قبل سلطة الجهاز الامبريالي الأسباني لمملكة الهابسبورغ ؟ ثم إن هناك صراخ المهاجرين المويستيين في بلاط سليمان ، الذين كانوا يحثون السلطان التركي على تصحيح المظالم التي ارتكبت في حق مسلمي اسيا . وأمام كل هذا . صهر ناش الحرائر ، خير الدين شخصية رائعة . فقد كان هو وقراصته ينزلون على السواحل الاسيانية ويحملون معهم الغنائم والعبيد والمويستيين الراغبين في الفرار من الاستبداد الأسباني . ان هؤلاء اللاجئين كانوا يحجون خير الدين على أنه نذل مسلم يمكن أن يعود ذات يوم حاصورا الى اسبانيا نفسها . ولذلك قرر سلطان استدعاء خير الدين الى اسطول لمقابلة موضوع إنشاء اسطول عثماني وامكانه تدخل الدولة العثمانية في غرب البحر الأبيض .

لقد كان هذا موضوعا حديدا بالنسبة لسلطان عثماني . ان الحسن التركي كان دائما « حواء الأرض » وكانت افكاره قد تحققت عن طريق الحدود المائية والفرسان . وكان الحرسة عبر معروفة له . وقد كتب جان تشينو Cheineau ( حواشي سنة 1540 قائلا ان « الاتراك باستثناء القراصنة ، كانوا لا يكادون يعرفون شيئا عن البحر . وهم الى اليوم اذا أرادوا أن يبحروا حمله بحرية سوجهون الى حال اليونان أو الاصول وأحدون الزراعة ، الذين يطلقون عليهم فوما باري Goujonari ويصنعونهم في السفن . . . وهكذا لم ننجح الاتراك أبدا في البحر . . . غير أن بربروسة قد غير ذلك بعض الشيء . » ان تقديرات تشينو كانت الى حد ما خاطئة . فاللورج الأمريكي أندرو هيس A Hess المعروف تخصصه في الدولة العثمانية قد أشار الى ان وحدات البحرية العثمانية كانت تعمل في البحر الاحمر ضد البرتغاليين منذ العقد الثاني من القرن السادس عشر . ومع ذلك من الصحيح أن قوة البحرية العثمانية قد أردادت منذ انضمام خير الدين وضباطه القراصنة الى مؤسسة السلطان البحرية . ان العثمانيين لم يكونوا يعتبرون لا الى المهارة ولا

الى أماكن بناء السفن . ففي اسبواب الحصن التي بناه سنة 530 .  
كان العثمانيون قد أثاروا ذهنة العالم بالسرعة التي سوا بها سفنا  
حربية ممتازة وجعلوها حاضرة للإبحار ويريدوا على أنفسهم أنهم قادرون  
على خوض بحروب في ذلك المكان المحبوس .

وعندما دعا السلطان سليمان حري الدين ابي اسطبول سنة 1532 ،  
كان السؤال المطروح هو هل ستحدث حرب في البحر الأبيض بين  
الدولتين العثمانية والأسيانية ؟ وهل يمكن لهذه الحرب أن تعظم قوة  
حاكم الهابسبورغ في اسبانيا بحيث لا تمكن بعدها أبدا مرة أخرى  
أن تساعد على إعادة التقدم العثماني عبر بحر الدانوب ؟ وهل يمكن  
لقوة اسبانية أن تسمد اسبانيا وتصحح المظالم التي شكدها  
الموريسكيون ؟ أن مؤرخا التركي والمؤرخين الأسبان في القرن السادس  
عشر ، وكذلك هيرماندر سيراودورو F C Davis ، وهو أهم  
مؤرخ أسباني حديث للبحرية الأسبانية - كلهم يعتقدون أن سليمان  
قد قبل اقتراح حري الدين عن هذه الحرب وسحب حربة بناء بحرية في  
أحواس بناء السفن بالقرن الذهبي .

عني أنه اذا كان لابد من هذه الحرب فأول اتصال للقوة العثمانية  
يحدث أن تكون تسمى بوس كعدده لاسباب اصاحية . ان تونس تقع  
في الحزام الضيق لبحر الأبيض . وعلى شاطئها تقع سقطة وناظولي  
ومالطة ، وهي لمراشي العاصمة للسحب ، وكلها تسمح بفتح الأسبانية  
بواعد بحرية وتزودها بالطعام والشراب واحتشبت وعمرها من المواد .  
وان الزول الأخير لفرسان القديس يوحنا مالطة وطرابلس سرهم عني  
أهمية هذا الجزء من البحر الأبيض اذا شنت بحرب بين القوة التركية  
العثمانية وهذه اسبانيا الهابسبورغية . وما دامت الجزائر واحة عربي  
هذا الجزء فبها بدون بوس تصح عبر مناسبة كعدده لهذه الحرب .  
فإذا كانت تونس صديقة فانها تصح مطلقا عملات عثمانية أخرى نحو  
المغرب اما اذا كانت تونس عدوه فان هذه العمليات أن تكون مسكة .



لقد كان الحاكم الحمصي لتونس عدوا لجماعة القراصنة الانسراك في الجزائر وباشتيم خير الدين . ولكنه كان ايضا ضعيفا امام أي هجوم . ولعل المؤرخ والجغرافي الإسباني مرمول ، كان يعرف تونس أكثر مما يعرفها أي كاتب مسيحي آخر في ذلك العصر . فهو يخبرنا أن مولاي محمد الذي حكم تونس مدة ثمان وعشرين سنة كان له عدد كبير من الأولاد ولكم كانوا جميعا فاسقين للدرجة أنه لم يهتد الى من سخطه منهم ، وأخيرا استقر رأيه على مولاي حسن ، الذي كان أصغرهم والذي كان من سل أميرة عربية . وقد أمل والده أن الأقارب سيؤيدون هذا الابن الشاب . وعندما جلس مولاي حسن على العرش لم يكف بقتل وقتل عيون اخوته وأخواته ، بل فعل ذلك أيضا بأبناء اخوته وأبناء اخواته ونساء اخوته . ولم ينج من هذه المذبحة سوى أمير شاب حفصي واحد ، وهو الرشيد ، الذي فر الى معسكر شيخ عربي صديق ، يدعى عبد الله ، ولما كان العرب بدون مدفعية فانهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أي شيء في وجه مولاي حسن ، لذلك استنجد الرشيد بخير الدين . وقد رأى القرصان النابا ( خير الدين ) أن هذه فرصة بحب اغتنامها ، فأصطحب معه الرشيد الى اسطانبول حيث استمع السلطان الى قصته ووافق على أمر خير الدين بسباحة تونس . وقد أعطى السلطان سليمان الر. خير الدين أسطولا ومنحة لقب سلارامي شمال افريقية ، وزوده بتعليمات بنهب كلاريا وصقلية ثم التحول للاستلاء على تونس . ولما غادر الأسطول القرن الذهبي بقى الأمير الحمصي الرشيد في اسطانبول في سجن آمن . ان خير الدين لم يكن راضيا في اقامة سلطان تابع له ولكنه كان يريد أن يحكم حكما مباشرا .

كان جيش خير الدين مؤلفا من حوالي ألف وثمانمائة جندي انكشاري وستة آلاف وحشاشة من الألبان والافاضولين والبونانيين ، بالإضافة الى ستمائة من الأعلاج . وعندما كان مارا بحنوب ايطاليا توقف عدة مرات لأخذ الغنائم والأرقاء والماء والخشب ، ثم أرست الأرمادة ( الأسطول ) العثمانية في حلق الوادي ، وهو مرسى تونس ، وذلك في 16 أغسطس سنة 1544 . والواقع أنه لم يواجه أية مقاومة . ذلك أن مولاي حسن قد فر من المدينة الى حيث يجحد الأيمن عند أقاربه من العرب .

وتقدم خير الدين الى مدينة تونس فوجد ترحيبا من أصدقاء الرشيد وأقاربه ومن السكان عموما . لقد كان أغلب أصدقاء الرشيد في السجن ، وكانوا يمتنعون أن يحررتهم تعني أن الأمير الحفصي كان عائدا مع الجيش التركي . ولكنهم عندما علموا أن الإثراك عازمون على حكم تونس لحسابهم الخاص حاولوا التمرد الذي سرعان ما وضع حد له عن طريق نيران القريبات التركية . وعقدت رضى أعان تونس بأن يكون السلطان الشامي هو صاحب السيادة عليهم كما رصوا بخير الدين كييلارباي . وقد بات من السهل نسباً أن يمتد النفوذ الشامي ، بعد الاستلاء على مدينة تونس ، الى المدن والقرى الأخرى في المغرب الشرقي ( الأدنى ) الذي كان عادة خاصا للسيادة التونسية . كما أصبح خير الدين بسرعة سيطرا ، اسما على الأقل ، على المدن الساحلة الممتدة من حلق الوادي شمالا وما حولها الى مياه بونة ( غانة ) الذي كان خاضعا لحكم الحرائر . وفي نفس الوقت أرسل مولاي حسن ، اثر نصيحة من علج الماني ، الى شارل الخامس طالبا منه المساعدة ضد المعين القراصنة الإثراك .

ولا يحتاج الأمر الى كثير من التفكير في الواضع السياسي لوسط البحر الأبيض لعرف أن ملك اسبانيا لم يعد قادرا على البقاء بدون مساعدة أمام استلاء الإثراك على تونس . فقبل أن يوضع أمامه طلب المعونة من مولاي حسن كان أندريا دوربا قد حث على أن الملك الأسباني يجب أن يتحرك لطرد القراصنة والإثراك من تلك البلاد . وقد كان الطرف مناسيا : فالسلام كان مسدودا بين دولة فرنسا ودولة الهابسبورغ . وكانت احب شارل قد أصبحت ملكة لفرنسا . وسرعان ما وقع اعداد حملة عظيمة . وقد أحر شارل نفسه عن « اليمن والفلونات » ، والسفن الشراعية - واسمى الاريقة ، والاسطوانات وغيرها من اليمن « التي جمعها لنقل جيشه المؤلف من عناصر اسبانية وألمانية وإيطالية وبرتغالية . ثم كتب أيضا « انا عاقدنا سائلين خالقنا المعونة والالهام ... وأن نقوم ، بأذن الله ومساعدته ، بما يبدو أكثر فاعلية وفضلا ضد ببروسة » ان لفادين الذين أمدعوا السلسلة الكمية من الرسوم الغية على القماش

والتي ما تزال برئية في مدنة انبئية قد تركوا لنا شواهد حية على القوة  
وقوة الحصة العسكرية . ان هذه الوسائل البحرية خلال القرن السادس  
عشر كانت وسائل ثمة اوزن وبطشة الحركة ، وسكها كانت تصع ، لا  
رأى البحر ، قوة كبيرة بحيث تصرف القائد .

قد كانت حملة عطسه حقا تلك التي غادرت اسبانيا في جوان سنة  
1535 . احوت على اكثر من ارمائة وعشرين الف جندي وخمسة عشر الف فرس .  
ملكية . وتحمل ارمائة وعشرين الف جندي وخمسة عشر الف فرس .  
ولم يكن باستطاعة خير الدين ان يواجه هذه القوة : ذلك ان اسطلاح  
سلمان كان معسكرا على الحدود الفارسية ولم يكن لدى وريثه في  
اسطانول الوسائل لامداد سلاطاني شمال افريقية بالجنود لمواجهة الجيش  
المسيحي . وهكذا فحين رل الاسبان بالقرب من قرطاج لم تشاهد حملة  
الانزال سوى بعض العرب الذين كانوا هناك ، ولم تحدث سوى بعض  
الناوشات خلال الليل لمرقة تلك الحملة . وقد توجه الامبراطور ( شارل  
الخامس ) الى مدينة تونس . وكان في طريقه يقطع اشجار الزيتون ويعزل  
القرى ، وقد توقف في حلق الوادي طويلا لأنه حابه مقاومة شديدة في  
الامتلاء على هذا الحصن والحصن التي تقع ضمن دفاعه ، وسدود .  
وصف شاهدي المان لهذه المعركة ان الشمس والمطر كانتا لا تغلر  
عداوة وخطورة من الإحراك أحسهم . وكان سقوط حلق الوادي في  
خلف جزء من معركة القراصنة في مد شارل ( ١ ) ، ولكن كان لخير الدين  
بعد نظر محمى بعض قواته البحرية في مراسى آمة شمال تونس . ولما  
تقدم المسيحيون نحو المدينة اسحب الجنود القراصنة — الإحراك سرعا  
عبر البلاد الى سفنه تاركن مدنة تونس لجنود شارل الذين تقدموا اليها  
وقتل الكثير من سكانها .

وقد ترك لنا مرمول الذي كان شاهد عيان ، وصفا لنهب تونس وتفقر  
منه الأمدان . فقد توجه أعبان المدنة الى شارل ، بعد أن تركهم خير الدين ،

١ - كتب شارل حول ان الحصن قاوم بشجاعة وأخيرا سقط وترك لنا عددا من لحي  
وأنفس الإبرسيه والاسطوانات مع هذه كبير من المدافع ... انظر المراسلات ١٢  
من ١٩٣ .

ورجوه أن يقدح حياتهم في مقابل الدراهم والمؤونة . ولكن شارل كان قد وعد الخوذة بأعطائهم الحق في نهب المدينة . وببسا كان الأعيان يتحدثون اليه « لم ينتظر الجود صدور الأمر واندفعوا من الأبواب وأخذوا في النهب والسلب مع كل ما اعتاد عليه المرء ، مثل هذه المواقف من غلظة وانتهاك » . ورغم أوامر الإمبراطور فان كثيرا ( من الأهالي ) قد قتلوا بعضهم قتل أثناء محاولته انقاذ أملاكه من العدو ، وبعض الجنود قتلوا من قبل رملاتهم لكي يفتنوا ما وجنوه ، وبعض الأرقاء المسيحيين الذين حرروا ونهبوا أيضا ، وهناك عدد منهم قتلوا من قبل أسس جيشي للعنالم . وبصيف مرمول قائلا : « ويرى المرء في الشوارع أكدا سا من الرجال والنساء والأطفال ... » . وكتب مرمول أيضا قائلا : « ان ملك تونس ( مولاي حسن ) أكد لنا أن أكثر من ستمائة ألفا قد قتلوا ، وأن أربعين ألف رجل وامرأة ومثل قد سجنوا . » وكان النهب قد استمر ثلاثة أيام » . حفر خلالها العدو الأرض ونسوا المارل » بحثا عن الكوز الذهبية . ويخبرنا مرمول أنه في نهاية هذا النهب ظهر العدو من المدينة وهم محملون بالصالح والأشياء مما يفقدون الأرقاء أمامهم .

وببسا كان نهب حاربا كان مولاي حسن رفقة الإمبراطور ، ولم يفعل شيئا لحماية شعبه . ولعله ليس باستطاعته أن يفعل شيئا ، ولكن التونسيين سيتذكرون ذلك ما دام حيا . وقد أكد شارل أن تامة ملك تونس لم يكن مرميا عنه من طرف شعبه . فهو يكتب « انه لا أحد من رعايا مولاي حسن قد أظهر أي تأييد له » وأن المدينة « قد سلت وبهت ... برضى ملك تونس الذي رأى أن سكانه لم يتصرفوا له . » وقد أبحر الإمبراطور - الملك ( شارل ) أحته أنه حرر « بين ثمانية عشر وعشرين ألفا من الأرقاء المسيحيين » الذين لم يقبوا من طرف القراصنة ، كما كان متوقفا ٢ الذين كان بعضهم من رعي ، والآخرين منتون الى مختلف الأمم المسيحية ... بما في ذلك واحد وسمون فرسا . » وتشع وسائل الإمبراطور بالرضى عن نتائج الحملة .

وبما يشر الدهشة ان شارل ، رغم نظرتة الدنيا لمولاي حسن ومعرفته بأن أهل تونس يشاركونه فيها ، قد أعاده الى الحكم كملك تابع له .

وقد كان عليه ان يعلم ان هذا الحل لا يمكن ان يدوم . ومن الواضح ان السياسة الأسبانية سنة 1535 كانت هي نفس السياسة التي دشنها فرديناند في العقد الأول من القرن السادس عشر . وأعاد شارل ساء حصر خلق الوادي الذي يعرض المرسى ويشكل قاعدة لتعمليات في الأجزاء النصفية لبحر الأسس بالإضافة الى العمليات جنوبا بحر جربة وطرابلس . ان هذه المقاييس الجديدة قد وضعت فيها حامية اسبانية وحيزت لكي تكون الأسطول الأسباني . كما أرسل شارل أيضا دوريا بالأسطول لكي يستولي على بونة ومدينة اريقية ( المهدية ) ذات المرسى . وحاول بعد ذلك ان يجعل المدن الأخرى في إقليم تونس خاصة كسنة العديد ، مولاي حس . ومما لا شك فيه أن وضع الحاميات وحكم كل الإقليم التونسي لم يكن رهيد الثمن ولكنه لم يكن من الحكمة في شيء . أن يمهّد شارل بانتصاراته الى شخص ضعيف وغير مستقر مثل مولاي حسن .

غير ان الاستلاء على تونس قد عزز تمريرا قويا مكانة الملك الأسباني في البحر الأسس . فخلق الوادي الواقع على الطريق الجنوبي من مصين صقية قد أكدت تقريبا مراقبته على مدخل غرب البحر الأبيض . ذلك انه قل ست سنوات من هذا التاريخ منح شارل جزيرة مالطة وطرابلس الى فرسان القديس يوحنا . وبهؤلاء الحكام التابعين لمملكته في صقية والدين تمركزوا في النقطتين السابقتين ( مالطة وطرابلس ) ، بالإضافة الى قواعد في صقلية وناولي . يمكن لشارل ان يصد فعلا أي اعتداء من الشرق .

أما الجزائر فقد بقيت هي الوحيدة كالثوكة في حجب الأسبان ، وهذه الحقيقة هي ما أظهره خير الدين في الحال وبطريقة دراماتيكية . فبينا كانت الإمبراطورية الأسبانية تحتفل بانتصار ملكها في تونس قاد خير الدين بحارته الى جزيرتي ميورقة ومينورقة مباشرة بعد فراره من تونس وفي جزيرة ماهون Maon جاء المتمدون الى المرسى تماشيا في نفس اللحظة التي كان السكان يحتفلون في غمرة من الفرح بالانتصار في تونس على « القراصنة » الذين طالما عالت منهم الجزيرة . وبخبر

بعض المؤرخين أن محاولة حير الدين قد حملوا معهم ثمانية آلاف شخص من الرقيق ، وربما كان هذا عددا مبالغا فيه ، ولكن الهجوم أجبر الملك الأسباني على الاعتراف بأن الجزائر يجب أن تكون هي الهدف التالي .

في يناير 1536 كتب شارل ابن نوانه و كاتب وصيها من مناطق مملكة أراغون ملك لهم اجتماع الكورتيز ( البرلمان ) للموافقة على المال والرجال والعتاد للقيام بحملة ضد الجزائر . ان اعتبارا يتحقق هناك ستوج نظام الدفاع ويضمن أمن ممتلكاته الاسبانية والابطالية ضد الحدة - القراصنة ( المسلمين ) . وكان الاسرارور - الملك ( شارل ) على يقين من أن النصر سيكون حليفه لأن السلطان سليمان كان ممسكا في نزاع مع حاكم إيران الذي كان لديه ، بالمساة ، مستشارون عسكريون أسبان ليطلعوا حثه اتصال الأمانة « الحديثة » . ولكن لسوء حظ الناس الذي يكون سواحل إقليم مملكة أراغون ، فاند مشروع شارل سرعان ما تغير . ذلك انه ( شارل ) لم يكن يعلم أن لوفوري Le Foré ، السفير الفرنسي لدى الباب العالي (2) ، كان ينفذ معاهدة تجارية وصداقة مع السلطان ، تلك المعاهدة التي كانت قاعدة « للتنازلات » المشهورة والتي مقتضاها تمتع التجار الفرنسيون ولقاصل الفرنسيون بامتيازات خاصة في الدولة العثمانية ، كما كانت قاعدة اتفاق بين فرنسا الأولى وسليمان ، وهو الاتفاق الذي سيسمح للأسطول العثماني ، بعد سنوات قليلة ، بدخول مياه طولون . وكان فرنسا الأولى متطلعا الى اتخاذ اجراء أقوى ضد أوروبا الهابسبورغية ، وكان على الملك الاسباني الهابسبورغي ( شارل ) أن يقوم برد الفعل ضد لطامع الفرنسية وليس ضد الجزائر .

وحامت فرصة الحرب الجديدة بين شارل الخامس وفرنسا الأولى عندما توفي دوق ميلانو ، ماكسيمليان معورزا Sforza ، وهي الفرصة التي سمحت لفرنسا الأولى أن تؤكد حقوقه في تلك البلاد ( ميلانو ) ، وبعد أن ندد شارل بصغفه بالملك الفرنسي أرسل جيشا الى بروفانس بينما كان

قائمه البحري ، دوريا ، يعجوب السواحل ( الفرنسية ) سنة 1536 . ولكن هذا الاعتداء لم يسر سيرا حسنا : فقبل ان ينتهي الصيف مات عشرون ألف من حلة خسمي ألف جندي اسباني من الجوع والأمراض المعدية . كما كان فرنسوا أيضا غير قادر على التحرك بفعالية ، ولذلك فقد برهت الحملة بكل بساطة على أن الرحلين لا يمكنهما التوصل الى حل عن طريق المعركة ، ولم يكن اقتراح فرنسوا بالتقائهما في مبارزة حلا أيضا .

وبينما كان شارل مهيما في حربه ضد منافسه الفرنسي استطاع سليمان ان يتخلص من الضغط الابراني ، وأصبح بذلك قادرا على توجيه اتبائه نحو الغرب . وقد يكون قبل باقتراحات خير الدين بشن حرب ضد اسبانيا ، ولكن هدفه المستعجل هو السيطرة على البحر الأيوني ومضائق أوترانتو Otranto . ولعل جنوب إيطاليا أيضا . ان هذه المنطقة لها نفس الأهمية بالنسبة للدولة العثمانية التي لمضائق صقلية بالنسبة للاسبانيين . فقد كان تأميمها من الأهمية بمكان قبل التحرك نحو الغرب خصوصا بعد استيلاء شارل على تونس . ومن الممكن تأمين البحار الضيقة عن طريق الرشوة أو القوة . حقا ان عملاء سليمان قد عرفوا كيف يرشون حاكم أوترانتو وبكى الخيانة المقصحة فداكنشت بل أن يكون الأسطول التركي مستعدا للتحرك . وقد اشتمل الأسطول الركني الذي تحرك سنة 1537 بقيادة لفتي ( لفتي باشا ) مع خير الدين بربروسه نائباً له ، اشتمل على حوالي اربعمائة سفينة من كل الأنواع . عليها ثلاثة آلاف مدفع وخمسة وعشرون ألف جندي من بينهم خمسة آلاف مسلحين بالقربيلان ، أما النفة فكان سلاحهم الشاشيب والرماح والسهام . وعندما تحركت هذه الأرمادة ( الأسطول ) نحو إيطاليا سرى الرعب في شبه الجزيرة الإيطالية الى أن وصل الأسطول رومة فتمها حيث كتب الأسقف ماسون Maçon « أن والدنا المقدس ( البابا ) وحبيب بلاطه هم في خوف شديد من الأتراك لدرجة أنهم يفكرون في معاداة المدينة ... » . وها هو البابا يرسل مبعوثيه الى ملك فرنسا والأمبراطور شارل راجيا منهم الدخول في سلام . « ان الأحبار التي راجت بأن الأتراك لهم مئة سفينة تحمل كل منهما مائة حصان قد أقمت الايطاليين بأن عدوانا قد أصبح وشيكا .



نزلت القواب التركية في عدد من النقط شمال وجوب أوتراتو . ولكن مهنتها الرئيسية سنة 1537 كانت السيطرة على جزر البحر الأيوني ومضائق أوراكو . ولقد فشل لغتي ناش في أحد جزيره كورفو Corfu في بداية فصل الصيف . ونكي بربروة دمج إليها قبل انقضاء الصيف واستولى على تعصنات البندقية في تلك الجزيرة . وقد أسرع الحاكم الإسباني لكلايريا بإرسال قوة من الفرسان إلى برنديزي Brindisi ولكنه لم يتطعم أن يسمح الإثراك من تدمير الساحل ووقف كل تطورة فيه . وما دام الهدف الرئيسي لهذه الحملة الضيقة هو ممتلكات البندقية في البحر الأيوني ومن ثمة السيطرة على مدخل البحر الأدرياتيكي — إذن البندقية كانت هي المهددة أكثر من إيطاليا الإنسانية . ورغم وجود حزب قوي في البندقية يدعو إلى السلام مع الإثراك فإن البابا الثالث قد نجح بحلول فبراير 1538 في جعل اسدقة وإساليا تعقدان هدنة مع الدوبة ضد الإثراك وهكذا فإن الإرمادة العثمانية قد أدت إلى إنشاء حملة مقدسة .

وفي اسه المولية كان خير الدين هو قائد البحرية العثمانية في البحر الأيوني ، وكان مساعده هما درغوث وصالح ، كلاهما بحار رئيس ، وكلاهما صابط مقدم . وكان صالح بالخصوم قد تقلد فيما بعد منصب ييلارباي شاب أفريقية . وبحرنا مؤرج الجزائر اتركي بأن أسطوله ( خير الدين ) كان يتألف من مائة واثنتين وعشرين « سفينة حمية » . كما يذكر كاتب مسيحي أنه كانت لديه خمسة وثمانون سفينة ، وثلاثون غلصة ، وأسطول صغير من التيمور . وفي مقابل هذه القوة العثمانية جمعت الحملة المقدسة خمسة وخمسين سفينة من البندقية . وسبعة وعشرين من رومة وفرسان القديس يوحنا صابطة ، وتسعة وأربعين من إسبانيا . وكان صابط شارل ، أندريا دوريا ، هو قائد هذه القوة . وبحرنا دورو Dura أن القديس الآخرين لم يطعوا دائما أوامره . وهو الأمر الذي ساهم في فشل أسطول الحملة المقدسة . وقد اتصل الأسطولان بعضهما في شبر بالقرب من بريفا Prevesa وبعد عدة تكاد تكون غير مؤكدة عرقت سمكتان سحابتان ثلاث تركية واحتجرت خمس سفن مسيحية . وفي اليوم التالي سحب دوريا الأسطول المسيحي مفضلا ذلك على المفارقة بسواصة الحرب . وقد

أدى انضمامه إلى أحرار وحمراك على الصر . أن المتشككين في الغرب .  
مثل المؤرخ ليرسي المصارع ، براتوم Brantome ، تذكر ، أن سفن دوريا  
انضمامه كانت ضمن الأسطول وأوضحوا أن بربروسة ودوريا ، وكلاهما  
صابط بحار ، كانا مثل ذئبين « لا يأكل أحدهما الآخر » أو مثل غرابين  
« لا ينفقا أحدهما عين صاحبه » أما المؤرخ التركي فقد كان مسرور .  
فقد قال أن « هذه المعارك المحيية التي جرت من ضحى إلى مغرب ذلك  
اليوم ليس لها نظير ! »

ولم تكن قوات دوريا قد تصرفت حقا في بريفيسا . فبعد الاشتباك  
السابق اتجه نحو الشمال إلى الساحل الدلاشي حيث استولى على حصن  
تركي ، وهو حصن كاستلنوبا Castelnova ، وقد استبدل دوريا  
الثلاثة وخمسين رجلا ، الذين كانوا يحرسون الحصن للأتراك بثلاثة  
آلاف وخمسة مائة جندي إسباني وقام تحصينه . غير أن البادئة نظروا  
إلى هذا العمل على أنه تدخل إسباني في أراضيهم ، وخطر على سيطرتهم  
على الطرق البحرية إلى المشرق . ونتيجة لذلك توجه عميل بنديقي بيد  
شهور قليلة إلى اسطنبول وحاول التوصل إلى اتفاق مع الأتراك . لقد  
كانت البندقة تمصل العمود التركي على النفوذ الأسباني في هذه المياه ،

غير أن الإسبان لم يبقوا في كاستلنوبا طويلا . ففي السنة الموالية  
مقط حاء عبر الدين بحش وأسطول عظيم واستولى على الحصن . ومن  
الثلاثة آلاف والخمسة مائة جندي إسباني لم ينح من الموت أو الاسترقاق  
سوى ثمانمائة . وخلال صيف سنة 1539 استولى الأسطول التركي على  
بقية المراكز الميحية في البحرين الأيوبي والايحي . وقد أرسل خير الدين  
بالغنائم والرفيق إلى اسطنبول حيث كانت الاستعراضات تملس  
الانتصارات العنابية . ولم يعير طرد الأسبان من كاستلنوبا من رغبة  
الصادقة في السلام ، ذلك أنهم في أكتوبر سنة 1540 وقعوا بماعدة مع  
السلطان أكدت الاعتراف ببقية المراكز البندقية وحقوقهم في التجارة  
مع المشرق .

وفي نفس الوقت الذي وقعت فيه البندقية السلام مع الدولة العنابية  
حدثت قصة عربية في الغرب تعكس الجو السياسي ، في منتصف القرن

السادس عشر • فقد كان شارل على علم بأن ماضيه وعدوه فرانسوا الأول ، كان على اتصال مع سليمان • وكان شارل من جهة على صلة منذ أمد طويل مع شاه إيران ، الذي ستطبع جيوشه أن تصد اهتمام السلطان العثماني عن المعارك الأوروبية • أما الآن فقد حاولت الدبلوماسية الأسبانية أن تجعل خير الدين يقطع ولاءه للسلطان ، تماما كما جعلت أسطول جوا بقيادة أندريا دوريا يقطع صلته بفرسا • وائتت الاتصالات مع بربروسه أنه كان لا يمانع في الحديث عن الموضوع ولكن شروطه كانت تبدو صعبة التحقيق • ففي مقابل تحالفه مع أسبانيا ضد فرسا والسلطان اشترط أن يكون له كل شمال افريقية من طرابلس الى المغرب الأقصى • ويبدو أن هذا كان أكثر مما يستطيع شارل أن يمنحه ، ولكن المفاوضات نقت مستمرة الى أن عم الأسبان أخيرا أن يبرروسة كان يطلع السلطان وملك فرسا على آخر مراحل المفاوضات • ولا يوجد في سيره خير الدين ما يثبت أن ارتباطه بالاسلام كان موديا فقط أو أن ولاءه للسلطان كان غير مخلص • ومع ذلك فانه في القرن السادس عشر • وهو العصر الذي وصفه ماركيافيي ، لا يبدو غريبا أن يحاول ملك أسبانيا شراء دمه أمير البحر الباشا (خير الدين) من أكثر أعدائه خطرا (السلطان) • ولكن الحطة لم تصادف نفس النجاح الذي صادفته في قصة أندريا دوريا •

ويبدو أن فشل تلك المفاوضات كان من بين العوامل المباشرة لقرار شارل بالهجوم على الجزائر لكني نقطع الى الأبد دابر عن الفرصة • ولكنه قبل بعد هذه المعامرة قام علاؤه باصالات سرية ، بواسطة حاكم وهران ، مع حسن آغا ، الملقب السريسي الذي كان حليفه خير الدين في الجزائر • وباء على هذه الاتصالات اعتقد أولئك العملاء أن حسن آغا سيسلم المدينة بمجرد ما ينزل الأسبان فواتهم ويشرعوا في الحصار • غير أن هذا الاتفاق العيالي مع حسن آغا برهن على أنه كان بدون أساس تماما كالمفاوضات مع خير الدين • لقد كان الأسبان مكروهين من الناس الذين كانوا يحدون الموريسكيين من الاستبداد الأسباني أكثر مما كانوا يطمنون •

وبينا كان الملاء الأسان يأمرون خبر الدين ثم حسن أعا على  
 أهل النصارى مع الجزائر أو لاحتلال مدينة الجزائر بطريقة سهلة ، كان  
 الاسبرور شارل حصل أيضا على خبره نفسه وحيوشه بمقد اتفاق مع  
 فرانسوا الأول ، وكانت الهدنة المؤقتة سنة 1537 قد تلتها معاهدة تنص  
 التي ألغت الرابع من حكماء الهاسورغ والقالوا . وفي السنة الموالية  
 Augues-Morice بين اهاكسبر  
 ومع اجماع متبر في ايج - مورث  
 وكان يبدو أن ذلك الاختراع قد دعم العداء بها تدعيها كاملا لدرجة  
 أن شارل سافر عبر فرنسا ودار في طريقه مارس . وكان هذا السلام  
 سها ما يزال قائما سنة 1541 . ولذلك خطط شارل لمشروعه العسكري  
 المصمم ضد الجزائر محدوه بعض الشيء من أن ملك فرنسا لن يتدخل .  
 والواقع أن فرنسا الذي علم بالمشروع بواسطة ابائا ، قد أعطى  
 انصافا بأنه سيقى معاديا .

وكان مشروع الاعتداء على الجزائر قد خطط له ونظم بمناطة دقيقة ،  
 ولكن شارل بقي في الماء إلى أواخر الفصل متأخر موعد تحرك الأرمادة ،  
 ما دينا من قبل العود والمؤخرة ، إلى الناس عشر من شهر أكتوبر .  
 لقد كانت قوة هائلة ، أن للمؤرج التركي حمل العدد يصل إلى تسعين  
 ألف جندي . ولكن المؤرج الأساسي الذي كان أكثر محافظة ، بحرا  
 أن هذه القوة كانت تضم أربعة وعشرين ألف جندي من الألمان وانطليان  
 والإسبان ، وثاني عشر ألف معار (Moorish) ، وأكثر من ألفي  
 حصان . بالإضافة إلى المدافع وأحجرة العصار الضرورية . وقد ضم  
 الأسطول خبا وسي ستة حربة وأكثر من أربعمائة سفينة نقل من  
 كل الأنواع والأحجام . وعندما أرت هذه الأرمادة أمام الجزائر أسود  
 وجه المرسى بالمس . ونصف لنا المؤرج التركي مشاعر السرح التي  
 أثارها هذا الاستعراض العسكري . فهو يحسنا أن حارس المرسى قد  
 قال بأن هذا الأسطول قد أعطى جميع سطح البحر ، غير أني لم  
 استطع أن أحصى كل السفن لأنها كانت من الكثرة بحيث لم تسمح لي  
 سواصة المد الذي يداه . « وخض هذا المؤرج مركبي بصر على أن  
 حسن أعا كان شجع شمه بقوله « أن للأسطول المسيحي ضخم ... »  
 ولكن لا تنوا نصر الله الذي يذيه للسليبي ضد أعداء الدين . »

وأضاف قائلاً بأن « البجة في ظلال السيوف .. ان السداه هم أولئك الذين نكرمهم الله بالشهادة » . لقد كان البرابريون في حاجة إلى هذا التشجيع . ففي مقابل تلك القوة الأسبانية الصاعدة كان للبرابريين حوالي ألف وخمسمائة جندي انكشاري ، وستة آلاف من الموريكين الإنديين المسلحين ، وعدد غير محدد من البشارة الشرقيين . وقد حاول حسن أيضاً أن يحبس بلدية ( حصر ) مدينة البرائر للطاع عن مدينتهم . ولكن هؤلاء الرجال لم يكونوا من جميع الوجوه صائحين كجود .

وكانت عملية إزال القوات لم تلق من المقاومة إلا الحد الأدنى من ترسان البربر البدو ، الذين صابغوا الصباح الأيسر لتلك القوة أثناء الأزال ، غير أن شارل لم يأمر بالهجوم في الحال . فقد أرسل في أول الأمر طلباً متحرفاً بأن تسلم المدينة إليه هو ، ملك الملوك وحاكم الحكام . وكان الحواب رفضاً قاطعاً وطناً كذلك . ومع ذلك فإنه ، يبدو أنه قد دارت في العزائر ماقنة طويلة حول امكانية البديل لصرف الحصار ، ولكن قصة متوارثة تحرنا أن « مرابطا » يسمى قارة يوسف أعلن أن الله أحبره بأنه هو الذي سيقبض المدينة إذا هي قاومت المتدين .

أما حسن آغا وجنوده الذين يعرفون بعض الشيء عن الحصار والحرب فلا بد أنهم فكروا فيما إذا كان من الأفضل التوصل إلى اتفاق مع الإمبراطور . ومع ذلك فإن الفرار قد اتخذ لصالح المقاومة .

وفي الرابع والعشرين من أكتوبر كان الجيش المسيحي على استعداد لبدا عملياته . ولكن عاصفة شديدة هبت حوالي الساعة التاسعة ليلاً . وسرعان ما اضطرت السفن الإسبانية بعداً عن الشاطئ . ويحرم المؤرخ التركي بأن « العاصفة التي أرسلها الله صدهم قد دمت كثير من سفنهم على الشاطئ » ، فصر بها الأسرى المسلمون ... وقد هجم عرب مدينة العزائر على ربابين هذه السفن وقتلوهم . « ان كثيراً من السفن المسيحية قد قطعت حبالها وارتطمت بالصخور مع كل ما فيها من المؤونة والذخيرة العربية . والواقع أن جميع الساحل كان مغطى بالحطام . وقد فصح دوريا في أعاد أغلب سعة عن الساحل ووصفها في البحر ،

ولكن أغلب الأسطول قد تعطل . أما الجود الذين لم يكونوا مستعدين  
لحل هذه العاصفة فقد نزلوا بالمطر وانتل بأرودهم ونار قريلاتهم .  
ونهارت سموياتهم . وأمام هذا الوضع خرجت جود الجزائر في هجمة  
كأدت تؤدي إلى الهزيمة لولا بطوة حرسان القديس يوحنا الخالطين الذين  
حاولوا دون وروع ذلك ، أن يماح وأقواس المسلمين كانت أفضل ملازمة  
للجو من القرايل الأسنة ، ولكن العدو الذين كانوا تحت قيادة  
حرسان القديس يوحنا كانوا أكثر انضباطا من أولئك المدغمين من خارج  
أبواب المدينة . لقد كان من بين الرجال المشاهير في حاشية الإمبراطور  
هو كورتيز Cortez فاتح المكسيك ، وهو الذي اقترح بالحاج على  
شارل أن يحاول الابتعاد وتنتظر تكون العاصفة ثم يقوم بمحاولة أخرى  
للاستيلاء على المدينة . ولكن شارل أصفى بدلا منه إلى دوريا وإلى  
مارتن دالكودب M. D'Alcaudette ( حاكم وهران ) وغيرهما من  
قيادة أركان الدين أوضحوا له أنه لا يملك الطعام ولا البارود ولا  
الرجال الذين يستعملون سمويات . أن رجالا يتراوح عددهم من عشرين  
إلى ثلاثين ألفا وبدون طعام سيصبحون في العين جماعة من الأوباش  
أكثر منهم جيشا منضبطا . وهكذا بدا الأسحاب أمرا لا مناص منه .  
وقد قاد شارل حطام جيشه حول كاب متيفو حيث السفن الحربية  
وما أمكن انقاذه من السفن الأخرى قد أرسى في النهاية واستطاع  
وصمها في البحر بدون أضرار إضافية . أن المؤرخ الفرنسي المعاصر  
برانتون ، تأسف على أن الجود قد أكلوا حيادهم الجميلة ، ولكنه  
هو والكثير من شاهدها أو سمعوا عن الكارثة ، تساءلوا « لماذا لم  
يصر الله مشروعا مسجيا في مثل قداسة وعدالة هذا المشروع ؟ » فهل  
كان ذلك « لأن الله أراد أن يجعل الناس يؤمنون بأنه لا شيء مؤكد  
حتى تقع الواقعة ؟ » أن هذا السؤال كان قد تردد في مختلف الكتابات .  
وأوضح هذه الكتابات بيانا هو الكتيب الذي كُتب ببقولا فيلاغنون Villaganon  
وهو فارس القديس يوحنا ، وعنوان هذا الكتيب :  
شارل الخامس ، حملة الإمبراطور في إفريقيا وتونس ؟ ( ص 28 آخر  
سطر ) . ويقول عنوانه الفرعي بعد ترجمته إلى الإنجليزية : « أنه ببدء  
حربته تثير الشفقة ، وعلى كل أساس مسحي أن يقرأها لأنها تحتوي

ايضا فقد عني المذبح العظيم وبطولة الاميرالطور شارل الخامس وحشيه ... ولكنهما يحتوي ايضا على انصاف الشبه من الرشح والمطقس ، مع عدد آخر من الموانع التي تحمل القلوب القايه بنشر وتصرع الى الله من اجل اعداء والطعامية ... » ان هذا انكتب كان قد ترجم الى كل لغة اوروبية تقريبا ، ومن الصعب انه لم يبرز عقائد الناس من ان الله كان الى جانبهم . ( \* )

ومن الطبيعي ان يكون الحراك اكثر رضى على نتائج المعركة والماصة . مؤرخا ( التركي ) يجبرنا انه « عندما رأى الكفار الحشائر التي اصابهم بها السيف الاسلامي وما اصاب البرد والمطر المهر ... تصاعف حركتهم وركبهم الخوف لانهم تسوا حطرت الموقف الذي اصحوا عليه . » ويبدو ان هذا القول لا يبرر عن كل شيء . ذلك ان مؤلف استمر في وصف ما حدث بقوله « ان ساحل شمال افرقية من دلس شرقي مدسة الحرائر الى شرشال عرما قد تفلطح بحثت الرجال والحداد . » وان الحرائرين قد استولوا على اكثر من مائتي مدفع وان السلطان سليمان قد ارسل ، عندما سمع الاحبار ، الى حسن آغا قسطنطينا معها ورسالة خطه ولقب الشاشا ، وقد انهي مؤلفا عصته بهذه العارة الفخمة التي طالت تناقلها المؤثرون وهي « منذ ذلك اليوم والحرائر يبدو كالمدروس العدراء ترفل في جمالها وحليها ... » لقد كان يوما مجيدا للاسلام ، يوما بقي يعمل به خلال القرنين اللاحقين على انه اعظم انتصارات الحرائر . حتى اليهود احتفلوا بايهازم المدو المسحي . لقد كانوا في اسفل درجات السلم الاجتماعي في الحزائر ، ولكنهم فضلوا الادرء التركي على الاسداد الاسباني . وهناك قصة عبر موثقة ولكن يمكن ان تكون مسخرة وهي ان قارة يوسف قد حول نفسه الى طاعون كسقد للحرائر حتى ان الشاشا الجديد ودبوان الانكشارية « اخترعوا » رابطا آخر غير يوسف اكد للمدينة ان رادة الله هي التي قضت بالمقاومة . اما يوسف فقد كنت انقاسه في هدوء .

181 - سلاحظ الماوى . ان المؤلف يتخذ موقفا « لبرالية » من الدين والعقيدة ، سواء المسيحية او الاسلام ، ولكنه قد اصابه الحكمة التزمحيه لم سلم من تأثر التعاسير الدينية التي اصبحت الاخرى . ( المترجم ) .



وقد قال بعض الناس عن هذه القصص بأنها « إذا لم تكن صحيحة فلعلها يجب أن تكون » .

إن حربنة الأميراطور شارل الخامس في انجزائر كانت فاتحة صراع طويل ، غالب ما كان غير محدد الشكل ، بين امبراطورية الهابسبورغ و لبحر الأيض بقيادة شارل الخامس ثم بقيادة ابنه فيليب الثاني ، من جهة ، والدولة المشاية في البحر ، الشرقي من هذا البحر ، من جهة أخرى . ولم تكن الجزائر هي النقطة المركزية في هذا النزاع ولكن البحارة الجزائريين الذين درسوا من الحرب البحرية تحت خير الدين قد لعبوا دورا هاما جدا فيه . وكان خير الدين باعتباره أميرال السلطان قد قاد المؤسسة العثمانية البحرية إلى وفاته سنة 1546 ، وبعده ، ثم بعد ابنه ، صعد أثناس مس مساعديه الأقربين إلى وطيفة بيلرباي شمال افريقية ووظيفة أميرال باشا في الحرية المشاية . أما الجزائر فقد بقي يطلق عليها « مسرح الحروب » والقاعدة العربية للدولة المشاية . لقد كانت هي الجزء الاسلامي المفضل للجزيرة المحصنة لقرمان القديس يوحنا في مالطة ، حيث كان هؤلاء الفرسان يعيشون في جماعة من الحكام المحاربين وبحكمون الجزيرة ويكونون قاعدة لنشاط البحارة ذوي الطابع الصليبي .

## الفصل الثالث

### الحرب بين الدولتين العثمانية والاسبانية

خلال نصف القرن التالي لكية شارل العاشر في الجزائر كان العدو البحار يحاربون تحت علم ملوك الهابسبورغ الاسبانيين أو علم الدولة التابعة لهم ، وكانوا يحاربون حربا منقطعة حد رجال هم رعايا أو تابعون للمسلمين العثمانيين . لقد كانت حربا عرقية ، لا توقتها الا هدية أو مجرد توقف عن خوضها أو فشل الطرفين في ايجاد المال الضروري لاستمرارها . فمن جهة كان محاربا يتوقف أو يسم بالتناكس الاسبانية في الأراضي المنخفضة وفرنسا وانكلترا وألمانيا ، ومن جهة أخرى كان يتوقف أو يسم بتزاعات سلبان مع آبائهم ومع حكام ايران ، والتدخلات العثمانية في أوروبا الوسطى . ولكن الاسبان لم يعودوا أبدا الى التفكير بجدية في هجوم جديد على الجزائر . لقد كان فشل الامبراطور في سحق عش القراصنة هو ثالث محاولة خلال حيل واحد . للزول في مدينة الجزائر ، وكلها انتهت بالفشل . ان كثيرا من الناس العراقيين خافوا من ان الله نفسه هو الذي كتب الهزيمة ، بسا آخرون اعترفوا بأن الجهد كان غير حكيم لأن محاولة عمية الانزال كانت في مرة متأخرة من فصل السنة . ومع ذلك فإن الاسبان . بعد هزيمة سنة 1541 م . لم يحاولوا مره أخرى الاستيلاء على الجزائر . لقد كانت هناك فترحات هامة قدمها دوق البيا

Alba والايطاليان لا شريدوشى Lanfreducci وبوسيو Bossio وغيرهم من أهل هجوم كسح على المدينة ( الجزائر ) ، ولكن هذه

الأمم لم تحج في اقاع الملوك الأسبان بأنها كانت عملية ، التي  
أواخر الحرب الثامن عشر حين انتهى هجوم آخر بالغسل الذريع (\*) .

خير الدين في غرب البحر الأبيض المتوسط :  
ومن الحدير بالذكر أن الحروب المتبادلة بين الدول التابعة لشارل  
والقوات الأسلامية قد نتج عنها اعتداء تركي في غرب البحر الأبيض .  
ذلك أنه لم تأت سنة 1542 حتى كان سليمان في حرب مع الهابسبورغ  
في النمسا ، وكان شارل من جهته في حرب جديدة مع فرانسوا الأول  
بمفهوم ميلانو . وما زاد الأمر تعقدا أن هنري الثامن ، ملك أنكلترا  
قد وحد نفسه في حرب مع الاسكتلانديين وفرنسا . ان هذا الخليط  
السياسي قد أدى الى عقد معاهدة بين فرانسوا الأول وسليمان وافق  
الفرنسيون بمقتضاها على اقامة قاعدة في طولون للأسطول التركي  
بالإضافة الى تقديم معونة مالية للسليمان . انتداء من القرن الذهبي . وعندما  
ظهر الأميرال باشا خير الدين قائد البحرية العثمانية ، في غرب البحر  
الأبيض على رأس ارمادة ضخمة أثارت الرعب في إيطاليا الأسبانية وهددت  
اسانيا نفسها ، لم يعد الموضوع هو الانزال الأسباني بالجزائر بل أصبح  
هو الانزال التركي على الارض الأسبانية نفسها .

ان اعتداء خير الدين في غرب البحر الأبيض قد تصادف مع نشاطات  
بحرية متزايدة من الجزائر ، وقد وجه خير الدين ، باعتباره بيلارباي  
شمال افريقية ، وأميرال باشا لبحرية السلطان ، وجه الجهاد ( الحرب  
المقدسة ) ضد الكفار ليحصل على الحد الأقصى من الغنائم والمبيد  
الأسرى . ان الأسطول العثماني قام بعمليات انزال على طول السواحل  
الإيطالية ، وكان في ذلك يتعاون مع وحدة البحرية الفرنسية الصغيرة ،  
وأحيانا يقوم بالعمليات بنفسه . وقد نتج عن إحدى هذه العمليات  
اعتقال حاكم قصر ريجيو Reggio ، وهو دون دياغو غيتانو D. D. Gaetano

(\*) - انظر من هذه النقطة ، الفصل الرابع عشر (المرحوم)

واسه العسبة الموهوبة . وقد حطت هذه المراء انشاء نظر حير الدين واحداً أصمها بأن يصبح روجة له . ولأعلى ذلك الساحل تصوت العوات الفرنسية والعشاة على حصار بيس ثم الاستيلاء عليها . وأثناء هذه العملية أنت رجال المدفعية المشانين تقومهم بكل وصوح ، وكان الانضباط المشانين أفضل بكثير من الانضباط الفرنسي . ولكن الشيء الذي يبدو والله كأن يزعم حير الدين أكثر من غيره هو أن الفرنسيين قد بعد عنهم البارود وكان عليهم أن يبدوا أيديهم في التسوية إلى الإثراك . فقد أصبح حير الدين فلقاً على شعب تغدت دحيرته الحرية قبل أن تعد من عنده الضم !

وفد حول هذا الاعتداء التركي في البحر الأبيض توارن القوى البحرية مؤمناً مد الإمبراطورية الإسبانية ، ولكن الإثراك الكامل للتعاون الفرنسي المشانين على توارن القوى كان ضئيلاً لسا . حقا أن بحرية القوات المشاة البحرية في قاعدة طولون خلال شتاء 1543 - 1544 تركت ، على المكس ، حدوثاً على كل من الضيف والمضيف مما جعل التعاون في المستقبل أقل احتمالاً . وماء على كل المراحل فإن الإثراك سلكوا سلوكاً لظفاً ، وكان انصاطهم متناً راسخاً . غير أن الفرنسيين الذين أحروا على التخلي عن منازلهم ومدينتهم ليمسحوا المجال للإثراك قد قاوموا التحركة . والذي كان أكثر أزعاجاً لمستقل التحالف الفرنسي المشانين هو عجز الحرية الفرنسية على دفع ثمن دعم الإثراك خلال كل الشتاء . لقد أصبح خير الدين مقتنماً أن فرانسوا الأول قد فشل في الوفاء بالوعد ، ونتيجة لذلك كتم كرها عيقاً لكل من الملك الفرنسي وشعبه ، هذا الكره الذي ورثه خير الدين لأنه حسن . ومن جهة أخرى قرر فرانسوا أن ثمن الانقاء على أسطول تركي كان ، بكل بساطة ، مرتفعاً جداً ، وأفضل من ذلك في نظره عقد سلام مع شارل الخامس .

كما أن شارل الخامس كان يريد السلام مع فرنسا . فقد كانت له مشاكل في ألمانيا حيث كانت الهرة اللوثة قد توطنت وحيث كان أمراء شمال ألمانيا يتحدون سلطته . وقد عقد الملكان ( فرانسوا وشارل ) السلام في كريسي Grispy في سنة 1544 . كما كان سليمان الذي

أرغته أيسب المشاكل الداحية وامكانية حدوث حرب جديدة على حدوده الشرقية ، راعيا من جهة في التوصل الى اتفاق ينهي الحرب في البحر الأبيض ، وكانت نتيجة هدنة بين الدولتين الاسبانية والعثمانية .

لندخل درغوث :

كان لهدنة بين السلطان وملك الأسبان أثر مباشر على جماعة الأيالة الجبلية . لقد كان حسن باشا ، الذي أصبح بيلارباي شمال افريقية بعد وفاة أبيه ( خير الدين ) ، مخلصا للسلطان تماما كما كان خير الدين نفسه . وكانت لهدنة تمنى لا محالة وقف الغارات البحرية . لذلك وجه حسن باشا جهوده لمشكل السيطرة على داخل البلاد الواقع بين المدن الساحية والصحراء وحمله تحت سيطرة الحكومة بالجزائر . وكان لحسن أو فشله في ذلك الاتجاه أثر هام على مستقبل الأيالة . ولكن جماعة البحارة ( الراس ) ، باعتبارها كانت تميز عن فرقة الانكشارية وبيليب الموريسكين في جيش حسن ، لا يمكنها أن تجد مجالا لنشاطها هناك . فدام بيلارباي شمال افريقية متمسكا بمراعاة الأوامرات ( الراسيم ) من اسطنبول فان الراس ( البحارة ) سيكونون بدون عمل . ان هؤلاء الرجال قد قدموا حياتهم للجهاد والغزو ، وكانوا من جهة مسلمين صادقين عازمين على أخذ الثأر لزملائهم ضد الدولة المسيحية الإسبانية . وكانوا من جهة أخرى « غزاة » أحرارا ( Privateers ) أو سباحا بحريين حولوا الحرب الى أعمال تجارية يمكن أن تجلب الأرباح الطائلة الى أنفسهم وإلى ملائكة ستمهم . وقد أصبح درغوث الذي كان من أعرق اصحاب خير الدين ، بل لعله أفضل أصدقائه ، زعيما لأولئك الرجال .

ومثل كثير من أبطال المسلمين في هذا العهد ، فان أصول درغوث مغطاة سحت من الأساطير . ان مرمول يخبرنا أن درغوث ولد على جزيرة رودس قبل أن يطرد منها فرسان القديس يوحنا . ويقول برانتوم انه قد ولد ماضول . أما غيرهما فيؤكد ببساطة أنه كان يونانيا وهو

أمر قد يكون حقيقته . (\*) ومهما كان الأمر ، فإنه منذ نسوة انقاره  
 لت نظر خير الدين اليه وسرعان ما صعد الى وضع القوة والتأثير في  
 الدوائر الداخلية لجماعة البحارة الحمراء . وكان درغوث على رأس  
 أحد أجنحة الأسطول في برغيسا . ولكن من سوء حظه أن ابن أخ  
 دوريا قد اعتقله في السنة الموالية ، وهكذا وجد نفسه عند خيبة مبعثاف  
 سفينة مسيحية . أن كثيرا من الرجال المنازرين في هذا العهد قد مروا بهذه  
 التجربة ، بما في ذلك كبار فرسان القديس يوحنا ، وعروج ، وآخرون .  
 وجميعهم جندوا الى جانب القراء الأشقياء الذين لم يتقدم أحد لعديتهم .  
 وعندما كان خير الدين في طولون اتفق مع أندريا دوريا على تحرير  
 درغوث . لقد كانت فدية عالية : فقد حصل لوميلى Lomellini ، البيت  
 البحري ، على امتياز بإقامة مرسى ومصنع لصيد المرجان على جزيرة  
 تبارك ( طبرقة ) Tabraque الواقعة خارج ساحل بونة ( تونس ) ، بينما حصل  
 دوريا على ثلاثة آلاف دوكا ذهبية . ولكن دوريا تأسف على هذه المساومة  
 قبل أن يمضي وقت طويل عليها ، لأن درغوث رفض الاعتراف بالهدنة  
 بين السلطان والملك الأسباني وسرعان ما أصبح زعيما للبحارة الذين  
 استمروا في نهجهم للتجارة الأسبانية والسواحل لأسبانية والابيطالية .

وأكبر غنية غنمها درغوث هي الاستيلاء على سفينة مالطية كانت  
 تحمل خزينة مال فرسان القديس يوحنا ، التي كانت تقدر بحوالي عشرين  
 ألف دوكا ذهبيا . ولكن كان عليه أن يجد مرسى لعملياته . وكانت  
 الجزائر قد سمعت عليه ، وما دامت حلق الوادي تحت السيطرة الأسبانية  
 فإن تونس كانت خارجة عن نطاقه أيضا . وكان درغوث مثل عروج  
 قبله ، قد أقام قاعدة على جزيرة حربة حيث رحب به شيخ من أهلها وأعطاه  
 المؤونة ومرسى في مقابل سهم من الفضة التي يغمها البحارة . وقد  
 احتج الأسبان لدى اسطانبول ، ولكن عندما أمر السلطان درغوث  
 بالظهور في بلاطه ليجيب على بعض الأسئلة عصي البحار الرئيس ذلك

(\*) منه القاريء أي أن برعه المؤلف ، وغيره أيضا من الأوروبيين ، تدعي إلى أن الرجال  
 المتعبرين في العالم هم من أصول أوروبية ، وهي برعة فيها الكثير من النصرانية .  
 المترجم .

الأمر . انه كان اكثر استئناسا على حياته في وسط البحر الأبيض منه في  
 قصر السلطان . ولما كبر استولاه الصغير وازدهر ، شعر درغوث  
 بحاجة الى مرسى افضل من الذي عنده . لقد نجح في الحصول على  
 مدينتين صغيرتين على الساحل المواجة لجزيرة جربة ولكنهما لم ترصا  
 حاجته . وهناك مدينة صغيرة ذات مرسى قد تلبى حاجته ، وهي المهدية  
 ( المعروفة أيضا باسم افريقية ) . انها كانت مدينة محصنة وكان مرصها  
 سيئا أكثر أمنا ، ولكن أعيانها لا يريدون أي شيء من البحارة . غير  
 أن درغوث نجح في إرشاء رجل فساعدته على ادخال ملاحين  
 Marines شرقيين من السن الى المدينة . وفي صباح اليوم التالي  
 وجد السكان انفسهم امام الأمر الواقع . لقد كانت خديعة تذكر المرء  
 بالمعمرات التي قام بها عروج منذ أربعين سنة خلت . ان تحصينات  
 المهدية كانت صميعة ، ولكن عندما اصبح ورامها رجال ذوو عزم متين  
 أصبحت المهدية مركزا مقبولا .

ومن المهدية انتشر الحارة في وسط البحر الأبيض وكانت النتيجة  
 لكثرة على الأسبان . فقد احتلت الحكومة لأبانية لدى السلطان :  
 فاما أن يكون درغوث قرصانا Pirate أو أن الباب المالي  
 ( حكومة الدولة الثمانية ) قد تقص الهدنة ، وقد يكون درغوث حقا  
 قرصانا له طموح في اعلان الجهاد باسمه الخاص أو باسم السلطان ،  
 ولكن يجب أن نعترف بأن درغوث لم يكن الواحد الذي تقص الهدنة .  
 فقد كان الحارة المسجون المنطلقون من مالطة وصقلية ومينورقة  
 قد « انتهكوا الهدنة » أيضا وذلك بهجومهم على التجارة الاسلامة  
 في شرق البحر الأبيض واعتقالهم للحجاج المسلمين المتوجهين من شمال  
 افريقية الى المشرق في مهمتهم الدسة الى السقام المقدسة في مكة والمدينة .  
 ولو اكتمل درغوث مصلياته انطلاقا من حرية لكان من الممكن تحايله ،  
 ولكن المهدية كانت قرية حادا من حلق الوادي وصقلية ، وكان موقعها  
 اكثر خطورة اذا احدنا في الاعتبار انها تكاد تتوسط الدولة التونسية  
 في مدينة تونس التابعة لأبانيا . وفي سنة 1550 طلب حاكم حلق  
 الوادي من دورا والأسطول الأسباني أن يخلصوه من هذا الحار غير  
 المرغوب فيه .



وهبط قطع أسطول جنوا ، مبرزة بعود من صقلية ، على المدينة . وكان درغوث ، الذي وصله خبر الهجوم ، من الحكمة بحيث سحب أسطوله قبل وصول الأسبان ( سبتمبر 1550 ) ، ولكنه ترك خمسمائة من المشاة المتمركزة للدفاع عن المدينة . ورغم أن هؤلاء الرجال قد دفعوا بشجاعة فقد كان عليهم في النهاية أن يستسلموا . ثم كانت القصة التي كثيرا ما نسمع عنها في هذا العهد : أن الناس الذين دفعوا حقائق من الغضب الإنساني وشرد الجنود هم سكان المدينة . فهم لم يريدوا منذ البداية لا درغوث ولا بحارته ، وعندما افتكت مدينتهم من المشاركة في الحراك كان أولئك السكان هم الذين وقموا بحماية النهب والاعتصاب والقتل والاسترقاق . لقد فتح بديرو نفاو P NAVARRO منذ أول القرن طريقة العنف الأسباني . ولم ير خلفاؤه سنة 1551 سببا في العدول عن تلك الطريقة . أن مصير المدينة قد ترك لقرار شارل الخامس ومجلسه الأسباني . وقد قرروا أن حماية وتعويض المدينة سيكلف مصاريف باهظة وأن الدليل إذن هو تخريب المدينة . وهكذا فإن أسوارها ومساكنها ومساجدها قد هدمت عن آخرها ، أما سكانها فكان مصيرهم التشريد أو الاسترقاق .

وقد اعتذر الأسبان على هجومهم على المدينة على أساس أنهم فعلوا ما فعلوا كخلفاء لسلطان تونس ساعدين له على تحطيم بلاده من قراصنة غير مرغوب فيهم كانوا قد استولوا على أحد مراسيه . غير أن الناس في اسطانبول نظروا إلى المغامرة نظرة مختلفة . ذلك أن الحكومة العثمانية كانت تواجه صعوبة كبيرة وذلك يعود إلى النزاع الذي تطور بين سليمان وورثته . فقد وجد هذا الورث التأيد والميل في إيران . ولكن رغم هذه القضية التهمة فإن السلطان لم يكن على استعداد لرؤية الأسبان يحكمون قضيتهم على وسط البحر الأبيض . فهم إذا أضافوا المدينة ، ولعل جزيره حرمة أيضا ، إلى ممتلكات فرنسا مالطة في طرابلس ، ومالطة ومراسيمهم في صقلية وناولي ، فإن وسط البحر الأبيض قد يعلق في وجه الحراك . غير أن الذي دفع بسليمان إلى العفو عن درغوث لم يكن هو مجرد الخوف من السيطرة الأسبانية في البحر . ذلك أن ملك فرنسا

الحديد ، حربي الثاني ، كان يلج على احياء الوفاق الفرنسي - النمساوي  
والسل المشترك ضد العباسي . كان هنري الثاني مهتما بازعاج  
العباسي في ألمانيا ، فتزوج الأحداث في البحر الأبيض قد يكون مفيدا  
لنفس سياسته الألمانية .

ومعها كان الأمر ، فان الجواب التركي على الاستيلاء على المدينة  
كان سريعا ، فقد ظهرت قوة بحرية عثمانية ضخمة أمام السواحل الإيطالية  
في شهر أغسطس سنة 1551 . وبعد عدة انزالات مضت الى مالطة ثم أبجرت  
الى طرابلس لمحاورة الهيا الذي كان في أيدي فرسان القديس يوحنا حيث  
كان البحارة المسيحيون يقومون بعملياتهم ضد التجارة التركية . وكان  
رد فعل دوريا على ذلك صعبا . فقد تحطمت له في شهر يوليو ثمانى  
سفن أثناء عاصفة . وأصبح سقوط طرابلس لا مشاحة فيه . وصادف أن  
كان سفير فرنسي في طرقة الى وظيفته في اسطانبول فتوقف بطرابلس  
حيث لاحظ تقدم الحصار عن كلب . وعندما أصبح واضحا وجوب  
استسلام فرسان القديس يوحنا أقنع السفير الأميرال التركي سنان باشا ،  
بأن يسمح للفرسان في طرابلس بالهلاء في سفينة فرنسية في مقابل  
استسلامهم حالا . لقد كان الأتراك مترددين في عقد أي اتفاق مع  
« الكلاب » ، وذلك أنه منذ ثلاثين سنة مضت وعد فرسان القديس يوحنا  
السلطان سليمان في معاهدة مهينة بعدم القيام مجددا بأي نشاط بحري  
ضد التجارة العثمانية في مقابل الهلاء عن حصنهم في جزيرة رودس مع  
احتفاظهم بالشرف الحربي . ولكن الفرسان لم يلتزموا بهذا البند من  
المعاهدة موصحين ، على حق ، أن سليمان في الواقع لم يعطهم حق الهلاء  
شرف الا لأنه لم يستطع أن يستولى على حصنهم بدون خسارة اضافية  
كبيرة . وأخيرا رضى سنان باشا لا يقدم جميلا الى السفير الفرنسي  
مفقط ولكن لينقذ رجاله هو أيضا . وهكذا سمح لفرسان طرابلس بالهلاء  
بحرية . أما الجنود الذين كانوا يتألف منهم الجيش فقد أخذوا أرقاء .  
وعندما أوصلت السفينة الفرنسية حمولتها من اللاجئين من طرابلس الى  
مالطة ، استقبل عظيم الفرسان بمالطة السفير الفرنسي ببرودة لاعتقاده  
أن الفرنسيين قد أعانوا الأتراك بالمعلومات والمؤونة .

ان الاستيلاء على طرابلس كان اتفعا كيرا للدولة العثمانية ، ذلك انه سكنها من مرسى يربط البحر الأبيض معى القوافل المنجبة الى الصحراء والى افريقية السوداء خصوصا : بالإضافة الى ملحق للسفن القادمة من الغرب والمحطة بالحجاج الى طريفهم الى مكة والمدينة . وقد أصبح درعوت الذي أعيد اليه الاعتزاز في اسطاسور . ناشأ طرابلس ومعه قطعة اسطول تقدر بأربعين سفينة حربية . وقد قوى تحصينات المرسى وحوله الى قاعدة مشيرة للأسطول التركي .

وكان الاستيلاء الإسباني على المهدية سنة 1550 ورد الفصل التركي في طرابلس سنة 1551 مؤشرات الى استئناف الحرب بين الهابسبورج والعثمانيين في البحر الأبيض . وكان الرقاق بين هنري الثاني ملك فرنسا ، وسليمان قد ربط بين هذا النزاع وذلك الذي كان يجري في شمال أوروبا حيث جاء الملك الفرنسي لدعم أمراء شمال ألمانيا في حربهم ضد الإمبراطور شارل . حقا ان طرق النقل والاتصال كانت ممتدة في القرن السادس عشر ولكن المشاكل الأوروبية وحدت طريقة لتصبح شاملة ومتشبكة على اية حال .

#### السابع الإبالة الجزائرية :

لم يكن هنري الثاني داهية سياسيا كما كان والده : ولكنه مع ذلك مهم ان تعاون بيلارماي شمال افريقية كان مهما لنجاح حربه في البحر الأبيض . وكان ذلك اليلارماي هو حسن بن خير الدين ، الذي تعلم من والده عدم الثقة في الفرنسيين . كما أنه كان مقتنعا أن دعم السلطة التركية في منطقة المغرب الأوسط الممتدة بين البحر والصحراء هو العمل الأساسي في تلك اللحظة . وقد اعترف الفرنسيون مترددة في المشاركة قلبا وقالبا في جهودهم العسكرية ، ولذلك سمى السفير الفرنسي في اسطنبول لدى السلطان لسديل اليلارماي ، وكان عزله قد جاء في اللحظة التي كان فيها يدعم سلطته على تلمسان في وجه معارضة قاس . ن حسن قورصو الذي كان آغا الانكشارية كان محبوا من هذه الطائفة وكان أيضا حديا داهية ، هو الذي أكمل الاستيلاء على تلمسان بعد

استدعاء حتى بن حبر الدين ، وهو الذي وضع هناك خمسمائة جندي  
الكشاري ليؤمنوا السيطرة التركية على تلك المدينة الهامة الواقعة على  
الحدود الغربية . وعندما وصل البيلارباي الجديد ، وهو صالح رايس ،  
أيد تماما تلك السياسة الزاية الى توسيع سلطة الايالة التركية الى  
المناطق الداخلية انطلاقا من مدينة الجزائر . كما أنه كان مستعدا لتأييد  
تقدم الحرب الفرنسية - التركية ضد اسبانيا .

كان صالح رايس ، الذي كان من مصر ، أحد مساعدي حبر الدين  
وأقرعهم الى ثقته ، فقد صعد بعد وفاة خير الدين ، من مجرد قائد سفينة  
بحرية الى أميرال باشا لمسطول السلطان . لقد جاء الى الجزائر في الوقت  
الذي كان فيه أمراء تقرت وورقلة ، وهم رجال قبائل عربية على حدود  
الصحراء ، يرفضون دفع ضريبة الاعتراف بالايالة التركية . فقادهم  
هذا التمرد فانه ينتشر عاجلا بين القبائل الأخرى في القطر ، ذلك أن  
دفع أية ضريبة كان عملا غير محبوب من الناس ، بل كان عملا مفضويا  
عليه . فالكثيرون يعتقدون في قرارة أنفسهم أنهم أحرار .  
وكان هذا التمرد بالدات ضد الإمبراطور قد أوحى به معلم لشيخ ( حاكم )  
شاب . فقد أقنع ذلك المعلم رجال القبائل هناك مالاعتقاد أن الله سيسمح  
بركته الى كل من يقتل تركيا . وكان على صالح رايس أن ينسى حرب  
البحر الأبيض بعض الوقت ويقوم بحملة في الصحراء . ولم يكن رجال  
القبائل هناك في نفس درجة الانكسارية . ذلك أن رماحهم وسيفهم  
لم تستطع أن تصد في وجه رجال مسلحين بالقربيلات والمدافع  
الصغيرة . وهكذا تطلب عليهم صالح رايس وأجبرهم على السلم  
وقطع رأس المعلم المفترض فيه أنه المسؤول عن التمرد . وبناء على  
المؤرخ التركي ، فإن صالح رايس قد وُجِع الى الجزائر بخمسة عشر  
جملا محملين بالذهب وغيره من الثنائيم المؤلفة من الأقمشة والجواهر ،  
والحلود ، بالإضافة الى الحيوانات وخمسة آلاف عد من الزنوج .

ولكن صالح رايس واجه تمرد آخر من طرف رجال كوكو هذه  
المرة ، وهو التمرد الذي كان مدعوما بالذهب الأسباني . وقد وضع  
هذا لهذا التمرد بنفس الطريقة التي وضع بها حدا لتمرد الجنوب ،

ولكنه مع من أي جنل صد أسايا . هي خريف سنة 1553 حاول  
 بحارة صالح رئيس سلطان فارس على استعادة موسى قالير ( بادس )  
 Valer من الأساق ، ولكنه لم يبق بأي مجهود جدي من جانب  
 الحرائر إلى سنة 1555 حين استطاع أن يقوم بهجوم ويصوي على  
 بحابة التي كانت « باستثناء وهران » أهم مركز أسامي على طول  
 الساحل . فقد كان الأساق يفتن في سوريا حيثهم هناك ، وكانت  
 نتيجة ذلك أن حاكم بحابة كان غير قادر على الدفاع عن نفسه حين  
 أصبح محاصرا من البر والبحر . وأجرا وافق ذلك الرجل التمس على  
 الاستسلام إذا سمح له ولصياته بالعودة إلى أسايا . ولما وصل إلى  
 بلاده سارع الحكومة الأساية محاكته على جبهه وسوء تصرفه  
 وعظمت رأسه .

ولما أصبح صالح رئيس سطرأ على بحابة قرر أن وهران والمرسى  
 كبير يجب أن يكونا هما المديني القادمين بلاماله الحرائرة . وبناء  
 على ذلك وصح خطة لتهموم برا وبحرا على حرار العصار الذي استولى  
 به بحاج على بحابه . ولكن قبل الشروع في العصار اضطرر قومي  
 صالح رأس بالطاعون « فصل الله » كما عبر عن ذلك الأب بورخ  
 دافودر هاينو Haido . ولما وصل أبناء وفاته إلى استدسول  
 قرر الباب العالي إلغاء مشروع حصار وهران وأمر المصن التركية  
 بالعودة إلى القرد الدهير . لقد كانت الحرائر صفة جدا ، وكان  
 هناك العصر من حاشية السلطان يعتقدون أن ملاريايات هذا البحر  
 ( الأمانه ) المند ربما كانوا يملكون الحرب لاقامة دولة شبه مستقلة  
 في المغرب العربي (المغرب) . وبخروج صالح رأس اشهير من  
 الصورة . أصبح من عدم الحكمة أن رجس لأغا الإنكشارية ، حتى  
 قورصو ، أن يكون الرجل الذي يسولي على وهران . أنهم ( أي  
 رجال اندشيه ) في اوضاع كانوا على حق ، ذلك إنما سرى كيف أن  
 الإنكشارية كانوا ساحطين حين أقلعت المصن التركية وتركهم بدون  
 موارد للاستيلاء على الحصون الأساية . أن هذه الحركة هي التي

أثبتت منه أول مرة أهمية الاكتشافية في الجزائر ، وهو حادث من  
الامة سكان بالسبب لمسقط الايالة .

ويسا كان يلازميات الجزائر يستملون الحرب لدعم سلطتهم في  
الحرب الأوسط ، كان النزاع في إيطاليا وهولندا والمجر يستند  
الموارد المحدودة للتسارعين . فقد أصبحت حروب القرن السادس عشر  
منزوعا باهظ الثمن جدا اذا نظرا الى الموارد القليلة التي كانت لدى  
الحكام . فالجوش كانت مؤلفة من الذخيرة التي أصبحت ضرورية  
المدافع والبارود والرصاص وغيرها من باهظة التكاليف . ولم تكن  
حدا لبحر الحرب في البر وفي البحر ، باهظة التكاليف . ولم تكن  
الصراف ولا القروض من أهل البنوك كافية لدفع أثمان الحرب التي  
هي دائما في ارتفاع . فخلال فترة 1557 - 1558 كان ملوك فرنسا  
وأسبانيا وحتى الدولة العثمانية أما مفلسين أو قريبا جدا من الإفلاس .  
وكل من هري الثاني ملك فرنسا وفيليب الثاني ملك الأسباني قد  
اعترفا بأن السلام كان حتميا وأنه لا يمكن أن يملية قرار عسكري .  
وهناك قضايا سياسية أخرى كانت تحت على السلام : القضية الدينية  
في كل من فرنسا وهولندا الأسبانية ، وموت ماري تودور في انكلترا  
الذي قطع العلاقة بين أسبانيا ومملكة بريطانيا ، بالإضافة الى عدد من  
المصوبات الأقل حدة والتي كانت تواجه كلا الملكين ، وكل هذه الأمور  
قد اشتركت في التوصل الى معاهدة شاتو كامبريسزي  
Chateau Cambresis سنة 1559 . ان هذه المعاهدة قد أنهت الحرب  
بين الهابسبورغ والفالوا التي استمرت طيلة النصف الأول من القرن  
السادس عشر .

وبينما كان فيليب الثاني يفاوض على السلام مع ملك فرنسا ، كان  
أيضا يفكر في امكانية السلام مع الدولة العثمانية . فقد أكد له  
مستشاروه أن سليمان كان في حاجة الى السلام كما كان هو في حاجة  
اليه . وكان سليمان حقا يفاوض على السلام مع عم فيليب ، وهو  
الامبراطور فيرديناند الذي خلف شارل على العرش الامبراطوري في  
ألمانيا . ولم يكن سليمان مطوعا بالقدر الذي كان يؤمله فيه الملوك

المسيحيون . فقد عقد اسلام مع فيردناند بشرط أن يسمح الامبراطور الألماني كل التحويلات التي كانت تحت للدولة لعتدية ضد آخر معاهدة ، ولكن سليمان أمر ، عدم حاول وكلاء عليه الانضمام الى المعاهدة ، على اجراء مفاوضات معضلة بين الدولة العثمانية والدولة الاسبانية . وقد فكر بليب في عدة مقائل ، وكان يدعو أن ارشاء الصدر الأعظم ( الوزير الأول ) قد يكون أفضل الطرق . فمرس عليه عشرة آلاف البكوس Escus سوية ، على أن يودع بنود باسم الوزير اما في السدقة واما في اسطانبول ، شرط المحافظة على السلام شرف . ومطاع ، ولأسباب ما تزال غامضة ، قرر فيليب أن عقد هدنة مع السلطان سيكون أدنى من قدره . وهكذا رجع الى خططه الزامة الى اسناد الإثراك في الحوض العربي للبحر الأبيض .

من جربة الى ليقنتو :

لقد أصبح السبل في المستقبل وامحا . فالمطيرة الأساية على مائطة وصعدة وناولي وحلق الوادي موسى يوم قواعد خدمة مراقبة اسعار البضقة بين نهيايات شرق وغرب البحر الأبيض ، وادا بصحت البحرية الأسبانية في استعادة السيطرة على طرابلس والاسنلاء على حرية ميسكون من السهل عليها احواء أي هجوم تركي نحو العرب ، حتى ولو اسير الإثراك ميطرين على الحرائر . ذلك أن الحرائر لم تكن مرسى جيدا للأسطول كبير من السفن الحربية . غير أن طرابلس كانت قد وقعت بد الإثراك وكان درعوت في الحقيقة يصل على حمل هذا المرسى الحرائر الكفة ، أي هنا محروما وقاعدة للأسطول العثماني .

كان المتفقد في صفه أن الحرية التركية لن تعامر بالتقدم انى ما هو أبعد من حدود الماء الشرفة الا في فصل الصيف حتى يكون الطقس ملائما . وأحدا بعد المتفقد في الاعنار . قرر الأساس القيام بهجوم على طرابلس في نهاية فصل صيف سنة 1559 . وكانوا متفائلين بالنتائج فالتحصينات في طرابلس ما تزال ضعيفة ، ورجال لقنات في داخل البلاد كانوا مستعدين للتعاون ما داموا قد أصبحوا يكرهون الإثراك . ولكن هذا الهجوم على طرابلس كان ، مثل هجوم شارل ( انطاس )



على المرار سنة 1541 ، في حامية إلى تعاون كل الصناد البحري  
والسكرى الإنسان لا يظوره أسبانيا في البحر الأبيض ، وكساد  
هؤلاء الصناد مشيرين من رتبلة إلى حوا ، ومن سفلة إلى وهران ،  
لقد كان من الصعب جميع في عملية مشتركة في هذا العهد حين كانت  
المواصلات بطيئة جدا ، بل ثقيلة ، والذخيرة البحرية لانقاء السفن  
والجبل ، والبارود والرصاص للصادق ، والذخيرة البحرية لانقاء السفن  
في البحر ، وكلها يجب أن تحجم في المرسى في نفس الوقت الذي كان  
فيه الحنود المالك والطليان والإسبان المحتاج اليهم للعمل مستمدين  
لركوب من النقل . ومن الطبيعي أن يحدث التأخير . وساء الطقس  
في نفس الوقت الذي كانت فيه الأرمادة تستعد للتحرك ، وكان على  
السفن أن تتوقف في مائة لتعادي عاصفة خطيرة ، ولم تستطع السفن  
أن تغادر مرسى مائة إلا في شتاء سنة 1560 . وفي نفس الوقت  
انتشر المرض في عدد كبير من الحنود ، بحيث تخلف عشرة في المائة  
من الرجال عن مرافقة الأسطول عند معادته مائة . وحينئذ قرر  
الإنسان التوجه لا إلى طرابلس مباشرة حيث كان درغوث يسلح نفسه  
استعدادا لمواجهتهم ولكن إلى حرة للاستيلاء على « عش القراصنة »  
هناك . ولكن الحارة كانوا قد غادروا الجزيرة قبل وصول الإسبان  
لها وكانوا قد منوا سنة إلى اسطانول طالبين الجدة .

وقد بدل القائد الإسباني مديا سلى Madina Celi وقتا في  
اقامة حكومة عملية في جربة وباء حصن صغير لحامية كانت ستقام هناك  
لتأمين السيطرة الإسبانية على الجزيرة . وكان متاكدا أن الإمبراك لن  
يتدخلوا بسرعة في هذا الفصل من السنة . ولكنه كان مخطئا . فقد  
وصل إلى حرة يالى باشا Piali على رأس قطعة قوية من  
الأسطول التركي بطريقة غير متوقعة . وكانت المخازن الإسبانية مخطئة  
في تقديرها ، وكانت الاستعدادات الإسبانية للحرب أقل فعالية من تقدر  
المخازن . فقد كان جزء من الأسطول (الإسباني) بعدا عن الساحل ،  
طليق السراح . ولم تكن يقبته مستعدة للحرب . ولذلك فإن ثمانية  
وعشرين سفينة من مصوع الشانئ والأربعين سفينة وغلاصة اما احتجزت  
واما حطمت . أما البقية فقد لادت بالفرار ولكن بعد أن وقعت فيها

حاصر منيرة . ومن جهة أخرى ترك البحارة للإتراك جربة وفيلو  
على معظم الجزر الأسبانية ثم حاصروا الحصن الذي بناء الأسطول الجديد ،  
ومن استنات انصامية الأسبانية شجاعته مؤثره في وصول الجند .  
ولكنها أخيرا استسلمت ، بعد أن فقد عنها الماء والغذاء . وذلك في شهر  
يوليو ( 1560 ) - لقد كان ذلك نكسة مبررة للسمعة الأسبانية ، بل  
ليس لسمعتها فقط ولكن لأمثها أيضا . ذلك أن الانصار قد هوى من  
غزائم البحارة ( الإتراك ) في غرب البحر الأبيض ، وشجع الموريسكيين  
على الاعتماد بأنهم في النهاية يمكنهم الاعتماد على المساعدة من الشرق  
في براعمهم مع مصطفيديهم الأسبانيين . وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ  
ابتدأت أخطر ثورة للموريسكيين في القرن السادس عشر من ذلك  
الاعتقاد .

وإذ انما أن مشاكل فليب البحرية في البحر الأبيض لم ته بالهزيمة  
في جربة . فقد نأحاه درغوث وأغرى عددا من سمه ( فليب ) خارج  
الساحل الجنوبي لصفية ، كما أن عاصفة حطمت حملا وعشرين سفينة  
له ، وأودت بحياة كل عدته تقريبا من الرجال والبحارة . ولذلك فإن  
الحرية الأسبانية لم تستطع أن تقوم مرة ثانية باستعراض قوتها بشكل  
جدي في وسط البحر الأبيض إلا سنة 1564 . غير أن التترك لم يكتفوا  
قادرين على اغتنام فرصة هذا الضعف . فالنظام العثماني كان من الثقل  
بعيث لا يعمل إلا إذا كان السلطان نفسه مع جيشه . وهذا يعني أنه  
عندما كان سليمان في حالة حرب في الشرق مع الإيرانيين ضد ابنه الثائر  
عليه ، فإن قوته في الغرب كانت بدون حركة . حقا أن السلاح البحري  
بقى قويا ولكنه لم يغادر المياه الشرقية إلا بعد عودة السلطان إلى  
استانبول .

\*\*\*

وبينما كانت السفن الحربية للدولتين متوقفة عن الحركة ، كان البحارة  
— مسلمون ومسيحيون — قد اندفعوا في البحر يبحثون عن صد .  
فقد غطت البحار الغربية بالبحارة المطلقين من مدينة الجزائر وبجاية  
وطرابلس وبعض المراسي الصغيرة مثل شرشال وبوقة . أما البحار

الترفة عند حرج اليها البحارة من ميوقة ، وصقلية ومالطة وغيرها من  
 المواني. الايطالية باسشين هي العالم في الشرق . ان حكومتها جوا  
 والسفينة لم تنحصر هذا النشاط ، ومع ذلك فان رجالهم الرسميين  
 الحاكمين في البحر التامة لبحرا والبندقية ، مثل كريت وقبرص  
 وشوس ، وغيرها كانوا يفضون النظر في البحارة المسيحيين الذين  
 يأتون الى موانئهم طلبا للثمن والماء والطعام ، بل انهم غالبا ما سمحوا  
 لهم ببيع جزء من حمولات عائلتهم . ان هؤلاء البحارة المسلمين شوكة في  
 شوكة في جسم الدولة العثمانية كما كان البحارة المسيحيون شوكة في  
 جسم الدولة الاسيائية . وفي احدى المناسبات استولى خمسة من البحارة  
 الماطيين على غلاطة لكنزلار آغا كانت تحمل عددا من السيدات البارزات  
 من حريم السلطان بالاضافة الى رئيس خصيان السلطان السود .  
 واستولى بحارة مسيحيون آخرون على بعض الاعيان الداهيين للزيارة  
 او العمل الرسمي او الحج الى مكة . وكان اخطر هؤلاء البحارة واشدهم  
 اقداام هم فرسان يهودون الى نظامين من نظم الرهبان الصليبيين :  
 احدهما نظام توسكاني <sup>Tuscani</sup> المعروف باسم نظام القديس  
 سيمعان ، والثاني والاهم وهم فرسان القديس يوحنا العاملين في جزيرة  
 مالطة .

ولم يؤسس نظام القديس ستيافان الا سنة 1562 ، وكان أدواق  
 (حكام) توسكانا يدعوونه ، وكان بحارته ينطلقون من مراسي  
 توسكانا . ولكن هذا النظام لم يكن ذا أهمية نسبية : فعدد فرسانه  
 كان قليلا وكانوا في البصلة يعملون كمساعد ايسن لخدمة الأدواق . أما  
 فرسان القديس يوحنا فكانوا يعملون بالنظام على رأس ستة الى عشرة  
 سفن حربية من الدرجة الاولى ، وكان زعمهم يبعث بأسراب من البحارة  
 الخواص لكي يهاجموا انطلاقا من مالطة .

ويرجع تاريخ النظام الديني الصليبي لفرسان القديس يوحنا الى  
 الحقبة الصليبية . وكان في الأصل قد تأسس ليقوم بالخدمات الصحية  
 للصليبيين في الأراضي المقدسة . وسرور الزمن أصبح أعضاؤه فرسانا  
 محاربين . ولما حل القرن الخامس عشر تطوروا الى نظام من البحارة

الصلبيين . وكانت لهم قاعدة حربية في جزيرة رودس ، بالامانة الى  
 « مروج » اقاموها في قرى وبروماني واسبايا وانكيرا وابطالسا  
 والمانيا . وكانت بعض هذه القلاع عبة حدا ، وهذا يعود الى أنه كان  
 من عادة النبلاء المسيحيين المحسنين أن يتركوا جزءا من أراضيهم الى  
 هؤلاء الرهبان العذارى . وكانت النتيجة أن أصبح فرسان القديس  
 يوحنا يملكون ويتصرفون في أملاك مريضة من الأراضي الزراعية  
 ويحتفظون بقصور تمتد على طول أرياف أوروبا الرومانية الكاثوليكية .

وكان فرسان القديس يوحنا يحدون من أداء السلاء ، ولا يمكن  
 لاحد ليس له أربعة حدود من السلاء أن يصبح فارسا . ولكن هناك  
 بعض الاستثناءات . فالحام كان في الجبهة مؤثرا من حدهاء جعل  
 الثاني أو الثالث للعائلات البقة الذين كانوا مهتمين لخدمة الكنيسة  
 ويعملون أيضا في احترام العمل العسكري . ولعل هؤلاء الفرسان  
 كانوا أرمي تقريبا من البولنديين أو الصوامس الذين يتألف منهم جيش  
 الانكشارية ، ولكن من المؤكد أنهم كانوا أكثر استعدادا لحمل السلاح  
 من سائقي الثيران ورعاة الابل وشاب الفلاحين من اناسولنا . ومع ذلك  
 فانه في الامكان وضع مقاربات متعددة . فمى المتوقع أن كلا من الفارس  
 والبولندي أعرب . وكلاهما ملتزم بالانضاط في النظام المتشبه اليه .  
 وعندما يصمم شاب الى فرسان القديس يوحنا كان يرسل الى الحر في  
 إحدى السفى الحرة التابعة للنظام بشكل « قافلة » ضد العدو . وبعد  
 مدة معة في الحر يمكن أن يعاد الى أوروبا لسهر على الأراضي أو  
 عر ها من الأعمال التابعة للنظام . وإذا تعرضت تحصينات الجزيرة الى  
 خطر فانه يمكن دعوة الفرسان للمساعدة في الدفاع عنها . ويجب أن  
 تذكر ها أن هذا النظام كان عسا حدا نظرا للأملاك التي تصرف فيها .  
 ولذلك فان عيون أمراء أوروبا طالما نظرت اليه نظرة حسد . ومن ثمة  
 كان من أوائل الأعمال التي قام بها هنري الثامن في اصلاحه للكنيسة  
 الانكليزية هو مصادرة أملاك فرسان القديس يوحنا .

وكان الفرسان في مالطة ، كما كانوا في رودس في القرن السابق ،  
 يعيشون في مازل تنتمى الى « لغات » النظام والفريسيون كانوا أكثر

أحبه من حيث المقد ، ولكن ماور الانكليز والبروفانساليين والأسبانيين ،  
والألمان والاطليان كاتب أيضا أماكن لأوثك المسامرين الذين جمعوا بين  
الحرب والنشاط الديني . وكان بعضهم يعيشون عنه مثالية ، ولكن  
بعضهم الآخر كانوا متبرين للاضطراب معارلين للنساء ، رغم أنه لا أحد  
يشك في افعالهم وشجاعتهم . ففي سنة 1465 ثبوا في وجه هجوم  
بركي حين هاجم السلطان معقلهم في رودس ، ولم يشلموا سنة 1521  
الا عندما أصبح واضحاً أن جيوش سليمان ستستولي على حصونهم .  
وكان القرسان مظهر سياسي كجمهورية ارسقراطية من الرهبان  
الحنود . وكانوا ينتخبون زعمهم وبسطونه سلطات شبيهة بتلك  
السلطات التي كان يمارسها باشوات وأغوات وديارات الجزائر . ولكن  
ما دام عدد أعضاء النظام أصغر من عدد فرقة الانكشارية ، وما دام عدد  
كبر من القرسان كانوا يعيشون في أوروبا في القادات التابعة للنظام ،  
فإن التحزب الخطير الذي اتسم في الجزائر لم يتطور ( لدى النظام )  
بمى السهولة ، وكذلك لم تحدث هناك الثورة ولا الصف للذقان  
اشتهرت بها في الأخير الايالة المغربية (الجزائر) .



لاحظنا أن السلطان سلمان في بداية عهده قد نصح في طرد قرسان  
القديس يوحنا من رودس بعد حصار طويل وثمن باهظ ، ولم يسمع  
لهم بالمقاومة « بنزف الحرب » الا لأن قواته كانت غير قادرة حقاً على  
تحقيق انتصار قاهر . وقد فهم الإتراك أن أحد شروط السلام موافقة  
القرسان على عدم مهاجمة التجارة العثمانية . ولكن عندما شارل  
على جزيرة مالطة (سنة 1529) وعلى ساحل مدينة طرابلس ، استأثمت  
« سن الدين » . كما كانوا يسمونها ، مهاجمتها للسفن التجارية التركية  
وزلت على الأرض التركية لأخذ الأرقاء . وهكذا كانت مالطة في أعين  
الإتراك عبارة عن عش للسور تماماً كما كانت الجزائر في أعين الألبان .  
وكما قرر شارل عدة مرات أن عليه الاستيلاء على الجزائر معقل  
القراسة ، كذلك اعترف سليمان ومستشاروه بضرورة الاستيلاء على  
معقل قرسان القديس يوحنا . وقد كان الاستيلاء على طرابلس في بداية

السنوات الخمس من القرن السادس عشر عبارة عن خطوة الأولى نحو تعبئة المراكز المسيحية الخطيرة جدا على الدولة العثمانية ، ومن الواضح أن تكون طرابلس ومالطة وتونس وسماحق الوادي هي الأهداف العظمى الثلاثة للأسطول التركي والبحري .

وكان القرار بمهاجمة مالطة قد اتخذه سنة 1564 . وفي شهر مايو الثاني وصلت قوة عثمانية عظيمة أمام الجزيرة وأرملت الحيش والمؤونة للارملة بصرب الحصار . ان قوة عسكرية كالفرد العثمانية المذكورة لا يمكن أن تجمع في القرن السادس عشر دون أن تملن عن حقيقته وجودها . لقد كان لعرب المسيحي يعرف أن هجومها كان على الأبواب ، ولكن هل يكون هدفه هو مالطة أو تونس وحلق الوادي ، أو كريت أو حتى قبرص ؟ لم يكن أحد يعرف ما الذي سيكون الهدف .

أما جان دولافاليت باريرو de la Valette Parson (1) عظيم فرسان القديس يوحنا ، فقد كان متأكدا أن حريرته ستكون هدف هجوم ، وقد بذل كل ما في وسعه في الاعداد لمواجهة الخطر . نادى على كل من يستطيع مساعدته من فرسانه الذين كانوا متواجدين في مراكزهم الأوروبية . واستأجر حودا اصاصير من ايطاليا ، ودعم حصونه ، ووفر المؤونة للحصار . ولكنه لم يقد على اقتناع أي أسير من أمراء أوروبا بارسال مساعدة آلة . فالإسبان الذين كانوا مهتمين بحلق الوادي وصقلية ، لم يرغبوا في كشف أنفسهم أمام هجوم خاطف . أما أمراء شمال أوروبا فقد كانوا منهكين في مشاكلهم الخاصة المتعلقة بحصونها بالانقسام الدس . وهكذا استمد عظيم الفرسان وفرسانه ومعهم حوالي سبعة آلاف جندي في عملهم لحاربوا وحدهم . وكانوا يستطيعون

1) عند هذا الرجل عظيم ، الذي كان اما لب برسي سيل ، أي فرسان القديس يوحنا ومهمة الإبراهيم ومن بعد ذلك على سفينة الرقيب ضد ارجس ماسد لقي (الاصد على 1) . وبعد القتال اغتيل هو نفسه ، في دورة من دورات القدر ، هذه الترمي السابق وجهته ضد هذه المعاديات . بقية أساء بمادته الفرسان المعاصرين هي قصة رجل سمع ناريه جديدة وذلك عاد وعمره اقصا ، بالإسائة أي صيده واسعة في أنه ، ولذلك أطلق الدمار سنة 1613 على غامضهم .

لسم اسم حلفاء حبرون بتعايد عظيم جزيرة آدم ( ايل آدم ) ورواس  
التي اظهروا حوالي اربعين سنة خلت حين دافعوا عن حصن جزيرة  
رواس .

لقد ازلت القوة العثمانية المتعدية حوالي اربعين ألف رجل وكس  
كبيرة من أحيرة الحصار ، ولكن قيادتهم كانت موزعة بين الأميرال بيالي  
مانشا ومصطفى مانشا قائد القوات البرية . يضاف الى ذلك أن درغوث  
حيي وصل برقته من طرابلس كان يحمل أيضا تعليمات من السلطان تعطى  
حق القيادة . أما القرمان فقد كانوا تحت قيادة عظيمهم الوحيد ، دي  
لاعلت ، ومخلصين لأوامره ، وكان دي لاغاليت قد استعد للدفاع  
سهارة . وسيكون من المباحين والمدافعين قد أظهروا بطولة عظيمة .  
خسة أشهر : فكل من المهاجرين والخائز الفظيعة . ان قصص  
وكل منها كانوا من الخيبة والخوف والخائز والكثير من الخرائط والكتيبات التي  
الحصار قد انتقلت الى أوروبا في كثير من الاهتمام الذي أنشأه  
وزعت بطريقة شعبية ما تزال تشهد على ذلك الاهتمام الذي أنشأه  
الدفاع البطولي . (2)

ورغم ان وسائل الدفاع قد تحطمت وأن المدافعين قد أوهنتهم  
الخائز لدرجة أن استمرار المقاومة كان يبدو مستحيلا تقريبا ، فإن  
القرمان وحودهم قد استروا في النضال مؤملين في وصول النجدة .  
وقد خرج عدد من المدينة مبعوثين مهربين تهريبا حاملين دعوات مستعجلة  
للنجدة ، ولكن نائب صقاية كان ما يزال يخشى أن الأرمادة التركية  
ستحول ضد جزيرته اذا هو كشف تحصيناته . وفي الأخير قرر ارسال  
قوة نجدة صغيرة . وفي الأول من سبتمبر قام الإنزالك بهجوم عظيم .  
ان على المعركة التي استمرت عدة شهور أن تنتهي بطريقة ما . ومرة  
أخرى ردوا على أعقابهم ، ومرة أخرى بخسائر جديدة أدت الى توهين  
2 - ندوى مكتبة سويسري على مجموعة متتارة من هذه الخرائط التي تشير الى تقدم

الحصار ، ونشر كتاب أول برادفورد الحصار المكسر ، سوبودك ، 1961  
لصن مرجع نصفي باللغة الإنكليزية .

واحاط معويات الحدود الإثراك . « فعمل أن الله هو الذي حكم بدم سموط مائة ٩ » أن هناك حوادث كانت تدل على أن الأمر هو ذلك . ثم أنه في الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر ، نزلت قوة النجدة المسيحية الصغيرة على الساحل المقابل لمصر الممركة وتحركت بعمر نحو خطوط العصار التركية . ولم ينتظر القائد التركي ليصرف ما إذا كانت هذه القوة هي دعم صميم للمدافعين أو هي كما هو الحال ، عبارة عن قطعة رمزية تساعد على إبعاد الروح المتوترة المسيحية . لقد فقد أعضاء وأمر باستعباد صبي به دكوب الحش ، ولكنه ترك وراءه كثيرا من تجهيزاته ومؤثرته قبل أن تقوم وحدة صغيرة بأكثر من مدونة لمراسه من الخلف . لقد كان ذلك هزيمة ذكراء للقوات الشمالية العسكرية وانتصارا للفرسان ، القديس يوحنا ، وهو الأمر الذي جعل عبارة « المعاصر الكبير » مرادفة لعصار مائة . لقد كان انتصارا لـ 600-700 فارس و 8000 - 9000 جندي على قوة محاصرة كان عندها يتراوح بين الثلاثين ألفا والإربعين ألف رجل . ولا عجب بعد ذلك أن يشتر دولا فالت عظم مائة ، بطلا في العالم المسيحي كله ، سواء من البروتستانتيون وللكاثوليكون . ومن جهة أخرى فإن الإثراك يمكن أن يشيروا موب دوغوث واحدا من مآسي هذا الرابع . لقد كان دعوته قد حرم أثناء الحرب ولكنه لم يرا من حرمه . وكان قد برهن على أنه كان أفضل ضابطهم . وكان موته تسببا خطيرا بمبادل الآلاف الحدود الإثراك الذين قتلوا أثناء حصارهم لأسوار حصنين مالمطين .

وبعد مفادرة الإثراك ، شكر الفرسان الله وأخذوا في إعادة بناء الأسوار . ولكن كل أحد كان خائفا من أن الإثراك سمودون خلال السنة التالية ويحرقون مسهولة المل الذي عجزوا عن احتجازه سنة 1565 . لقد كانت التحصينات مخربة ومؤثرة الطعام والحرب تفتت أو كادت ، وأصاب المدافعين الضعف من جراء الخسائر التي لم يكونوا قادرين على تعويضها . غير أن الدولة العثمانية كانت في الواقع « حيواتا برية » ولم يفتح النجاح البحري لخير الدين وخلفائه السلطان سليمان بأن البحر كان ميدانا مناسباً لعملياته هو العسكرية . وهكذا قرر أن يعض السمعة التركية التي ضاعت في مائة بهجوم على وسط أوروبا



عمر الدانوب . وكان موت الإمبراطور جردنيان ( سنة 1564 ) قد أعطاه  
 الصدر في المطالبة بدفع عوائد ماله مختلفة كإتاوة ، وقد أعطاه الإمبراطور  
 الحديد ، ماكسليان ، عدوا آخر لاحتلال الحرب تدخله في شؤون  
 ترانسيلانيا . وهكذا غادرت قوة تركية عظيمة بقرن السبعين ، سنة  
 1566 ، في اتجاه بلراد ووردابست ( أوفس Offen ) ، ولكن هذه  
 القوة لم تتوغل لكي تدخل في نزاع مع الدولة الألمانية ، لأن سليمان  
 تولى في الطريق وتشتت القوة المهاجمة . وقد صحح حلمه سليم الثاني  
 ( الذي نكب من الأخير بلف الكبر ) في حمل قومه سلطانا ، ولكن  
 لم يصمم إلى القوات لتركبة المتواحدة على بحر الدانوب ، وكان الجيش  
 غير قادر على الحركة بدون السلطان على رأسه . إن المؤرخين عابا  
 ما أرحوا يديه بذهور الدولة لثباته من وفاة سليمان . وقد يكون  
 هذا صحيحا . ولكن بعض المؤرخين القادوس الذين قدروا في الحقبة  
 الطويلة للدولة الشهابية ، قد استمروا بعض الوقت بعد سنة 1566 ،  
 في توحه معير الدولة ، لدرجة أن الحرب المسيحية لم يكن قادرا على  
 معرفة ما إذا كان هذا انقضاء الخطر كالمحتقن في حالة ندهور .

والواقع أنه خلال سنوات الموالية لوفاة سلطان ، حكمهم الدولة  
 الشهابية الصدر الأعظم محمد مقوللي ( أوسكوللي ) . الذي كان رجلا  
 دولة من نوع ورياء سلطان المنابر . وكانت الحاجة التي وقعت سنة  
 1567 - 1568 قد عطلت شانه ولعلها ساهبت في حتمه بتسليم  
 اسلام مع ماكسليان ، ولكن ذلك لم يسمه من الشروع في بدء حصص  
 مقابل جزيرة قبرص يمكن استعماله للاستلاء على هذه الجزيرة الواقعة  
 في حوزة السدنة . وقد اضطر مقوللي سنة 1569 م للدخول في حروب  
 صعبة على الصراف الحوية للبحر الأسود . وعلى الحدود الإيرانية .  
 وحده الحرب على صراف البحر الأحمر ، ولكن هذه « المتوشات » لم  
 منه في هذه الحففي وهو قبرص . ففي سنة 1569 ومع انحصار في معزل  
 الدخيرة لأسبوسه . وأعله كان من عمل عمل عسائي ، بينما كانت مراسي  
 بناء الحصن قرب اسطاسول على قدم وساق . ب سمادات مقوسسي  
 لمصاحبة بعض العلاج المسبحة في اسرى قد تمت بتسليم جزيرة في قلوب

رجال دونه السدح وقد همزوا في الحال أن يمرض سنكون الصحية القادمة  
بلاعتداء التركي .

سحب المدعو ماسه المسحة مكانه مختلف يجمع بين ماسا وابيدقية ،  
وكن فمسب انشي ملك اسديا كان حلال سواب لتالة لخصر ماطة ،  
بواجه مشاكل أخرى أكثر حدة من مشاكل الحر الإسف . حاول الملك  
الأساسي أولا أن شارك في السلام الذي وقعه ماكسيليان مع الدولة  
بشدية . ولكن سمولي أصر على ضرورة إرسال سفير سبابي ليدوس  
باسم ملك اساسا . تم تلا ذلك افراحت « غير مربية » بالمفاوضات  
ولكن سلب في الوصول إلى اتفاق . ان الحرب مع الدولة بشدية  
قد هدأت . واسترحح الأسطول الأساسي في البحر الأسف قوته ما فيه  
الكفاية لصد السطرة الأساسية على الطرق بين اساسا وايطاليا وتوقف  
أنشطة الحارة المسب بحدة في عرب ووسط الحر الإسف . ان السلام  
مع الأتراك قد يكون مرغوبا فيه ولكنه لم يكن ضروريا . وبالإضافة إلى  
ذلك أنه ( سلام ) قد يؤدي إلى قطع التبعييات التي يشهها الماء للملك  
فيلس لمعارضة الكفار . غير أن أخطر مشكل كان بواجه الملك الأساسي  
في هذه السواب كان في الأراضي المنحصنة حيث كان اتاع كالن Calvin  
المتصور قد دسوا الكائس وعصوا ثانه . وحلال شهور وتبدلت  
الاساة الأساسية حول ارد المناس . وأخيرا غار الحرب المنددي ماجراءات  
عسكرية حاسمة في الشمال ، ونوحه دوق أليا ( Alys ) إلى الأراضي  
المنحصنة على رأس حرة الثناب الأساسي والاطلس الذين جاؤوا من  
أقاليم الملك في الحر الأسف . ولم سر وقت طويل حتى تعاملت على  
مكت قلب الرقبات تحرر عن حرب « شطة » في الأراضي المنخفضة  
وعن هجومات الحارة الأمكلمر والهولنديين في بحر المانش وفي خطوط  
اللاحة بالمحط الأطلسي . وهكذا في لوقت الذي أحدث فيه لقوة  
البحرية العشاة في السو من جديد وكانت تصع الحطط للمحوم على  
قرص ، كان فلب متورطا تورطا كبيرا في الأراضي المنحصنة ( هولندا ) .

ومع ذلك فإن الدور في عالم البحر الأسف ، بعد سنة 1569 ، بدأ  
بتماعد . وذلك لأن العرب ( المسحي ) قد أبلغ أن سلم التالي قد

بماول ان يماهي بقية تحقق انتصار عسكري سابق يوفيه عنانهم  
 لرحلته المساجد واقامة موكب فارحي لفرحان الانتصار في اسطامبول .  
 ان التجمعات التي اقيمت في مواضع قبرص يدل على انه الدقية هي التي  
 سمع الناس لانتصار ٢٠٠٠ . ولكن عددا تكثفت مراسي بناء السفن  
 في القرن الذهبي على نشاط عر عادي لتجميع الاسطول الشانلي نصم  
 لم يمتد الاساد ، من جهتهم . امكانية ان تكون خلق الراوي او ساطة  
 او سطة او حتى اسبابا نصها من هدف هذه الامادة . وهذا الاحتمال  
 الاخير قد ناكه بان أحد الموريسكيين المتخصصين قد حرص مواطبه ، في  
 يوم عيد الميلاد سنة ١٥٦٨ ، على الثورة في غرناطة . فهل كان ذلك  
 الموريسكي عملا للسلطان ؟ لقد بدأت الثورة بطء تم وصلت المردة  
 والمتطوعون من شمال اربقة ، وانطاع الثوار الموريسكيون ان يفرحوا  
 من العيال وبهاجروا المدن والقرى على السهول . ولا أصبح معروفنا  
 بأن النبلاء لمتسامين قد اقترحوا على الملك الفرنسي بأن عليه ان يمسد  
 اليهم ميناء طولون ، بدت الثورة الموريسكية على درجة كبيرة من الخطورة  
 حقا . ذلك أنه لا يوجد في مواني شمال اربقة ما هو كبير الحجم او  
 مصبا ما فيه الكفاية ليمح لقوة بحرية عمادة كبيرة باستعماله ، ولكن  
 ميناء طولون سيكون ماسا مثل هذه القوة .

وقد تبين ان تلك القوة البحرية التركية كانت مستعمل لاحتلال  
 قبرص ، في صورة ما اذا رفض السادة تسليم معقلهم هناك بدون حرب .  
 ومع ذلك فان الموريسكيين - الذين تنحسوا بالمتطوعين من شمال اربقة  
 وبوابل من المردة التي حمت عن طريق الترععات الشمية في الجزائر ،  
 تلك التبرعات التي فاقت رعات اليلارماي ، علج على - قد أصبحوا  
 أعداء خطيرين قبل نهاية سنة ١٥٦٩ . فكان قلب الثاني ، اندي كانت  
 جيوشه بقيادة دوق آل متورطة في الأراضي المنخفضة ، متحرجا كثيرا  
 من هذه الثورة .

وبنما عبر جماعة البحارة بالحرارة عن تعاطفهم مع اخوانهم في الدين  
 باساييا ، وبعثوا اليهم بعض الرجال ومكسة كبيرة من الدخيرة الحربية  
 فان علج على ورجال الدبران قد اعترقوا بأن الاندلس لا يمكن استعادتها

بدون أسطول غشائي ومعه برية قتاله كبيرة . ولكن ثورة الموريسكيين  
 في سبانيا كانت مبيدة ليلارباني شمال أفريقيا لأنها جذبت القوات  
 الحربية الأسبانية بالأصافة التي جيبها الجيش الأسباني بدي كان قد  
 بقي في حرمين البحر الأبيض . كما أنها أصعب لفتح علي مرصه ذهبية  
 لحدود مد سبيرة بحر الزمر من جديد على ساحل الشمال الأفريقي كله .  
 بعد أنه جهود جبر الدين في جبل روس جزاء من الأمانه من حمله  
 سارن سداسي واستلته على روس . وكان الحصص الأسباني في حق  
 الوادي بالأصافة التي الحكومة المبيدة من أنشأها شاول ، ما يزال كلاهما  
 موجودا في 1569 . وكان الأمير بدي مرصه سارن على التوسيع من  
 عزل ( وصف بده ) من طرف انه قبل هذا التاريخ بتوات ، ولكن هذا  
 لأين قد عقد السلام مع الأسبان وأداء حكم روسي كما قبل والده .  
 وكان هناك في 1569 عند كبير من الناس في روس يرغبون في التخلص  
 من حاكمهم ، وقد وصل عدد منهم سبع على مائتين في مساعدتهم في  
 نفسا على هذا المسد . وان ثورة الموريسكيين ، بشها لحركة الجيش  
 الأسباني قد أصعب مرصه دمه بدم السلفه حراثرة في شمال افريقه .  
 وان لأسبلاء على روس سكور بدلا لأمر آخر هو أن وهران وسلطه  
 فاس في الحرب قد برضا على أنها أقوى من حسن الابتكارة الحراثري  
 في توسعه نحو الغرب .

ولعل ثورة الموريسكيين قد دعت أيضا في حداث الباب العالي فيما  
 يتعلق بمرص . وان ماثلة من السدده وجرها في 570 قد أندرب  
 بأنه سيكون من خطر مقاومة لقصط المثنوي ، وقد ظهر في السدقه ،  
 وسط شهر مارس . مبعوث بركي سطل إعادة مرص إلى السلطان بأعارة  
 صاحب السدده اشترعي على الحريره . ولكن مجلس شيوخ السدده  
 رفض ذلك بأعليه ساقفة ، وهكذا استمدت سدده بالحرب . وبكى  
 السدده لم يكن حده في حله حرب مد أكثر من ثلاثين شه ، فكانت معها  
 ورحلتها وحجراتها صمعه الأسبنداد للصراع القادم . واد لم يكن  
 للسدقة حلفاء لها ستعزم لا محالة .

وفي هذا السطيف ، سمرت شخصيه قوية ، عبرت بحري الأحداث .  
 ومن السدده مية تكوين الصدمة المفدسة الحديدية إلى الداء بيوس

الحاس فقط ، ومع ذلك فان هذا الرجل الحسن ذا الأصل المورس  
والابن العري قد أصبح مركزا لما رآه هو أنه حرب صليبيه جديده  
ونظمي كماله هو متاح مشاعره الفياضه حين قال :

بعد جزء . انظر الى اصولهم المتواضعة ، ولدوا مع الشين Sythians  
في فوغار الهند ، وعاشوا كقطع طرق على هامش العالم . . . . . وشينا فشيا  
ست قوتهم ، وكانت لهم الجراة على الاعتداء على الاراضي المسيحية ،  
واحتلوا سيبيريا ، واستبدوا الارمن ، وحاربوا الاثرايين Thraces  
بآسيا ، وسيلبي كابادوسيا . . . . . وتقدموا كالليل نحو حدود الفرات  
ودخله ، واحتلوا جبل طوروس وجبل امانوس . فابن سيتهي الشره  
التركي ؟ اننا نرى الجيوش العثمانية تصل الى طانيس Tanais والقولقا  
والبرويشم وبحر اليرابي . وبعد أن ابتلعوا آسيا كلها تقريبا . استولوا  
على القسطنطينية واحتلوا اليونان ، وقلبوا نظام الحكم في القاهرة فسقطت  
مصر وسوريا في ايديهم . واحتل سليمان جزءا من المجر واستولى على  
رودس وحاصر مالطة ، واحتل جزيرة شيو عن طريق الغش ، وافتك زينه  
قوانين الأمم انتحك عقيدته هو . ان شرهه في مد طغيانه قد جعله يهاجم  
سلطة قبرص !

ولكن البابا لم يكن مجرد شعلة ثورية يدعو الى العمل ، بل كان ايضا  
دبلوماسيا ، وبرهن على نفسه انه قادر على اقناع فيليب الثاني بأن المصالح  
الإسبانية تتطلب حربا بحرية جديده ضد الدولة العثمانية . وكانت المفاوضات  
على المعاهدة صعبة وطويلة ومؤلمة . وقد انعقدت أول جلسة في رومة  
في الثاني من يوليو سنة 1570 . وأخيرا كانت المعاهدة منتهية وجاهزة  
لتبادل التوقيع الذي تم في الخامس والعشرين من شهر مايو سنة 1571 .  
وكان سبب التأخير يعود جزئيا الى كون البنادقة أرادوا أن ينظروا ما  
اذا كان في امكانهم أن يتوصلوا الى اتفاق مرضي مع الأتراك قبل ربط  
انفسهم ببرنامج عمل سيكون له بدون شك أثر سيء على تجارتهم  
الشرقية . وكان في مجلس شيوخ البندقية « حزب سلام » قوي لا يرغب  
في وقف النشاط التجاري للبندقية . ولم يقرر مجلس شيوخ البندقية

المذكور في الحلف المقدس والحرب الاخذما اقتنع بأنه لا يمكن التوصل الى اتفاق سكر أو بعدد مرمى والخطوة . وكانت أعلى مرحلة بهذا التحالف هي معركة نيباتو .

وبد كسب الكثير على هذه المعركة . دعوها اسمها معركة حاسمة في تاريخ البحر الأبيض - وأصل الحاسم الذي حطم يوه الحرية التركية . ومع ذلك دون كون الأرماده تركية بد صف ، بعد ثلاث سنوات من معركة ليبانو . جيشنا واسلوب على حرس وحلق لوردي من الأساطير أصبح اسبي يمكن استخلاصها بشأن الطابع الحاسم في تاريخ حرس البحر الأبيض أو بالنسبة لأروبا كلها ، دون الأساطير المسيحية في سانتو كان سعا هويبا للسمعة المشددة ، وكان عزمه لغزو ساحة الفكر في كاثوليك ابدا . واساسا ، بالاصابة الى كاثوليك أروبا لتساقطه . وكان قائد البحرية المسيحية ، دون جوان اسكاري . قد عرض على أنه شمل شارب الحاسم الحقيقي ، ويطي جبل من البلاء الساب الدين كانوا يطعمون ابي السمعة والمال . ويسا يذهب العقائد . من حق ، بأن دون جوان هو بطل سانتو ، فان الواقع أن اتجاه غير الشيق وهو صليب الثاني ملك سب ، وكذلك عدسة البابا بروس الحاسم ، بالاصابة الى عدد آخر كثير من ساعدوا على بعصر وفادة الأرماده المسيحية - كلهم كانوا ستركون في مجد ذلك الانتصار .

كان أسطول الحامية المقدسة بطش في بحمه لأنه جاء من سلطان ساسه متعددة ، ولكنه اجتمع على كل حال ، وعرك ثقته بحر البحر الأبيض حيث كان على موعد مع لقدر . وكذلك عالم الأسطول انشأ من مساكل الموبن والايواء ولكن وجوده تحت قيادة موحدة جبل من السهل السطره عليه . ان لقاء الأسطولين قد أفاض به الواضحون خلال القرن السادس عشر وبعده ، ولكن أكثر الأوصاف أثرا ما جاء في مجموعة الوثائق الأسبانية المتحرحة من المخطوطات المقدمة للملك . انها كتابات جمع من الصناعة والمناشره ، وبالرغم من أن كل كاتب في معظم الأحيان لم يشهد في الواقع سوى جزء صغير من المعركة . وكان

رجال الأسطولين قد استعانوا بالله وأكد لهم زعماء دينهم بأن الموت و  
هذه الحركة سيفسح لهم دخول الجنة . وعندما التقت السفن وجها لوجه  
لم يبق الا الانتصار أو الموت ، وكل رجل في أرمادة الجامعة كان عليه  
أن يتذكر تصريح دون خوان من أنهم القضيحة والمذلة . وإذا صدقا  
لديهم وحضارتهم بينما الهزيمة تعني الحرب فان الضباط الأتراك كانوا  
روايات الأسرى الذين أسروا خلال الحرب ان قادة الأسطول التركي قد التقوا  
واثنين من أنفسهم أكثر من اللازم . ان قادة معركة برينيسا أكثر من ثلاثين  
بالمسيحيين وهزم موهم في عدة معارك منذ معركة برينيسا أكثر من ثلاثين  
سنة حلت ، وكانوا يتوقعون أن يكرروا نفس المسرحية . وهذه الثقة  
الرائدة عن اللزوم هي التي يمكن أن تكون السبب في أن كثيرا من  
السر العشانية قد اصطدمت ببعضها قبل الوصول الى الخطوط  
المسيحية .

لقد تقدم الأسطولان نحو بعضهما بكل أهبة . وكان دون خوان قد  
وضع سفن البندقية العظيمة الست في مقدمة خطه المتكون من نصف دائرة  
كبيرة . ان هذه السفن الجبارة التي تحمل كل منها ستين مدفعا كانت  
قادرة على اختراق جانب أية سفينة ، لقد كانت هي مدرعات البحر .  
حقا انها كانت تجر جرا لوضعها في المكان المناسب ، ولكن عندما تبدأ  
المركة فان نيرانها تكون نكبة على الأتراك . كذلك كان الأسطول التركي  
قد نظم في شكل نصف دائرة عظيمة الجانب الداخلي لخليج لياننتو ،  
وكان طرفا نصف الدائرة يكادان من تباعدهما ، يلامسان الشاطئ بصفة  
تعرض الأسطول للخطر . واقترب الأسطولان من بعضهما ببطء ومهابة  
تدفعهما قصدا مجاديف قصيرة . وقد بدأ يتبادلان الطلقات عندما أصبحت  
السفن داخل مجال نار المدفعية . ثم اشتبك الأسطولان ، وتصارعا سفينة  
سفينة ، بينما كان الرجال يندفعون نحو جوانب السفن . ان كل رواية  
شخصية تركت لنا تتحدث عن مأساة القرن السادس عشر في الحرب  
البحرية . فقد كانت الأرمادة التركية مؤلفة من حوالي مائتي سفينة  
حربية وستين غليظة وأسطوانة ، محملة بخمسة وعشرين ألف جندي  
وعدد لا يحصى من الملاحين وعبيد السفن ، والجنادين الأحرار . أما قوة

الجامعة المقدسة البحرية فتتألف من اسس الت العظيمة التي ذكرناها ومن ثلاثمائة سفينه قديمة محملة بخمسة وعشرين ألف رجل و أكثر ، أسبان وسليان ، وأدان ، بالأصاعة الى الريادة المتأده من السيد واحدا من الأحرار والملاحين الذين كانت مهتهم المناورات بالسفن . واداء حرك من قائلة الموتى والجرحى التي قدمت الى مفك اسبانيا بعد المعركة ، دنه من الواضح أن الأسطولين كان يقودهما بعض من حيرة رجال أمتهم . فهناك عدد هام من السلاء وسامي الصناد من الادارة المدنية والعسكرية نكل الدول المتساوكة في النزاع — كانوا من بين المصائب . ومن العجيب أن عددا كبيرا من الشاوات الأتراك والتواد الأسبان كانوا قد قتلوا .

وهناك عدد من الآراء حول عوامل الانتصار . ومن الواضح أن وجود السفن الت العظيمة كان عاملا هاما . ولكن جروا كبيرا من المعركة حاضه رجال في شكل يكاد يكون بل هو في الواقع كان كذلك . صرع البدن للبدن ، لدرجة حملت دون خوان بصر على وضع جنوده الأسبان والألمان والطليل على السفن اليابوية والبدقية ، بالإضافة الى سمن الملك الأسباني والسفن الإيطالية أن هذه الحقيقة هي التي أعطت للمسيحيين فرصة أفضل قللا عندما دخلت السفن في الصراع . يضاف الى ذلك حقيقة ، وهي أن أغلبية الجود المسيحيين والحارة كانت لهم بعض الدروع اشخصه ، بينما لا يكاد الأتراك يتومرون على شيء من ذلك ، وهذا أيضا كان عاملا في صالح المسيحيين . ومن جهة أخرى كان حل الجنود المسيحيين مسلحين بالأسلحة النارية ، بينما الأتراك ، باستثناء عدد قليل ، لا يملكون سوى الأقواس والهام ، والرماح والسيوف المحدثه . وليس هناك من شك في أن الرجال من الجانبين قد حاربوا بشجاعة . وكان يمكن للويس الرابع عشر أن يقول ، انه لا يدري ما اذا كان الرجل شجاعا أو غير شجاع عندما يحارب سفرة ، ما دام كل من الشجاع والجبان يمكن أن يفرق ، ولكن الكتابات التي كتبت عن ليانتر تفيض بالحديث عن الشجاعة الشخصية للمحاربين .

إن الكتابات الكثيرة التي قدمت الى فيليب الثاني تشهد على فظاعة المعركة . فقد حاول المسيحيون أن يوقفوا تقدم الأتراك بغيران المدعية .



ومنك الفئان الحربي في القرن السادس عشر لا يمكن أبدا أن يسهي من  
 طرفي المذهب ، بل أن المثل احاطهم به غالبا ما يتهي إلى المقابلة جسا  
 يصم . أن سعة دون جوان ( دمال ) وسعة الراية للأسطول التركي  
 من امريتا من مصعب في شكل تجاور مجرد المبارزة الرمزية بين الأمر إلى  
 ( القاتلين ) . ذلك أن المقابلة بينهما سم تته ألا بعد أن غررت رأس القائد  
 التركي على رمح كلامه على الانتصار . وأصبحت الراية الكبرى للأسطول  
 العثماني - وهي الراية التي جيء بها من مكة - بين يدي الأمير  
 المسيحي . وقد أرسل دون جوان تلك الراية إلى آل علي ، بيلاريسي  
 على انتصاره . ولا حاح للأسطول الجرائري . انه الوحيد من القواد لأتراك  
 شمال افريقية . يغود الأسطول انصار شخصي أمام الهزيمة العامة .  
 الذي يحا من لمركة لكي يحي تبار انتصار شخصي أمام الهزيمة العامة .  
 فهو لم يهاجم وسولي فقط على سعة الراية لمرسان العديس يوحنا  
 ويحمل رايهم الكثير إلى اسطابول كنهادة على شجاعة هذا البحار .  
 بل انه استطاع أن يبعد عن سمن جوا التي كانت بقيادة دوريا ، وأن  
 يتقود حياحه من الأسطول ( العثماني ) خارج نزاع ويعود به إلى اسطابول  
 دون امات بادی نربيا . ولا يحتاج المرء إلى جميع الكتابات عن لياتو  
 لكي يعرف انه من السداحة اعطاء تفسير عقلاني كامل للمعركة . فعندم  
 تلاعب السمن أصبح تفسر بولسوي Tolstoi للحرب في عهد كان  
 فيه صراع البدن بالبدن مكا . هو افضل طريقة تقريبا لتفسير النتيجة .

وبعد المعركة . اسحب الأسطولان من المرح بدون عمليات أخرى .  
 وهناك من يعتقد بأنه كان على دون جوان أن ينبع انتصاره بالهجوم  
 على ( اسطابول ) قلب الدولة العثمانية . ولكن مثل هذا القدر قائم على  
 الجهل . ذلك أن الأسطول المسيحي كان قد تضرر كثيرا من الحرب .  
 وقد انسحبت فرقة البندقية نحو الشمال لتضد حراصها وتسد  
 النقص في مؤوتها - أما السمن الايطالية والاسبانية التي كان كثير منها  
 يكاد يفرق ، لم تصل إلى مواني نابولي وصقلية إلا بصعوبة . فأى حديث  
 عن هجوم على اسطابول انما يعبر عن جهل صاحبه تماما بأن لياتو كانت  
 حروما فظيعة ، وأن اساميل القرن السادس عشر كانت هشة لا يمكن للمرء

أن ينام بها إلى أبعاد الحدود بدون تعرضها لخطر عظيم . ولدي كان يحتاج الراحة والإصلاح ليس هو الأسطول الشامي وحده .

وحملان السنة الموالية ( سنة 1572 ) ظهر أمل في أوروبا وهو أن ثورته يونانية في الموربه ستطلي مرمه تدخل عسكري ضد الدولة العثمانية . أما الثورته فلم تحدث ، ولكن كان هناك تدخل بحري آخر في المياه التركية قامت به أرماده مسيحية ، أن هذه القوة البحرية قد وصلت إلى أنجر البونية ، ولكن انحصم الذي وأخته هو علي الذي جعله مواهبه الإدارية ومهارته في القيادة حدير ' بخلافه خير الدين . فقد أعاد علي علي ساء الأسطول التركي خلال شتاء 1571 - 1572 . وأصبحت السفن الجديدة على عرار سمن الحارة الحرائير ، فكانت أصب وأكثر تسليحا من السفن المسيحية أو العثمانية القديمة ، وبذلك أصبحت هذه السفن أكثر قابلية للمناورة . ثم سلحها بذائع أثقل من السابق وعبأها بحود مسلحين بالأسلحة البارية . وهكذا أصبحت السفن التركية الجديدة أسرع وأفضل تسليحا من تلك التي فقدت في ليباتو . ولكن عجز علي ثم استطع أن يلحق بالأسطول المسيحي في عدده وفي قوته البارية ، ولذلك رفض التورط في معركة متكافئة . فقد انسحب على الأقل مرتين خلف ستار من الدخان أطلقته أسلحته تاركا المسيحيين بدون هدف ، ثم ظهر لمضايقتهم وتهديد مؤخرتهم . وهكذا لم تسفر العملية البحرية سنة 1572 على أية نتيجة .

ولكن سنة 1572 كانت سنة أزمة ، فقد مات البابا بيوس الخامس ولم يستطع خليفته في الواقع أن يبلا مكانه كروح محرك للنحالف المقدس ، خصوصا أن التدقة كانوا قد بدأوا يفوضون الإمبراك على إنهاء المنازعات . ومن جهة أخرى فإن مذبحه الرومستنت في يوم القديس برتولوميو بفرنسا قد غيرت فحاة محرى العلاقات الفرنسية - الإسبانية وذلك بانها خطت التدخل الفرنسي في الحرب الأهلية بالإرصاص المنخفضة .

وكان البنادقة هي السنة الموالية (1573) في سلام مع الدولة العثمانية ، وكان دون جوان مستوليا على تونس ، لقد كان هجومه

علي موسى سنة 1563 مكررا معوم والده عليا - ولكن اقتصار دون  
 جوان هذا كان نصير الأحد - حيث أن الأسيان كانوا مترددين في مهاجمة  
 موسى أو جزائر - وكما أكثر اضطراب حول ما يصنول بميتهم  
 بعد أن طلب موسى دون مقاتلة عامة - فدار الحديث عن جعل دون  
 جوان ملكا على موسى - ولكن هذا كان يبدو مجرد فكرة أكثر منه  
 مهاج عمل - ومن أن بعد هذه المسألة حطها جعلها الإمبراطور مسالة  
 أكاديمية - هي يونيو سنة 1574 ممر علاج علي وسند لاشا لي موسى  
 على رأس حوالي مائتين وثلاثين سبعة وأربعين ألف رجل - دم جعل  
 صبير حتى حطوا (الإمبراطور) موسى وخلق الوادي - أن هذه العملية  
 كانت دليلا قاطعا على أنه فازع من أن معركة لياسو قد كبرت دوس  
 السلطان التركي عاليا لم نزل دولته .

كان انصار علاج على في موسى وخلق الوادي ماخط التمس في  
 أرجاء وانبود ماله لدولتين متناية والأبائية - وقد أسح  
 فبرناد روديل على أن أصبح كانت اصعب عديس د الوحيش  
 الباسي ، الدولة الإسلامية والدولة المتناية ، من لتراجع على  
 أسس سلام غير رسمي قبل هذه سنوات من حوصلها إلى تلك الهدنة  
 التي أقيمت في أواخر محاسنها - كما أنه بعد أن انمود لتأجيل عن  
 حد الانسحاب هو ندي كان مسؤولا على مدهور الحرية التركية ،  
 ذلك أنه بعد سنة 1580 بدأت ندولة العشاة كلها في ذلك مدهور الذي  
 اسس الثروات الملحة وحوية سياسة لركية - وقد اشتر شمال  
 أفريقيا من الناحية اتية أطلسا عاما للسلطان المتناي ، ولكن سلطة  
 الباب العالي ورغبت في الحرية على نشاط جماعة البحارة الإمبراطور  
 هناك قد اتينا ببط المدهور من الدولة نفسها - ولم يعين ييلارماي على  
 شمال أفريقيا مدونة علاج علي - وقد توفعه الباشوات ، الذين كانوا  
 يرسلون كحكوم في مهنة بدوم ثلاث سنوات ، عن كويلهم شخصيات  
 ماسة وعسكرة - فقد أصبحوا يدهور إلى شمال أفريقيا لجمع  
 المال يدي كان عليهم أن يدهوروا إلى صاطهم - وهكذا كان للهدنة غير  
 الرسمية التي حامت أحبرا بالسلام بين الدولتين في طرفي البحر الأبيض  
 عراف عامة في تطور جماعة البحارة الإمبراطور في الجزائر - وسنرى

ان اساطير المسيح لمدة ثلاث سنوات كانوا غير قادرين او لا يريدون  
 باليد سلطة السلطان الاعظم مسحوا للسلطة الحقيقية في الايالة ان  
 جلب من ابيديهم . وبالإضافة الى ذلك ، غاله ما دامت صناعة البحارة  
 ( في الحرائر ) لم توافق على الهدنة بين الدولتين العثمانية والأسبانية ،  
 فان التدهور السريع للتجارة الأسبانية الذي بدأ في نهاية القرن السادس  
 عشر قد أجبر البحارة على أن يشتدوا الفائم بعيدا عن السمن والسواحل  
 الاطالية والأسبانية . وكانت المتسعة هي أن العرب المقدسة التي كانت  
 ظاهرة القرن السادس عشر قد أحلت في القرن التالي الى صيغة  
 القرصنة .

المصطلح الرابع  
حكومة ايةالة الجزائر حكم السلاسل بايات  
في القرن السادس عشر

ليس من السهل اعادة بناء الطرق التي على أساسها شأت حكومة  
ايةالة الجزائر . وما دام الممثلون الرسميون لم يتركوا لنا سجلات لمسد  
عليها ، فمنح أن يكون مقسمين بـ بعده من مذكرات ورحلات حمرانه  
وانتوا ريج المعاصرة ، وهي المصادر التي ترد في الواقع من حية آمالا  
أكثر مما ترشدنا عما حدث . ويكاد يكون من المستحيل . بدون الكتابين  
الذين ألفهما ف . ديقودي هازيدو . أن نحصل على صورة واضحة عن  
اشطوار الذي عرفته الظلم التي قامت عليها الايالة . اما بالنسبة لتونس  
وطرابلس اللتين لا وجود لمثل هذه المصادر عنهما ، فالمشكل يكاد يكون  
بدون حل . ويبدو أنه توجد سجلات كانت بالنسبة للقرن السادس عشر ،  
بإسطنبول ، ولكن هذه السجلات كانت بالغة الأهمية (الأرشيفات)  
تلكاد تكون منحصرة في بعض الصرائف وحسابات الإنماوات  
التي لا تقدم لنا سوى الحد الأدنى من فهم أحوال جماعة القراصنة  
التركة التي أصبحت هي ايةالة الجزائر . وهكذا لم يبق لدينا سوى  
مرمول وغيره من الحفرايين ، وكذلك الكتاب الأتراك من أمثال مؤلف  
كتاب (الغزوات) (\*) وكتاب (تاريخ الأتراك البحري) (\*\*) ، بالإضافة  
الى عدد كبير من المؤرخين المسيحيين الذين تركوا لنا كتابات عن الملوك

(\*) - كتاب (مروايت عروج وحمر) الذي ، وقد نشره بالبريد المرحوم نور الدين عبد القادر  
في بداية الخمسينيات  
الفرنسية (المرحوم) .  
نظر إلى الكتاب بعد رجوع المؤلف الى ترجمته  
نصفه الكار في سائر البحار بعد أن خلى . (المرحوم) .

(\*\*) - يقصد به كتاب  
نصفه الكار في سائر البحار بعد أن خلى . (المرحوم) .

المصاه الدين سرعان ما قطع رؤوسهم . وأخيرا توصل الى اضمال النسيج (●) الذي كان يحكم مدينة الجزائر ووضع نصب على العرش . وكانت مدافعه ما تزال لا تقوى على صرب حضون المركز الأسابي (المقيمة) في مرسى مدينة الجزائر ، ولكنه كان يملك القوة الكامنة لتوسيع دولته (امبراطوريته) الصغيرة غربا نحو مدينة وهران . ونعى لا تعلم الا القليل عن حكومته لهذه الدولة (الاسرطورية) المصوية . ولكن بعد مقتله (أي عروج) أثناء حرب ضد الإسبان ، قام أخوه خير الدين بالخاق هذه الدولة النواة بالدولة العشائية وأعطاهها هكلها السياسي .

وكان الوضع السياسي في المدن المغربية قد ساعد على نجاح عروج . ذلك أن المدن كانت محكومة من قبل «سلاطين» محليين الى جانب كثير من الأقارب ، ومن ثمة كانت هناك ظروف كثيرة للمنازعات من أجل «العروش» . وهكذا كانت دعوات التدخل محل ترحيب من قبل عروج رئيس القرصان . ومن جهة أخرى فإن هذه المدن الصغيرة كانت أيضا مهددة أو أنها كانت جزئيا مراقبة من قبل الحكام الأسبانيين في وهران وبجاية . ولذلك كان من السهل إثارة شعب البربر المتعصبين ضد أعداء الهمم عندما يكون للقراصنة الرغبة في نجدتهم . وبعد مقتل عروج أصبحت جماعته المشرقية الصغيرة في خطر كبير ، لأنه كان واضحا أن الإسبان سيهاجمون مدينة الجزائر وأن حكومة القراصنة هناك ، التي كانت غير محبوبة من جانب البلدية (الحضر) في المدينة وأضا من جانب رجال القبائل البدو (●●) في الريف ، ستكون هدف هجوم الحميم . وبالإضافة الى ذلك فإن السلطان الحفصم بتونس قد ادعى أنه هو صاحب السيادة على معظم أرض وشعب شرق الجزائر (●●●) وهدد بأنه سينضم الى القبائل لطرد (القراصنة) المشاركة من البلاد . وهكذا كانت

(\*) - يتقدم به سلم النورس الذي يذهب الأحبار الى أنه كان شيخ العشائية التي كانت تحكم مدينة الجزائر . (الترجم) .

(\*\*\*) - لا يفرق المؤلف بين القبايل أهل رواوة وبين القبائل البدوية حتى أنه يكتب في أحبار كثيرة هكذا Kabylie Tribesmen - وأهل رواوة وعامرة Tribesmen . - ولذلك رجحنا عبارة القبائل البدوية أو

Kabylie

أهل الريف .

Algiers

(الترجم) .

(\*\*\*) - يستعمل المؤلف الحرائم east of Algiers يقول :



سياسي في غربي البحر الأبيض ولكن من المحتمل أن الموريسكيين  
الأندلسيين كانوا قد سبقوا إلى ملاحه حاملين شكواهم من الاستبداد  
الأسباني وذلك قبل وصول مبعوث حير الدين بمدة طويلة . وعلى أية  
حال ، فإن السلطان قد أرسل إلى حير الدين آتقي من العود الانكشارية  
كما سمح للجزائريين بتجنيد أربعة آلاف جندي آخر من اناصوليا .  
كذلك أرسل إلى حير الدين مدافع وأسلحة وعتادا حرميا ، بالإضافة  
إلى لعي الباشا وحاكم الاقليم العربي (البيلاوماي) أن هذا القسم  
المسكري والسياسي هو الذي ساعد خير الدين على انقاع الهزبة  
بالمعتدين الأسبان سنة 1519 . ولو لم يتأخر نائب ملك صقلية في  
إرسال جنكه لكان من المحتمل تحطيم جماعة قراصنة الجزائر قبل أن  
تفرع ، ولكنها قد لاحظنا أن الحزب الانكشاري والعاصمة الموحدة  
قد انقذا ( مدينة ) الجزائر وأغرق سوق الرقيق بألاف العود الأسبان  
الذين لم يستطيعوا العودة إلى صميم .

إن وصول الانكشارية مع لقب الباشا لحير الدين قد برهن على أنه  
حمقة حاسمة لمستقبل تاريخ الحرائر . ومن المحتمل أن يكون الألمان  
الأولاد من رجال فرقة الانكشارية المنسوبة هم أبناء الميحيين  
المسلمين الذين وقع أخذهم من منازلهم عن طريق « صرية الأولاد »  
التي كانت عن طريقها تجند القوة البشرية لجيش السلطان ونظامه  
السياسي . أما الأربعة آلاف الآخرون المجندون فمن المؤكد أنهم كانوا  
اناصوليين الذين كانت حظوظهم في بلادهم تقصها ضيقة ، والذين كانوا  
من ثمة ، مستعدين للإصفاء لوكلاء التحد الجزائريين . ولما كانت  
مليشيا الانكشارية الجزائرية قد استقرت في المو عن طريق التجنيد  
من اناصوليا ومن غيرها من الدولة العثمانية ، فإن هذه الفرقة الجزائرية  
لم تعد هيئة لنجبة Elite من عبد السلطان الداخلي في  
الاسلام ، بل أصبحت فرقة من المرتزقة محددة من السكان المسلمين  
بالمشرق . وفي آخر القرن ( السادس عشر ) . عندما سمح للانكشارية  
بالانضمام إلى سفن لفرصته وبخند « المشاركة » ، الذين كانوا إلى ذلك  
الحين يحاربون تلك السفن . في فرقة الانكشارية - سمح أيضا لعدد







في لاسلام سكرهم لاضطهاد الى الاكثارية . ولكن هذا الآخر .  
 صنع حد لجمعته وهي ان لا تكسبه اجر ثمره كذا حصصه .  
 و الاحاب ، است من احده ، الحصر ، اجر ثمرين او من .  
 اعنائى يدو ، كما ان ذلك الآخر ، لم يه لرفع بين الاحاب .  
 وارباب ، ولكنه ادخل عددا لا يساه به من لمجمل سكرهم .  
 عرفة الملبس ، ولا واحد يدل على ان لم يرد من المسحة الاصل .  
 قد رفقوا او حصوا من مستوى بفرقة القضاة ، غير أنهم مع ان  
 قدمو بعض ارجاح انهم كان نامكدهم المحدث بكتاب اوتى  
 والكتابة بها أيضا .

كتاب الجسد عباره عن بركة سكره مصفه في شكل حسن . . مع  
 جوده بصرها بوجدان او جودا خاصا حين تصل الى حد  
 وهذا لآخر ، هو يدى حسن به « سد الحرث الغوى » لمجمل  
 هو لا يمكن الفصل عنه الا من من رؤائه هو كما لا يمكن محاسبه  
 لا من كل معكمه الاثما ، واد حكمه عنه « حوت فلا يمكن ان حوى  
 من الاثامه سمد الحكمه في امام الناس . واد من سورع منه  
 لحرث ربه يحب على جمع اصباح الطريق به . وان كان  
 على صرب او امانه الولدان يصح حانه في حصر . ان هؤلاء هم  
 رجا « حسن الاحلال » انهم نامكدهم ان يأمروا وان يحصلوا على  
 الاحرام من جميع اوضاعهم بحد هذا الاحلال ، وليس من اوصافه  
 كيف كان الاعصاء الاولون من هذه العرفه يسكنون . ولكن على  
 هابو كان بديه الحرار ثلاث نكبات على الاقل ، كل منها يصم حوى  
 ستمائة رجل . وقد قام الناسوان في السوان الاخيره ساء نكبات  
 حذبه لهذه العرفه (1) ويدو ان هناك بعض لرجال الذين كره

١ - هذه هي اقدم الفوارج التي نشر الى المواد المنورة من الاربعه و  
 ٧٠ نكبات المذكورة في هذه اساره الها في الاربعه من سنة 603 .  
 وقد سب حوالى 1571-1572 من من علي القرطبي  
 نكبات من عروء الموجوده في باب عروء ، وقد سب من حوالى 500  
 نكبات القرطبي في باب عروء ، سب حوالى 1599-1600

محبوب - مغارب يحوي كل منها على ما بين يدي من ابي عبد الله - خلا كما  
 محبوب - مد - وكان غلام فقل منهم مبروحين - كانوا - محبوب في  
 - حاضره - المدة - وكل رجل كان يملئ بعبه المحدث من حجر  
 - حب - وهو حواء - يلقى على الوجدان كذا يلقى على الأمان -  
 وكان صغاهم يحضر في مطابخ حاضره ، وهو عديم - وكان -  
 - حب - ما كان نوعه - وكان لباس الانكاري مبرح عن غيره -  
 - من - لباس رشف ولا على الشئ - « ان سادة الجرشير الافرنج  
 والمجاهدين كانوا في الواقع يمسكون عنه منه أكثر عنه ارفع  
 لا عنه - سلاء - كما كانت أوروبا معهم هذه الأشياء - ولكنهم كانوا  
 يسمون بالاحترام والحب من قبل لاسي الذين حولهم - كما كانوا  
 آمنين الى حد ما من الناحية الاقتصادية - وكانوا لا يهتمون بالخطر  
 لافصادي الا اذا صرت المصلحة كامل المدة - وهم في هذه الحالة  
 كانوا يدفعون عن انفسهم - كما حدث سنة 1579 ، ضد لغزو وذلك  
 بالمطهرات والمحبوم على محارن العداء في المدة ، بل حتى على مبرح  
 الباشا ومنزل القواد - (ج)

بعد كانت فرقة الانكشارية منظمة تنظيمًا ديموقراطيًا - فمن الناحية  
 نظرية كان كل بولداش يحمل عصا الأعاء معه عند تصحيح انكشار -  
 وكانوا من المثلث ومن ان يصعدوا من صف اولداتش الى صف اوده دشي  
 ( اسرجان ) الى صف بولكاشي ( لكتان ) ، الى صف الأعاء ( لكونوسر ) .  
 وسدوا ان هناك عددا من الرتب والأماكن التي لم تملأ بالأقدمية وحدها ،  
 بل لقد وقع فعلا أن « الديمقراطية من خلال الأقدمية » وقع تحويرها  
 احدا لا استبعاد مرشح غير محبوب - وفي زمن لاحق هناك رجل به يصعد  
 الى رتبة الأعاء لأن لفته الركبة كانت ضعيفة ، وآخر لأن اسمه روحته

رأى - بكه الأسطى موسى ، سنة 1674-1675

حبيب - بكه بدروج ، 1694-1695 ، انكه - بكه -  
 1660-1661 وسبها اقدم ما في كثير من المحلة الامريقية ، مد 3 ،  
 من 130 يوما حدها

\* - رحما بكه - caid - بناء جمع مبادا - اما مبرح دانه الذي يلى المنزول  
 على بصوة فقد حطمت من الحارة - - -



٢٠٠. بعض الأندلسية قد روجوا من أبناء حم تروان وحم  
 بعد أن أصبحوا هم كرمه حرائر بني كات من بني لا أندلسية  
 وحضر بلاد أندلسية . وكان من خطبي أن تصحح كرمه في سبع  
 سنة أدبهم وأما رثهم . ولكن أغلظ الأندلسية . بني كات  
 عربا ومغاربة . وكانوا عارفين على سعاد في بلادهم  
 في شبان القرمه من قرمه . وسرى أن حد الموقف حد الذي في  
 نوره كرمه في أوائل عرب سبع عشر كذا أدى في بلاد حرمه  
 أكثر تشددا فيما يخص الكرامة .

ووجود كثرة من رجاء غير المروحي أدى بعد ذلك في حبس  
 مسكن أخلاقه . وبغيره فوات هبدو بني كات حسن الاستماع في  
 لاكتبييه ( كانت أوائل كاتين أريدوا عن لمحاه في بلادهم  
 أصاب ولا حفة النور ولا ثوب الخير . وفي صحارو مما سبها  
 ونكهم عملوا معون على أشاعة حياء أعمى . وعصايج . وكاتب  
 ديوبهم سئل في السدود الحسنى ونداره . فكدوا من ساحة  
 حنية صاحب يدخلون ثوب النساء دوت سبها بسوخته كات  
 شاع عنهم أنهم يعمنون على عرب . أصاب لمحبين وسهود . وكانوا  
 متهمين بايحاد الطرق التي يوصلهم إلى أسر أو ثوب الأرقاء  
 المحبين لا شاع نهمانهم الحسنة . ومن أوضح أن بعض  
 المذكور ( هبدو ) قد هزبه هذه الأمور . ولكن شهادته قد أكدته في  
 عدد من المرات ملاحظون آخرون في مدينة حرائر خلال نفرون  
 ابانة . مما جعل شهادته نسب قد تكون صحيحة .

ويعني ذكر الأحرار لفرقة لاكتنارية قصة حادة أثناء العهد  
 الذي كانت حكومة الحرائر في يد البيلارباب وحفائهم . ذلك أن  
 البيلاربابات أنفسهم كانوا من أعباء القراصة الذين كانوا يملكون  
 باسمهم الحاصل أسطولا صغيرا من السفن التي كانت تخرج بحسب سحر  
 الأسن وصدقه المسحية بحثا عن الأرقاء وحبائهم .

وبالإضافة إلى الضرائب التي ضحوا من أهل البربر : عرب  
كان من رعيهم ، فإن هؤلاء الحكام لم يكونوا يجدون مبرر  
لذلك من ضرورة دفع حور بدو ضريبة مدد من لأشهر  
سرواج من سبعة إلى عشر إلى إحدى كبرياء بعد أمرهم .

إن ضريبة في رعي الأحرار لا تكسارية بعد مهرب فيما بعد ، فليس  
أصبح ضريبة في رعي كل ثلاث سنوات بطرود أي مصلح كونه  
حصة من ثمر . لذلك ولأنه . عند دفع كبرياء دفع الأحرار  
من الحكومة حرائر . وقد كان مصلح هؤلاء ضريبة لا يمكن  
تخفيف أي جزء من أسطول بترصة . وكانت دجوبه موقعة من  
سببه في عائلته في سببهم حسب خصوصية الشخص . من  
حسب الحاجة بعده . وهكذا أصبح أكثر من أحرار الانكسارية لم  
المهود الإحقة أي من ضرائب المفروضة كنوع من بحرية على سكر  
الأرض . وكان حدود تولدش أنفسهم «نكسورة الأرض» دجوب  
امداد كمؤولين على جمع الضرائب من رجال العدل . وكانت هذه  
بحولات لا تحذف عن الحساب الأساسية التي كانت ضمن من بعد .  
الأشياء كانت أهل منها نظام وانظام . ومع ذلك قائما كانت من تحت  
العرب لأنها كانت حصة عراب وحصة بعده . إلى حد خاص  
من رجال القائل الرحاء وشبه الرحاء على اذنه بحرية الحكومة .  
ويكنى في بعض الأحيان حضور فرق من 600 إلى 800 نكتاري  
مرفوقين بفرسان الصابحة وحياة من القائل اسمعة بعد لاقب  
« الصحايا » بوجوب دفع الضريبة . والواقع أنه قبل أن يعلم رجال  
القائل البربرية والبربر اسمعان الأسلحة البرية ، كان من اسمعة  
أن تتسلط فرقة مصر من الانكسارية على السكان الأهدى رعي هو  
هؤلاء عليهم في العدد كثير .

وبالإضافة إلى فرق الانكسارية كان لحكام الحرائر في القرن السادس  
عشر بحارة يجارون في سبي القراصنة وكانوا يقرضوا تحت تصرفهم . وقبل  
أن يصح حير الدين جماعة القراصنة تحت حماية الباب العالي ، كان

لحدود سرقون والاندلسون وسكنى العرب العربى ابدى بول  
 ثم دبت البحرية هم الذين شكلون حد ايمود لغوى عبود سمي  
 لفرصة . وكفى بحلول نصف القرن السادس عشر . عدد كات عدد  
 كبر من رياس البحر هم انفسهم من المبدى عن المنحة . كان لحد  
 ايضا تصمون عددا كبرا من حيد لمحبي ساعين . غير ان هؤلاء  
 انحصارهم هم يكتونوا مطمين في قري عكره ولا يسمون بروس  
 ثابته . لحد كانوا في انواع مطوعات ثابته للرئيس ابدى سحره من  
 وكان سعيهم في السائم التي يحصلون عليها اثناء الانحصار هو كل  
 حوائجهم . وقد كات هذه السائم من التومرة وصبغة بحث حب عند  
 ابولداثر لهم . ولعل ذلك هو الذي كان السب . وبو حرق . في وجود  
 انحصورة بين العربين ( الانكشارية والحارة ) . ونحن لا ندري  
 عدد الرجال الذين كانوا عتقد في البحر . ولكن المعلومات يدل على  
 انه عند منتصف القرن السادس عشر كان هالك على الأقل ثمان وثلاثون  
 غلوطة ، وحصة وعشرون سمة امريقة ، بالاصافة بي عدد كبير من  
 المراكب الصغرى ، كلها كات عاملة خارج الماء الحرائرة . وهذا يؤدى  
 الى الانتاح ثابته كان يوحد على الأقل خمسة عشر الف رجل يارسون  
 عمل القرصنة باسم الله .

ان هؤلاء الحارة الشرقيين والاعلام كانوا في الغالب في رابع مه  
 فوق الانكشارية . واشهر مواجعة حدثت سعيهم هي التي رفضت فيها المنسبا  
 ( الانكشارية ) الساس لمعين السلطان ، محمد كرد وعلى المصروف  
 ( بطاكارى ) ( هـ ) بالبرول على الارض الجزائرية ، كدبل لفاشا ابدى  
 احتاره الانكشارية بانفسهم . فنحن نرى ان الحارة الذين كانوا  
 مؤيدين من قل الخنود والحراس الذين يحملهم كرد وعلى ثابته على  
 سفنته ، قد تسربوا الى مدينة الجزائر في جنح الظلام وتغلوا على حرس  
 الانكشارية وأسروا ثم أعدموا زعماء التمرد .

وفي مسائل أخرى نجد النزاع بين الانكشارية والحارة الشرقيين  
 قد تسب فقط في اضطرابات في الشوارع أو في الحانات . وكان هـ



يرجع في حق لغز السادس عشر قد أخذ عندما أمر محمد باشا شيخ  
 بحر بصرى لا يكسره كحدود على من سجن الفرصة على مبدع  
 المساواة مع اسخاره ، وفي هي الوقت تجد اسخاره آخر وهو مدس  
 نصباء اسخاره الرقص والإعلاج الى صفوف جيش لانسلا  
 والفتح نفس حقوق والاسرار اسي كات لدى هذه الفرقة . وقد  
 محمد سدده دي غرامون De Grammont بأن سرع بين  
 اطرفين قد اسمر كمن هام في صور الاناله الحرثية . ولكن ان  
 ابواقع لا تؤيده الحقائق . ان الشكل المبرر مع فرقة الانكساره ان  
 سئل في ضروره البحث عن القود لكي يدفع الى اعصائها كلما يصح  
 عددها . وقد يكون يصعب في السواب ساله . اما شارب الذي  
 حوليان صرح ذلك بان دخول الرقص والإعلاج كان عاملا في تدهور  
 الفرقة . بعد ان هذا رأى لا يشك ايضا امام الحقائق الصارحة ، مادام  
 يعرف ان اعظم ايام الفرقة اخر ثرة كات خلال الصف الاول من  
 عن سانه عمر وذلك عندما كان عدد الاعلاج بالمقارنة الى عدد الاثراك  
 واشرفين اكر من أي وقت مضى .

ان فرصة رياس كانوا مستفيين في منطقة بحر محكمة سمي ( الطائفة )  
 وما دام كبار اللاديات وحفائهم كانوا هم انفسهم قرصة رياس  
 وبسكون العلومات ولا يربقات المعرة ، فان الطائفة كات سارس عسبا  
 سعاون وثق مع الحكومة التي تدير شؤون الجماعة العثمانية في الجزائر .  
 لقد كان الرقص محبوسين من الشعب ، وهم الذين يوفرون اشروة والشهرة  
 لجزائر ، وهم الذين يؤمنون القوت للمدينة عندما نصرب الجماعة خربت  
 في مكان آخر . وكان سحاؤهم قد منح نفعة خاصة الى المجتمع كله .  
 غير أن لا نجد دراسة حادة عن هذه الطائفة ، كما لا نجد سجلات وثائقة  
 عن تطورها . ومن الواضح أنه خلال معظم المرحلة الأولى من القرون  
 السادس عشر كات الطائفة بدون شك تحت سيطرة اللاردي ، أو  
 حليته ، الذي يحكم الجزائر باسم السلطان . فخلال هذا العهد كانت  
 الطائفة حقا واقعة تحت رقابة تامة حتى أن واحدا منها كان قد وقع اعدامه  
 لأنه عصي أوامر السلطان في عدم التعرض لسنة فرنسة . أما اثب ،  
 انما ن الموال فان الماشوات لم يكونوا قادرين على ممارسة هذه الرقابة .

وخلال انقول ساريس حشد تلك هذه البحريين حرسه .  
 مستحقون ، تحت تصرف الناس في بحر تر . وكان مصيرهم بعد ان  
 بدمية ونقصهم كانوا يحدون بدمية بدمية . وكان هناك حشد  
 من الفرسان ( او اعدائهم ) الذين كانوا في سائر الامم .  
 ليس من حدود الاسكندرية . ما من المحدثين من الذين . بعد ذلك بدمية  
 مبعده اوبه بلمسوا دورا هدا في العلم المبدية الاله . وكان حشد  
 فرقة مسلحة من الاندلسيين تحت بدمية . وكان هؤلاء الاخرون .  
 الاندلسيين محددين ايضا في حرس سلطان دس . وهم بدمية . اهل سائر  
 افرقية كانوا يعرفون استعمار الاسكندرية . من اهل ان كذا .  
 هؤلاء الاخرون كانوا صامعي اسيرة فاساوي مصداق صلاح في بدمية  
 بحرائر وعمرها من المدن الافريقية . ولعل حرس الذين قد سمعهم بحر  
 اسفونه بفرقة بالاصافة الى حاجاته العسكرية في بحرائر .

ومن جهة اخرى بعد فرسان من البربر او من الغرب الامسيين امد في  
 خدمة سلارباي او كخلفاء في الحملات كثيرة اذ حشد او انه انما  
 الاساسية على السواحل البحريرية . يبدو ان هؤلاء بحرسان كان  
 بحرهم اضعف في الهب . ومن من الواضح ان اسلاربايات او حشد  
 كانوا يدفعون لهم اي راتب مظم . في سنوات ساسة لبحر السادة  
 عبر كان الشاوي وقادهم ( اي القادة مكرمين ) ببحر  
 مسطرة الفرسان من الاهالي كبحر حاضرين سوا . كان ذلك انما .  
 « عروايم » لجميع الفرائث ومعدية الثوار . او في سارعايم مع الاساس  
 والتونيين والمراكشيين .

وهناك ايضا انواع اخرى من الفرق العسكرية عبر رسمه في حشد  
 ما . ذلك انما بعد مثلا فرقة كاملة من البحود الاساس الذين اسروهم  
 حاولوا الابيان احتلال مستعانة . قد صفت منهم ان يبحر عن دسهم  
 ببحرناوا لصالح الدشا في مقابل حرسهم . عبر ان كل هذه الحشود  
 ( من وظيف الفرق العسكرية المختلفة ) ببحر حشود من لاسعد  
 على فرقة الاسكندرية .

[illegible]

وإذا كانت هذه التعميمات لوطقة البيلارمى تدو قد تمت الأساس  
واضح . فإن معرفة القاعدة التي كانت تتم بها تعيمات الباشوات الحظاء  
تدو أكثر صعوبة . ذلك أن معظم هؤلاء كانوا ضباطا قراصنة ، وكان  
حوالى نصفهم من الأعلام ( المرتدين عن المسيحية ) ، أما باقىهم ففد كانوا  
من الأعرىق أو العرب أو الألمان أو الأتراك . فهذا أول خلفية ، وهو  
المحضى حس ، كان من صائغ خبر الدين وقد كان فى خدمته منذ عهد

سنة ١٠٠٠ هـ وهو حينئذ من حرم من حرم بني نصر  
 من صومعة بصرى وكان في سبب اللاحقة كان هذا حصه من  
 رضى بن بدي كان كثيرا من الناس والذين جاء خدمه بصرى على  
 طريق صرصة لأستاذ وبدي محمد بن الشيخة واسمها في بلاد صرصة  
 بمصر . وهناك آخرون . أمثا حسن فرج ، أو غرب أحمد ،  
 أو محمد باشا . كانوا من صائغ ومعدوي . بلادي على على .  
 وسواها قد حارب العاده أن السلطان موافق على من منى الولاية .  
 ومع ذلك فاما بعد أن مصالح كثيرة من اسود كانت تدفع تأمل هذه  
 التفتات .

وقد سهرت بعض المشاكل كمنجة لجهود الانكشارية في التدخل في  
 شرفه بين الدشا . وان سادح اموصى التي سطره سبوك هذه المرفه  
 خلال القرن السابع عشر قد سهرت أول مرة بعد وفاة صاحب بن بالاحون  
 امام وهران وأمر السلطان برفع لخصم عنها . فقد تحب دونه  
 لانكشارية حلقه القائد . حسن قورصو . يكون ذات الحديد . ومن  
 خلال كل الوثائق انه لما يعرف أن حسن قورصو كان شخص مفصلا  
 جدا عند الحدود . وكان رجلا يتبع بالظمو . والعداء . ولكن سبب  
 نص أن يحضره الآخرون بالمرشح لاثوية لحرثه . ومن جهة أخرى من حسن  
 قورصو بامان الاقليم الشرقي والمرتقى في الجزائر برفص الساس لمعين  
 السلطان ، محمد كردوغلي أن يرسل في المراسم الدفعة لهما . وفي هذا  
 الظرف تدخلت طائفة الرياس بالاتصال بمحمد كردوغلي وعملت على  
 إدخاله الى الجزائر لئلا تتأسد من القرصنة لشرق وانبجاء الجزائر  
 الذين كانوا على من سعيت .

وهكذا ، فان الانكشارية قد فوجئوا بدهم وكاموا غير قادرين على  
 المقاومة . وقد حاول حسن قورصو أن يدعى بأنه من هو الملام على  
 ما حدث ، ولكنه لم يستطع أن يهرب من حكم الاعداء ( بطريقة ارمى  
 علو الصانير الحديدية المثبتة في أسوار مدينة الجزائر ، وهو موب  
 قطع حتى بمقاس القرن السادس عشر ) . ومن سوء حظ محمد  
 كردوغلي ، فان حسن قورصو كان له أصدقاء كثيرين استطاعوا التماس



حين قد نعت نفسه من الاكثارية عند سالف حصار مدية وهران .  
رثا كتبه ، منهم كانوا قد فسروا في هذا الهجوم على لم مع الاكثارية  
حين ان يدعي بكونهم كانوا مبغضين من ان حين قد تعدد وجه  
وربما في معدته حبه الهجوم على يدموا شس هادهم . . وكان عند  
هجوم قد فشل لأن طلب الثاني . ملك اسبانيا . قد عرف كيف يعيد  
نوره بحربه معوقة رد لها حين .

و . هم ديوان لاكثارية بعد ذلك ثوره اخرى ضد سلطه . بلاسي .  
ولكن في أواخر القرن عندما أصبح أحد خلفاء علي على ساعه حصار .  
مضاع الاكثارية بوصول شكواهم الى ديوان اسبطن و حصول  
عقد مرد هذا سائنا لمصوب عليه . ويدو من كلاء هادو . انه كان  
على عجز على ان يدمع رشوة كبره لاقاد صعبه من معبر اكثر سوء  
مير طر . . ومع ذلك فحين بعد هذا برحل قد أصبح قد بعد حذقة عجز  
علم في سر نلس . ان كل ما نحن متأكد من هو ان ديوان الاكثارية  
خلال ذلك العهد كان قادرا على الحصول على مطالبهم من الباب العالي  
وذلك بمرل الشا غير المعروف به ، رغم انه لم يكن قادرا على أحد  
الأمر بين يديه . على أن نلاحظ أنه في آخر القرن عندما لم بعد سلطان  
يصبح مصب البانلارماي الى أمراء البحر القراصنة الذين كانوا أصبح  
ماشوا في مؤسسه الحرية ، بل أصبح سبحة الى رجال ساسي  
اقتمارين أو الى المحظيين في البلاط . فاننا بعد سلطة لديوان داجرائي  
قد لمعت سنا سلطة الشا والباب العالي قد تدهورت . وهكذا فان  
الجمائر في آخر القرن السادس عشر جاءت لعكس مرض التدهور الذي  
بدأت في أوصال الدولة العثمانية نفسها .

ان هناك فرقا كبيرا بين استيلاء الاتراك المشاركة على شمال افريقية  
على يد عروج واخوته والتدخل الاساسي أثناء عهد فرديناك واوراسلا .  
وهو ان الاسبان قد اكتفوا بانشاء مقصات أو حصون على الموانئ الرئيسة  
سما حائل الإثراك حكم الأهالي في داخل البلاد بالإضافة الى المبدن  
الداخلية وحطها تحت نفوذهم أو على الأقل تحت سادتهم . وإذا حكمنا  
من الوثائق المتوفرة فان جميعها تثبت أن الإثراك كانوا مكروهين من

وهي تسمى "جورجيا" من حيث أنها من بلاد  
 التي تسمى "جورجيا" من حيث أنها من بلاد  
 التي تسمى "جورجيا" من حيث أنها من بلاد  
 التي تسمى "جورجيا" من حيث أنها من بلاد  
 التي تسمى "جورجيا" من حيث أنها من بلاد  
 التي تسمى "جورجيا" من حيث أنها من بلاد  
 التي تسمى "جورجيا" من حيث أنها من بلاد

وقد كانت حدودها الجنوبية هي الأكثر مسموعة في القرن السادس عشر  
 من حدود تونس لخصص كان يحكمهم ، بناء على التوافق التاريخي  
 الذي ساد على معظم مدن ومناطق الواقعة بين مدينتي تونس  
 وجرجة . وكانت أول حملة حمر الدين بساعده الأثرية هي لأساسه  
 في سنة 1534 . وفي السنة الموالية كان أنصاره من  
 حمر الدين قد نجح في إخضاع الأساسه فتمتة وهي أساسه مقبلة  
 في حلق الوادي بسطيط حمر الدين ، وتكون قاعدة لمصالح . ثم أعاد  
 في سنة 1534 ( حمر الدين ) حمر الدين المقصود عليه . وبعد عدة سنوات قام من  
 حمر الدين "الده" ، لكن كان عنه أن يصل هو أيضا بالحمام الأساسه  
 بطر وجود القاعده في حلق الوادي . وفي نفس الوقت استولى حمر الدين  
 حمر الدين على بونة ( غامه ) وبعده من الأساس ، كما افتتحت الحربية  
 تركية حمر الدين من حكم برسان القديس بوجا ، ولكن قاعده حلق  
 الوادي لم يبق حمر الدين في وجه السلطة التركية . ولم يكن درعوث قادرا  
 على السيطرة على الوصح في المهدية ( التي كانت تسمى أيضا المهدية )  
 إلا بعدة حمر الدين حلق الوادي ، والسبب في ذلك يعود الى أن ذلك الحمر الدين  
 ( حلق الوادي ) ، بالإضافة الى مالملة وصقلية ، كان يصح للأساس موقعه  
 حصصا في وسط الحمر الدين . وقد بنى الوصح على ذلك الحمر الدين  
 سنوات السبعين من ذلك القرن حين استولى عليح علي على تونس باستدعاء  
 من المماليك والقبائل الذين كانوا ساحطين على حاكمهم الحمر الدين . ولكن  
 دون حمر الدين استطاع أن يستعيد مدينة تونس بعد ذلك لأن حلق الوادي  
 كانت ما تزال في الأيدي الأساسه . وبعد سنتين من معركة لسانتو استطاع  
 عليح علي ، باعتباره أمراة الحرية العثمانية وبالناراي شمال المهدية .

أن يسولي من جديد على مدينة تونس وأند يسولي ألب من حين  
 لآخر . وقد دلت على نفس تونس في الأندلس بخاصة ، ومن بعد  
 . نحن مائلين بشا في الجزائر ، وذلك لأن على على . ومن  
 ألب الأندلس بشا في الجزائر ، وذلك لأن على على . ومن  
 حرب هذه لألب الأندلس . في الأندلس بخاصة ، بغير  
 محبة وهي الطور التي أدت في أحيان كثيرة إلى رغبت مسحة وما  
 بها .

أب الفتح العربي للمنحاز والمالط بربرية وحرية في وسط بلاد  
 العرب كآمر أهاما في تطور الألب الجزائرية . وهذا حسن من بحر الدين  
 هو الذي يبدو أنه كان مسؤولا على تقسيم هذه الفتوحات إلى ثلاثة  
 أقسام ، وهي الأقاليم التي تحت المودج الملح في حكم دواخل البلاد  
 من قبل به الفروسة التركية . وفي المنطقة الغربية كان « بيبك »  
 الذي يضم المدن ذات المراسي في الشرق الجزائري « بالإضافة إلى إقليم  
 الكبير من بلاد رواوة ، وهما سو عاس وكوكو » . وكان « الحدود »  
 بيبك من السلطين الجزائرية و « توبة عامية » وكان تعديلها بيبك من  
 حين لآخر عن طريق عمل عسكري . وكان بيبك الشرق الذي أسفر في  
 قسمة بدر شؤون اقلية مساعدة خاصة من الانكشارية والقادر الدين  
 كانوا يحكمون باسمه . وكان الباي وفاده مسؤولين على تقديم مدفوعات  
 منظمة إلى السلطة المركزية في الجزائر ، وهي المدفوعات الماسة ( الصرية )  
 التي يجمعونها من الاقليم . وكانوا في المال قادرين على جمع أموال  
 كره تكفيهم لتأمين ثروة خاصة بهم كما تكفي لدعم مستحققات الباشا  
 والديوان في الجزائر . وكما هو الشأن في كل حكومات العثمانيين  
 فما قبل عصر الصناعة فإن الطريق إلى الثروة والعس كان يمر بتولسي  
 المناصب الساسة والعسكرية .

وكان ولاء السكان الخاضعين في مختلف الاقاليم ( المالكات ) عبر  
 مؤكدة . وفعلا فإن السيدين لانفريدوشي Lanfireducci وبوسس Bossi  
 عندما اقترحا على الأسبان الاستلاء على الجزائر ، قد أكد للملك أن أهل  
 القائل كرهون الأكرال بدرجة كبيرة حتى أنهم سيسلمون إلى المحاكمين .  
 وأن « الصنائع التي قدمناها من أن هؤلاء البدو يمكنهم بوفر ثلاثة آلاف





رأسه . . . نور في رعدة . . . في رعدة . . .  
سنة . . . مصر . . . في رعدة . . .  
سنة . . . مصر . . . في رعدة . . .  
سنة . . . مصر . . . في رعدة . . .  
سنة . . . مصر . . . في رعدة . . .  
سنة . . . مصر . . . في رعدة . . .

وكان أحد قلم في الإله . . . في رعدة . . .  
( بك ) . . . في رعدة . . .  
وكان سكان هذا الإقليم في مصر . . .  
دفع مصر . . . في رعدة . . .  
كما أنشأ عدة حصون وجعل فيها حراسات عسكرية . . .  
نقط من الإقليم . . . في رعدة . . .  
( لا يحاور سمائه رجل ) . . . في رعدة . . .  
غير محدود من فوسان الأهلي الدين كثر من حرمه . . .  
مأجورين لعدة مشروعات . . .

وهناك إقليم آخر من الإله حكمه الله . . .  
لقد كان اسمه إقليم مسحة أو دار السحرة . . .  
إساحلة المسحة بين دلتى شرق وشرشان . . .  
شريط داخلي ضيق يمتد خلف الساحل . . .  
انكشارية وعين فنادا في المدن لكى يضمن ولاءها بنظام الحكم . . .  
هذا الإقليم في أعلاه يمكن الوصول إليه من بحر سمارة . . .  
الركة كانت بسا في وضع آمن . . .  
حلف المدن كانت ، مثل تلك القبائل في الأقاليم الأخرى . . .  
من أنفسها وكانت عالما لا تحصى لسطره حكومة الشا . . .  
البابى سيكون على حاكم الجزائر أن يعترف بأنه لا يستطيع أن يحرسه  
فيله على تسليم الأسرى الدين وقموا في قصصه تنحه عظم سنه . . .

سنة كانت معدودة بعد يوم بمرورها التي كان عليه أن يحضرها  
لردع زعيم قبيلة معاند.

ن طريق الجبل في هذه كل المعية المؤلفة من سادات وادب ومن  
والسبات والامداد، والمدن، والوحدة بصفة، كانت ترد في حانة المعبد  
حقا. ان دعوات المصنعة كانت في الأساس مستندة من جهة الى  
كان هناك مدعيان اسلامان ( المائكي والعمي ) ولكن معهما نصيب  
ومعقول، من جهة لظفر في قصا الأراك، ومن جهة أخرى لظفر في  
قصا بعة السكان المسلمين. وكان جود والصدى يحصون خطر  
دنيا والدوران في انحصار الى يوم المنس. أما حصصه من الخايب  
المدينة والمائل التحارب والبلوك الحاشي الذي يهيم اليهود. انما في  
فان اليهود كانت بهم محاكمهم الخاصة بما كانت بسبب في محاكمهم  
قاصلمهم. ان الحكم المسلمين قد اعترفوا بأن شريعة القرآن لا تطبق  
على غير المسلمين.

ولكن ينظم الناشا - بايلارباي أو خلفه - ان يطبق هذه المنطبات  
المعقدة، فانه كان الى حانه عدد من المساعدين الباعين حوالى سنة،  
وهم: اميرال تنتحه طائفة الرياس، وآغا من الانكشارية بصفه  
هذه الوظيفة عن طريق الاقدسه، وآغا من الجنود الاحتياطيين، بصفه  
الناشا بصفه. وكان لكل ناشا مساعد ( خليفة ) يعاونه على عمله.  
وبالاضافة الى ذلك كان هناك ايضا كنة وتراخمة ومعهوثون لحصل  
الأوامر ونقل السلطة، وأمين مال ( حرناسي ) يسهر على الأموال. وكان  
على رأس كل اقليم ( بابليك ) ناى يعينه الناشا وساعده في الحكم قد  
يتتمون بوضع مدنى وعسكرى معا. وكان هؤلاء الرجال مسؤولين على  
نظام الحكم في الاقاليم. وكان لكل مدينة حكومتها التقليدية التي يرأسها  
في العادة شيخ البلاد أو رئيس البلدية، وديوان للمدينة تتكون في العادة  
من اعيان الاعنياء من المواطنين والرسميين. وفي المدن الرئيسية  
كانت هناك حامية انكشارية لحراسة المدينة وضمان ولائها لنظام الحكم.  
وقد حرت العادة أن وجود عدد من الانكشارية من ثلاثين الى مائة رجل  
تحت امرة قائد يمكنه ضمان الطاعة. وكان « القانون » غالبا ما يتوقف  
عد حدران المدينة، وذلك لأن أهل الادية الرحالة أو شبه الرحالة كانوا



## عصر الحداثة حداثة الأدب، تجربة القرن السابع عشر

ما الذي ذكره في مقدمة في سنة من سنة 1820 ،  
 «عصر الحداثة» في سنة من سنة 1820 ،  
 حتى صار محكوماً بأن عصر الحداثة هو عصر الحداثة ،  
 مثل هذه المفاهيم لا يمكن أن تكون ، أي أنها لا يمكن أن تكون  
 بدون الأرونة في تعريفها ، مع أنها كانت الأرونة ، لا  
 أوتش الدرس كان على أن لا (\*) ، حركته قد جعلت الأرونة  
 مد آمد طويل سبعة مشوهة ، أن الفصل الأول من سنة  
 معهم كانوا ، دائمة شعرون بهم بهذه الأوصاف ، هؤلاء ، وحده  
 « هؤلاء الأرونة » و « هؤلاء الأرونة » هؤلاء ، وهذه  
 من التمييز التي لا تقل شأناً ، وقد كتب رابطة أحد هذا الفصل  
 عنهم « أنهم ليسوا بشيء ، أنهم ليسوا بشيء ، أي « أن  
 حياتي فيها لهم ... » وهذا ملاحظون آخرون كتبوا في حكمهم  
 الحرائر بأنها « جمهورية من قطاع الطرق » وأن مؤسسها كان « ... »  
 علاطاً وبراره ، « وقد أسر الذي للفصل لا يخفى به 732 أن  
 « الحزائرين (\*) » عبارة عن جماعة من المنردين وأه مطابعهم .

ومن السهل أن يتجرى في نوع هذه الصورة ، نرد الصور من  
 الرسائل والكتابات والكتب التي كتبها المعاصرون الذين عاشوا ، تحت

\* - الآية مريحة نظمة Regency وقد من السيرة في بعض الكتب ،  
 سبق وأسم الفخ ، وقد جعلت اسمها الفخ الأول ،  
 \* - واضح أن الذي بعد ما « المعارة العشوائية » وليس على العر  
 المترجمة .

الحكماء . ولكن قبل أن نعمل بمفكره العائنه بأن جميع حكماء مدن  
أفريقية كانوا قد شكلوا نقاب واحد ، يجب علينا أن نتذكر بأن مغربنا  
كانوا أمسا موجرين من حذريه مع حكومة كانت غالبا ما تبدو حكومة  
موشوية ، أو أمسا كانوا أوفاء أو رحالة حاووا الى شمال أفريقية  
بأفكرهم المحية المسفة . والواقع أن القليل فقط من الكتاب المسلمين  
كان لهم أى تعاطف مع ثقافة العالم الاسلامي ، ومن سوء الحظ أن الكتاب  
المسلم الذين كان يمكنهم تصحيح انطباع المستر ، وهو أن الطام السياسي قد ابلات  
وهكذا فاق نقاب مع الانطباع المستر ، وهو أن الطام السياسي قد ابلات  
شمال أفريقية غالبا ما جاء بأفاس غلاط الى مواقع السلطة . (1)

ولم الواحد غالبا أن توقع من حكماء الافالة الجزائرية أن يبالوا  
هذه السمة عبر الطة فقد ابحدروا من صفوف الانكشارية ، ومن  
باس القراصنة ومساعدتهم ، ومن الإصلاح الدين رموا بحطوط مع جدعة  
القراصنة . فقد رأينا أن حجر الدين حصل على حق تحيد حدوده من  
أراضي السلطان ، وقد استمر ذلك الى نهاية القرن الثامن عشر حين كان  
حكم جزائر يرسلون بوكلاء عنهم للتخيد من الشرق وحث بقومون  
ترغب الشأن لصبغوا سادة « سامين وأقوياء » كأعضاء في فرقة  
الانكشارية . فكان أولئك الوكلاء يحدون رعاة البقر والنصوص  
والمبودين من اهاليهم ، بالاصافة الى صيان ريسين خيرين وأبرياء  
إلى لهم مقتل في ملاذهم . ولم تكن ثقافة أهل الجزائر لتؤثر على  
هؤلاء النسان . ومن ثمة فانه اذا كان الحظ ، أو الإقدمية ، أو الحظوة ،  
أو النظارة الساسية أو مجرد انقلاب يحمل أحدهم بصعد الى وظيفة  
الأمنا أو الداي - الباشا ، أو حتى الوظائف الأقل شأنًا في الدولة ،

1 - ان جهود فيشر Ficher من تصحيحه هذا الانطباع مع منه نوع من الخدمة  
المتداخلة التي اصعب متارا للسيرة في وجه الأدلة الكثيرة . فقد استمد كن  
التعاليق الناعمة على أساس أنها أحكام مسفة ، كما نصك باي نص منه مدح  
وحاول أن يصر منه قاعدة عامة . فكانت السجة أن كتابه جاء لا يقل حساسة من  
أكثر نقاد الجزائر معاصرين . أنظر كتاب فيشر أسطورة بيلدريه - الكسورود ،  
1957 .

2 - رغم أن المؤلف يناقش مستر على دعامه من التعارض في الجزائر فانه لم يسلم من  
خطأ مما أجد منه رصه . المستر .

وورثهم بعده ؟ من أين معهم ؟ وكان الإصلاح ، المرسوم من  
 المرحوم ( في عهده الأكبر ) لا يخلوون كثيرا في المستوى ، ثماني  
 عن المحدثين من الأوصياء ، أو سوربة ، أو دلتانيا ، ذلك أن أكثر  
 من كانوا قد وضعوا في أيديهم الفراسة ، وكانوا من شدة تعاليمهم  
 الانصاليين أو الأسان الذين اسلموا سيرة عن دينهم المسيحي واعتنقوا  
 دين أسادهم ، وهناك آخرون منهم كانوا لاختر من بلادهم لأسان  
 محلقة . ولكن القليل منهم فقط حملوا معهم بعض العلم ، أو  
 الذي يرفق من عادات الأرض التي سبوا ، وبدوا أن معظم الإصلاح  
 كانوا يشاركون أحوالهم المسلمين في عدم صحة ، أو حتى في كسره ،  
 المسحة ، ولكن قلة منهم كانوا قد احتفظوا ببعض الانصاليين عائلاتهم  
 في ابطال أو غيرها على السواحل الشمالية للبحر الأبيض . وهناك حالة  
 مثيرة في هذا الصدد ، وهي أن أحد الإصلاح التونسي حمل عائلته  
 نصيح تربية عن طريق تشط العلاقات التجارية في ايطاليا وسن  
 السوق التونسية .

أن الولدائش الذي وصل إلى الجزائر بأعصاره مجدا حديدا في القرن  
 السابع عشر قد يكون « السيد العالي المقام والقوى » الذي يمكنه أن  
 يعرض الاحترام من المدينة ( الحضر ) والمسيحيين واليهود ، ولكن يمكن  
 لنا أن نسميه « العزيز المدلل » . فقد كان قد أعطى ملابس لا تختلف  
 في نوعها عن تلك التي أعطيت للرقيق ، بالإضافة إلى بدقة وطقان  
 ومهدين ، ولكن كان متوقفا منه أن يدفع ثمن الأسلحة من آخرته ،  
 أو يحب عليه ، إذا رغب في شراء غيرها من الأنواع الأكثر جودة ، أن بعد  
 تلك التي أعطت إليه ، وكان الولدائش في مدينة الجزائر يعطي حصة  
 يومية من الخبز المصنوع من القمح ودقيق نبات كالثعير Rye ، أما  
 إذا خرج في خيام للقيام بغزوة لجميع الضرائب فإنه كان يطعم الأرز والكسرة  
 والمرق وطق البلاف ، و أي طعام اضافي يرغب فيه كان عليه  
 أن يدفع ثمنه من حيبه . وإذا كان غير متزوج فإنه بعد المست المعاني  
 في إحدى الثكنات ، أما إذا كان متزوجا فالتوقع منه أن يرعى مصالحه  
 الخاص . وماذا عن أجرة الوليدائش ؟ أنه من الصعب ترجمتها إلى عبارات  
 حديثة ما دامت الأشياء التي قد يرغب في شرائها أو دفع ثمنها كانت مختلفة

تدعى عن الصانع المرغوب فيها لدى المستهلكين اليوم . أن الولداني  
 كان يبدأ بأربع عشرة مؤونة كل شهرين قمرين . وكانت أخرته تزداد  
 بالافدسة حتى تصل عددا يكون آغا أو حتى داي الى أكثر من مائتي  
 مؤونة كل شهرين قمرين . ومن الصعب أن تقدر قسمة المؤونة بقسمة  
 العنة الحديثة ، ولكن اذا أخذنا في الاعتبار كل الوثائق والأدلة المسكنة  
 فان مبران الأحور كان شخصاً . معنى بالمقاييس الجزائرية كان من  
 الواضح أن ابولداش يحد أخرته عالما غير كافية . ورغم أن الطعام كان  
 رخيصاً في الجزائر ، فان شراء الولداني لأعدية اصاعة كان يكلفه ثمناً .  
 كما أن تسيلاته في المعمر والحانة والشارع وكانت تكلفه الكثير من دخله .  
 ولذلك كان لبولداش يحد عالما من الصرورة أن يضم الى حيلة سعرة  
 للقرصة كعدي من أجل الحصول على سهم في الثنائيم ، بل كان يضطر الى  
 ادرة حانة أو العمل كصاحب حرفة لسد حاجاته .

ولس هناك طريقة مؤكدة لسطر عدد الرجال في امركة الانكشارية  
 السرائرية قبل منتصف الثامن عشر . وان سجلات هذه امركة في المكتبة  
 ابولية الجزائرية لا تقدم لنا سوى معلومات ضئيلة عن القرن السابع  
 عشر ، ولكنها تقدم لنا معلومات دقيقة عن سنة 1745 . أما بالنسبة  
 للمهود السابقة فليس لدينا سوى تفصيات مطلقة من قبل أدس عاشوا في  
 مدينة السراير ، وهم حين يتفقون يكون الرقم قريباً من صحة في العال .  
 فحسب جبر الدين الأول من المشرق لم يضم أكثر من ستة آلاف رجل ،  
 ولكن بحلول نهاية القرن السادس عشر ارتفع ذلك العدد الى حوالي اثنين  
 وعشرين ألف رجل . ونحن لا نعلم نسبة الأعلام ولا الإثراك الشرقيين  
 ولا الكراغلة في ذلك الحين ولكن المحدثين الشرقيين هم كانوا ، بدون  
 شك ، هم الأعسة . وبهاتية القرن السابع عشر وجدنا أرقاماً تدل على أن  
 تلك الفرقة قد انخفضت الى حوالي اثني عشر ألفاً ، ولكن هناك من  
 المصدر ، التي قد تكون أكثر صحة ، ما يضع العدد بين أربعة عشر وثمانية  
 عشر ألفاً . وان أول رقم صحيح عندنا ، وهو مبني على قائمة دفع  
 الأحور لسنة 1745 ، يعطينا عدد 9322 من أعضاء عاملين و 2575 أعضاء  
 متقاعدين . ويتفق برادي Paradis مع هذا الرقم بالنسبة للربع الثالث  
 من القرن ( أي حوالي اثني عشر ألف رجل ) . وفي أوائل القرن التاسع



منه . . . من بعد من هذا من غير من هذا . . .  
 . هذا الذي يدعى "Bible" قد وضع الرتبة في ثمانية آلاف .  
 ما حين ومن بعد من أي الحرار سنة 1830 بعد كان الرتبة حوالي  
 25000 بعد من كانا صالحي لأي عمل . وكان الدلائل بحلول ذلك  
 الوقت . قد أصبحوا معصدين بطريقة مرادة على معصدين بقوله  
 " الإحصاء " من صنف الرتبة الأصلية .

وكان مرة الإحصاء . من أوائل القرن السابع عشر . على العموم  
 مؤسسه دسوهراطة . فكل تولد إلى وصل إلى الحرار كمحدد جديد  
 كان يمكن أن يطبق لمصاح آغا الصرب أو عاش طويلا حتى يصل إلى  
 هذه الوثيقة ، وكان العبدى السط الذي يسمى عندهم ( سكلار )  
 ترقى إلى رتبة كوربورال ( عرف ) إلى بصرون عنها ( أودماشى )  
 الذي يعود مرة من سنة إلى عشرة رجال . وكان الأودماشى يسحب انقباضه  
 ( الكاسانات ) الذين يسمون عندهم ( الولوشاردية ) وكان بإمكان  
 هؤلاء قادة الفرق أو القام بغير ذلك من الواحات . وكان الاعا ماشى  
 متخرجاً من صف الولوشاردية . وكانت هذه الرتبة ( الآغاناشى ) محصية  
 لعدد محدود لا يتجاوز الأربعة والعشرين رجلاً ، ولكن ما دام آغا القبرين  
 متخرجاً من صف الآغاناشية ، فإن مدة الخدمة المخصصة للآغا قد قصرت حتى  
 كان هناك على الأقل ستة تصابات لها كل سنة . وكثير من الكتب  
 بصرون على أن الحركة داخل هذه الرتب ، من سكلار إلى الآغا كانت  
 تقوم فقط على الأقدمية . ولكن هذا غير صحيح تماماً ، لأن تعليم أن  
 هناك حالات وقع فيها تعاوز الآغاناشى من قبل أمرائه ، كما وجدنا حالة  
 وقع فيها انتخاب الآغا . وأن الأسباب التي قدمت لذلك التصرف قد  
 لا تبدو حقيقة لأنها أحياناً تبدو مزيفة . غير أن القول بأن المعصدين  
 الانكشاري كان يحمل رتبة الآغا في طيات ثيابه عندما يصل إلى الحرار  
 هو قول يكاد يكون صحيحاً . وكان المشكل الذي يواجهه هو أن يصل  
 طويلاً حتى يصل إلى سن التقاعد أو يسمى عتيد ( معزول آغا ) . ومن  
 ثمة يصبح صباغياً ، أو حديباً متقاعداً ، أو ربما يكون حتى مستشاراً  
 السلطة التي تحكم الإمالة .

ر مدد بخدمة بلوند من كات معنده . وحس مددا الى الحدس  
 . سوى ب حور شكلها فقط . حتى وانل عرف اشمن عر ( وهو  
 امهد من ملك في اصل الولد ) كان لونداش يقوم بالخدمة خلال  
 به واحد ما الى المعسكر وان الى الحية ( المحلة - الامحال ) التي  
 كات بصح الصرايب . ثم يعطى سنة تفرغ ( حرة ) اذا استطاع ان يؤجر  
 احد ، ثلاثة لعل محله . وكانت الخدمة العادية شاقة جدا . حتى مدنة  
 بحر . كان الحود العرب يصون في التكتاب . ولم يكونوا يمارسون  
 أي نوع خاص من التدرب أو التمرين . فهم كانوا مستعدين فقط  
 لخدمة الإغا أو الداي . أما في معسكرات الأقاليم ( البليكات ) فان  
 الانكشارية الذين سراج عددهم بين المائة والثلاثمائة كانوا يورعون  
 على مدن مختلفة بسا عدد صغر منهم يورعون على الحصون الموحدة  
 عبر الطرق الرئيسة . وكان المنتظر من هؤلاء الحود الانضمام الى  
 حملات جمع الضرائب . واذا كانت الظروف عادية فان حياة « الإخوة »  
 بعد حياة مسعة في حملتها . فليس للولدش أن يهتم بشيء سوى أسلحته  
 البدفة والسف ( القطان ) والمدسان ، ذلك أن رعاية حائه موكولة  
 للرفق وأهالي البلاد فهم الذين يمتنون بصيانة الخاء والحقائب  
 والتموين . واذا رفض العرب أو البربر دفع الضرائب فانه كان على  
 الحدي أن يحارب ، ولكن حتى عندئذ فانه ما دام الانكشارية يحملون  
 معهم في العادة مدافع صغيرة قابلة للحمل فان ذلك كان يعطيهم فرصة  
 عظيمة للتغلب على أعدائهم . وكثيرا ما دعت فوقة الانكشارية للحرب  
 على الحدود ضد تونس أو فاس أو وهران ( اسبانيا ) ، أو لردع ثورة  
 خطيرة قامت بها إحدى القبائل . وكان استدعائهم الى تلك المهمات  
 متوقفا على رغبة الداي في الغنية أو الضربة أو في اقلم حديد . وكانت  
 الانكشارية في قيامها مثل هذه المغامرات مرفوقة بفرقة احتياطية من  
 المسان الأهالي . وقد انتهت بعض هذه المغامرات نهاية سيئة بالنسبة  
 للانكشارية . فهؤلاء أهل كوكو قد حصلوا فيما بعد على الأسلحة النارية  
 وتعلموا الحرب في المارك المفتوحة بالإضافة الى وضع الكمائن للفرق  
 المنتشرة . وقد أصبح شائعا أن الحود الانكشارية كانوا يلجأون الى  
 حجة الداي عن عرشه على اثر هذه الهزائم . وهكذا تعلم الدايات في

منه من سنة ١٨٠٠ في حدوده من ربح بعضهم في ربح مع  
هؤلاء رعايا انطونين .

فرقة الانكشارية كانت ممتدة من الهند ، ولكنها لم تكن ممتدة  
في سوريا حتى في حدود لاروسه سنة ١٨٠٠ في القرن التاسع عشر .  
دلت ان هؤلاء كانت كانوا يحاربون على حربه بدون أي طريقة حد  
ممتدة ، فاحود انوداس كانوا يصنعون بطرقة تكدر يكون عوائده  
ويطعنون النار من بينهم كما يسلطون . وكانوا ، يساعد المدام الصغير  
لعينة في يديهم ، ينفذون عالما على جموع انفسان الأهلية . ونحن  
نعرف انه خلال القرن الثامن عشر كان هناك بين عشرة وحدة عشر في  
المائة من هذه الفرقة يستعملون الحل كما يحبه بقيادة آغا خاصا بهم .  
وكان هؤلاء أيضا عموما غير مصطنعين . فيما كان الفرصة في البحر  
قد تعموا حوض المراكب البحرية على الطريقة التي كانت تطور في أوروبا ،  
بعد المشاة لم يلقوا الظم العسكرية التي تسبب بها حتى الى بولس  
Le tellier ، ونوفوا Louvain ، وماريه Martines وأحمر فرديريك  
الكبير .

ورغم عدم الانصاف الذي ظهرا أن تتوسع من المشاة ، فإن فرقة  
الانكشارية كانت وقيت أهم قوة عسكرية في الإيالة الى العهد الثاني  
من القرن التاسع عشر . كما أنها لعبت دورا خطيرا في التطور السياسي  
للجماعة الحاكمة . وقد عرفنا من دراسات لمرّة البيلارنايات أن فرقة  
الانكشارية حاولت عدة مرات فرص إرادتها على الإيالة ، مرة حين أصرت  
على ترقية واحد من ضباطها الجبّيين الى منصب الباشا ، ومرة أخرى حين  
طلبت أن البيلارماي ( رغم أنه كان ابن خير الدين العظيم ) يجب عليه  
أن لا يسلح الأهالي كقوة عسكرية منافسة لهم . وإن هذه المحاولات  
الأولى للسيطرة على الحكومة قد فشلت لأن السلطان كان قويا ولأن  
رجال البحر رفضوا تأييد الانكشارية . ولكن خلال القرن التاسع عشر ،  
عندما ملا منصب الباشا رجال أقل فعالية وندهورت سلطة سلطان حتى  
في المناطق الشرقية من الدولة ، فإن فرقة الانكشارية الجزائرية كانت  
قادرة على بسط سيطرتها بشكل واسع جدا . وكانت أداة هذه السيطرة

هو يدور أو المجلس أحد من . . . كان مجلس في يدو . . . مسؤول  
 لا . . . . . ( جمع كلمة )  
 ( الدب ) الأربعة . بالاحاطة إلى الإحياء الندي . . . وكان رئيسه في عديم  
 انهم اسامع عبر هو باشا وآغا الصبرين . . . يرى أن يدهور سمة  
 «بأنا خلال النصف الثاني من القرن قد أعطى الفرصة إلى الدوا أن في  
 المسطرة على الحكم . وقد استطاع أحدا أن يحدد الباشا من كل وراثته  
 ما عدا الدور الرسمى التكملي .

وكان القواعد التي تسر عليها اجتماعات الدوا أن مسطرة جدا . فليس  
 هناك عصب يسمح له بحمل السلاح منها كان نوعه . وكان هناك حراس  
 مسلحون لابقاء النظام . ولا يسمح أيضا لأي عضو أن يستعمل مضمة  
 يده في أي غرض محسوس وكان العقاب على ذلك بالموت . ولكن كان  
 مسوحا له أن يصر عن شعوره باستعمال أقدامه اما بالحيط أو بالركل .  
 وقد كاد أحد الفرنسيين يقتل عندما ركله أحدهم في الدوا . وكانت  
 المناقشات كلها تحري باللغة التركية . وكان المترجمون ينقلون ذلك إلى  
 العربية أو العربية وإلى اللغات الأوروبية عند الضرورة . وكانت الكلمة  
 تعطى للتكملي حسب الأقدمية أو المكانة رغم أن الممارسة الفائلة تبدو  
 في أن المتكلم نقود إلى ضجة من الصراخ من قبل المجلس . وكانت هذه  
 الحلقات تدور فوصوية للغاية تتحة هذا الأجراء . وكان الإحاث الذين  
 حضروا الحلقات غالبا ما اقتحموا بأنهم كانوا يتعاملون مع أناس متوحشين  
 وعبيبين وعاطفين . وتدل النواهد على أن الزعماء كانوا يستعملون  
 ذلك الأجراء لاطهار أهمية برامجهم واسكات أي نوع من الاعتراض .  
 وكان هذا الأجراء يبدو للرجل الانكليزي إجراء غير معقول . فهذا  
 مثلاً فرانسيس بات F Knight الذي قضى عدة سنوات بالجزائر  
 في الرمن الثالث من القرن السابع عشر كمملوك . كان قادرا فما يظهر على  
 مشاهدة اجتماعات الدوا . وأن النص الذي أورده عن الأجراء  
 التي سير يقتضاها جدير بالذكر هنا .

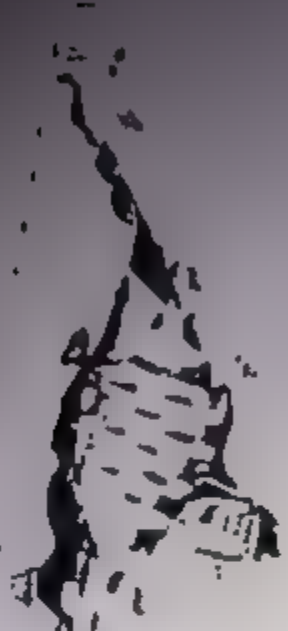
« كانوا ينفقون في صفوف . وكانت الكلمة تمر عن طريق شاوش ،  
 وكانوا يتقافون بالأدراع أو المناكب . ويتصايحون كما في حالة العصب

أو كالمدره التي تحلى كلها رادها لهيب النار ... وكان لهم خريفه  
حكبه في عادي وفوح ما لا يحمد عباد . هم مسوعون معا مانا . وحب  
طائفة اعصى العنوبات . من شرب الخمر أو أي مشروب قوي قبل حضور  
الجلسه ... وكذلك كانوا مسوعون من حمل حجر الى هناك ...  
ان هذه الحكومه لا يوجد لها منيل في مكان آخر من العالم ...  
( انظر ترانس نات . ص 403 ) .

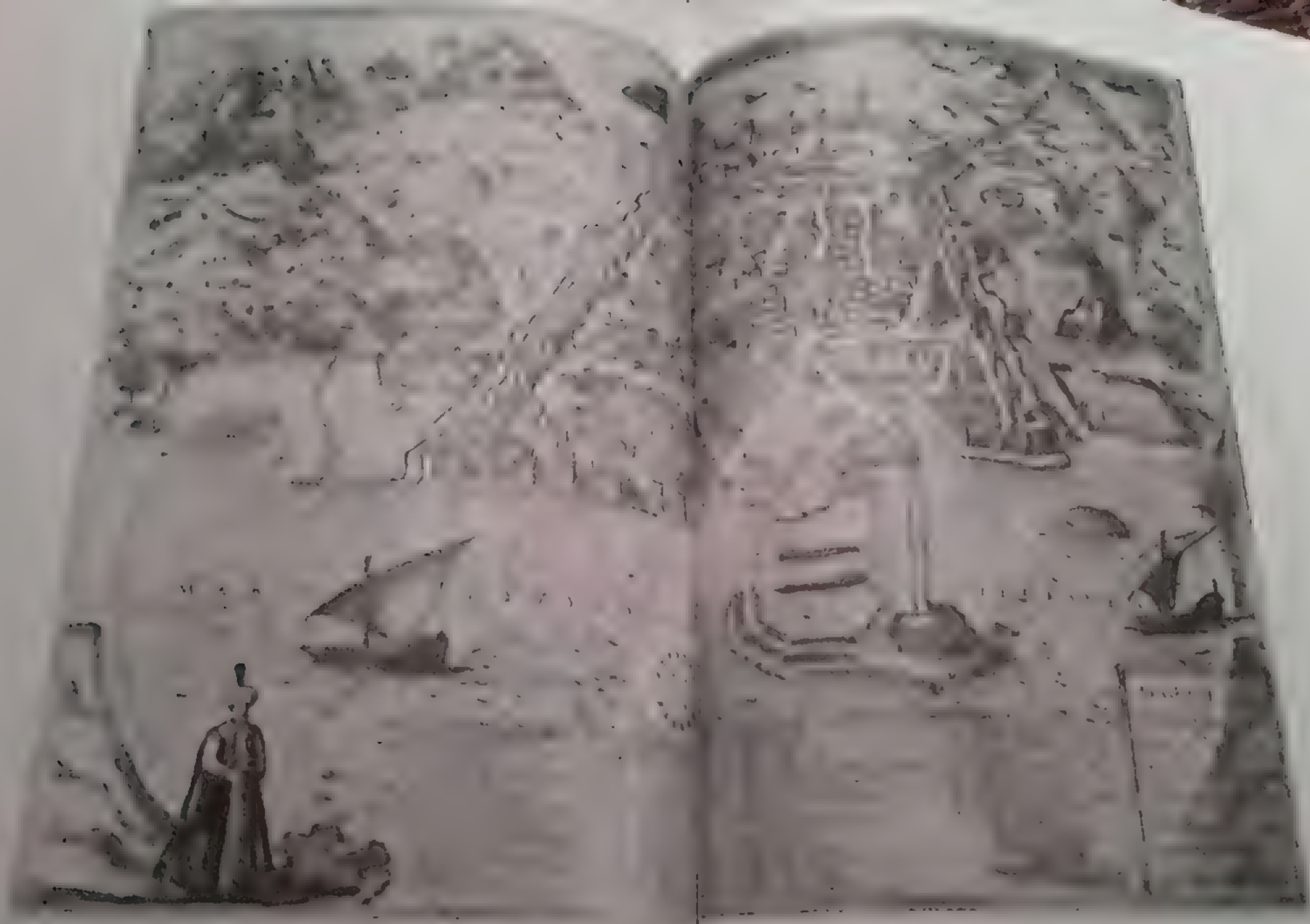
غير اما لا تعلم الا قليلا . خارج كتابات الأرقاء والرحالة والقاصص  
الذين ليس لهم سوى معد محدود لاجتماع الديوان ، من أعمال هذا  
المجلس الداخليه . وهناك ما يؤيد بنسبه الراي الذي يقول بأن اغنياء  
رئيس البحر وملاك سفن القرصه كان لهم تأثير كبير على اتحاد القرارات .  
ولا سيما تلك التي سلق بالحرب والسلام . كما اننا نعرف ان داخل  
الشرق نسمها كان هناك جماعات ( كليك ) بزعمه رجال اقوياء . وكان  
هؤلاء هم المسؤولين في الغالب على اغتيال أحد الأغوات أو أحد الوزراء  
والعلم كانوا يلعبون دورا بارزا في توجيه قرارات المجلس .

وكانت المطالبات الحقيقيه للجنود والتي يرضونها على حكامهم .  
متطلبات بسيطه نسبيا . ان مطلبهم الأول والأكثر اهمية بدون شك هو  
ان يدفعوا لهم اجورهم فورا كل شهرين . فاما لم يدفع لهم اجورهم  
يصبحون خطرين . وكان ذلك هو ما حدث للباشوات الذين أرسلوا  
من اسطانبول لمدة ثلاث سنوات . هؤلاء الرجال كانوا في الغالب مهتمين  
فقط بجبي الأرباح من بقائهم في الجزائر لكي يواجهوا بها مستقبل  
حياتهم في الشرق الأكثر حضارة . ولم يكن بينهم دفع اجور الجنود ،  
ونتيجة لذلك تسرب الجنود تدريجيا الى السلطة ، باستعمال الديوان  
كأداة الى النفوذ ، وهي السلطة التي كان البايلاربايات قد خصوا بها  
خلفاءهم الباشوات . وهكذا استولى الجنود ، من باشوات الثلاث  
سنوات . على مراقبة الخزينة العامة وأعطوا ذلك الى الأغوات تحت  
اشراف الديوان . وسرى ان هذا التطور لم ينجح أيضا . فالباشوات  
أصبحوا عبارة عن مسؤولين « شرفيين » ، ولكن الأغوات هم الذين

# ALGER



مدسة الحرائر والطبيع الشد من السرج السحري الى الرئيس حميدو  
( مكتبة بيل - جامعة منيسوتا )



مدينة الجزائر من مخطوط الماني يرجع الى حوالي سنة 1550  
١ مجموعة فيوليت - باريس

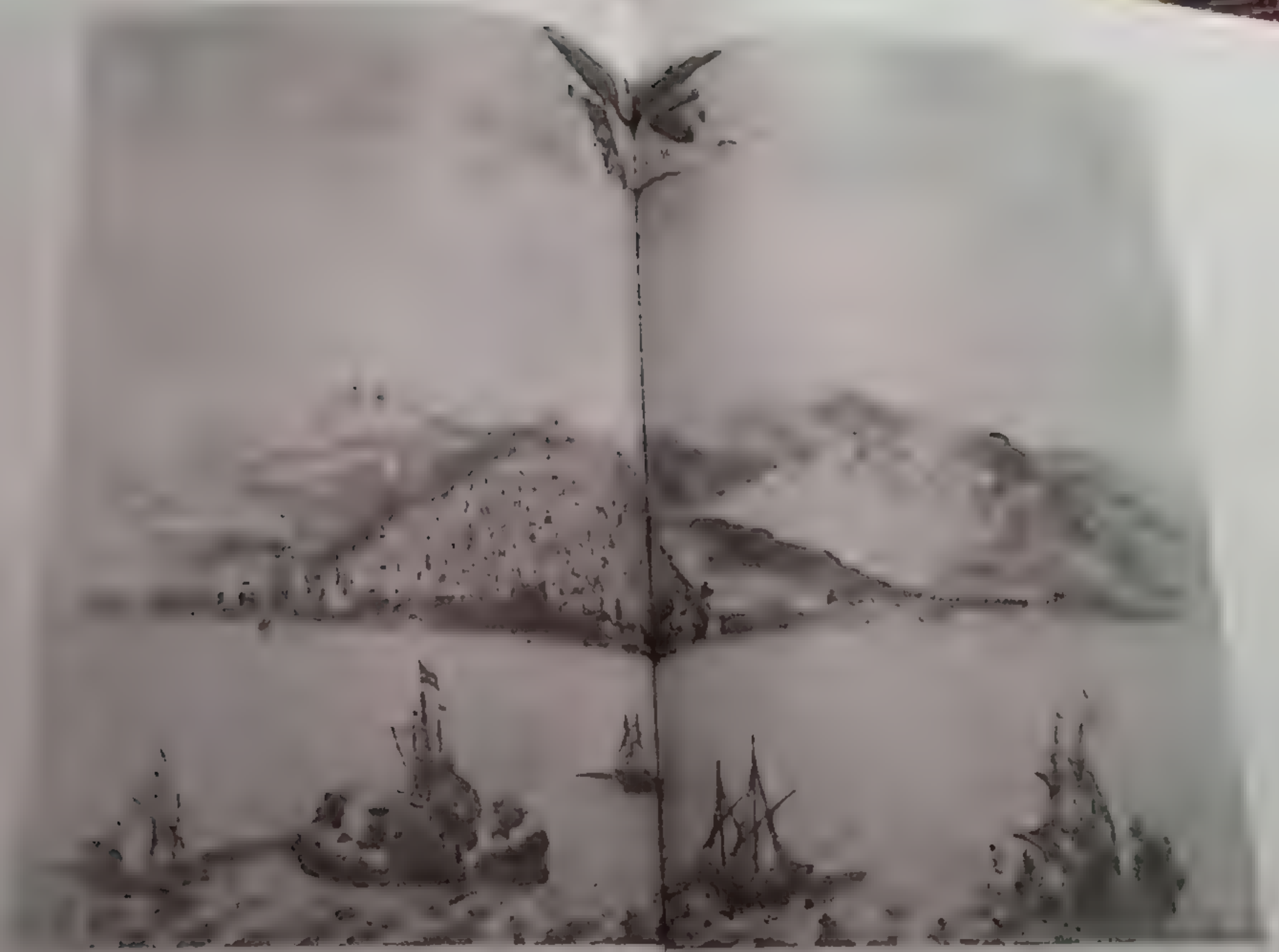




مدینه خیر و آباد است بر مشهور هوای خیر و آسایش فراوان  
 و در میان شهر و روستا و دریا و دریاچه و دریاچه و دریاچه  
 و در میان شهر و روستا و دریا و دریاچه و دریاچه و دریاچه

از مدینه خیر و آباد است





مدى العرائز . مطر احد من مطوخ هولندي يعود الى اوائل القرن  
١٩ : لاحظ ان السمر دان الصواري الطويلة قد اصبحت هي السمر  
العربية المهيمنة في هذا العهد . ( مكتبة بيل - جامعة منيسوتا )

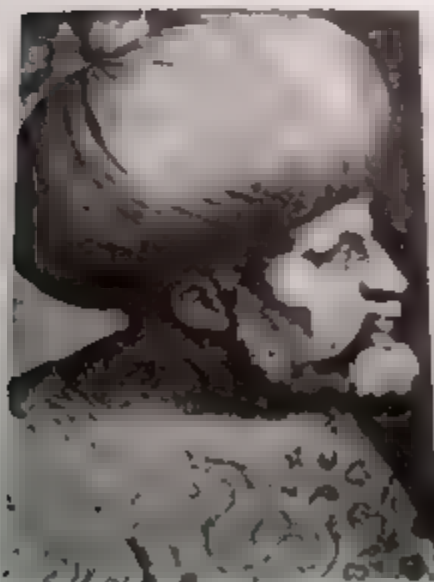


شاهرو ماقاري



امير دوراني

مكة بويري - صور سكاو

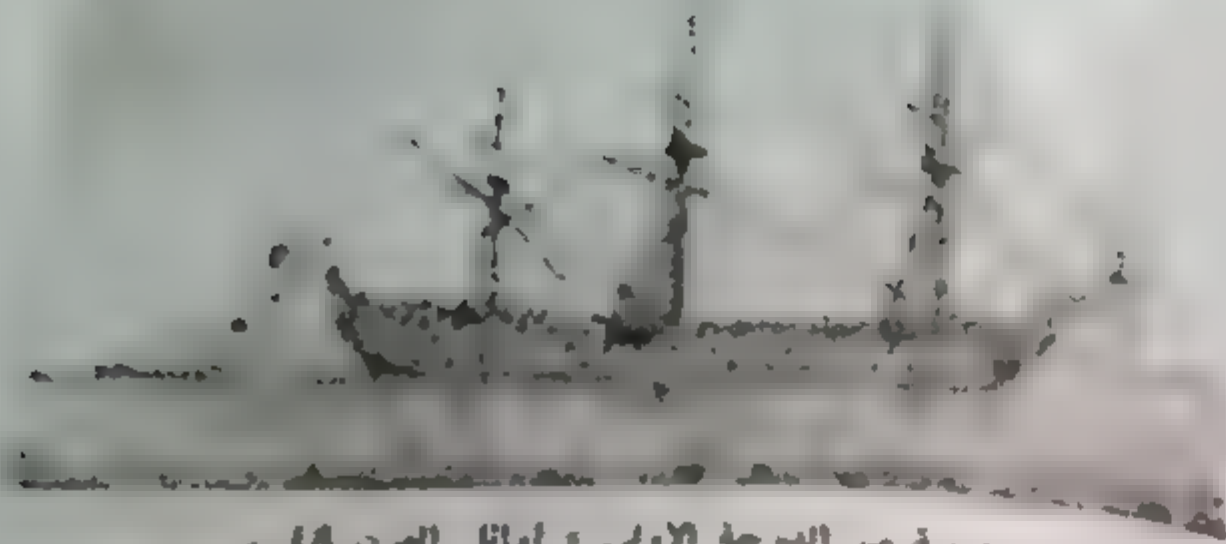


امير الدين بورزوي

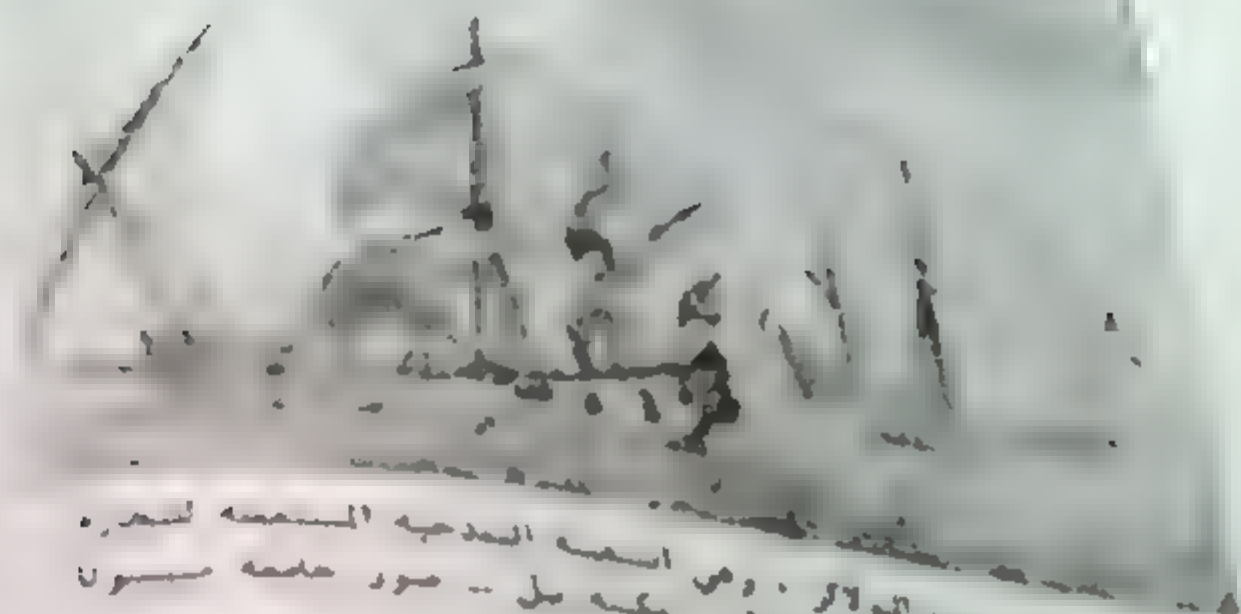


امير حسين ميرزا حوفاكو

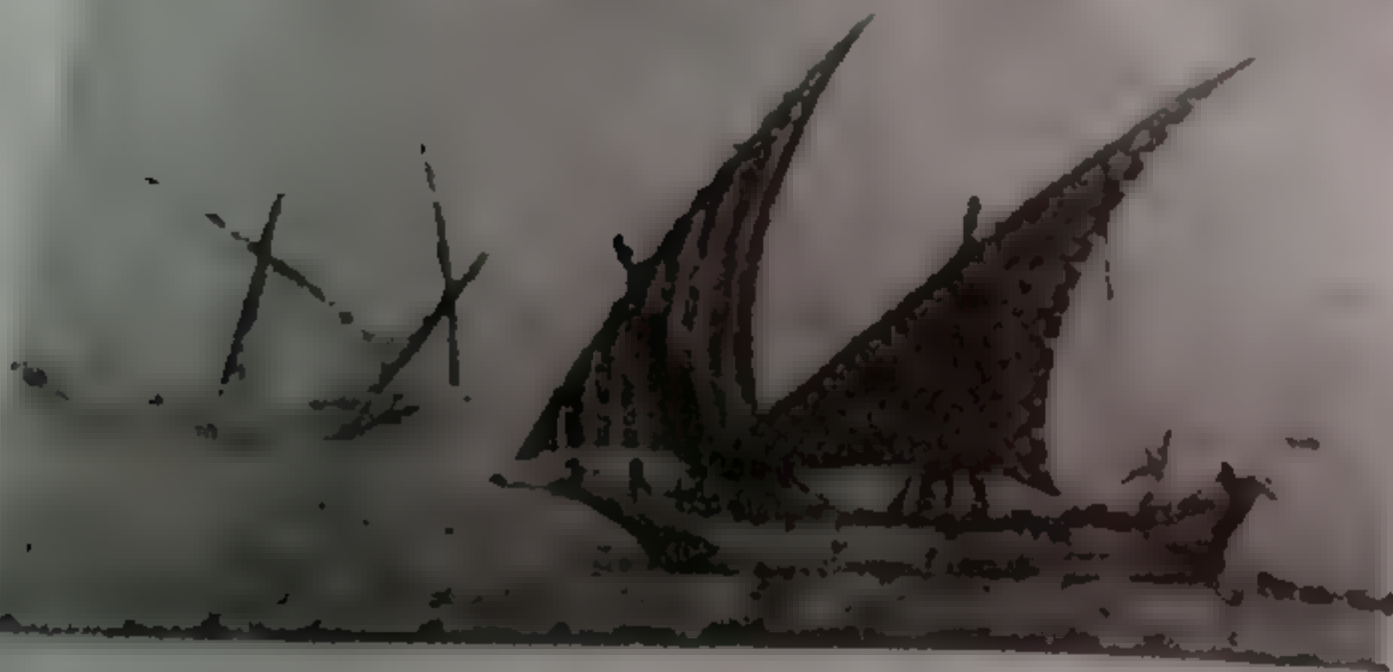
محمودة قبوليتا - فارس



أ - سفينة حربية من الدرجة الأولى ، أوائل القرن 18 .  
( مكتبة بيل - صور جامعة مينيسوتا )



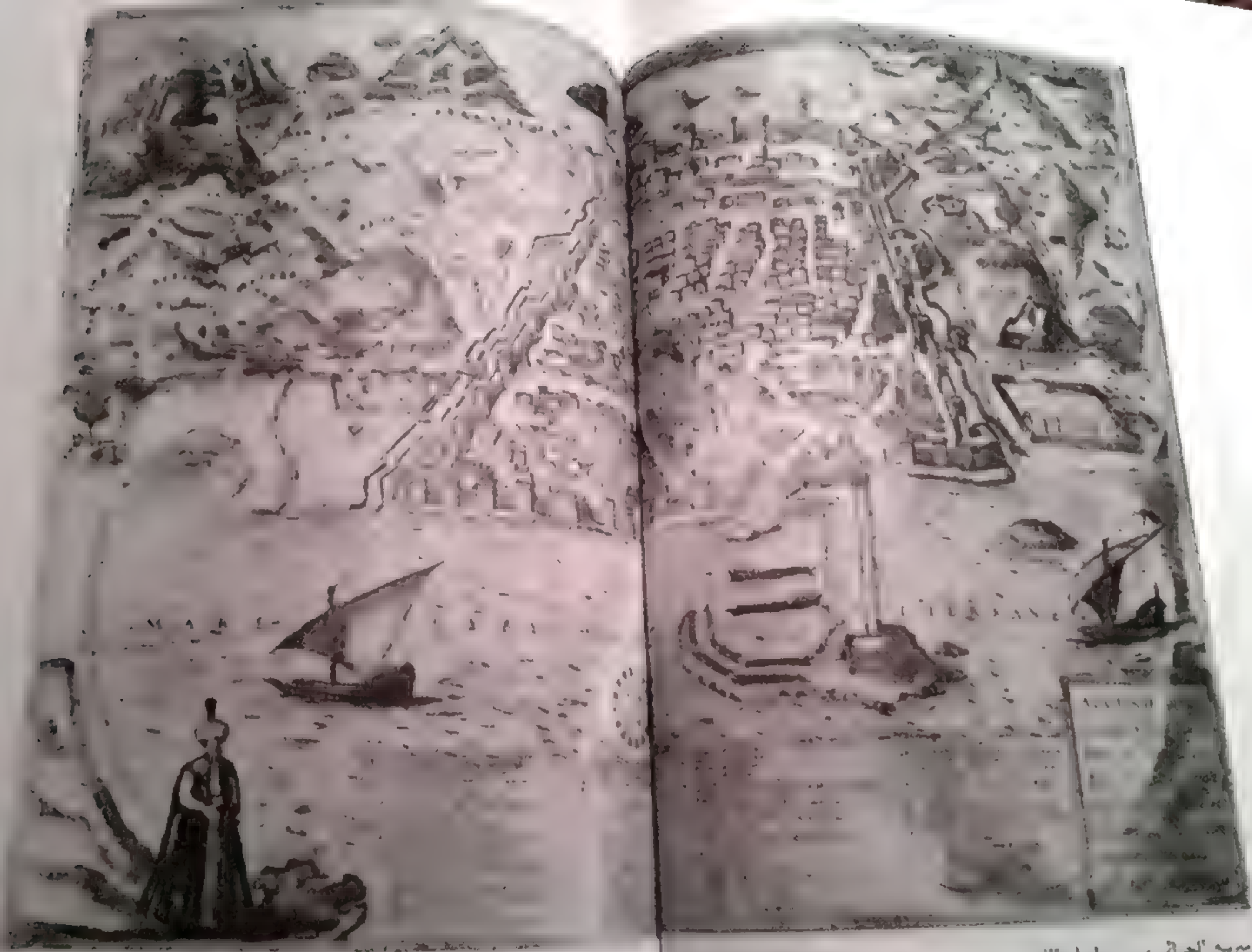
ب - سفينة من نوع التولاك . وهي اسمها المدجج المسماة للبحر .  
من القرن 16 إلى القرن 18 . مكتبة بيل - صور جامعة مينيسوتا



ب - سفينة من نوع تارتان ( مطاردة ) ، كانت مستعملة بكثرة كسفينة تجارية من قبل كل الصيادين التجاريين في البحر الأبيض .  
( مكتبة بيل - صور جامعة مينيسوتا )

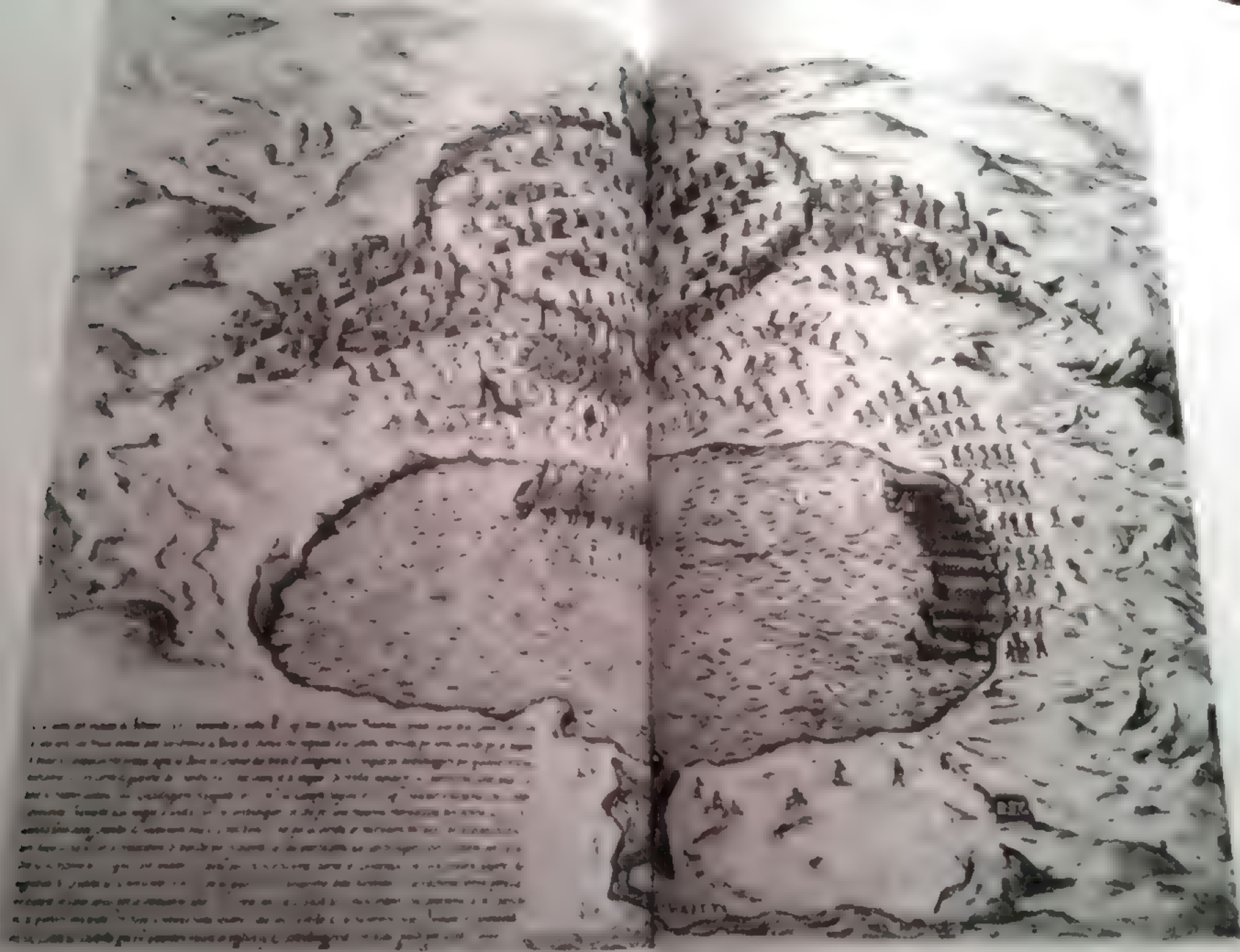


ب - سفينة من نوع الينك Pinque وهي سفينة تجارية  
تعمل في البحر وكانت تستعمل من وقت لآخر في الأنشطة القرصانية ،  
سواء من قبل المسيحيين أو المسلمين .  
مكتبة بيل - صور جامعة مينيسوتا



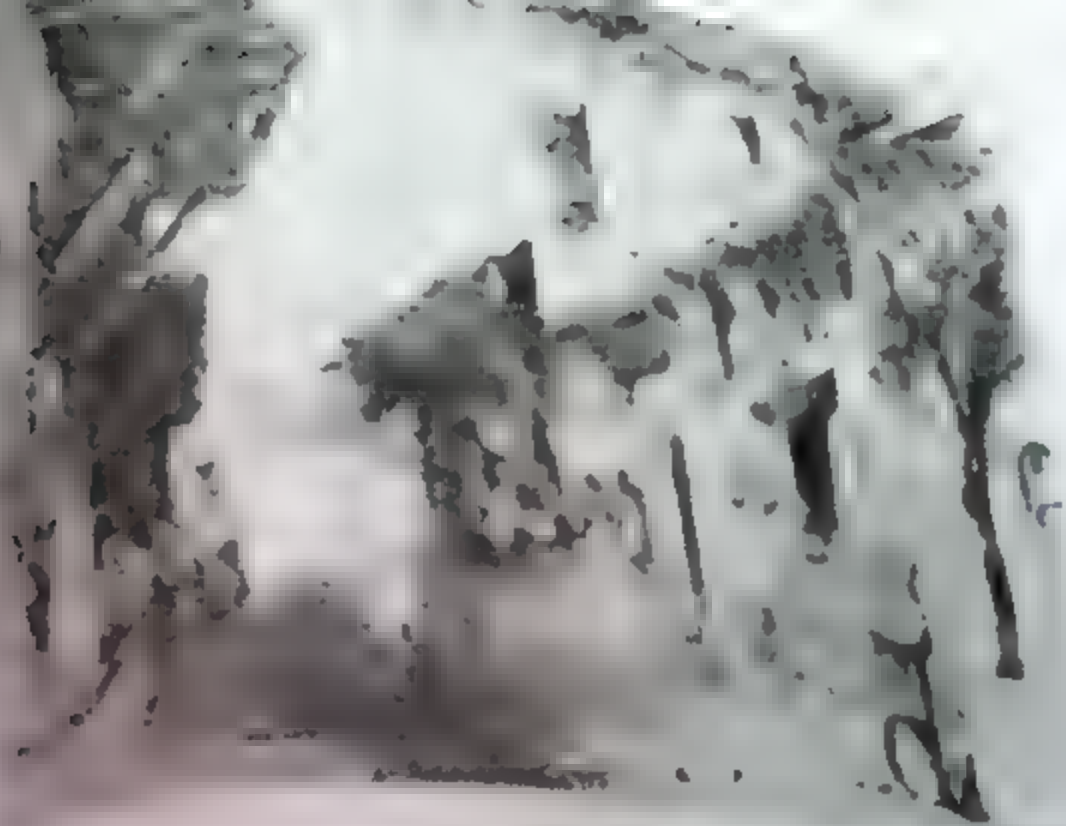
مدينة الجزائر من مخطوط الماي يرجع الى حوالي سنة 1550  
المجموعة بوليت - باريس



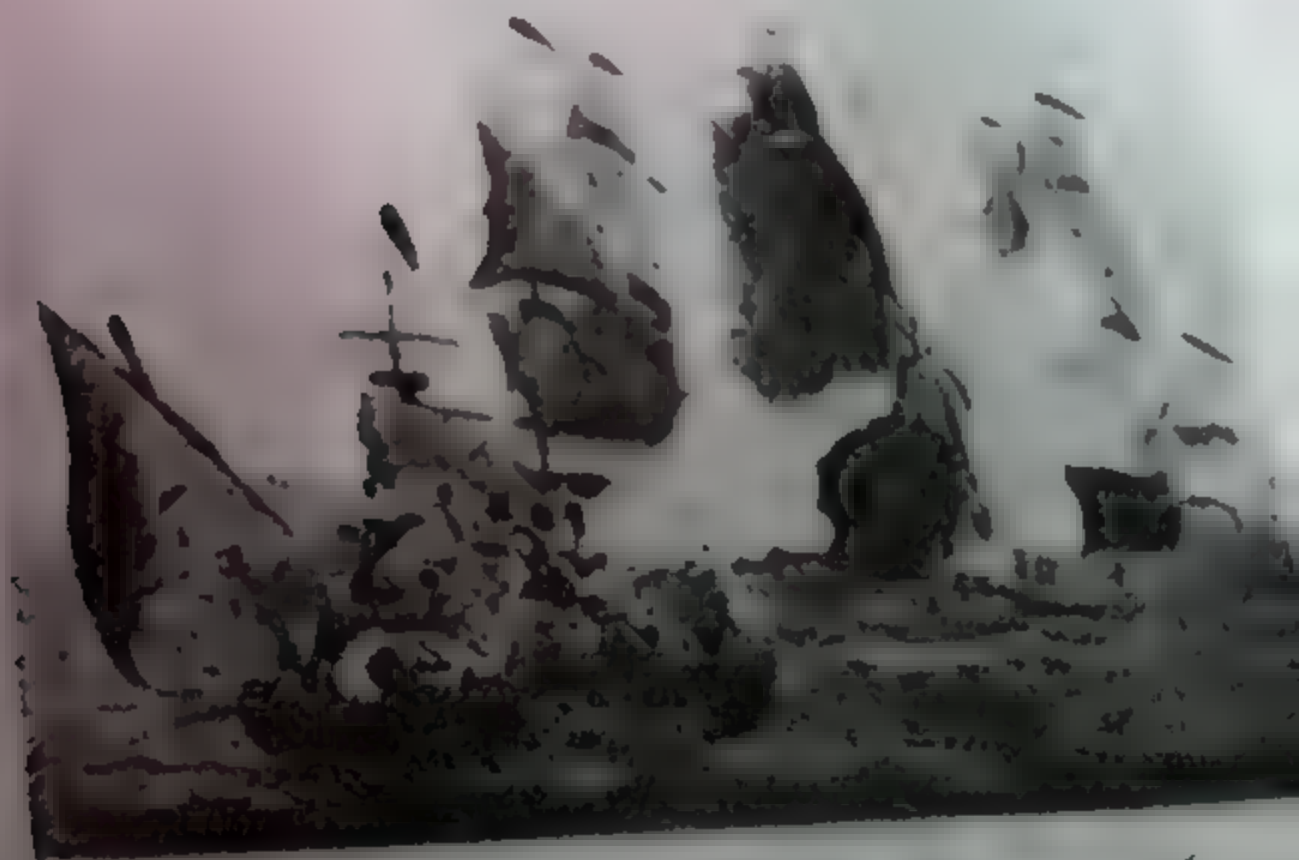


خريطة ايطالية توضح امتيلاء دون جوان على تونس وحلق الوادي سنة 1574

مكتبة بوبيري - شيكاغو



منظر ١٨ - تنوع هذه الحرارة خلال القرن ١٨ .  
 الملكة الوطنية - باريس



منظر ١٩ - مبنى القرمز وسجنه تجارية الكبيرة .  
 مجموعة فيوليت - باريس

سعد عدم بحدثة السيد في بركة  
عريضة خطية .

والتي حوت مسند وحول دفع الأحمور . من لا انكشارية كنه  
شكره من : مرسوعة أيضا على حكايته . . . . .  
ان يكون بقاء العسكرية الوحيدة في الإصبة . لمصلحة في لائمه .  
وسكن وحود من أحد حسبه ولكن يجب أن يكون دوسا اقل  
ودرجة ثانية . ولم يحدث أي تعبير في هذا المدأ لا في السواب  
الأخيرة من عمر الالة في القرن التاسع عشر عندما استطاع أحد حكام  
الجزائر أن يحرر نفسه من استبداد الحدود وذلك بإنشاء قوة عسكرية  
خارج إطار الفرقة الانكشارية .

اما المطلب الثاني للانكشارية فهو ان الحدود المحدثين يجب أن يكونوا  
من عمر سكان الالة . وقد رحوا بالحدود من الجزء الشرقي من الدولة  
المتناحية كما رحوا بالمرتدين عن المحبة ( أو الإصلاح ) ، أما غيرهم  
فقد استمدوهم . ان هذا المطلب حمل حش الاحتلال غير متصل  
بالشعب الذي يحتله . ولكنا رأينا أن هناك مشكلا حول هذا الموضوع .  
فقد تزوج بعض الانكشارية من نساء أهليات وأنجبوا منهم أطفالا .  
وهؤلاء هم الكراغلة ، أي أبناء الانكشارية . ومن الطبيعي أن يطمح  
هؤلاء الى مهمة آبائهم . ولكن غير المتروحين من الانكشارية نظروا الى  
هؤلاء الأبناء على أنهم خطر عليهم . فادا وقع أي نزاع مع السكان  
الأصليين فإن أولئك الأبناء قد ينضمون الى جانب شعب أمهاتهم بدل  
الانضمام الى الفرقة الانكشارية . وهكذا عمل الحدود الانكشاريون  
في البداية الى الحد من عدد الكراغلة المسموح لهم بالتسجيل في  
فرقتهم ، ثم استصدروا قوانين تمنع صعودهم الى مراكز القوة أو  
المسؤولية في الفرقة . وأخيرا قاد الاهتمام بشكل الكراغلة والجهود  
المتعاقبة الرامية الى مراقبتهم ، قاد الى الثورة التي حدثت في أوائل  
الثلاثينات من القرن السابع عشر (1630) . ورغم أن زعماء الكراغلة  
كانوا يتوقعون المساعدة من بلاد زواوة أو من الحضر الجزائريين ، فإن  
هذه المساعدة لم تتحقق . وقد استمرت المعركة في شوارع الجزائر

حيث عجزت بحسب تكبيره التي احسب بها الكراغلة . في هذا الحادث الذي وقع في عرفة السورود قد أدى الى مقتل عدة آلاف من الناس وحرب قسم من المدينة وانهاء آمنا انكسارها في الحصول على المساواة . ولم يسمح لهم بالتدخل في الانكسارية الا بعد الوفاء الكرسية 1648-1650 الذي اهلك الفرقه كثيرا لدرجة ان الحاجة الى اموه اشترت كاب ملحة ، وحتى عندما لم يسمح للكراغلة بالعودة الى السلطة كسؤولين . غير اننا وجدنا بعض الكراغلة خلال القرن الثامن عشر قد صحوا في الوصول الى مسؤوليات هامة ، فكان منهم البايات والقضاة . اما رتبة الآغا فلم يصلوها ابدا . (2)

اما النظام الآخر الموروث ايضا عن القرن السادس عشر فهو نظام طائفة ارباس . لقد كان للرباس كلمة في شؤون الابانة وكانت مصالحهم مرغية طالما كان البيلايراي وحلفاؤه من رجال الحر أو ملاكين لمسفن القرصة أو قباطة حريين من حيث المهمة . ولكن عندما أصبح السلطان يمين الناشوات كل ثلاث سنوات كان هؤلاء في العادة من رجال البلاط أكثر مما كانوا من رجال الحر . ومن ثمة فانه كان على الرباس ، مثل حدود الانكشارية ، أن يهتموا وخدمهم بمصالحهم الخاصة . وان تطور هذه الطائفة ( الرباس ) متداخل في ضباب الزمن . فهذه الطائفة لم تترك مذكرات عن خدماتها ولا رسائل من اعضائها لشرح تاريخها . ولذلك فنحن لا نملك سوى انطباعات الأحناف عن الموضوع وشواهد على البصائر الواضحة التي خلفتها على مجرى الحوادث .

ان طاقم السمن الذي أحضره عروج وأخوته من حزرتهم الأصلية كان واضحا أنه طاقم يتألف من الشرقيين الدين من المحتمل فيهم أنهم كانوا أيضا من أهل الحزر . وقد استمروا في قيادة أسطول القرصة الى أن وقع أسر الأبطالين وغيرهم الذي نتج عنه ظهور الأعلاج الذين برهنوا ،

٢ - يوجد عدة كتابات من نوره الكراغلة ، منها مقالة غرامون ( الملائك بين فرنسا وإمالة الجزائر في القرن 17 ، في المجلة الافريقية عدد 23 ، ص 414 وما بعدها ) وهي بقده حلاصة جيدة . ومجلة غازت فرنسا سنة 1633 ، وكذلك التاريخ ، الأب دار ، وكتاب (ملائك) لفرسيس بابيه . لهذه المصادر تقدم شواهد متضاربة .



[illegible]

(١٥٥) - هذه ديوى لم يقدم لها الخلف دليلا . وقد نكروا به ذلك بالنسبة الى اشياء اخرى  
رسم ان الادويى بالمطوحات للبحرانيه ، ا ( المرحوم )



مكون الرجال ذوي التوجه والمعرفة الأرضية من  
مؤثرات هي محوري المحدثات

عزّزوا في محروى للحوادث  
وكانت العلاقات بين الولايات ثلاث أنواع :  
مسكنة مسخرة من طرف السلاطين عبر التي انتمى عبر ، فقد وضع  
عبر الدين حذاه ابعرضه لبي انشأها بح حذاه للسلطان الأعظم .  
وقد عرّفوا أن جميع حداثه المندرس في ذلك لمصب العالي كانوا حصفا  
من الرطب القراصنة ، اندس بيشكون اسطولا من السفن من نوع  
العابث واصبوساب حارب في البحر عولا وعربا بحث عن الغنائم  
والعبيد ، وفي بعض الأحيان كانوا ينضمون الى اسطول السلطان  
الأعظم ليدخلوا في معركة مع الدولة الأساسية . ولا يترب التثك حول  
سيطره اسطود في تلك الأثناء . فاي رايس أو صايط من الاكشارية  
يعصى التعليمات تمنع راسه بأمر السلطان . وهذا حير الدين وحسن  
اس حير الدين وصالح رايس وعلج علي حسمهم وصلوا الى قيادة  
الاسطول التركي كله حاملين لقب الباشا العطان بالاصافة الى لقب  
البيلارباي . ان هؤلاء الرجال كانوا موه في الدولة العثمانية وفي اقليم  
شمال افريقية . ولكن عندما توفي علج علي سنة 1587 قرر السلطان .  
الذي كان خائفا من ان هؤلاء قويا بعدا جدا من اسطانبول قد يصبح  
مستقلاته ، قرر الفاء مصعب البيلارباي ، وبدلا منه أنشأ ثلاث ايلات  
هي الجزائر وتونس وطرابلس ، على رأس كل منها باشا . وقد تمتع  
هؤلاء الباشوات ، باعتارهم ممثلين لسلطة السلطان ، بكثير من  
الامتيازات : سهم من الغنائم ، والعبيد الذين يقومون في أسر القراصنة ،  
وحق تقبل « الهدايا » في مقابل الخدمات ، ومراقبة المدخولات المالية التي  
تجمع من الرعايا المحكومين من قبل الباشات الثلاثة وباشا الجزائر .  
وبذلك يتضح أن هذا المصعب كان ثمة فاضحة يسيل لها لعاب أصحاب  
البلاط والسياسين الطموحين أو الشرعيين من حاشية السلطان .

ان قصر مدة التعميق (ثلاث سنوات) جعلت من المستحيل تقريبا على الباشا الجديد ان يفهم تعقيدات الحياة السياسية المعقدة في مدينة الجزائر ونظام حكم البايات في اقاليمهم وعلاقتهم بالنيوخ و «الملوك»

الثاني لهم ، قبل أن يصرح . من مدور . ان احدث الذي يحد  
 حقه . وكان هؤلاء الباشا لم يدر كل ثلاث سول يسوا في  
 مائة من حجرة او احدى من كابو من احدى سيسي لندين  
 حصوا على ماصهم بالان عه . فقد كتب لرتوء هي سلوك  
 لعه في اسطبول بعد ان انتهى عهد السلاطين بكار خلال انهم  
 سادس عشر ومن معهم سلاطين صغار عابا ما كانوا تحت سلطة  
 سلطة الام والحرية . وبذلك كان انشا العديد حرمنا على مله  
 حبه بالذهب والموهبة الى اسطبول . وكان هذا السلوك المتبر  
 بالمرأة قد اثار حقد وعصب الانكشارية والرياس معا . وادا كان  
 مسكا لهؤلاء (الرياس) ، ان يكون لديهم نوع من « اتحاد العمال »  
 المتثل في حالتهم التي كان دورها هو تسق حركاتهم والتأثير على  
 سلوك الديوان ، فان الديوان كان حقا هو أداة العود بالنسبة  
 للانكشارية التي هي في الواقع جيش احتلال الایالة . وهكذا أصبح  
 الديوان هو نقطة الارتكاز للحركة التي حردت الباشوات في النهاية  
 من كل سلطانهم تاركة لهم مجرد مصب شكلي .

ولقد كانت الطريقة التي حرت بها هذه العملية بطيئة ، ولكن بحلول  
 الثلاثين من القرن السابع عشر حدث حادث وصفه الأب دان ، القيس  
 الفرنسي الذي ذهب الى الجزائر لتحرير (قذبة) الأرقاء ومكث حتى  
 التاريخ المذكور . وهذا الحادث يوضح نقلن سلطات باشا الجزائر  
 وسلطان اسطبول معا . فقد أسر قراصنة الجزائر سفينة البندقية  
 وابعوا طاقمها وبضائنها . وبعد ان احتلت البندقية لدى اسطبول  
 أرسل السلطان سمونا الى الجزائر يأمر باعادة الطاقم والبضائع . فقرأ  
 باشا الجزائر أمر السلطان على الديوان وأصر على أنه لا خيار سوى  
 طاعة الأمر . ولكن المتكلم بعد الباشا صرخ قائلا بأن السلطان لم يعرف  
 كل الحقيقة ، ثم أخذ الديوان كله يردد : « ان أمر (السلطان) غير  
 عادل » ، و « السلطان ، كانوا أخبروه خطأ » . وبذلك لم يتحقق شيء  
 من طلب السلطان . ولو حدث ذلك قبل نصف قرن فقط لأطاح الباشا  
 رأس الرياس المدب والجندي المعاند وأعاد سعية حكومة البندقية .

وقد صدق الأمر من ملاحظته عدمه . . . . . ( بعد أن ) . . . . .  
كان يعرف صفة هؤلاء . . . . . فقد كان يكتفى فقط بالرسائل  
محتله شخص . . . . . بعد كان يأت في حيزه حاش من الحدود أكثر  
من كان حاش من سلطانه الجديد .

وبدهور سلطه الت في سبوت الموجه سرعه كره . . . . . فكتاب  
الأوامر القديمة من اسطاسور لا صاع لا ز وقت شمس ابدون .  
وقد لاحظ الأب دان في وسط عدد اثلاث من اقرن السابع عشر .  
« ان الدولة كانت ملكية » الاسم فقط لأمة في الحقيقة حولها إلى  
جمهورية . . . . . كما أن فرانسيس « أيت وكذبت لفصل الانكليزي  
والقفل القرمي الذين عاشوا في الجزائر في الصف الأول من القرن  
( السابع عشر ) كلهم ردوا ذلك الرأي . . . . . وقد أسرعت طريقة التدهور  
بالهزيمة التي حلت بالأسطول الجزائري عندما فاجأه النديسون في  
فالونيا Valonia في آخر العقد الثالث . . . . . فقد قرر الرئيس أن  
لا يذهبوا ثانية لهذه البلدان دون معونه مقدما . . . . . وهكذا فإنه عدم  
أمر الباب العالي من حديد الأسطول الجزائري بالانضمام إلى الأسطول  
المشائي ، رفضت طائفة الرئيس الأحياء . . . . . فكان رد فعل اسطاسور الأول  
هو أمر الباشا بقطع رأس الأدميرال على تسي . . . . . ولكن هذا كان أعلى  
رجل في الجزائر وكان أميرال الأسطول ، وبذلك بقي رأسه سليما ،  
وقد كان أمر السلطان غلطة فادحة كان يمكنه أن تؤدي إلى نهاية العلاقات  
بين الجزائر والدولة العثمانية ، لأنه يبدو أن يتعين كان قد تأمر  
بالاستلاء على السلطة وحمل الجزائر مستقلة ، ولكن الموت المفاجئ  
لهذا الأدميرال القرماني فقط ( وقد يكون مات مسموما ) هو الذي وضع  
حدا للمؤامرة .

وحده الوقت الذي أحاح به السلطان إلى الجزائريين ، وقد أرسل  
المعونة مقدما ، ولكن هذه المعونة تحولت إلى زيادة في الخلاف . . . . . فقد  
أعلن إبراهيم باشا أنه إذا انضم القراصنة إلى المؤسسة البحرية للسلطان ،  
فس الطبيعي إلا يكونوا قادرين على الاستيلاء على الغنائم في غرب  
البحر الأبيض ، ومن ثمة فإنه هو شخصا سيكون معروفا من منحه

في انصافهم ، و بذلك اقترح ان يسهل سيرة في المائة من المعونة السلطانية  
 يعطى له هو شخصه ، وكان ذلك سنة 1659 . وقد أدى هذا الى  
 حدوث ثوروة فصمت على سلطة الباشا في الجزائر . اذ صهر رجل بربره  
 وتكنياشي ، يدعى حليل ، ودعا اندور الى التمرد « لاعداء الصلح  
 « نظم القديمة » والمقروص ان هذه « الظم لعديمة » كانت عبارة عن  
 دستور يصح كل صلاحات السلطة في أيدي آء الانكشارية والديوان .  
 وهذا طبع كان مجرد أسطورة ، ولكن الديوان اجرائي أصر ، ومثله  
 في ذلك مثل الثوريين في انكلترا وفرنسا وبرشلونة وناپولي وغيرها  
 خلال منتصف القرن التاسع عشر . أصر على أنه لا يرغب في أكثر من  
 ان يعود الى نظام العديمة . ذلك انه لا أحد في ذلك العهد يعرف  
 بأنه كان « ثوبا » حقاً ، ومع ذلك فإن السجدة كانت ثورية . وقد  
 كتب دارلدا : « بعد عدة سنوات من ذلك الحادث يقول  
 « ان الباشا كان ... يعرف نوع من خصوصية الشكلى للسلطان  
 الأعظم ، ولكنه لا يعرف أو لم يكن ... لقد كان الجنود يخفقونه  
 أكثر من السلطان الأعظم . ... استحووا هم فعلا حكام الجزائر  
 تاركين الباشا بوليسه ، سيرة قديمة ، تقاضى مرتباً مستظماً ولكن  
 كان بدون سلطة .

وهذه بوضوح ... .  
 سلطان بوقف غير ... .  
 بعد المنصب عتبة ... .  
 وكان له نصيب ... .  
 نسبة ماثوية من غنائم النفوذ ... .  
 لعاشية السلطان من صناديق ... .

وقد استمررت أمثلة هذه من جزائر في حكم الأتراك ،  
 خلال بقية القرن ( التاسع عشر ) تجسدت بوضع باشا والاغا ، ثم ( بعد  
 1672 ) توقع داي الجزائر ، ولكن دور باشا كان دوراً سبب كليلة  
 في جميع القرارات المتعلقة بالسياسة . وهذا مرة واحدة حاول خلافاً  
 أحد الباشوات أن يعود الى المنصب سمعته القديمة . فعندما وقع اعدام



وكتب انورده في عام ١٧٩٠ : هيمن على هذه البلاد حاكم واحد اسمه  
 الملك من معونة السلطان . كانت في الواقع من وحي فرنسا وذلك  
 كغير فرقته لا يملكه ، فاستمر ذلك المسمى حبل في مجلس الديوان .  
 كان حبل هذا صاحب الديار ، ولكن الملك كان في الحقيقة يحكم  
 ان يتم من على فرنسا مقتضاة جزء من مملوكة ، غير انه ما دام انورده  
 وذكرا قد سجن على الاساءة على سلطنة من قبل الأعوان وسماعين مع  
 انورده في سنة ١٧٩٠ ، فاستمر في انورده في سنة ١٧٩٠ .  
 من موقعا انورده في حكمه حاكم انورده ، وسماعين  
 انورده في سنة ١٧٩٠ ، فاستمر في حكمه حاكم انورده ، وسماعين  
 على سنة ١٧٩٠ ، فاستمر في حكمه حاكم انورده ، وسماعين  
 في سنة ١٧٩٠ ، فاستمر في حكمه حاكم انورده ، وسماعين  
 وكان في سنة ١٧٩٠ ، فاستمر في حكمه حاكم انورده ، وسماعين  
 في سنة ١٧٩٠ ، فاستمر في حكمه حاكم انورده ، وسماعين  
 في سنة ١٧٩٠ ، فاستمر في حكمه حاكم انورده ، وسماعين  
 في سنة ١٧٩٠ ، فاستمر في حكمه حاكم انورده ، وسماعين

٥ العودة الى انورده

السلطة بطر  
 وسلطنة لا  
 وقد كان في  
 نظم من حوله  
 شهادت من  
 لآخر ، ثم يمتد في  
 قد كانت حكمه لاية شراب من حكم انورده لطفه .

ولكني نكاح مصفى في انورده على جهود من بينها الأعوان لاقامه  
 حكمه منظم يجب عسا ان يلاحظ بان هناك ثوب حاحه كان لها تأثير  
 على جماعة الفرصة ، وهي الثوب التي تاهمت انورده في شر انورده .  
 لقد ظهر بعد الأعوان لحدود في نفس وقت الذي شهد فيه الحرب  
 الطويلة بين غائتي الهامبورغ ، ووربول نسخة توقيع سلام انورده  
 Pyrenees سنة ١٦٥٩ ، وبنك تحلب القواب بحرة الفرنسية والاسبانية  
 المدافع على الشواطىء ، واقام بوجات المرفعة في لبحر الأبيض . وبعد



ذلك بعد استدعى شارل تاسي سنة 1661 الى عرش أنكلترا باسم  
 روجيه الذي بلا ذلك من أميرة برطالة قد أعطاه مرسى طنجة كغيره  
 وقد أعطى هذه البوصع للبحرية الانكلترية مرسى للاستعمان بحرب من  
 مصيق حبل طارق . ومن جهة أخرى قد تم دفعه للكرديس ما ان  
 Mazari سنة 1661 . بولي بوس الرابع عشر البطره على دولته  
 وبرتغال ما أصبح كوسبر Colbere شخصه فونه في الحكومة امريسه .  
 وسري في فصل لاحق ان هذه الحوادث قد عبرت بسرعة من بور  
 لقوات البحرية في كل من البحر الأبيض والمحيط الأتلسي ، وكان ذلك  
 بين صالح الرأى انحراريد . ذلك ان قطيع بحريه الانكليزية  
 واهولانية والفرنسية أخلت نسر عنت في سنة لموية البحرية من  
 أنها سوب وانقرت أيضا سفن القصة الجزائرية . وكان رئيس  
 ادى اهل مصدحه حود الانك . . . . . هؤلاء على سنة  
 سنة 1659 . ساحة حارة في لاس . . . . . سنة في الإلية حارة  
 أشهر .

ولإضافه الى ما ذكره هـ كـ هـ  
 منتصف قرن السابع عشر . . . . .  
 « ثوى » الى سرح فيه . . . . .  
 غورمان G German دون . . . . .  
 وقريديريك ويليام في بروميا . . . . .  
 Cameraists في مصداق الأمر . . . . .  
 أخرى بأروما . ذلك ان بقوسى لم ونة من سرث الماصى لبطه  
 لساسى المعدد الذى اقبل عر ماصى أوروبا . بعد تقلد مفعولا بعد  
 انحصاره الأرومة اصعدوه . فقد بدأ عمده بحمه كبار اسلاء وكذلك  
 مدر مستفده حب كبار ساسى أوسع بواسطة لسطه امكنه . وكان  
 انحدود المسؤولون لدى الحكيم . ومن المسؤولين امام صانطهم أو بعض  
 المارشلات أو حضرات شه المنفطين . هو لاس كانوا في طريقهم  
 الى فرض السلام والهدوء الداخلي على اعضاء القوصوية في المصنع  
 الأرومى . ولم يأت الربع الثالث من القرن السابع عشر حتى كان كـ







حرب يهتله التمس ، تلك الحرب التي بدأت عندما حاول لويس الرابع عشر أن يجعل سدرلاندا المتحدة بدفع التمس لرفضها قبول الملك الفرنسي كصاحب سيادة على سدرلاندا الكاثوليكية ( الأسباب ) . ولم يكن في استطاعة الدول الحرة ( الأوروبية ) أن تعاود الانتعاش نحو الجزائر من حوالي عشر سنوات أخرى .

ولم يحاول الحاج محمد أن يسفل بالحكم . فقد أصبح صهره ، روح الله . بابا حسن . هو الحاكم الفعلي للجزائر ، وهو الذي أدخل تعديلات جديدة على حكومة الالة ، تلك التعديلات التي أصبحت من ميزات حكم الديانات . فدخل حكومة معتمده على الديوان ، أسس الديانات نظاما للم فيه الوزراء . وهم مراكز السلطة . دور في سائر شؤون الدولة . وهكذا أخذ عدد من الموظفين أماكنهم في الحكم ، وهم أمين بحريه ( البحرية ) ، واعوان مسئولون الانتكساره والحدود الاحتاطيين ، والأميرال ، ووزير الشؤون الخارجية ، وحداثة من الكتبة ، واسمراء ، وغيرهم من المعاونين . وقد انحصر دور الديوان ، بعد هذا التغير في المصادقة على القرارات .

وقد حكم الحاج محمد . بابا حسن الجزائر أكثر من عشر سنوات دون مواجعة أي نوع خطه على سلطته . كان حاج محمد رجلا طامعا في س . وكان بابا حسن حاكما قويا . وقد أيد أعوانه الرئيس وراقبا عن كتب قطو . ( كلكات ) في صفوف الانتكساره . غير أن الأتباع رؤوسه رحلوا في النهاية صدهما . ففي السنوات الأولى من حكمه كانت الحرب الهولندية تشعل شعلات كاملا الدول البحرية الأوروبية ولكن بعد صبح يوم من Numwegen سنة 1679 ، أصبحت الأساطيل الانكليزية والهولندية والمرسة مسعدة برقع أي تدخل في فضايا تعارنها من الجزائر . وسرى في فصل لاحق أن الأسطول الأنكليزي أولا ثم الأسطول الفرنسي قد قصفت الجزائر وهاجم أسطول القرصة . وكان الهجوم الفرنسي الثاني بصفة خاصة مدمرا لدرجة أن بابا حسن كان مستعدا للتفاوض . فقد أطلق سراح أغلب الأرقاء الفرنسيين في الجزائر وكان مسعفي قدما فتقرب من لويس الرابع عشر ، ولكن الأميرال الفرنسي ، دو كيسن Duquesne ، غرته الوعود فأطلق سراح

وعينته ، ( حسي ) ميرومورتو ، أملا في الحصول على نتائج أفضل .  
 غير أن ميرومورتو ، الذي هو أيضا من الراس المراجعة ، استطاع حورا  
 أن يعال نانا حسن ، أما الخراج محمد فقد حجج في القرار أبي توس .  
 وهكذا أصبح ميرومورتو دائما ورفض التفاوض مع دو كين . ولكنه  
 ( ميرومورتو ) ، بوصل ، بعد سنة واحدة ، إلى اتفاق مع عميل فرنسي .  
 ثم أقنع السلطان في الجمع بين مصبي الناف والداي . وكان يأمل في  
 إقامه حكم مستمر ، ولكن الأيام برهت على أن أمه كان مستحيل  
 التحقق . فقد استطاع ميرومورتو أن يبرل الحدود الاكثاريين وذلك  
 بوجههم إلى حرب غير فاحشة ضد توس . وكان عليه أن يحو بخدماته ،  
 بما انتخب الحدود سنة 1689 واحدا منهم لمصبي الداوي . وبذلك لم  
 يبق الراس في الحكم سوى عشرين من الزمان قبل أن يعود الحدود  
 تثبيت أولوية الاكثارية في ادارته حكومه الجزائر .

وسدحل من السعير الفرنسي الذي كان يأمل في استمال الجزائر في  
 حرب فرنسا ضد انكلترا سنة 1689 ، غير ان السعير العالي نانا حديدا من  
 اسطابول . ولكن لديوان قصص السباح به بالروول في الجزائر . وكان  
 رد الديوان هو « عند لي المكان الذي قدمت منه ... فلبا في حاجة  
 ابي نانا ... ودالي راجد من حب اس فسرى ما يحدث لك . » (4)  
 وببست هذه هي المراد ... اس ... به ... معوث اسطابول هذا  
 الموقف ، فبعد حو إلى ... السلطان معينا جديدا من  
 اسطابول ليكون نائب الجزائر . ... نانا واحد أيضا التهديد  
 بالموت اذا حاول الروول ... ان نور ... قد حلق وصفا ساسا  
 كان فيه الداي قدرا على الاس ... على سلطه سواء من اسطابول أو من  
 ديوان الجزائر . وبعد ربع قرن آخر عاب لسلطة بشكل ثابت إلى أيدي  
 الدايان . ولكن اتفاق العودة إلى نظام الحكم السابق المنمى « بالموصى »  
 و « الاعمال » قد نراجعت كثيرا .

ولم يكن من الصعب على الدايات أن يصادحوا الدول الأوروبية بمجرد  
 اشتداد أوروبا بالحروب الكبرى التي امتدت من سنة 1689 إلى سنة  
 1714 . وكانت مشكلتهم الوحيدة هي المحافظة على حكومتهم خارج  
 النزع الأوروبي . ولكن حتى ولو لم تكن الدايات قلقين من الهزومات  
 البحرية ، فإنهم أصبحوا متورطين في ملزعات عدد حدودهم . وسرى  
 في فصل لاحق أنهم تمكنوا من الاستيلاء على وهران ، ولكن خسروهم  
 ضد تونس والمغرب ثم تصادفهم نفس الحاح ، وكانت التصرفات غير  
 احكمه وانهم في ميدان الممارك قد وضع حياه الدايات في موضع  
 الخطر . لقد كان من المستحيل على حكام الجزائر أن يحكموا بدون  
 الخوف من أن الاعتقال قد ينهي مهماتهم وحيواتهم ، ولكن الدايات ،  
 مع ذلك ، اتعدوا الى حد ما ذلك الخطر حتى أنه لم يعد شيئاً غير مشاع  
 أن يموت الداي موتاً طبعياً .

## المصطلح السادس الجزائر: الوضع العام، والسكان، والمجتمع

عندما أخذ رحان الأدب في القرن الثامن عشر يكون عن شمال إفريقيا كانت كتاباتهم تتميز بالرومانتيكية والعمال . وقد لاحظ أحد الباحثين الفرنسيين قائلاً : « إن قرن الأسيرة هذه قد أنتج مآب من الكتب عن الدين والطب والجو والموسيقى والزراعة والاقتصاد وسياسة ومعادن والاثنولوجية القرية والحرفه ، ولكن شمال إفريقيا لم يكن وحشياً بل معاً الكفاه ولا غريباً بل معاً الكفاه حتى يستحق لأهمهم من حفاة المفكرين - فيلوروف - « في كثير من كتب هذه اللغة والنواميس والسفوف والموسوعات كان سكان شمال إفريقيا بوصفهم بأوصاف غير دقيقة قائمه على أدبه غير دقيقة ، وليس معنى ذلك أنه لا وجود للأدلة معتد بها ولكن معاً أن حراً الأ - من الأوروبيين ) قد اختاروا رؤية أهل شمال إفريقيا في شكل « حراً من مسحة » وأن في شكل لاسان التركي الذي أحده معاً في عتبه امسوى ربح حواري المذهب ) . ومهما كان الأمر لا غيب لا غيباً معاً حدهم تركيبة حفاة عد أهل شمال إفريقيا »

وعلى أية حال فهذا جزء من الوثائق التي كان يمكن لرحال الأدب أن يستمد منها معاً مدينة الجزائر وشعبها . فخلال القرون الثلاثة والربع التي مرت بين وفات بندي قد فيه عروج أسطوله الصغير نحو وسط البحر الأبيض و بين رول امسبين في مدينة الجزائر سنة 1830 ، زار مدينة الجزائر عدد من التجار والحمود والحقارة وقدماء الأرقاء ولرحالة والقاصص والمعلماء الدبلوماسيون والأدباء ، وكانت



زيارتهم لها يعود الى اعراض مختلفة ، ولكنهم جميعا تركوا وراءهم  
 حديثا عنها وأوصافا لها تعبر عن تجاربهم هناك . وكان أولئك الرجال  
 قد جاءوا من مختلف الطبقات الاجتماعية الأوروبية : فبعضهم ، مثل  
 هايدو ودان ، كانوا قساوسة يعملون على اعتداء الأرقاء المسبيين ،  
 وبعضهم ، مثل سانتون نابليون ، وديس دوسولت Dussault  
 وكول Cole ، كانوا رجال أعمال . وكان مرمول Marmol ودوكين  
 Duquesne من الحدود ، سما كان مورقان Morgan وشو Show  
 من الإنداء والرحالة ، وكان دولاكرو De la Croix عالما ، بينما كانت  
 لبيده بروتون Broughton روحه أدبية لأحد الفاضل ، وكان دابر Dapper  
 حراميا هولنديا ، سما كان سبي Panati ( كندا ) وهير Hayen  
 يبحسون لمعرفة أماكن الصف في الإمالة . أما غراسنس نايت P Knight  
 والدكتور اندرهل Underhill ودي روكل de Rocqueville فقد كانوا من  
 الأرقاء . ون هذه القائمة أبدا ما تكون نهائية . ( \* ) بهذه مكتبة  
 بيوري Newberry مدينته شيكاغو تحتوي على أربعين كتابا أو أكثر  
 من الكتب المصورة التي أحيا أرواحهم بحروا ، ورحالة وصحافيون . وفي كل  
 من المكتبة الوطنية الفرنسية والمكتب لبريطاني أكثر من مائة عنوان ،  
 كما أن المجموع فيه التي وصفها سبي Playfair تضم 293 كتابا أو  
 كتب نشرت قبل سنة 1789 . ألفها أداس السوا بالضرورة قد زاروا  
 الجزائر فعلا ، ولكنهم جميعا جاءوا من صورة الأوضاع الجزائرية .  
 ومن المتوقع أن كثيرا من هذه الأعمال لا توجد فيه ولكن هناك ما يمكن  
 من التعرف الصالحة التي تقدم معلومة جديدة رقيقة إذا ما جمعت الى  
 بعضها البعض .

وبما كان الناس الذين زاروا الجزائر يهتمون من حيث تكونتهم  
 وتجاربهم فانهم كانوا يشركون في الأحكام المسقة ، ما داموا جميعا  
 كانوا مسيحيين . ومن سوء الحظ أن المسلمين ، سواء مهم الرسميون  
 والحنود والتجار ، لم يأتوا الى الجزائر أو زاروها لم يتركوا لنا

\* - من بين الأدباء الذين لم يذكرهم المؤرخون الإسلاميين ، فقد كان من الأرواح  
 الأسرى ، وهو مؤلف أعمال الشهير دون كيشوت المرحوم

الاثنين من الوثائق التي يمكن لعلماء العرب الاطلاع عليها ، حتى أولئك العلماء الذين يعرفون العربية والتركية . وبذلك تكون الصورة التي لدينا عن حياة وعادات سكان شمال افريقية عسرة ، بدون شك ، مشوهة . فإذا نحن تذكرنا هذا ، الا يمكننا أن نستخرج من الكتب والكتيبات ورسائل الفاضل والدثوماسي وانحره وتقديرهم مائة كافية تسمح لنا باستنباط معلومات مقبولة الى حد ما ؟ ولكن يجب علينا أن نكون حذرين فلا نذهب الى ما ذهب اليه فيشر *Fisher* من استبعاد جميع المعلومات غير الودية أو المعادية والاعتماد فقط على المعلومات الودية . ذلك أن الأحكام المسقة تعتبر سلاخا ذا حدين . (١٠)



ن أسهل طريق لدراسة الحرير هو الطريق البحري ، وجميع ابحاثه مستقون على أن المدينة بدء في سطر جبل وعظيم من المكان لو قم خارج الرصيف البحري ( المول ) الذي تبنيه حير ندين لجعل أسطوله في مرفء آمن . ان هذا الرصيف البحري كان قطعه من الأرض تقطع مياه المرسى وتسد من الحرير التي كانت تمر بمقبيه الأساية فندبة الى الشاطئ . ولم نحن منتصف قرون سابع عشر حتى أصبح ذلك الرصيف حصنا مدحجاً بالمدافع كما كان حديراً يرد الأمواج لغالية . ووراء هذا الرصيف بحري بقع أسود لمدة انحصه أبداً بالمندفع بالإضافة الى وجود قلاع هنا وهناك بدون في تدفع ضد المعبرين . ولدينا عدد من التقارير التي كتبها جنود أو جنود يحلقون فيها صعوبات الاستلاء على مدينة حرير . فقد بقرير دوفو *D'Arvieux* الذي قدمه الى أمير البرغال . وبذلك نعرف ان الذي كتبه مجهول وقدمه الى كولبير *Colbert* كإلحاح مهم وصح دوقاً لهذه التحصينات خلال الربع الثالث من قرون سابع عشر . (١١) وكلاهما لا يرى المدينة

(١٠) يبدو المؤلف معاند عندما يصف مصادر المعلومات ، ولكنه يقع في نفس سائر الذي وقع فيه غيره حين يأخذ من الكتب . وقد كان هو جد فيشر على طريقة أحكام الجنرال من كل شيء فان المؤلف يكاد يترك كل شيء مدهم . فترجم

١ - انظر تقريراً الى كولبير ، 1664 ، AAE ، مدينة الجزائر ، 12 ، 148 ،

وكذلك تقريراً الى أمير البرغال ، دوفو ، الحلقة الاربعية (R.A.)

مضيعة ، فالمكس فان كليهما متماثل محفوظ معطوفا عند هجوم تابع .  
 وكانت أسوار المدينة تحتوي على حوائط مدفع معظمها في مواجهة البحر .  
 وكلا الكتبتين لم يدر أن بعض تلك المدافع يسود تاروتها اني أمام هجوم  
 شارل الخامس . وانواع انه بعد الاستيلاء على مدنة العرائر سنة  
 1830 اكتشف الفرنسيون أن كثيرا من تلك المدافع التي « مدافع » عن  
 المدينة لم يعد يمكن إطلاقها دون أن تكون خطرا على حياة مطلقها .  
 وكان هناك خمسة أبواب في الأسوار ، اثنا منها بواجهات البحر ، وهما  
 أربع قلاع صغيرة ، واحدة منها تقع على مافه نصف طنقة مدفع من  
 المدينة والكتابات اني تعود الى سواب الستين والسبعين من القرن  
 السابع عشر . وكذلك الكتابات السابعة واللاحقة تقع على أن المدينة  
 يمكن الاستيلاء عليها اذا توجه من جهة وعشرين من ثلاثين ألف رجل  
 مسلحين بلحاح ماب بأحمره الحصار . غير أنه يمكن أن يصيب  
 « هدمنا » الى هذه التعديلات المقاتلة ، وهم أن جميع محاولات للاستيلاء  
 على مدينة الحزائر ، من أيام حصار اندلس الى قرون السابع عشر ،  
 كلها قد سقطت باقتل . ومع ذلك فان الحجة القوية سنة 1830 لم  
 تلق الا مقاومة ضئيلة .

ان المدينة عطي اصحابه لاجابات اذا نظر اليها المرء من جهة  
 البحر . فأمم ، رثي برأي ريسف بحري ( المول ) والمرسى تحوط  
 بها أسوار المدينة . وهذا ما يساعد على سقيج الجبل وهي تشكل  
 مدخل . وظه الأسوار . وهذا ما يساعد على سقيج الجبل وهي تشكل  
 الأبرصة . وكان هناك بعض المدافع التي يلوث الجو قليلا ويسود  
 الجيطان ، وكان الموصور مسجون لتبيض آملين بذلك السيطرة  
 على الصاعود . ولكن عندما تدخل المرء الى سورع الصفة فيه يبدو  
 واضحا أن مدينة الحزائر تعد دمه دا شهده من بعد أكثر مما تعده  
 اذا كان قريبا منها .

أما داخل الأسوار من كثير من « جمال الأسف » يترك الجبل  
 للشوارع القدره ، فمعظمها لا ينسج حتى لا تثن من المارة للمرور بسهولة  
 وفي الشوارع الأكثر اتساعا كان الرجل يراحم الجمال والخيول والحمير

وحتى اثبات الواقعة ، وكان معه بعض بروائع الدمى ورسالة  
والقادورات ، ومن الأكيد أن هذا لم يكن أمرا غير عادي بل لآلة  
مدينة في أوائل انحصار الحادثة . فقد قل أن المرء كان معه أن شمس  
لروائع الكربنة لمدة باريس على مسافة خمسة أميال ، كانت الريح  
في اتجاهه ، ثم أن الزوار الذين عرّفوا مدني نابولي وبرشلونة ومرسيل ،  
وعبروا من مدن البحر الأبيض الشمالية كثير ما تحدثوا عن الحرائر  
حدثا يجعلها ، بالمقارنة ، بعض تلك المدن المنيعة المرفقة . وما رآنا  
لحد اليوم الشوارع انصفة في الأحياء شمسة والأشوار في كل من  
تونس ولحرائر والزباط وغيرها من مدن إفريقية شمسية ، وبعضها  
ما برز يحتفظ بالحظن الدله من العائين . وهي الحظن التي تسر  
احتفاء الخاصة لثلاث الأعمدة التي تحمل الحقائق ذات المساح  
والأرهار ، تحمل المنة الفاحرة والخاصة ممكة . وهناك شوارع  
أخرى تظهر فيها دكاكين الحار والحرفيين بل براجم فيها الممرات حتى  
تكاد توقف حركة المرور تماما ، سيما مع أصحاب تلك الدكاكين على  
المارة لشراء أمتعتهم أو المشاركة في الملاهي لصحة من الخسارات  
أو المقاهي .

وفي سنك تقرون الأولى كان الحرفيون عادة من الحصر ( السببة ) ،  
والموريسكيين وشمس ( سعادين ) للاحثين من الأندلس ، والكرافلة ،  
وإيهود . وكان من أسباب سرور على أن الملاحثين من الأندلس قد  
أغوا مدنة الحرفيين بها ، سيما بخبرنا آخرون بأن الموريسكيين  
لم يستقبلوا أسفلا حس في مدنة الحرفيين ، على عكس ما حدث لهم في  
تونس حيث كان لاقتصاد أكثر ملائمة بعد انهم وحث الحكومة أكثر  
استعدادا لامتناعهم .

إن الحانات والمقاهي في مدينة الحرائر كانت كلها تقريبا في ملك وإدارة  
المسلمين المحدد ( المرتدين عن المسيحية = الاعلاج ) أو الأرقاء المسيحيين  
الذين كانوا يدفعون لأسرهم جزء من الفائدة ، وكثيرا ما أصبحوا هم  
أنفسهم من الأعمدة . والواقع أن هناك قصصا عديدة عن الأرقاء الذين  
رفضوا عروض تحريرهم أو فدنتهم خوف من فقدان أرباحهم التجارية .

وخلال القرن الثامن عشر قرأ أن هناك ابتكارية كانوا يديرون المكائيل  
من هذا النوع أو ذاك ، وكان معصم قد هزم وتقاعد عن العمل ، بينما  
آخرون وجدوا الفائدة أكثر في إدارة دكان واكتراء يدبيل عنهم للتيسر  
بالعمليات العسكرية أكثر مما لو قاموا هم أنفسهم بدورهم العسكري  
كحود .

وهناك نظام في مدينة الجزائر اتفق جميع الزوار على مدحه وهو  
الحمامات العمومية . ومن الواضح أن هذه الحمامات كانت محدرة  
من تلك التي خدم الرومان مدفرون حلب . وأكثر تلك الحمامات  
مقامة لها غرف بخارية ، وفيها الماء البارد والساحي ، وخدم من يزوج  
مهره في ذلك ، بالإضافة إلى تقديم القهوة واشربة من قبل الوصيفات .  
وهذه ساعات خاصة بالنساء يكون فيها الحمام تحت إدارة نساء . كما  
أنه كان بإمكان النصرى ويهود والأرمن إدارة الحمامات . ويجهزنا  
الذكور اندرهيل Underhill في أواخر القرن الثامن عشر عن الأصداء  
والماء البارد والساحي وسوب الحميل والموود ومحكات السعد ، وخدم  
الحمامات ، والقهوة وشراب ، والساحي وحى عن مكاية تعاطي  
المحدرات . وسبحم حدره مع أحدر من سبقوه من الزوار . ومعظم  
لكتاب المسحين يعرفون هذه المنمنمى بفقضية النظافة داخل هذا  
الطعام الممار وهو طعم نساء . وقد يكون كلامهم صحيحا ، ولكن  
الحمامات قد تكون معصية بفساد استلابكيه ( الرومانية )  
القديمة .

ولا توجد صدق بمسحين خلال القرن السادس عشر وبداية السابع  
عشر ، وكان على المسافر أن يجد ملجأ في حي اليهودي . ولكن خلال  
القرن السابع عشر أنشأ القناصل الأوروبيون نوعا من المنازل أو القنادق  
لتحزين البضائع وإدارة الأعمال القصبلة ، والقام بالوظائف الدينية ،  
ثم محلات يمكن للزائر أن يقيم فيها . وبحلول القرن الثامن عشر ، حين  
وجد بين خمسة إلى سبعة من القناصل ( الأوروبيين ) في الجزائر ، أصبحت  
هذه الخدمات منظمة بشكل مناسب .

وكانت المستشفيات الأساسية التي يقوم عليها قسوة ( الثالث  
 المئتين ) و ( نظام اعتداء الأسرى ) - أو المثلثون ، قد وجدت لتجني  
 بالأسرى المسيحيين ، بأبقائهم ، فيما يبدو ، على عقيدتهم الدينية . ولكن  
 المستشفى كان مفتوحاً أيضاً لرحلات انحرافه لحرية المسيحيين وحتى لبعض  
 السكان المسلمين . ويبدو أن المستشفى كان نظاماً « مودحاً » لذلك  
 العهد . ولكن الرهبان لم يكونوا دائماً إداريين جيدين . فقد كان  
 المستشفى في السواب الأولى من القرن السابع عشر يواجه مشاكل  
 خطيرة . وكان مدير أحد المستشفيات قد افترض مالا من مسيحيين وأثراش  
 وسيدية ( حصر ) ويهود برنا عال . ولم تكف سعيه من الصوف جاءت  
 من ساما لتسديد ديون المقرضين . وفور الفصل الفرنسي بطريقة  
 بعضه تحمل بعض المؤونة في ذلك . وبحلول القرن الثامن عشر ،  
 عندما كان هناك حواشي سه من هذه المستشفيات واقعة في أحياء العيد  
 أو ما يسمى « بالنايوس » ، (2) أصبح مسوحاً للقسوة أن يفرصوا  
 صرية صغيرة على الصائغ الواردة إلى الحرث لمساعدة المستشفيات .  
 وقد قدمت هذه المستشفيات خدمات لمسيحيين لم يكن في مقدور المسلمين  
 لمبشرين في المدينة توفيرها لهم .

وسعالج في فصل لاحق لأحياء جديدة الأرفاء ومشاكل الأرامل في  
 الجزائر . وبعد قدر الألب ( نير ) عدد المسجونين ، معظمها من  
 حجم الصغير ، وكانت الروايات تصف في نفسها مبادئ أو ثواب  
 أما المسجون القحمة بالحرث فقد ساء بعد الألب دان ، بأنها عدد من  
 الرياض أسخارة الدين حققوا حجاباً ثلثاً ومن ثم كانوا أثرياء . فهذا  
 طاسي (Tassy) يصرح . ويتفق معه معظم المؤرخين عديدين . بأنه كان  
 يوجد في أوائل القرن الثامن عشر ، عشرة مسجونين كرى وحولي خمسين

2 - كانت لالنايوس عماره من محبته مسكنها الأرفاء ، ونسبها كانت محلات أمية  
 مضطحة ، ونسبها كانت مفرجة طوب الفهار ولكنها كانت تخلق ليلاً على خلاص المادة ،  
 وكانت النايوس هي محلات أدوية القديس انكليكي ، والحصار والعدا  
 وسوما فصاع المسروقة ، بالإضافة إلى سكن الأرفاء ، وساحة النايوس كانت  
 مريحة ، مبرة ، محله الألبان ، مشرق ، وحفره أن استعمال إحدى هذه التملكات  
 دون غيرها سوف على شهور الكذب الذي استعملها ، وإن مظهر الناس قد يكون  
 هو الصورة الحقيقية لالنايوس في آخر حياة الإناث الجزائرية .

مسجدا صغيرا . وكانت هذه المساجد تحت اشراف كثير من المواطنين ، بالإضافة الى المذاهب الاسلامية الثلاثة الذرية وهي Cabalists, Sannasques . وهناك مذهبان وبطرتان مختصات ، وأهل السنة والجماعة . انداطون الحدد في الاسلام ( العلاج ) يتشبهون عادة بالخيراء ومعهم انداطون الحدد في الاسلام ( أو محرر ) في وجهه لمساجد المذهب السني الذي كان أكثر ثيرالية ( أو محرر ) في وجهه سيرة ناسه للأخلاق النحضة ، بينما المهاجرون من الأندلس والحضر كانوا في الغالب على المذهب المالكي الذي يقف من الأخلاق والأعراف موقفا أكثر صرامة . أما في الرواية والمساجد الصغرى فهناك تنوع في المذهب . وخلافا للمسيحيين الذين كانوا في نفس المهد شجون احقر صد بعضهم باسم البعثة ( الأرثوذكسية ) ، من جميع هذه امروق ( لاسلامية ) كانت مساجدهم مع بعضها . فالمرطون دوى الطراب الشرى ، الذين كانوا يفسرون الدين بقرينهم الخاصة كانوا مفرولين على قدم المساواة مع مسلمي القرآن في المدارس .

وبخلون لقرن اثناس عشر كان يوجد ثلاث مدارس علم ( كوالح Colleges ) حيث يتعلم الأولاد لقرآن وبعض اشعة الأدب واما بعض السط يدي ما يرل الأولاد المسلمون يمدخلون به ، ان يحسنون في حلقه حول معلم ويحفظون القرآن عن سهر قلب . وبالإضافة الى ذلك كان يوجد عدد من المدارس الأصغر حجما خاصة بالأولاد حيث يمكن لتعلم أن يتعلم القرمة والكتابة ومبادئ الحساب .

غير أن اتعلم ، سواء كان دسا أو دسويا ، كان يخط المستوى جدا خلال هذا العهد كله . ولا شك أن أعسة احقر ثرين ، سدية أو أثرى ، أو ثرين ( أندلسيين ) - يشتركون في الجمع مع أحد موطعهم اريبيين الذي كان مدهشا عندما ما سمع أن أروبي آخر القرن السابع عشر كانوا يصعبون وقتهم في محاولة تعلم حركات الحوم ( الملك ) « احساب الذي لا فائدة فيه » والفلسفة الطبيعية . وقد كان شو ( Shaw ) الذي كتب حوالي سنة 1720 ، من أدق الملاحظين ، وكان يحسن لغات الشرق الأدنى والأوسط . وقد اجتمع مع حرائرين من فئات اجتماعية مختلفة المستوى ، وترك لنا الرأي التالي :

« من لفلسفه والحساب ومعرفة التخيلاء والطب ، التي كانت منذ بضعة قرون فقط تكاد تكون حكرا عليهم ، ( يعني العرب للمسلمين ) أصبحت غير معروفة أو مدروسة الا قليلا ( بالخرائط ) في انوقت الحاضر . ان هذه الحرب اندوية وغير المستعرة والمظالم التي لا نهاية لها التي برسكها الإحتراك ضد الحضر ( السكان ) ، لم تسمح لأنهم دلتمتع بالحريه واعيدوا والأمن اني أصبحت المعرفة في كل الأزمه وشجعت عليها . ففي ما يتعلق بالأثرالك هم عموما ذوو طبيعة مضطربة وغير مستقرة ، أو انهم عارقون في التجرد واصلاح احوالهم الماده لدرجة أنهم لا يعدون وقتا لسفره ، حتى أنهم كانوا يدون اندعاشهم ، وكانوا يألوني عالا : كيف يجد المسحيون لدة أو يصمون وقتهم ونقودهم في مثل هذه الممارسات الفارعة مثل الدراسة والتفكير . » ( من رحلات الدكتور شو ، ج 1 ، ص 353 ) .

ويؤكد دولاكروا الاس ، اندي كتب خلال تسيت من لقرن الثامن عشر ، هذا الانطباع الذي تركه شو فهو يقول « ان شعب المغرب العربي جهلة ، وليس لهم ذوق في العلم أو الفن ، وهم بخلاء ، وعلاظ ، ومرددون وشكاكون ، وحمودون . وليس لهم سوى مقدرة محدودة على التجرد ، رغم أنهم يقومون بأعمال تجارية عديدة ... انهم لا يمشون الا بخرصة . » ( من جغرافيه حديثه ، ص 294 - 295 ) .

وكان أهل الخرائط خلال القرن الثامن عشر ، يعتمدون في ملأه على الصهاريج وعس الأمصار . ولكن في أوائل لقرن التاسع عشر وجد أحد الباحثين من الأندلس بعدا عن هذه وجهة نظر ، وعرف كيف يبنى القنات الصروية لاجل حصر الماء الى المدية ، ونتيجة لذلك كان هالك أكثر من مائة عين بحدسه الخرائط ، بعضها كانت في السجون ( البانوس ) بالأرقاء ، وبعضها في ثكنات الانكشارية ، وبعضها في الشوارع حيث يتمكن السكان من ملء حراهم .

وكانت الماني العامة في حاجة الى ذوق معماري متميز . فلا المكاتب الادارية ولا المسودعات بالماء سدي شكلا خاص سوى أنها ماني وطبعة عادية . وكان « القصر » نفسه عبارة عن مبني مربع بدون ذوق



خاص . وكان الديوان يجتمع في مبني واسع حيث يجلس الباشا والداي على مصطبة ولم يكن مميّزا بأي ميزة معمارية . ولم يثر ذلك « القصر » دهشة الفرنسيين حتى أنهم هدموه بعد ستوات قليلة من احتلالهم بمدينة . ( ٩ )

وكل المؤلفين يذكرون لنا أن سكان مدينة الجزائر كانوا يتألفون من اعدية ( وهم سكان الجزائر الأصليون من الحضر ) ، والأتراك ( سواء منهم الأعلاج والمشاركة ) ، والفرنسيين والأندلسيين ( وهم اللاخثون من الأندلس ) ، ومن ايهود ، ومن البربر « الأشداء » ومن اسرب الوافدين من الصواحي القريبة من المدينة ، ومن الأرقاء المسيحيين ومن البيد اسود . وخلال القرون السابقة لمعصور الحديثة لم يقم أحد بحراء احصاء للسكان . وبذلك من تقديرات عدد كل جماعة من الجماعات المذكورة . وكذلك بالنسبة لمجموع عدد السكان ، انما هي في احسن الاحوال احتمادات غلة وفي أسوأها مجرد تخمينات وضوح . وافضل الاحصاءات فيما يبدو ، هي تلك التي تعتمد على عدد البيوت في المدينة مصروبا في عدد الأفراد الذين يسكنون وجودهم في كل بيت . وعلى كل حال أي رقم قد يكون محمولا من اضافة أعداد الناس في حي من أحياء المدينة أو في إحدى القرى ، الى رقم تقريبي يصل الآلاف . وان الأرقام الخاصة بالقرن السابع عشر يجب أن تصف في أرقام أصغر منها بكثير بالنسبة لكل من أول القرن السادس عشر وآخر القرن الثامن عشر . ولكن كم كان الفرق بينهما ؟ انه من الصعب الوصول الى رأي في ذلك .

والأرقام التي أعطاها الألب دان ( حوالي سنة 1630 ) ودارندا D'Aranda ( حوالي 1657 ) ، ودارفيو d'Arvieux ( حوالي 1675 ) ثم طاسي ومورقان ( حوالي 1730 ) يدل ، فيما يبدو ، على أن مدينة

( ٩ ) - غريب أن يحكم المؤلف هذا الحكم على قبة عمر الداي ، وكأنه يريد عدم الفرنسيين له من أجل ذلك ، ولكن هذا المهدم ثم بنى حقه على القصر في وجه المصطبة كد هو معروف . بعد حدم الفرنسيون حطم السبلة بيد الاحتلال ، ومع ذلك حال علماءهم قالوا بأنه كان لحقة رائعة . ( المترجم ) .

للجزائر خلال القرن السابع عشر قد أنفت على سكانها في رقم معمول  
 مستقر وهو من مائة ألف إلى مائة وخمسة وعشرين ألف نسمة بين أحرار  
 وأرقاء . لقد كان هذا العهد هو أعظم عهود قراصة البحر رخاء . وقد  
 تهاطلت البصائم والأرقاء على مدينة الجزائر بسرعة أكثر في النصف الأول  
 من القرن المذكور ( 17 م ) ، ولكن الرياس كانوا قادرين خلال كل  
 انقرون على الاسهام في ازدهار ورخاء سكان المدينة . فقد كان الطعام  
 رخيصا ووفيرا ، وكان عدد السكان يتجدد باستمرار سواء من المشرق  
 أو من النواحي القريبة من المدينة . ولا تملك أرقاما يمكن الاعتماد  
 عليها بالنسبة للسوايد والوقيات . ولكن يجب أن لا ننسى أن الأرقام  
 التي توصل اليها الديمغرافيون بالنسبة لأجزاء من فرنسا وأكلترا يمكن  
 تطبيقها بالنسبة للجزائر أيضا . وربما يكون صحيحا أنه بدون التحديد  
 المستمر للسكان من المشرق ومن القبائل البدوية وشبه البدوية سينخفض  
 سكان مدينة الجزائر بصورة خطيرة خلال انقرون السابع عشر الذي  
 نتحدث عنه .

وهل توجد طريقة لاكتشاف أصول السكان خلال هذا العهد ؟ ان  
 هذا السؤال لا يمكن الاجابة عليه بآة درجة من الدقة . فالكتاب ،  
 الذين ربما كان بعضهم ينتقون حرف آراء سابقهم ، يضررونا أن مدينة  
 الجزائر كانت تضم مائة ألف من الأحرار وخمسة وعشرين ألفا من العبيد .  
 ولكن تجزئة السكان إلى طبقات وإلى جماعات سلالمة يؤدي إلى الحيرة .  
 مثلا ، لدينا رقم يقول بوجود مائتين عشرين ألفا وثمانمائة وعشرين ألف  
 دار من الأحرار ، وهم سكان المدينة الأصلون الذين كانوا معقون من  
 الضرائب بقرار من خير الدس . يضاف إلى ذلك اليهود الذين كان عددهم  
 عادة حوالي عشرة آلاف فرد . ثم الثقبون والإنديلسون الذين جاؤوا  
 في عائلات لاحقة من الإنديلس . وهم في العادة سلفون مائة آلاف دار ،  
 ثم عائلات الكراغلة التي تتراوح ما بين مائة وسبعة آلاف فرد ، ثم  
 الانكشارية والإعلاح وهم بين خمسة عشر وعشرين ألف رجل ، وأخيرا  
 حوالي خمسة وعشرين ألف من الأرقاء المسحين . ان هذه التجزئة  
 التي تأخذ في الاعتبار أربعة أفراد فقط للدار الواحدة — سنتج عنها  
 ان السكان كانوا حوالي مائتي ألف ( 200 ) نسمة . ولكن لا يوجد

كاتب من الكتاب يدعي هذا العدد الصحيح . ولذلك فإن التجرئة السابقة للسكان يجب أن تكون خاطئة .

وبالاضافة الى ذلك فانه من المحتمل جدا أن الرقم المذكور ، وهو مائة وخمسة وعشرون ألف نسمة ، يجب أن يكون غير مسلم به أيضا اذا كنا سنحول تقدير السكان في نهاية القرن السابع عشر الى سلسلة الهجمات المريعة التي قام بها الطاعون . ذلك أن السكان في أوروبا خلال هذه الفترة كانوا تحت سيطرة أمراض مزمنة الحذري ، واندثريا ، وأنواع مختلفة من الحمى والأمراض الراحعة الى السمن وغيرها ، يضاف الى ذلك حوادث ملاد الأسفال . لقد كانت هذه الأمراض حينها موحدة في الجزائر أيضا ، يضاف اليها الهجمات المتكررة والمروعة للطاعون الذي أودى بحياة الناس كثيرا مما يجعل من الصعب أن ندرك كيف استطاعت المدينة ( الجزائر ) أن تبقى على قيد الحياة بعده . فمثلا يحبره الكتاب أنه في سنة 1647 وسنة 1648 كان عشرة في المائة من السكان يموتون كل سنة . ثم حدث « الطاعون الكبير » سنة 1654 الذي أودى بحياة ثلث السكان . وبعد ذلك ثمان سنوات ( 1662 ) مات ( منه ) عشرة آلاف من الأرقاء من مجموع خمسة والعشرين ألفا ، ولكن لا يوجد رقم لوفيات بقية السكان . ثم حدث « طاعون كبير » آخر بعد ثلاث سنوات ولكن لا وجود لسنة الوفيات التي تسبب فيها . وخلال السنوات الخمس اللاحقة كان الطاعون المزمع ، ثم كانت سنة 1671 التي كانت سنة أخرى من الشر . واذا حكمنا من الأخبار السابقة واللاحقة نعرف أن « سنة الشر » تعني الوفيات التي تتراوح بين عشرة وعشرين في المائة من مجموع السكان . وفي سنوات الثمانين ( من القرن السابع عشر ) أضف الى الطاعون المجاعة وقصف الأسطول الفرنسي رغم أن هذا الأخير كان غير فعال بالنسبة للضرر بالسكان . وخلال سنوات الشر 1687 و 1688 كانت نسبة الوفيات حسما روى ، تتراوح بين مائتين وأربعين شخصا يوميا ( وهو رقم غير صحيح » لأنه قد يعني أن حوالي خمسة وسبعين ألفا من مجموع مائة وخمسة وعشرين ألفا قد ماتوا خلال سنة ) . وتجب الملاحظة أن حدوث الطاعون والمجاعة

خلال سنوات الثمانين ( من القرن السابع عشر ) يمكن أن يكون عاملا  
 ساعدا في القوضى السياسية التي شهدتها ذلك العهد . (3) فما الذي  
 علما أن نعتقد ؟ أن مدينة الجزائر خلال السواب الأولى من القرن الثامن  
 عشر كانت ما تزال تحتضن عددا كبيرا من السكان ، لعله أقل من العدد  
 الذي كان فيها منذ نصف قرن مضى ، ولكن من المؤكد أن المدينة لم  
 تكن خالية من السكان . إذ من المؤكد أن الطوائف والمجاعات قد  
 أهلكت عددا كبيرا ، غير أن حركة الهجرة وحلب الأسرى قد ساعدت على  
 استقرار السكان .

ولبعض الأسباب ، كانت هجمات الطاعون خلال القرن الثامن عشر  
 أقل من سابقتها ، ومع ذلك فلدينا شواهد أكثر موضوعية تدل على أن  
 الطاعون ، كاد في إحدى الماسبات ، يقضي على نصف القرقة الانكشارية  
 في الجزء الأخير من هذا القرن . وقد يكون ادعاء مقبولا أن تقول أن  
 الطاعون كان مسؤولا جزئيا فقط على انخفاض عدد السكان الذي بدأ  
 حوالي سنة 1720 . فنحن نعلم أن تدهور نشاط الأسطول البحري  
 الذي كان السبب في قلة الفائض وضمف الازدهار ، يجب أن يؤخذ أيضا  
 في الاعتبار ، ومع النقص في الأرقاء ، والنقص في الانكشارية ، وربما  
 النقص أيضا في الهجرة من داخل البلاد الى المدينة ، فإن مجموع السكان  
 كان عليه أن يتضاءل .

لقد عرف شمال افريقية ترحب ، ورود كثير من السلالات :  
 الفينيقيون ، والرومان ، واسربر الحمران ، وعراق العرب والفرس .  
 وجميع هؤلاء قد تقاطعوا ، تاركين وراءهم آثارا من دمائهم مع السكان  
 الذين وجدوهم تقطع النظر عن أصلهم (٤) ومن الصعب جدا معرفة

3 - ان اصل الشواهد على تأثير الطاعون ربما توجد في الرسائل القسبية ، غير ان  
 جميع التقارير حول الجزائر ، بما في ذلك اغازيت فرنسا (Gazette de France)  
 تتحدث عن الطاعون ،

(٤) - لا نحلف المؤلف عن المدونة العربية الاستعمارية في البحث والحكم من اصل  
 السكان الجزائريين ، وكان المفروض ان يعطى الى أهداف هذه المدونة ويستقل برأيه ،  
 (الترجمة) .

كمية قطرات الدم التي خلق منها البلدي (الحمري) والقبائلي والعربي ،  
 ان الدكتور شو قد قرر ، عندما وجد في أهل البلاد (Moors)  
 من كان أزرق العينين وأشقر الشعر ، انهم منحدرون من القوط ، ومن  
 يقول له أنت مخطيء في ذلك ؟ وخلال القرن السادس عشر أضاف الجيش  
 الأسباني والأرقاء الأسبان وأتراك المشرق زيجات جديدة الى العناصر  
 القديمة ، كما أن السنوات التي تلت ذلك شهدت أرقاء من جميع أنحاء  
 أوروبا من روسيا الى أنكلترا ومن اسكندنافيا الى صقلية ، مما زاد في  
 تعقيد خلط السلالات . ولعل عدم وجود الزواج الا بأعداد قليلة في  
 الجزائر يثبت الواقع وهو أن لون بشرة الأهالي اليوم أقل سمرة من لون  
 بشرة المغرب الأقصى حيث استعمل حكماء خلال القرن السادس عشر  
 فرقة من الحدود المحلوين من الحجاب الجنوبي من الصحراء . ومهما  
 كان الأمر فإن الرأى لشمال افريقية اليوم سرعان ما يتدهش من أن ملامح  
 الوجوه واستدارة الرؤوس وغيرها من علامات الأصول لسالية التي  
 يراها الانسان في الشوارع وفي القصور ... كلها تدل على أن السكان  
 هناك لهم صلة بكل عرق في المعمورة .

وفي مدينة الجزائر كان الأمر كهم الطبقة الحاكمة هم أعضاء في جيش  
 الاحتلال . فكل راعي نهر من اصوليا أو من أهل حال الباي أصبح  
 « أرفع وأقوى سيد » بمجرد وصوله الى الجزائر . ان هؤلاء الرجال  
 الغلاة وغير المهذبن ، بالإضافة الى الأعلاج الذين أصبحوا أيضا جزءا  
 من فرقة الانكشافية ، هم الذين كانوا يحكم المدينة . وهم وحدهم  
 الذين يمكنهم الصعود الى مراتب السلطة في الهيكل العسكري والسياسي  
 للمجتمع . وقد وقفوا خارج النظام العادي للمدالة والمقاب المطبق على  
 بقية السكان . وان أكثر الأوصاف التي تمت بها « الأتراك » لست  
 أوصاف مدح . غير أن بعضهم يبدو أنه قد تيقن أن حظوظ « أرفع  
 وأقوى السادة » لم تكن حظوظا وردية كما ظهرت في بادئ الأمر .  
 فهذا فرانسيس نايب (F Krughe) كتب في أوائل القرن التاسع  
 عشر يقول :

« ان الانسان الركى هو الذي يحارب من أجل الجميع ، سواء في  
 البحر ، ونظرا لسلطته كمحفل ، فانه كان يقف على جميع السكان  
 الآخرين تابعين له ، باعتبارهم أصحاب الصائع بطريق النصور ، أما  
 الآخرون من الأهالي فاستغرتهم ملاكين للضرورات ، ذلك أن الأهالي  
 ( المورد ) والشعبيين هم ملاكو الأرض والسفن وصانعو الأسلحة  
 يوجدون معهم ... الذين استطع مقارنةهم بأسحر الأساس ، أما  
 الأتراك فكانوا عذراء عن سواي أو حذاول صغيرة تصب في المحيط  
 اعظم . ذلك أنهم ( أي الأتراك ) الى جانب أحورهم وأسبهم من  
 المعاشم التي يحصلون عليها في البحر . لا يمتنون ... الا قليلا ، اذ لا  
 تعلمهم في أحسن الأحوال الا العناب والعبايا وأسافل الرذائل . ففي  
 الصيف تعددهم عند Toyles ودورة الحظ ... وليس لهم  
 حق الاسماء الى أن يملوا . من المعاهد مصيرون بولكاشية ( أو كاز  
 الماشيا - الانكشاه ) ... هناك حص الأتراك الأعزاء جدا ولكنهم  
 قليلون . »

وسما يعرف السيد بان الوندان حادي كان هو نفسه عبارة  
 عن عبد . لا يحارب على خدمته ، بل عنه أو تلك الذين يصبون  
 ودائله ، بعد السيد دايم ... الذي قد يكون تأدي  
 من عبيدهم وجهده . نعم أن الماشيا كتب تأليف من « صعبالك ،  
 وعصاة ، وهاربي من دفع ابدون أو من حرائب ارتكوها ، ومن شبان  
 رعاء نسل آبائهم من اصلاحهم فاردوا التحصن منهم ، واختصار  
 فهم حثالة أرض الله . » ان هذه الصورة بدون شك صورة غير مشرفة  
 لأولئك الرجال الذين كانوا على رأس الحكم في الحرائر .

وان هذه الصورة يمكن تكبيرها أصفا مضاغة . وسكون من  
 غير الصحيح الا تصف بأن هناك دلائل تدل أن بعض أعضاء  
 الانكشارية قد يكونون كرماء ولطفاء وحذرين بالاعبار . وكان الأرقاء  
 الذين يعملون في الشكات غالبا ما يعملون معاملة الرماء أو الاحوة  
 الصغار أكثر مما يعملون كخدم . ولكن نفس الأعضاء قد يصيرون مسحا  
 أو يهودا على المشي في الوحل ، أو ينتظر الأسوأ عندما يقتلهم في

الشوارع . وإذا حدث وصرب مسيحي أو يهودي أحد البولداش . يقطع  
 سطر عن كون الأخير ما يزال وأصلا إلى الحرائر لنوه ، فإن العقوبة هي  
 الموت . ومعظم البولداش ظلوا عبر متزوجين وعاشوا عيشة جماعية في  
 الشكاك التي لم تكن أكثر فائدة للسكن والراحة من الأحياء التي كان  
 يسكنها الرهبان المسيحيون ( في أوروبا ) . معظم البولداش كان يملك  
 الثروة ( المسيحيون ) الذين كان عليهم أيضا أن يقفوا على المساكن بصفة .  
 وكان على أعضاء الملبشا الذين يتزوجون أن يحدوا مآزل لهم في غير هد  
 المكان ، ولكنهم كانوا يحصلون على نفس كمية الحرث اليومية مثلهم في  
 ذلك مثل أحوالهم في الشكاك .

وكثير من الكتاب ركزوا على وصف الحاجة الأخلاقية للأعضاء  
 الانكشورية الذين كانوا يعضون . كما سبق . عيشة جماعية . ومن  
 المتوقع أن قوم عبر متزوجين يمشون في جماعه . ومعصولين عن لقاء  
 قد يمارسون بعض الانحراف الجنسي . بعد كانوا متهمين بالاحتشاد جنسية  
 بخللات والتردد على المعاهر . وهو ذلك ممارسة الشذوذ الجنسي .  
 ولكن بعض الكتاب تأثروا بسلوكهم "الحد" . فهذا أسد طاسي مثلا  
 يقول عنهم « ن حسبه يوحد كات » . المرأة أو الشطرنج ، ولا يعضون  
 لقصار معاش الدوام . « ن كان طاسي يعتقد أنه بذلك يمدحهم »  
 وعقب كل من هذه « ن ن شاة مان أعصب » لاكثرية لم يكونوا يتقوهون  
 عبارات الحب . رغم أن امرء سائل ما ذا كات لغة هذين القسسين  
 ( هايدو ودن ) الزكية حده ما فيه الكفاية بحيث سمح لهم معهم حديث  
 البولداش . من كان هؤلاء شاسين عن حمقة أو كانوا فقط شياطين بعد  
 الباب حيث أوقعهم مصرهم ؟ ان هذا السؤال لا يمكن الإجابة عليه  
 الآن ، ولكننا نعرف أن معظمهم عاشوا في نفس الوقت عيشة حطرة وسيطة  
 وماتوا بدون ثروة عزيزة . ولم يكونوا يحصلون على أي زيادة مائة إلا  
 إذا ساعهم الحظ ، وعموا سهما من إحدى العائش الكسرى ونقو على  
 قيد الحياة بعد التعرض لأخطار حملة قرصاة ، وفي هذه الحالة فقط  
 يمكنهم أن يصرفوا تلك الدراهم على الخب التي جلبت عليهم نفقة الكذب  
 للمسيحيين .

وبالإضافة إلى المجدين من أراضي السلطان ، كان هناك مصدران  
لتسمية ملبس الانكشارية : الأعلاج الذين يمكنهم أن يصبحوا أعضاء  
كاملين في فرقة الانكشارية ومتقاسمون سوية كل شيء مع المجدين من  
أناضوليا وسورية ودماشيا ، ثم الكراغلة الذين لم يكن مسموحا لهم  
بتولي المسؤوليات العليا سواء في فرقة الانكشارية أو في حكومة الإيالة .

وكما لاحظنا فإن الكراغلة كانوا هم أولاد الانكشارية من النساء  
الأهلياء . وقد رحب الأهالي بهذا التحالف لأنهم بذلك يحصلون على  
« حامي » يحميهم من رجال الملتسا . وكان رجال الانكشارية يصارعون  
لنفس الأسباب المختلفة التي كانت تدفع الناس دائما في كل مكان : بعضهم  
من أجل المال ، وبعضهم من أجل الحس ، ولعل بعضهم فعل ذلك أيضا  
من أجل العشرة والحصول على منزل . ولكن الكراغلة كانوا في حد ذاتهم  
مشكلة . فمن الطبيعي أنهم كانوا يرعون في التمتع بامتيازات آبائهم ،  
غير أن الذين ولدوا بالإصالة أنراكا وكذلك الأعلاج المصنوعين اليهم لم  
يسمحوا لهم بالصورة الكاملة في جماعتهم . وقد لاحظنا أنه خلال النصف  
الأول من القرن ( السام عشر ) . أدب محاولات الحد من دور الكراغلة  
في النهاية إلى ثورة حاول خلالها نضعة آلاف من الكراغلة المؤيدين تأييدا  
ضعيفا من أهل زواوه وأصدوه ، آخرس ، أن يستولوا على مقاليد السلطة  
في الإيالة . ولكن أعلاه بحصر ( السدة ) بقوا محايدين ، ثم أن انفجارا  
في مخزن البارود الموح - سقامة التي كانت في أسدى الثوار ، قد وضع حدا  
للثورة . ومنذئذ لم يسمح للمكراغلة سوى بالخدمة في القوات المسلحة .

وقد لعب الأعلاج دورا أكثر أهمية من دور الكراغلة في منظمة  
المليشيا ( الانكشارية ) وفي حكومة الإيالة . لقد كانوا معا مصدر ثروة  
بشرية ومهارة . كان المأخذون من الشرق في حاجة اليهما . ويحب التمييز  
بين نوعين من الأعلاج . فمن ناحية هناك الأطفال المسيحيون الذين أسروا  
أثناء الغارات ثم يبيعوا في الغالب إلى أحد الأعيان ( السادة ) الذي كان  
يربيهم في منزله الخاص كما لو كانوا أولاده من صلبه . وكان هؤلاء  
الصبيان يجدون من السهل عليهم التخلي عن دين آبائهم ويعتقون دين



سيدهم الذي كان يجمعهم في كثير من الأحيان ورثه له . وهناك آخرون  
 ينعون أصحوا أعلاجاً عندما يشاءوا من القداء وكانوا يأملون في تحسين  
 أوضاعهم بأسطى عن عقيدتهم المسخنة . ومن بين هؤلاء كان هناك عدد  
 من القدوسة الذين كانت معرفتهم بالإنجيل وقدرتهم على الكتابة قد  
 أهلهم لمكانة رفيعة في الحكومة . وهناك آخرون كانوا أرفاء وبخلوا  
 عن عقيدتهم وانضموا إلى المعرفة الانكسارية . وكان سيدهم له بعض  
 الحقوق على مدحولهم أي أن يكون في قدره الرقيق شراء حريته .  
 واسوع الآخر من الأعلاج مثل الأروسة مسكعون الذين حضروا  
 بأنفسهم أي مدينة الحرائر وبخلوا عن دينهم لأربابهم . وهي الأس  
 الشخصية . غير أن كثير منهم حاولوا أن يصبحوا من الأمانة وهي  
 المهارات التي كانت غير موجودة في كثير من أوائهم السامع  
 عشر كان الأعلاج هم الذين علموا الحرائر جميع أسس الطويلة  
 والاحجار بها والمعادن بها حتى في المصنع الأندلسي . أن أولئك الرجال  
 لم يكونوا رجالاً أتقوا ورعي يخدمون جيد في سبل الله بل كانوا  
 في الواقع لا أكثر ولا أقل من فرائص بحروب ورء عظماء تحت الرأية  
 لخصراء بحرائر ذات السهم اللامع بدل من رءاء تحت علم  
 القراصنة (و) (Jolly Roger) . كانوا في البداية شروا  
 اضطرابات في المدينة لأنهم لم تعلموا بعد عن سلوكهم المصنف  
 والأخلاقي . وإذا صدقنا السيد مورغان فإن أولئك الرجال كانوا حتى  
 في القرن الثامن عشر شاهدون حاليين على الرأية العالية أو على انحصار  
 بلعون الرد واورق ( الكارطة ) . أو يعمدون على القطار ويمسكون  
 كالمسحين ، ولكنهم كانوا سكارى نطلي « مثل الحذير » وكثير من  
 الإكرام كانوا يسمون الأعلاج « أمسا بدون عصده » . فهم لم يكونوا  
 مسيحيين ولا يهود ولا مسلمين . ومع ذلك فإن هؤلاء الرجال كانوا  
 مبدعين . فقد كانوا يعمدون الألعاب الأروسة ، وطرق الحناء الأروسية ،  
 ولهايات الأروسة . أن صورة المنح كرجل محمور مدم على القطار ،

جاء في القاموس : هذا العلم كان الأسود الذي تدرسه بعضه بعبارة مع عظام  
 متقاطعة (الشرجاء)

غير مرغوب فيه في بلاده الأم قد تكون صورة حقيقية بالنسبة للبعض ولكنها صورته لا تمثل سوى شعارات فارغة بالنسبة للبعض الآخر .

ومهما كن الأمر فإن حانه الإصلاح لم يكن بدون أخطار . فإدما أراد أن يعود إلى عقيدته المسيحية فإنه يكون قد غامر بأن يواجه موتاً زوأمًا عسى يد انجزار الحرائري . وإدما أسره ريان سبعة أروية وطهر عليه أنه عالج فيه كان عالما ما يواجه الشق بدون محاكمة . ولذلك فإنه لم يكن يجرؤ ، حتى ولو كان هو ريان السنة ، على التوقف في ميثاء مسيحي خوفاً من أسره و إعدامه . ان عبارة « عبح » ( أى مرتد ) أحدث معنى العار في كل اللغات الأوروبية . ذلك أن المسيحيين لم يكونوا يفرقون بين محبب المسود في سلوك لرحل النصح .

ان سكان الحرائر من سره . من احصر كانوا في أول الأمر هم البلدية ( الحصر ) الأهلي . معنى به سكان الحرائر الذين كانوا فيها عندما وصلها الأتراك ثم انضم اليهم مهاجرة الأندلس ، وأحرا انصار اليهم أهل الريف ، وخصوصاً أهل روه . وعبرهم من تسربوا اليها من المناطق الداخلية . وبجربا سد دابر Dapper بأنه كان في مدينة الحرائر خمسة وعشرون ألف عائلة من الأهالي (ج) فإدما قدرنا أربعة أشخاص على الأقل لكل عائلة فإدما نلاحظ أن الرقم المذكور ( وهو خمسة وعشرون ألفا ) قد يكون مبالغاً فيه . ومع ذلك فإن العائلات الأهلية كانت تمثل أغلبية السكان . وكان الأتراك يظنون اليهم نظرة احتقار خفيف . ذلك أنهم كانوا لا يصلحون للجدية ، وغير قادرين حتى على المدوع عن مصالحهم الخاصة . ونتيجة للحكاية تدور حول كوكبه من الحرس المؤلف من البلدية الذين أفرعوا ، دون شعور منهم ، مجموعة من الكلاب فأخذت في الساج فما كان منهم الا أن هربوا لا يلوون على شيء . - فان الأتراك جعلوا من هذه الحكاية مثلاً يقولون « إذا نحت الكلاب هرب البلدية » .

(\*) نفس أهل الحصر أو (Moors) بدل ما سبقي .

و يوافق أن المهاجرين من الأندلس . سواء كانوا ثغريين أو أندلسيين ، كانوا أدب أشداء ، حسنا على المهاجرون الأندلسيين كانوا عالما بـ  
 نصر يون القوي الساحة لأهله بهذه العائلات المهاجرة . ورغم أن هؤلاء  
 المهاجرين كانوا أقل في الحرائر فانيهم مع ذلك كانوا أعداء جدا . في أغلبهم ،  
 وديت معهم الأندلس ، في عائلاتهم الساحة في أرونا واستشار سقوط في  
 من فرصة حسنة لأمر أرونا آخرس . وكما هو متوقع من السكان  
 الأندلسيين كانوا ، مناهي من مصنف القصائد الاجتماعية . فمعهم كانوا  
 يحذر أثرياء بملكون سفا سمسة أو كانوا ناهة الأجهزة اللازمة لهذه  
 اسفن . ومعهم كانوا أصحاب حرف أو بحارا صغارا ، ومعهم كانوا  
 أصحاب مهر ، كما أن منهم من كان فقيرا جدا من حملة الانتقال ومن عدل  
 الحقوق الذين كانوا لا يكادون يفصلون الأرقاء شيء . والملاحظ أن  
 الكتاب الميجين لم يظفروا إلا نادرا بالفرصة التي تحملهم يتصلون  
 اجتماعيا بالسكان الأندلسي . ولذلك فإن معلومات عنهم ليست سوى  
 معلومات خافتة ، معظمها عبر حذر ناشئة .

والمقارنة فإن العائلات المهاجرة من الأندلس لفتت إليها أقطار الرحافة  
 والكتاب أكثر . نحن نعلم من كتابات هؤلاء أن أولئك المهاجرين كانوا  
 يرحلون إلى البحر في أساطيل فرسانية مهاجرة صغرية ويعبرون على بلاد  
 أحداهم العديدة ( الأندلس ) سيطرة ودراة لا ثاني إلا من معرفتهم  
 بالبلاد . وجاء بعضهم إلى المغرب العربي ( شمال إفريقيا ) سهارات  
 مختلفه الأوصاف ، مثل مسح أمشة الحرير والصوف ، وصنع الأسلحة ،  
 وخدمة الجلود ، ونجارة المعادن ، وفي تونس قامت بعض المجموعات  
 الموريسكية في الواقع ماء فرى كاملة على السط الذي تركوه في الأندلس ،  
 وحافظوا في ذلك حتى على أسماء التواريخ . واستمروا على استعمال اللغة  
 الإنسانية في سونهم . وقال الثغريون شهره بدعاهم المسببت وانقوى  
 ضد محاولات الأندلس الأندلسية . فخللا لمادة السكان الأندلسي الذين  
 كانوا يرحلون إلى الحال بمجرد ظهور العدو الغير ، فإن الثغريين حاربوا  
 شدة وصمدوا حتى أرحموا المجرى القهري سد حائر فادحة من  
 الطرفهم .

وكان أهل رواوة وعيرهم من البربر الذين هاجروا إلى مدينة الجزائر دائماً يشكلون أقلية . ويقول ( دابر ) عنهم أنه كان بالجزائر في آخر القرون السابع عشر حوالي ستمائة عائلة زواوية في المدينة . وهم يلعبوا سوى دور ضئيل في الاقتصاد الأهلي ، وأقل من ذلك دورهم في النشاط البحري ( القرصة ) . وقد أخبر ( مورقان ) أن الأتراك كانوا يردون هؤلاء الحليين ، ولكن هذا بدون شك وبكل ساطة هو رأي جيش الاحتلال نحو كل الرعايا في الأيالة .

وإذا كان أحد اليهود الجزائريين قد كتب مذكرات أو تاريخاً لقومه في مدينة الجزائر ، فإن كتاباته لم تصل إلينا . وسبغة لذلك فإن يهود مدينة الجزائر غير معروفين لنا إلا من خلال كتابات المسيحيين عنهم ، وأعلنهم الساقطة كانوا معادين لليهود . ويحبرها القنصل الإسكتلزي سنة 1675 أنه كان بمدينة الجزائر عدد حوالي ثلاثة عشر ألف يهودي . وأغلب هؤلاء كانوا أهليين لأن أعدادهم كانوا بمدينة الجزائر منذ أمد بعيد . وكانوا في الأغلب من أصحاب بحرف يعيشون في أحياء قدره Ghetto ويرددون نداء سر الثاب السوداء ومن أسهولة التعرف عليهم على أنهم يهود . أما منهم فكثروا « يهودا مسيحيين أو أروبيين » حاذوا من أساليب أو الرتمبل أو إيطاليا وكانوا يلبسون ثياباً « على الطريقة الأوروبية » ومدمجين في المجموعة الأوروبية . وهذا الصنف من اليهود كانوا على صلة بأخوانهم في الدين في فلورنس ومرسيليا ، وأمستردام ، ولندن ، وغيرها . وقد كانت لهم سمعة سيئة لدى معظم الملاحظين الأوروبيين ، ولعل سبب ذلك أنهم كانوا في منافسة اقتصادية معهم . ويحبرنا أولئك الملاحظون أن اليهود كانوا خبيثين وحيالين وغشاشين وغير أماء . وكان الفرنسيون متأكدين بأن هؤلاء اليهود كانوا على صلة قوية مع الأمير وللام أوف أورانج ( W of Orange ) قبل وبعد صعوده على العرش الإسكتلزي . وحتى ولو كان هذا صحيحاً فإن الملاحظين الإسكتلزيين واليهولانديين لم يكونوا أقل عداوة لهم من الفرنسيين .

ومن أسباب هذه العداوة أن اليهود استفادوا من نشاط القرصة . فمضى الدراهم التي كانت ضرورية لتجهيز وأصلاح سفن القرصة جاءت

من التحار اليهود . وبعض البضائع التي غلبها فراصة الجزائر يمت  
لرحال الأعمال اليهود الذين كانوا يعمدون تصديرها الى إيطاليا ، وإلى  
فرنسا ، وحتى إلى بعض الحزر الواقعة في المحيط الأطلسي . وأجيرا فإن  
هؤلاء اليهود كانوا مدمجين بعمق في عمليات نقل دراهم ائداء من أوروبا  
إلى الجزائر وهي الدراهم الموحية لتحرير الأرقاء وكانت هذه العملية  
الأخيرة عملة عربية داخلها دوق بوسكيا الذي كان يوفر « السحور »  
من أجل المحافظة على أسر الأرقاء إلى أن يصل دراهم ائداء فعلا إلى  
هدفها .

وهناك شكوى أخرى لأروسي تروا اشمي عشر ضد هؤلاء النجار  
اليهود . وهي أن حكومة الجزائر أصبحت عدتد معسدة على كثير منهم  
من أجل استقرارها المالي ، وسعة مدبث أصبح « المستشارون اليهود »  
نتمتعون تقريبا بحالة ائوراء ائربة ، وهي الحالة التي كانت موضع حسد  
لمدائل والنجار الأروسي .

ولا شك أن هناك بعض الأسس الحصنة لهذه ائعداوه التي يحدها  
مشوئه ضد لئهود الجزائريين . فهذا الدكتور ( اندرهيل ) الذي ساعدته  
مهارته الطيلة على توفير الدراهم الضرورية لئداء نفسه ، قد استعمل  
( في الجزائر ) خدمات أحد رجال السوك اليهود الذي كان مديبا ،  
مقدس العئيه ائطبية . ولسوء الحظ أن الرجل مات قبل المفاوضة على  
هذا العقد ، فما كان من ائبه إلا أن رفض الاعراف بالدين ائدي كان  
على ائبه . وبعد ذلك بقليل سقط ذلك الابن مريضا ودعا اندكتسور  
اندرهيل للعئاة به . وقد تحددت المفاوصات من أجل دفع ائداء . ولكن  
التاجر اليهودي الذي در خروج الدكتور اندرهيل من الجزائر ماعة  
خسة إلى سيد بونسي ! ولحسن حظ الدكتور اندرهيل أن السفنة  
وقعت في أسر رجل حرب برنمالي وحصل على حريته . وقد عمم الدكتور  
اندرهيل ، كعيره الكثيرين ، نجرته البئافة ووجه لومه « لئطابع  
ايسودي » في كل ما وقع له من مكاد .

وهناك من عزم أيضا حول « الطامع اليهودي » ولكنه كان مهتما أكثر بمناقشتهم . فهذا لومير (Le Maire) قد حدث في ( 10 أبريل 1734 ) العروة التجارية بمرسليا على مع التجار اليهود من شحن البضائع الفرنسية في أرضه مرسى هذه المدينة ، فأنشأت التحجاري هناك ، حسب رأيه ، يرجع الى الفرنسيين . وقبل ذلك التاريخ بقليل حدث القنصل يوم Baume ، ( 5 أغسطس 1718 ) ، ملك على معاهه اليهود الفرنسيين على الشاطئ « غير الشرعي » مع اليهود لحرثيين . وهناك آخرون يتفقون ، ببساطة ، مع الأتراك الذين كانوا يعتبرون اليهود « أهل من الكلاب » ان الآراء المضادة لليهود وسلوكهم لها حدود عميقة في كل من الثقافتين المسيحية والاسلامية .

ومع ذلك فإن الحالية اسهودة كان مسوحا لها أن سير ثؤونها بحصة وأن نظم قضاءها ومحاكمها . ناشاء الحالات التي للمسلمين دخل فيها . فإذا حكم بحكمة اسلامية على أحد يهود دلمون فإنه يكون دائما حراما عند عبود . وكانت الحصة المسلمة تسيرك مع المسيحيين في المواقف المعقدة لليهود حتى انه اذا رغب أحد اليهود في أن يحصى عن دمه ويصنع مسما ، دمه يحس عليه أولا أن يعشق المسحة ، وبعد ذلك يمكنه أن يصير عبدا ( مسما ) .

وكل انكسار عريق بعدد من عن نساء في مدينة الجزائر . وبعض من كان منهم رقص يؤكد لنا أنه حرف عن كتب الموضوع الذي يصح . أما الآخرون فسندوا أنهم تكررون أساسا مدله أو حاشيه . وبدوا أن أكثرهم كان نصف انطباعا بدوا للناظر أنها كدت انطباعات « حارحة » فقط . فالتفرض أن نساء الربريات الحضرية تندو حملات ، رغم أن معظم الملاحظين لم يروا سوى عوهم . ويجبرنا أحد الفرنسيين بأنهم يظهرن بدسات . وجاهلات ، وتحت تصرف أرواحهن . ويجبرنا الأرقاء من الرجال حكايات عن حالات الاعراء بهتك الأعراض في السوت ، وهو الاعراء لذي كان خطرا على حياة الرقيق الذي ، اذا قفض عليه متلبس ، دمه يعاني مونا زؤاما حيث يعلق من صارده حديدية يترك متدبا على

جدار المدينة . وتحجب النساء « المحترمات » ( الحرائر ) في الشوارع ، ويبدو أنه من الصحيح أنهن ، كمثل حيداتهن اليوم ، كن يصبن عسورهن بالحناء ويكحلن عيونهن ويصن المساحيق على حدودهن . وكانت الفتيات منهن يلبسن أسعلا نالفة ، بسا القياب منهن يرتدين القساين الفضة . وربما يرى الزائر اليوم للقرى الريف في الحرائر ، وتوس ، أو تلك القرى الواقعة في أعالي النيل ، نفس نوع المجتمع الذي شاهده أرويو القرن السابع عشر والثامن عشر في امالات المغرب العربي ( شمال افريقية ) . ولكن القبط والسيارة والكهرباء قد تحدث تغييرا في هذه الأوساط القديمة بسرعة .

وقد روى أحدهم ، بطريقة نسي ، عن الحسد ، أن رباط الزوجة يمكن حله بسهولة إذ قرر الروح أو روحه أنه لم يعد رابعا مقيدا . فربما يمكنه بسهولة سخط من امرأة « سته » (4) وهناك من يروي ببساطة أنه لم يكن هناك محبة بين الروح والروحة - فعط هالك بلاقة الحسية والعائلة . وبصر طاسي على أنه لم يكن هالك من بهم بما اذا كانت الزوجة بها انشاء ديسي ، أو ما اذا كانت تملك أملاكا . فالرجل يمكنه أن يتزوج أي امرأة يرغب فيها . وبعض طاسي بأن الطقس قد أسد النساء ، فأصبح كسولات وبديت ، وأن حدثهن لا يتعدى لدات الحس ووسائل ادخال السرور على الرجل . وبحبرنا أيضا أن الأطفال يحترمون آباءهم ويحتقرون أمهاتهم . وقد أعاد طاسي ، الذي هو فرنسي ، إلى الأذهان الحكاية القديمة من أن عروج قتل « ملك » مدينة الجزائر لأنه رعب في روحه ، وقال بأنها حكاية صحيحة . ولعل شواهد الأخرى التي جاء بها حول النساء الأهليات مصنوعة من نفس القماش . ومن الغريب أنه بينما يخبرنا طاسي عن اغراءات النساء للرجال يخبرنا نايت Knight عن « طمعهن ووقاحتهم » وأنه لم يكن لهن أي تردد ضد القتل . وبحبرنا رجل فرنسي آخر بأن التركي في الجزائر لا يمكنه أن يتزوج من فتاة أهلية إلا بعد الموافقة على دفع المبلغ الذي طلبه أبوها ،

وهو عكس ما يجري في فرنسا تماما . ونظم كلامه بقوله بأن المرأة في الجزائر أكثر قبعة منها في فرنسا . (5) وجميع الكتاب متفقون على أنه كان للأتراك مشكل خاص مع النساء . ذلك أنه لم يكن هناك تركيات في الجزائر . وإذا روج أحد الأتراك من أمراء بني تلمسان هناك مشكل أسكن ، كما أن للأطفال يصبحون كراعلة . غير أن الأطفال المذكور من مراد خليله يصبحون أهليين مثل أهل البلاد ، أما إذا ترواح التركي من رفيقه مسيحية فإن أماءهم المذكور يصبحون « أتراك » وبأنهم يصبحون أهليات .

ويشكل الأتراك في الجزائر قطاعا كبيرا من السكان . ورغم أن الأعلى منهم كانوا أسيرين أو ابتغيين فإن هناك أيضا أرقاء من كل أنحاء أوروبا . وأعظمهم كانوا من لرحا . عند أن العرب على المراسي وأسر الفراعنة لثمة . فاعرب أحد ردى ووجود عدد من النساء الأوروبيات في الجزائر . وهو كان قليلا . وما دمنا نستخلص فصلا كاملا من هذا الكتاب لشكل الأرقاء . فإنه يمكن أن نلاحظ أن وضعهم كان مختلفا كثير . فبعضهم كان يعمل حذو في البحر ، وبعضهم عملوا في مقاصع الحجارة ، وفي المزارع . وشرق الطرب ، أو عبيد النساء . غير أن هناك من كانوا حذما مرفين . عامين في السوق كأفراد من العائلة ، مرتدين ثيابا فاخرة وكان عليهم حشف ، وقد يكون أيضا عملا هاما . وكان آخرون يديرون الحمامات ، أو كانوا أصحاب حرف ، وحتى نظارا وصناعا مهرة في أحواض صناعة السفن . وكان في مدينة الجزائر من هؤلاء الأرقاء حوالي خمسة وعشرين ألف في منتصف القرن السابع عشر ، حاذوا من مختلف قطاعات الحياة ، من السل إلى الفلاح ، ومن الطبيب إلى السقاء . فلبس من الغرب إذن أن يكون حالهم في الجزائر مختلفا كاختلاف أصولهم .

ومع وجود كل هذه الفئات المتنوعة كان هناك حتما مشكل اللغة . فالانكشارية وكنار الرسميين كانوا يستعملون اللغة التركية ، لقد كانت



هذه قلعة هي النقة الرسمية في الديوان وفي كل الاتصالات الحكومية  
 ( استثناء الحالات التي قد تتحتم فيها كتابة رسالة طاعة أوروبية ) . وكان  
 أعضاء الاكثارية الذين لم يعلموا التركية وهم اطفال ( مثل الاعلاج  
 وأهني دلماشيا ) عليهم ان يعلموا منها ما يجعلهم قادرين على العمل  
 بها . ولكن المكسب من التركية ، الذين كان عليهم ان يتعلموا ايام  
 الديوان لكي يسب ، يحدون المرحمين متوقرين . وبناء على ذوايا  
 شو ودان ومورغان وغيرهم فقد كان هناك عدد من اللغات التركية ،  
 بالإضافة الى اللغات العربية التي تحدث بها الناس في المناطق  
 الداخلية . واسعة العرب في الجزائر ، بالمقارنة الى تلك التي يتحدث  
 بها أهل تونس حيث السكان العرب أكثر تحضرًا ، تبدو مدينة ماسنة  
 للأوروبيين الذين يعرفون اللغة العربية المصححة في الشرق . يبدو أن  
 اليهود كانوا يستعملون فيما بينهم العربية ، سيما في صميم خلط  
 لغوي ( لانق فرانكا ) *langue franca* عند يتحدثون مع  
 الآخرين . وهذا الخلط اللغوي تكاد تكون لهجة عامة . فقد كان  
 مزيج من الأساسية والبرعالة والانتطال والفرنسية وتشكل الأساسية  
 هي الجزء الأكبر . وما دام هناك الكثير من الأرقاء الذين لا يتحدثون  
 صغوبة مع هذه اللهجة ، وما دام كثير من سكان الجزائر عليهم أن  
 يتعاملوا مع هؤلاء الأرقاء بطريقة أو بأخرى ، فإنه يمكن القول بأن هذه  
 اللهجة ( لانق فرانكا ) كانت هي لغة الجزائر . ( ١٠ ) وهناك أيضا أرقاء  
 أنكلير وألمان وصفال ويونان وغيرهم من سكان أنحاء أروا ، ولكنهم  
 لم يستطيعوا درس لغاتهم على مدينة الجزائر .

ومعظم الملاحظين ، من هاندو الى بارادي *Paradis* ، امتدحوا  
 لقصه الذين يحكمون في القضايا المدنية . وكانت اشرعة الاسلامية  
 هي دليلهم في ذلك ، ولكن القضاة اجتهدوا فيما يبدو ، رأيهم أيضا  
 واستمعوا في أحكامهم معايير أساسية للعدالة . وكان الشرع يطق  
 سرعة ودانصف وتكاليف قلقة . ويقول درافيو : « انه من العجب

\* - لا شك من المؤسف لقصه تلك اللغة الثامنة في مدينة الجزائر - أما الجزائر ، فيظهر  
 لقلته الثامنة والمشرقة هي اللغة المسندة من لغة القرآن . ( المترجم )

في شعبا في ملكه الخلد من العاود والعلقة يحافظون على النظم والعدالة  
 في لصوصيتهم . . . ويبسأهم غير عادلين مع أي كان ، فابهم يعارسون  
 العدالة مع أنفسهم ، « ومن هؤلاء الكتاب بحروبا أيضا كم كان  
 اقبانون انجائي قاسيا . ذلك ان مائة حلفه أو أكثر على قدم الانسان  
 ان تؤدي به الى الموت واما الى فقد القدم مرة واحدة . ويعتبر من  
 الأمور الشائعة الحكم بالحرق حيا ، والدلي من معطاف في حذار  
 المدينة ، وقطع لرأس والحق . وكان الانكشاري الذي ارتكب جريمة  
 يحاكم من قبل محكمة خاصة ، وادا وجد مدنا فانه يحكم بحفه أو  
 قطع راسه في هدو مدنا عن أعين الناس . أما الآخرون فجميعهم ينفذ  
 فيهم الحكم أمام الملأ . (ج)

وهناك اختلاف بين الكتاب عن عدد الجرائم بالمدينة . ونقول درافسو ،  
 الذي يبدو ان شهادته تتفق مع أفضل شواهد الكتاب الآخرين . بأن  
 « الإهالي هم لصوص بالطمة . وإن الأرقاء المحسن يقلدوهم بدقة —  
 من قد يوقوهم في ذلك . ذلك ان حصة الأقاء لا تعلق عنهم الإنبواب  
 بالليل . وبعضهم كانوا يسكنون مع ماكنهم وسكنهم الخروج حسب  
 ارادتهم . وهم يسنون في حياضات . ويذهبون المذكاكن . ويترغون  
 ب فها خلال ساعات قليلة . . . وادا ما نصص عنهم فابهم قنما يندون  
 أكثر من ضربات «لصا » ويحب بناء ان اسفاه بالنسبة لما يقو لا تعتبر  
 كثيرة من الكناثر مثل محبة اله . . ويعتقد بعض الملاحظين أن بعض  
 أساد أولئك الرقيق كانوا يمدون معهم في العسة المبروقة . (ج)

فإذا عاود المسافر مدينة الحرائر موحيا في المناطق لداخلية فانه يجد  
 نفسه في بلاد بكر أهله بأمان مبرورين يمسون عشه بدائية . وهناك  
 عدد كبير من القائل البربرية والعربية كانت تعيش تحت حكم شيوخ

\* — ان قدسوا لحسن لاروسي ، ولا سيد برطاني ، في مدينة مبرور ، بالصفة  
 والاساسية ، وفي مبرور به وبرر لاسعة الاسلام دا طيف طبقت عادلا ؟  
 ولا شئت ان بعض الأحكام التي ذكرها المؤلف — من الثروة في سيرة المترجم

\* — هذا عمر رادج من د الحصف الحراي ، ونكر المؤلف به بعدم ديبلا مني ذلك .  
 وكانه يريد ان يقول ان الأرماء كانوا مدفوعين إلى البرقة من أسادهم ، المترجم

أو « ملوك » منها هي . وبعض هذه القبائل كان يعيش عبثة شبه رحاة . فكانوا يقيمون في مري حشنة مدة لا تتجاوز فترة حصادهم للحصول صليل من الحبوب . ثم ينتحون بمطابخهم في الموسم غير المناسب للزراعة . وكان بعض هذه القبائل يعيش في المناطق الجبلية حيث التحصن بها قد صم لهم درجة كبيرة من الاستقلال . وهناك قبائل أخرى ، مثل ما كان الحال في بلاد روابه تكاد تكون مستقرة في مري متاعدة عن بعضها تسمى ( دشرات ) ( د ) ذات بيوت مبنية بالطين أو الحجر وكانت رراغهم تقدم لهم بعض الفائض من الحبوب والشمع والجلود والألياف التي كان بإمكانهم بيعها إلى الفرنسيين في الحصن المعروف بحصن فرنسا ، أو إلى التجار العرب في مراسي المدن الصغيرة ، وذلك للحصول على الدراهم لشراء الأسلحة والبارود وغيرها من الكماليات التي لا يمكنهم اقتناؤها بأنفسهم . وهناك أنواع وأشكال من الناس في هذه الدشور ( القرى ) : فبعضهم كانوا عارفين في الدائنة . بما كان آخرون ، مثل أولئك الذين يعيشون من سحر امركان للقراء المسلمين . كانوا مهتمين سببا في نموهم الثقافي . وفي المشرق اندخله ، وكذلك على حدود الصحراوية ، كان الرحالة من العرب والبربر يحبون الأرض بمطابخهم ويعشون في خيام مصنوعة من شعر . ويجبرنا شو أن هذه تسمى المشكودة المسماة ( دواوير ) تنقل من مكان إلى آخر في وضع سبعة بما كان يفعل بنو اسرائيل في عهد يعقوب ثم في عهد موسى .

وكان الأب دان من أوائل الأوروبيين الذين تعرفوا على الفرق بين الأعراب والحضر (Moors) . وهو يسمى الأولين « الرحالة الدائمين » الذين كانوا يعيشون في الخيام وينتقلون من مكان إلى آخر . وكان الحضر يتصونهم ، وقد فضلوا في العضاء عليهم ، وكانت عاداتهم ولغتهم وملامحهم مختلفة اختلافا كبيرا . ويبدو أن دان قد زار فعلا عددا من هذه الدواوير الأعراسية ، كما يبدو أنه كان قد أعجب بافتقار الأعراب إلى الطموح الأمر الذي جعلهم يعزفون عن الحياة الدنيا . وبعد مرور حوالي مائة سنة على حدث دان ، يخبرنا شو ، الذي كانت معرفته

السورية وتجاريه في الرحلات كرحالة تجعله مصدرا جيدا وماسا ، بأن  
 الأعراب كانوا فوما كسلاء ، فالأعرابي كما يقول ، « لا يتبع تجارة أو  
 وظيفة منتظمة . وتعتبر حياته دورة لا نهاية لها من الفراغ والذهو ...  
 وهو في البت متكاسل ، مدخا غلبوه ، ومسترخيا ... وليس له رغبة  
 في المسليات المنزلية ، وكان نادرا ما يتحدّث مع زوجته أو يلعب مع  
 أطفاله . » ويصر شو على أن النساء الأعرابيات كن سمرات وملازمات  
 ليوتهن ، بينما كان البربر ذوي بشره خفيفة ، وكانت نساؤهم حميلات ،  
 « على الأقل إلى سن الثلاثين . » ويقترح شو بأن البربر ( وهو يعني  
 قائل زواوة في هذه الحالة ) لابد أن يكونوا محدثين من الأفريقيين  
 لقضاء ، ولم تكن لغتهم هي اللغة العربية ، بل انهم كانوا يستعملون  
 لهجة أخرى صعبة لابد أنها كانت تعود إلى ماض بعيد . ان رحلات  
 شو في شمال افريقية وكذلك في المشرق تقدم مصدرا مكتوبا هاما لكل  
 من يشد فهم أحوال تلك البلاد في أوائل القرن الثامن عشر .

ومادا كانت العلاقة بين هؤلاء الناس وأسيادهم الأتراك في الجزائر ؟  
 انه نهاية القرن السادس عشر سيطرت حكومة الأباله سيطرتها على المدن  
 الساحلية ، بالإضافة إلى المدن الداخلية الهامة . وكان البايات بتأييد من  
 حاميات انكشارية ، قد نصوا القباد ( الحكام ) في المدن الرئيسية لتأكيد  
 سلطتهم ، ولكن حكم داخل البلاد بقي مشكلة قائمة . فهذا لانفريدوشي  
 Lanfreducci ، الذي كان يكتب في العشرية الثمانين من القرن  
 السادس عشر ، يوضح ذلك بقوله « ان الأتراك ليس لهم سيادة على  
 داخل بلاد شمال افريقية باستثناء بعض الرؤساء العرب والبربر الذين هم  
 على اتفاق معهم والذين كانوا يدفعون اليهم ضريبة ثمنا للسلام ... وتؤكد  
 معوماتنا أنهم غاضبون منهم جدا ... ان الرجل التركي قد نصب نفسه  
 حملا ثقيل على أكتافهم من أجل ابتزازات كثيرة . » (6) وبعد قرنين ،  
 يحبرنا درادي بأن بلاد زواوة لم تكن في يوم من الأيام تحت حكم الأتراك  
 الفعلي ، وهم الآن أكثر استقلالاً ما داموا يملكون الأسلحة النارية .

والطريقة الوحيدة التي كان التركي قادرا بها على فرض حكمه هي فيما يظهر ، تفصيل عنصر على آخر أو قبيلة ضد أخرى . (7) وفي سنة 1830 عندما وقع الداي حيدر السلام مع الفرنسيين « لم يسلم للمتصرفين إلا المدينة ( الجزائر ) والقصبة والحصون . واعتباره صاحب سيادة مستحقة من قبل حدود أحاطت فرصوا اختيارهم على ساحل شمال افريقية ، فانه لم يكن له السلطة للتصرف في المملكة التي لم تكن ملكا اقطاعيا يتقل بالوراثة الى عائلته ... » (8) لقد كان السكان الربر سنة 1830 على يقين من أن الاتفاق العسكري يوم 5 يوليو لا يعينهم في أي حال من الأحوال .

لقد كان ذلك هو نمط العلاقة خلال تاريخ الايالة كله . وأن قصة هذه العلاقة ملئمة بالثورات ضد الحكم التركي ، وبالحروب مع أهل زواوة ، وغيرهم من القبائل ، وغزوات فرق الانكشارية لفرض الانضباط . ومع ذلك ، فإن القنصل الفرنسي أمكه الكتابة سنة 1700 ، قائلا : « من الممكن أن لا تعرف أن سكان الجزائر (Moors) — وقبائل الربر هم المور عند الفرنسيين — من بحاية الى حجل ، لا يعرفون بأي حكم ، ولا يدفعون ضرائب لحكومة الجزائر . وأن الأتراك لا يحرقون على وضع أقدامهم بمعسكراتهم هناك . وعندما تصطدم سبعة حرائرة على ذلك الساحل ، فانهم ( أي الأهالي ) يحطمونها قطعة قطعة ويقتلون طاقمها ! » وبعض داريو قصة شبيهة بهذه فهي بحاية هناك مائة وخمسون انكشاريا ، ولكن هؤلاء لا يحرقون على معادره المدسة في أعداد صغيرة لأن الأهالي ( المور ) سيمزقونهم اربا اربا ، ولا يرحمونهم . ولا وجود للسلام الا أيام السوق . أن السوق الذي يعقد عند باب المدينة كان مكانا للهدنة ، على الأقل حتى الظهر ، عندما ينتهي السوق . وكثير من المراسلات القنصلية تقص نفس القصة : قالباشا ، ثم بعده الداي ، لا يمكن

7 - المجلة الافريقية ، XLI ، ص 76-77 .

8 - لويس دى L. Rina ، المملكة الحرائرية في عهد الداي الأخير ، المجلة الافريقية ، XLI ، ص 121-122 .

من بعض حيل سلطة فعالة على القبائل العديدة . ففي كل سنة خرج حرمه  
من الاستكشافية وتقوم « بغزوة » في المناطق الداخلية لتضع المراكب .  
من هذه العملية دائما تقريبا عملية يكثر فيها الاضطراب ، وغالبا ما  
يتمتع عصف شديد . وبحلول القرن الثامن عشر امتدت الايالة النهرية  
من « ملا » أو أيرحا على طول كثير من الطرق الرئيسية . ورغم هذا النوع  
من الضغط العسكري فان السلطة التركية غالبا ما تجاهلتها الناس ، وقد  
يتمحور حول بانهم كانوا في معظم الأحوال يتجاهلونها ، الا اذا كانت مؤيدة  
من قبل فرق عسكرية قوية .

ولكن كان للتراث امتياز عسكري . ففي القرن السادس عشر لم يكن  
للقبائل البربرية والعربية معرفة بالأسلحة النارية . وكان الرمح والسيف  
لا تقدر في وجه السلاح الناري الأكثر انضباطا عند الانفكشارية ، وكثيرا  
من تحصينات الفرسان يمكن تشتيتها بسهولة ، كما وقع فعلا ، بالطلقات  
المركرة من بنادق الانفكشارية . وخلال القرنين السابع عشر والثامن  
عشر حصلت القبائل العديدة على الأسلحة . ولكنهم كانوا ما يزالون  
يعاربون على ظهور خيولهم وكانوا كذلك يعتمدون على هجومات  
حساسة غير منضبطة . وكان الإحراك يجابهونهم بالنار من المدفعية  
الضخيمة ويجبرونهم في العادة على التراجع بخسائر فادحة . ان هذا التحول  
في سلاح الناري ، وانشاء الإبراج على الطرقات الرئيسية ، والالتقاء  
على الحاميات في البايليك ( أو الأقاليم ) جعلت في امكان حكومة الايالة  
ان تجمع الضرائب بشكل يكاد يكون منتظما ، من كل البلاد ، ولكن  
سواء تدخل جدي في حياة السكان ومعيشتهم .

ان هذا التحليل القصير للنظام الاجتماعي الذي كانت عليه الايالة  
لا يمكن الا أن يعطي صورة عن السطح فقط من هذه القصة المعقدة ،  
ولكن يمكن أن يقدم صورة لمجتمع جعلت أنماطه الاجتماعية التقليدية  
المرققة ذات التنوع الكبير . — جعلت من الصعب ، ان لم يكن من

التجديد ، على أي حاكم أن يؤسس مجموعة مناسقة ومناسكة . ( ١٠ )  
 وحتى الطرق الدينية الإسلامية التقليدية لم تكن كافية لخلق وحدة من  
 مجتمع تمتعت به دواعد كثيرة ومتنوعة من الدم والثغافة ، بالإضافة  
 إلى الوسائل البدائية من وسائل العمل والاتصالات ، وكلها متصارعة  
 جاءت عوامل نافية للمحاولات غير المجدية التي قام بها الحكام الأمراء  
 لأعطاء وحدة سياسية للمجتمع . لقد بدأت الآيالة الحزائية في صورة  
 قوة معروضة لجيش احتلال بسط قوه على قطر له خلفية سياسية  
 واجتماعية متنوعة تنوعا ععبا . وما دامت هذه الطبقة الحاكمة من  
 المتنازعة والأعلاج لم تستطع أبدا أن تدمج السكان البربر والمسلمين  
 المنتشرين في الجبال والسهول والصحراء في وحدة مترابطة ومتناسقة .  
 يتحدثون لغة مشتركة في المراء والضراء ، ولهم تصور مشترك للنظام  
 الاجتماعي ، فإن حكم الآيالة احتفظ خلال كل تاريخه بطابع جيش احتلال  
 لا طابع دولة .

١٠ - يدل تحليل المؤلف هنا على أنه ، تصاق مع النحس العربي الاستعماري الذي كان  
 يهدف إلى تدمير وجود وحدة سياسية ولما كانت اهتماما للحزائريين من الاحتلال  
 العربي ، وهو التحليل الذي كان مظهروا العربيين يهدون من ورائه إلى طرح  
 نظرية الاندماج من جهة ومقاومة تيار الحركة الوطنية من جهة أخرى . ( المرحوم ) .

## الفصل السابع رياس البحر

البجارة أو القراصنة . ما الفرق الذي كان بينهما ؟ ان القرصان هو الشخص الذي كان حرا في النهب ، ولا يعترف بأي سلطة فوق ارادته الخاصة . فقد كان يهاجم ، بدون تمييز ، سفن أية دولة . وكان هدفه الوحيد هو النهب ، ولكن رياس البحر ، كانوا أشخاصا موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهمة . ولم يشنوا حربا الا على أعداء أميرهم أو ربهم . وكانت مهمة سفينة رياس البحر ، مثل مهمة سفينة القرصان ، عبارة عن القيام بعملية مغامرة ، أكثر مما هي مهمة للمصالح العام ، غير أن رياس البحر كان يقوم بمهمة تعطي طابع الشرعية لنشاطه ، ثم أنه كان يتصرف في غنائمه بطريقة ينظمها الأمير التابع له . وفي القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ، حين كان الهلال يقف في وجه الصليب في البحر الأبيض وأحواض نهر الدانوب ، كان البحارة يحاربون اما باسم الصليب واما باسم الجهاد . فهؤلاء فرسان القديس يوحنا نصبوا أنفسهم في جزيرة مالطة ، وفرسان القديس ستيفان في توسكانيا ، بينما كان البحارة الخواص من المسيحيين قد تجندوا من قبل خلفاء الملك الأسباني وكذلك أمير مالطة ، وانطلقوا الى شرقي البحر الأبيض للاستيلاء على السفن التجارية وركابها ورمانيها . وقد جعلوا البحر غير آمن على الحجاج المسلمين «لاضافة الى التجار الذين يعبرون مياه المشرق ، وكانوا على يقين من أن الله كان يبارك أعمالهم . ونفس الشيء يقال عن البحارة الذين انطلقوا من شمال افريقية والبلقان ، والمشرق والذين كانوا يفترسون التجارة



المسحة وسعود مطهر الحياة على السواحل المسيحية ... وكل مصر  
 الأسفل والفران مريم القريه ، وكلاهما يبارك الحرب المقدسه .  
 وسعدو أد اله المسبح والى المسلمين يوافقان على أصل البحارة .  
 القريه لأن الثروه قد انصرفت عليهم كالمطر في هذه الدنيا ، بالأصافه  
 الى حصولهم على وعود الخلاص في الآخرة . وفي آخر القرن السادس  
 عشر ، عندما دخلت السفن المسماة بالمقدوره ذات الإشرع الطويله - ( وهي  
 (Bertrons) من الشمال - عندما دخلت تلك السفن البحر ، أخذت  
 تصب وشره أوروبا الرومانيه الى تصب وشره الشعوب الكاثوليكيه  
 والاسلامه في حوض البحر الأبيض ، وأصبح أحيانا من الصعب عندئذ  
 أن تميز ما اذا كان المهاجرون يقومون منهم البحارة أو يلعبون دور  
 القرصان . ورغم أنهم قد يصحون نشاطهم تحت راية الدين أو راية أميرهم ،  
 فإن كثيرا منهم ، في الواقع ، كانوا مجرد فراعنة رافضين لأي قانون  
 غير ارادتهم الخاصة . ونحن في هذا المجال لا يمتنا سوى نشاط وسلوك  
 أولئك الرجال الذين دفعوا راية الجرائر المؤلفة من علم أخضر مرصع  
 بالنجوم ، ولكن يجب علينا أن لا ننسى أنهم لم يكونوا سوى جزء من  
 حروب القرصنة التي حملت البحر الأبيض محموقا بالأخطار على كل من  
 المسيحيين والمسلمين على حد سواء .

وعندما تنكر في البدايه في أوائل البحارة المسلمين تقفز الى أذهاننا  
 صورة عروج رايص ، أو خير الدين بربروس ، أو درغوث ، أولئك الذين  
 قادوا أساطيل مؤلفة من عشرة الى خمسة وعشرين سفينة من نوع الغليطة ،  
 والأريق ، والزوارق (fusta) والماليات ، حتى أن موكبهم البحري  
 كان يغطي جزءا عريضا من البحر وكان يمكنهم أن يعترضوا طريق أية  
 سفينة قد تحاول الهروب من شباكهم . غير أن البحارة الأوائل الذين  
 نعتهم بالدراسة الآن كانوا رجالا لا تعنى أسماؤهم سوى القليل بالنسبة  
 لمسيرة التاريخ وحتى بالنسبة لتواريخ جماعتهم الخاصة . أنهم أولئك  
 المهاجرون من الأندلس الذين رفضوا اعتناق المسيحية . وقد عرفنا أنهم  
 عندما وصلوا الى مراسي شمال افريقية أول مرة لم يجدوا الكثير مما  
 يمكنهم عمله لمعاشهم . وكان بعضهم قد وجد مكانا في دورة الحياة  
 الاقتصادية المحدودة على الساحل : فقد كن بإمكانهم أن ينشئوا ورشات

صناعة الأسلحة ، والأقمشة ، والمصنوعات الجلدية ، أو غيرها من المواد  
 اسي كانوا يصنعونها بالأندلس . وكان مصفهم قد أصبحوا مرتزقة في  
 خدمة سلاطين مراكش أو فاس ، وبعضهم اسلّط الى البحر كبحارة راعين  
 في الثار لأنفسهم من مضطهديهم السابقين . وفي القرن السادس عشر كان  
 هؤلاء يجحرون بس (1) من نوع الفرقاطة تشبه تلك التي كانوا يعرفونها  
 في الأندلس ، وهي سفن مسلحة بستة الى عشرة مقاعد تعدد ، ومجاذيف  
 يهدف بها نفس الرجال الذين يحاربون . وكانت صغاباهم هي مراكب  
 الصيد الصغيرة ، والزوارق الساحلة الصغيرة ، والسفن التجارية غير  
 الهامة التي تحمل الحبوب ، والخبور ، والفواكه ، والأقمشة من مرسى  
 ساحلي الى آخر .

وقد رأينا أن عاراتهم لم تنسب في ردود فعل قوية من جانب الملوك  
 الكاثوليكين الى انعقد الأول من القرن السادس عشر حين استولت الأساطيل  
 الأسبانية على موانئ ساحل الشمال الإفريقي وأنشأت مقصيات أو بنيون  
 Peñons في الموانئ ، يهاجم من فالير Valez ( نادر ) في طرابلس  
 لكي تراقب « الغرابة » . ان هذه المصانير ربما سميت البحارة اصغار  
 من لحاق اصرار كبيره بالحارة الأسبانية لأن المدافع الأسبانية مستفهم  
 من استعمال أحسن الموانئ على الساحل . وربما كان « مكانهم أسر  
 صياد سمك أو الاسلاء على رورق صغير أو حتى الاغارة على احدى  
 القرى ، ولكنهم قد لا يشكلون خطرا كبيرا على المصالح التجارية  
 الأسبانية الهامة . وحتى بعد أن انضم البحارة المشرقيون الى الجهاد على  
 رأس سفن أقوى من السابقة ، فان هذه الفرقاطات الصغيرة لم تكن سوى  
 مرعجات لحكام الممالك الأسبانية . ويخبرنا هايدو أنه عندما أصبح هؤلاء  
 اسحارة الدين لا أهمية لهم ، أعساء ، انتقلوا من فرقاطاتهم الصغيرة الى  
 اسفن من نوع الابريق ، وحتى الى نوع المناطبات ، لكن قائمته هو  
 لخاصة بالرياس الدين كانوا موجودين أثناء زمانه ، ككذب هذا الادعاء ،

1 - انه يجب عدم الخلط بين سفينة الفرقاطة المدفوعة بالمجاديف والفرقاطة التي اسفن  
 عشر نبي كانت تحمل من عربات الى آريمن مدفعا وكانت محفزة بالشرع ، وسدو  
 ن نوع الأول كان هو المودج ليكل البرع الأخير .

ذلك أنه لم يكن هناك سوى عدد قليل من التبريد أو التدفئة (وهو لا يمكن أن يكون هناك سوى عدد قليل من التبريد أو التدفئة) من أندولوسيا ، ولبس ، وكلاهما (وهو لا يمكن أن يكون هناك سوى عدد قليل من التبريد أو التدفئة) من أندولوسيا ، ولبس ، وكلاهما

بين الرياس الذين قادوا النسي العربية الهامة للجزائر . ولكن عندما ظهر البحارة المشارقة في وسط وغرب البحر ، حدثت تطورات جديدة . ذلك أن هؤلاء الرجال قد جاؤوا بسفن أكبر حجماً وكذلك أبرشيات وزوارق ذات عشرة إلى ستة عشر مقعداً للتجديف ، وكانت أكثر تسليحاً ، كما كانوا هم أفضل تدريباً على فنون الحرب البحرية . فكانوا يعمون استعمال المدفعية والقريينات بالإضافة إلى استعمال القوس والنشاب والصلب سريع والائتسار . ومن جهة أخرى فإنه كان هؤلاء قائد مثل عروج الذي اجتمعت فيه الشجاعة والمهارة كما أظهر ذلك في مهته مبكراً حين أسر سفينتين كبيرتين من سفن البابوية . وحين ازداد عروج ثروة ، أضاف هو وأخوته سفناً أكبر حجماً إلى أسطولهم : غليونيات ذات العشرين والاثنتين والعشرين مجدافاً التي لها من القوة بحيث تضاهي كبريات سفن أسطول جنوا أو صقلية . وقد سبق لنا أن لاحظنا أنه كلما انتشرت سمعته نحو المشرق ، جلبت رحلانا آخرين جسورين أيضاً للانضمام إليه . وكثير من هؤلاء كانوا مثل عروج نفسه ، قد عملوا بعض الوقت في مجاديف السفن المسيحية (فرسان القديس يوحنا) حيث تعلموا عن الحرب البحرية ، وهناك آخرون منهم كانوا قد تدربوا كنواب لعروج وأخوته . ولعل بعض الرياس الأوائل كانوا من الأعلاج ، فنحن لا نملك شواهد يعتقد بها حول معظم الرجال الذين رافقوا عروج ، أو حتى خير الدين في البداية . ومن يستطيع أن يعرف من أين جاء هؤلاء البحارة أوائل القرن السادس عشر ؟ إن حياة المشاهير منهم محفوفة بضباب الأسطورة ، وعبادة البطل ، أو الكراهية ، وذلك حسب المصدر الذي ترجع إليه ، ولذلك فإنه لا يمكن إيجاد تقدير حقيقي عن أصولهم . غير أنه بأواخر القرن

(\*) - رجعنا كلمة Moors ها بالمقارنة وليس بالحصار ، لأن المؤلف يتحدث عن بعض أصل سكان الأندلس ، ونلاحظ أن المؤلف يستعمل كلمة الأندلس للجزء وليس للكل كما هو الشائع هندا نحن العرب المسلمين ( المترجم ) .

السادس عشر ، عندما كان هايدو في مدينة الجزائر ، كان الأعلاج يشككون حواشي ثلثي الشخصيات العادية في أسطول البحارة - القراصنة من حملة ستة وثلاثين رايسا يقودون السفن بأكثر من خمسة عشر مجدها ، كان اثنان وعشرون منهم من الأعلاج . وإن نظره خاصة انهم يؤكد أن كثيرا منهم قد أصبحوا أعلاجاً وهم أطفال . ( هـ ) وهذا يبرهن على وجود بعض الرياس الأعلاج . غير أن آخرين كانوا مثل علج علي الشهير ، الذي كان مارقاً في سمية وأصبح ملدا أثناء نصحه الصداقي ، لكي يكون قادراً على الثأر لعمه من تركي كان قد أهانه . غير أن معظم الرجال الذين شاهدتهم هايدو ، ودان في مدينة لحرائر كانوا حليط دولبا ترحح أصولهم الى الأسطورة والحرافة . ونحن نعلم أن الأعلاج ، ربما استعدروا من جميع أنحاء أوروبا الغربية ، كانوا في غالب من حوض البحر الأبيض المتوسط . ومن جهة أخرى فإن أولئك الرياس الذين ولدوا مسلمين كانوا قد حاؤوا من مصر ، والباسا ، وأناضوليا ، ومن حزر شرقي البحر الأبيض . وقليل منهم فقط كانوا متحذرين من الأصل العرقي التركي .

أب لا نعلم كم من السفن كان يضم أسطول البحارة - القراصنة خلال القرن السادس عشر في فترة محنة من الزمن . فهذا عروج بدأ ثلاثة أو أربعة زوارق صغار . وبحلول سنة 1510 وحدها عدة من تسعة الى أحد عشر رورقا وسفينة من نوع الابريق له ولاخوته ، بالإضافة الى عدد آخر بين ستة وثمانية سفن تعود الى الرياس الذين حاؤوا لوصع أنفسهم تحت قيادته . وكان له أيضا بعض المدفعية ولكنها كانت مدفعية مشيلة التفاعلية ولذلك لم تستطع أن تطيح بحدراة عقيمة بحية ولا مدينة الجزائر . ولكن بعد حوالي عشرين سنة ، وبالضبط سنة 1529 حين كان خير الدين يملك مدفعية ثقيلة استطاعت أن تستولي على مقيمة مدينة الجزائر ، ذهبت التقاليد تقول بأن خير الدين كان

هـ - سبق أن بينا الى ان المؤلف يميل ، مع هايدو ، الى ان اصول الرياس الرومية - مسيحية ، ولعل المؤلف يشير بالأطفال التي ما كان يأخذها الصليبيون من أطفال المسيحيين في إسطنبول بترسيهم تربية إسلامية

يقود ثنائي عشرة غليوناً قوية بالإضافة الى عدد من السفن الأصغر حجماً . وخلال الأربعة عقود الموالية ، عندما كان الأسطول الجزائري عاملاً كخبر من الأسطول العثماني ( أي بين 1535 — 1578 ) كان شق البحارة — القراصنة من الأسطول يتألف من حوالي خمس عشرة غليوناً ، ومن عدد آخر من الغاليات الصغيرة ، ولكن خلال نفس الفترة كانت هناك أيضاً موشة من المنعبرين على التجارة يعملون خارج مدينة الجزائر وغيرها من المراسي الخاصة لحاكم ( بايلارباي ) شمال إفريقيا . وما دام بعض هذه السفن يملكه البيلارباي نفسه ، وبعضها لغيره من الراس ، وليس لحكومة الأيالة ولا للسلطان — فإنه ليس من الواضح لنا كيف كان مالكو هذه السفن يحصلون على تعويضاتهم ما داموا يبحرون مع المؤسسة البحرية العثمانية نفسها . وهذا عذج على الذي قاد شق البحارة — القراصنة من الأسطول العثماني في معركة بيبنتو ، لم يبح فقط من رعب المركة وفي بدء علم المركة الأكبر لفرسان انطيس يوحنا ( ماطة ) ولكن أحيز أيضاً أعلى رتبة في البحرية العثمانية . ومن المحتل أنه هو ورياسه قد دعمت لهم أيضاً أحور جيدة على خدماتهم .

وبعد وفاة علج علي لم تتدهور قطعة أسطول اسعارة — القراصنة . فهذا هايدو يخبرنا أنها كانت ، سنة 1581 ، تحتوي على ستة وثلاثين غليوناً وسبعة ابريق بالإضافة الى عدد كبير من السفن الصغيرة . ولكن هذه الأرقام ليست غير قابلة للطقس ، ذلك أن كثيراً من السفن الصغيرة وأيضاً السفن الكبيرة أحياناً ، كانت تختطفها السفن البحرية الأسدية أو المالطية ، وجميعها كانت تعاني من معاكسة الرياح ، ورداءة الطقس ، والتدهور الطبيعي .

إن أسطول البحارة — القرصان خلال القرن السادس عشر كان يتألف من غليونات مدفوعة بالمجاديف ومن سفن ابريقية ومن فرقاطات ومن أخرى تسمى الشبيكات أو الزبيكات أو غيرها من السفن الأصغر

حسباً (2) . وقد استمر استعمال هذه النسخ حتى تقودها المصادف ،  
إلى نهاية القرن الثامن عشر ، ولكن مهامه تفرق ، السبع عشر أصبحت  
لا تشكل الأجزاء فيلا من الأسطول الجزائري . ذلك أن الأوروبيين  
التجاليين بدأوا ، منذ سنة 1600 . يبرسون الجزائر على شمال  
موقع لمن المصلحة مابرونون (Berrone) وغيرها من أنواع من  
المروعة بالمنديرة التي أخذت أوروبا في تطويرها .

وهكذا ، فإن الأب دان لم يذكر ، في العقد الرابع من القرن السابع  
عشر ، سوى عيوطتين ( رابع وعشرون واثنا وعشرون مصادف ) وأربعة  
واحدة ذات خمسة عشر مصادف وتسمى مصادف صغرى ( ذات خمسة  
أوستة مصادف ) . ولكن حسابها كان خطأ ، لأن سدس ( أهل سدس )  
عندما فاجأوا ، بعد سنوات قليلة ، الأسطول الجزائري وثوسى عند  
فالونا Valona على ساحل الألباني . أسرو أيضا وأغرموا التي عشر  
من عيوطات وأربعيات . ونحن لا ندري كم من هذه كان للجزائر ،  
ولكن القطعة لموسة من الأسطول كانت صغرى . وكان من الحصاد  
التي تكسدهم انقاذ الجزائري كاب كبره . ن حدره - دراسة  
جزائريين مشهور في شمال مصادف ومن المصادف في يد لها  
المصادف ، ولكن عددها ، حسبها أحد في النقص . ففي القرن الثامن  
عشر كان أكثرها المصنوعة من الأشياء من مصادف أيضا بعضها لم يكن  
عنده سوى عشرة مصادف . - يد من مصادف أن هذه النسخ كان  
يقودها ورثة التقليد لمكره حسابها جاء - لم اسم الجزائريين .  
ولمسي بهم سبل أوشك لا حتى من الأندلس يدس ركنو آخر لأحد  
الثار . فقد كانوا يحصدون أوروبا في القصة . ومراكب المندس لا  
تستطيع الوقوف أمام سحب ذب لدفع واحد وحسب ثلاثة مدافع

2 - إن اسماء وراج ليس كثير . وقد ذكر في بعض الأحيان ذلك أن بعضها ، مثل الليكيات ،  
والكرامات ، ولم تكن كرسى في الأصل سنة صغرى لدفع بالقطعة . ولكن  
في القديس السابع من واثني عشر من مصادف مودد للنسخ حرافة أن  
البحر الأحمر . ولذلك فإن الأوربا فلا بد كرسى . - حول ر س  
حافه لتلافي مدفع أو كرسى ، و كرسى في تصويري الطرقة ، والأسماء  
المرسمة .

او تمنع الانكشارية من الطلوع لظهور المراكب حين يحيط البحارة -  
القراصة بصحيتهم . أما الرأس الخطرون مهم أولئك الذين كانوا  
يعودون السفن ذات الاشرعة والتي كانت تحمل من عشرين الى أربعين  
مدمعا .

ان ذلك القيس الطيب ( دان ) قد يكون أخطا في عدد السفن التي  
تقودها المجاديف ، ولكن تقديره لوجود حواشي سبعين سفينة مسخرة  
تسلحا فويا تقودها المجاديف يتفق تماما مع الارقام التي ذكرها  
قصورا انكلترا وفرنسا ( في الحرائر ) والمسير الانكليزي في اسيايا .  
وخلال العقد التالي ، أي عشية الأربعين من القرن السابع عشر ، ربما  
يكون أسطول اسحارة - القراصة قد وصل الى أقصى تطوره ، فقد  
كان الحزائريون عندئذ يعومون البحر الأبيض ، من البحر الادرياتيكي  
الى مضائق حل طارق ، بل أنهم اجتازوه الى المحيط الأطلسي واتخذوا  
من جزر الكناري مطلقا في اتجاه شواطئ الصيد لنيوفاوندلاند  
Newfoundland . وقد زلوا أراضي ايرلندا وانكلترا والدنمارك  
والبرتغال واسيايا واخذوا منها الأسرى والغنائم . لقد أصبح الأسطول  
الحزائري عندئذ بعيدا كل البعد في حجه عن تلك القطعة الصغيرة من  
السمن التي أحصرها عروج في فاتح القرن السابق .

ونحن نملك معلومات طيبة أكثر عن هذا الأسطول الحزائري ، بعد  
1660 ، عندما أمر حكام بريطانيا وفرنسا قدامهم بتقديم تجريدة عن  
الأعداء المحتملين حيسا فكروا في ارسال أسطول بحري ضد الجزائر .  
ولكن هذه التجريدات القصصية تواجه بعض المشاكل . فالفرنسيون  
كانوا دائما تقريبا يقدرون عدد الرجال على طرأة سفينة بشكل أضخم  
من فعل الانكليز ، كما أنهم والانكليز لا يتفقون دائما على عدد المدافع  
التي تحملها كل سفينة ، وهناك مشكل آخر جاء من كون الأوروبيين يصرون  
على تسمية السفن الحزائرية بالصورة التي على الجزر الحطفي من ظهرها .  
وهذه الطريقة تولدت عنها قائمة من الأسماء الراقية : الأسد ، الرمثان ،  
شجرة المرتقال ، النجوم السبعة ، شجرة الصنوبر ، الوردية الحمراء ،  
الشمس الذهبية ، وما شابهها . ان هذه الأسماء لم تكن هي التي كان  
الحزائريون يستعملونها ، وهناك بعض الدلائل على أن السفينة الواحدة

قد تحمل سورا مختلفة وفي أوقات مختلفة ، وهناك شكل آخر جاء من  
 نسيج اسن بمدد المدافع التي تحملها ولكن عادة بدون الإشارة الى قوة  
 هذه المدافع . وهكذا فإنه من الصعب الحكم على قوة الطبقات الدرية  
 لهذه السفن التي كانت على هذا الترتيب . هنريون ، ثلاثون ، أو ستون  
 مدفعاً . ونحن نعلم أن الرماية الانكليزية كانوا يملكون معلومات أدق ،  
 ذلك أن الحملات الانكليزية ضد الجزائر كانت في أعاده لا تشمل سوا  
 أكبر من لسن المساة درجة ثالثة ، وهذا يساعد على القول بأن معظم  
 المدافع كانت من نوع البعثة أو البسة مهارس . ولدينا إحصاء يعود  
 الى سنة 1663 يقول بأن الأسطول كان يحتوي على أكثر من خمسة  
 مدفع ، ولكن ليس فيه أكثر من عشرين من نوع البسة مهارس أو أثقل .  
 ومن جهة أخرى فإننا لا نعلم ما نسبة المدافع الحرائرية التي كانت من نوع  
 البرونز (Ponte) وما نسبة نوع الحديد فيها ، وعلى كل حال فإن  
 النوع الأول كان هو المفضل . كما أن تقارير القاصِل من 1737 لا تذكر  
 قائمة قوائم عدد البسات (3) على السفن . ولكن توجد دلائل جيدة على  
 أن عدد هذه الأسلحة النخبة كان إلى منتصف القرن الثامن عشر على  
 الأقل ، يفوق عدد المدافع .

إن قوائم القاصِل الفرنسي عن الحملة الصليبية للسفن الحربية  
 ( الحرائرية ) خلال السنوات اثنالة لاربع 1737 تقدم لنا معلومات  
 قيمة حول حجم السفن وكذلك حول مساحتها . ذلك أن معظم السفن  
 كانت عند الإطلاق تحمل أقل من مئة مدفع . ولا بعدد سف تحمل  
 أكثر من ثلاثين مدفعاً إلا حول مئتي مدفعاً . وبالإضافة إلى ذلك  
 فإن السفن التي كانت تحمل بين مئة عشر وثلاثين مدفعاً كانت دائماً  
 مهيأة من نوع السفن الشراعية الكبيرة ( الكرمل ) والانسكاب . وبعد  
 ذلك كانت من نوع الفرقاطة . وكل السفن كانت ذات هيكل سطح  
 وأمس ، ومن الذين إلى ثلاثة موارى لكي تقوم بأحد الأقصى من

3 - من الاسم على أن البحرية بعدد مائة مائة ، وبتسمية البحرية كان عادة مع  
 في فضاء كبيرة وكان يستعمل لرد الصاعدين إلى ظهر السفينة أو  
 سطحها على ظهر سفينة العدو . ويحتمل أن هذا النوع من السفن كان  
 لعدد قليل من النوع البحري .



الإبحار . وخلال منتصف القرن الثامن عشر ، ثم خلال الحروب العظمى  
 « الأوروبية » بين 1792 - 1815 ، حصلت إبالة الجزائر على سعر قليل  
 حولها من حصين إلى ستين مدغما . ومن الواضح أن واحدة من هذه ،  
 وهي ( الدار بك Denizik ) ذات الثماني والحصين مدغما ، كانت  
 أما وقع الاستيلاء عليها وأما جاءت كهدية ، ولكن سعيه ( الزال ) ذات  
 الحصين مدغما وكذلك ( القصر ) ذات الحصين مدغما أيضا قد صنمت  
 في الجزائر نفسها . . . . ومن الغريب أن هذه السعن كانت أما ضاعت  
 أو بقاعدت بعد سوات غلبة فقط من الخدمة ، بينما بقيت الشبيكات  
 ذات الـ ستة عشر إلى الثلاثين مدغما في حالة استعمال لسنوات طويلة .  
 وهناك حقيقة أخرى تظهر من هذه التقارير القنصلية ، وهي أن السعن  
 الصغيرة والمدغمة بالمحاديث - ومعظمها لا يجاور اثني عشر مقعدا  
 للتحديف - قد بقيت أيضا في الاستعمال خلال كل القرن الثامن عشر .  
 وعلا لا نعد سوى غلاطين لها ستة عشر أو ثمانية عشر مقعدا للتحديف ،  
 ومن أربعة إلى ستة من أصغر حصا . وبعضها لا يوجد فيه سوى عدد  
 قليل من مقاعد التحديف لا يتجاوز الـ ستة . وكانت قوة طلقها التارية  
 صعبة ، ومن الواضح أن الهدف مما لم يكن مواجعة السعن الحربية أو  
 سعن تجارية مسلحة نسلحا جدا . لقد كانت فقط هي السعن الكلاسيكية  
 « للقراصنة » و « البحارة » التي شهدتها البحر الأبيض خلال مئات  
 السنين . (4)

وإذا كان نستطيع سعن البحارة - القراصنة صنعت بسا ، فإن عدد  
 الرجال الذين كانوا عليها كان دائما كبيرا . وقد حرب اعاده أن أسفلة  
 أربعمائة وخمسين رجلا - وأحيانا أكثر من ذلك . وكان « البحارة »

4 - بحوي الأسفان بمصلحة الفرنسية بعدة التقارير في مو - أسفان البحرية  
 الفرنسية التي طلبت اسرجين وسعد من حوارب لسم أسفان كان من المروم  
 أن جعلها انتحار الفرنسيون يسمونوا الأسر ، وأن يوسى سوات 1737 - 1827 لسدو  
 منه الصعالة يوم ها ، ولكنه مع ذلك بحوي في عدد السعن المقلدة كل سنة ،  
 وإعادة ما يذكر أيضا . في أسفلة وعدد المدافع التي لعبتها ، ولذلك فإن بعض  
 امتحانات السعن يمكن اسرجها من ، انظر السسر ديموكس  
 « بحرية الإالة الجزائرية من العلة الفرنسية » . عدد 77 ، ص 384-420 .

على سهم لقيدي من العينة . كما كانت العن جعل عادة عددا من الرجال  
 القادرين على قيادة سميت مأسورة والرجوع بها إلى الجزائر ، بالأساسية  
 إلى محارب آخرين للمساعدة على إدارة مثل هذه السبي . وهناك عدة  
 مناسبات ، لم يكن فيها لدى البحارة العدد الكافي من الرجال للعودة سميته  
 مأسورة ، وكان البحارة المسيحيون فيها قد أُجبروا على المساعدة في إدارة  
 سبيته ثم نزل هؤلاء الأرقاء المسيحيون على آسريهم و « أهدوا »  
 أنفسهم وكذلك سميتهم . وأن مثل هذه « الحوادث » علمت دروسا  
 في التحذر وأظهرت الحاجة إلى طاقم كبير . ولكن أكثر عدد على أية سعة  
 بحرية كان تألف من الاكثرية الذين كانوا يعملون سبيها قصيرا أو  
 مدينا ، ويساعدهم زملاؤهم بالسادق أو مقدف للبحارة . وكانوا على  
 استعداد للمضود على أية سعة سكن أن تعاونهم . وممظم البحار  
 « الأوروبيين » الذين لا يمكنهم الهروب من البحارة - انقراضة كانوا  
 من الحكمة بحث لا يسمون لهذه الحالة ( أي المقاومة ) أن يحدث .  
 ذلك أنه إذا حدثت تكون البحارة سعة فاسية . أن أولئك الذين عاشوا  
 بعد صمود البحارة - القرامنة الحرائريين إلى ستمتهم ثم ينشوا أبدا  
 نحرمتهم معهم .

وكل ما قلناه نفود إلى هذا الانسحاق الذي من سببي أن نوضحه .  
 وهو أن الأسطول الحرائري كان قد س من أهل بحارة على السمن  
 البحرية وليس من أهل موحية السمن البحرية الأخرى . ولا بعد الأ  
 سواب قليلة بين 1600 و 1830 كان عهد لدى حرائريين سمن جعل  
 أكثر من أربعين مدفعا . أما السمن الحرائريه السطدية فقد كانت هي  
 السمن الشراعية الأكثر ( الكرفل ) أو السكب داب اشاسي عبر إلى  
 الثلاثين مدفعا . أن هذه السمن كانت أكثر قابلية بحركة والجعل من نوع  
 الفرقانة التي كانت هي السع يسبق خلال حروب الثامن عشر لسحارة  
 الحواصن الأوروبية الحاصص في موسى ، الداهية ، دانكيرك و سمربول  
 أو بوسطن . وعندما استعملت هذه السمن المفردة ( الكرفل أو الشكة ) .  
 كسمن بحرية . تكبد منها الحرائريون في أحوال حائرة فادحة . وهناك  
 أمثلة على ذلك . ففي بحرية الثمانينات من القرن السابع عشر . عندما

أجبر الإنراك على التتهر من فيا ، تألف تحالف مقدس جديد لمواجهة  
 العثمانيين في الدانوب وموريا ، وكان الحلف يتألف من الإمبراطور الروماني  
 المقدس ، ومن البندقية ، وبولندا ، وروسيا . وقد طلب الباب العالي  
 المساعدة ، وأجاب الجزائريون بارسالهم كل سفنهم الحربية تقريبا مع  
 صنعم لحصن سن أخرى ، اثنتان ذوات أربعين مدفعا ، واحدة ذات  
 ثلاثين مدفعا ، وواحدة ذات أربعة وعشرين ، وأخيرا واحدة ذات ستة  
 عشر مدفعا . وعندما دخلوا ( الجزائريون ) في معركة مع السادة  
 ( الفينشيين ) ، كانت خسائرهم كبيرة جدا ، بما في ذلك أضخم سفنهم .  
 وقد رأى القصل الإنكليزي في ذلك « النهاية المعروفة لكل المقتنيات  
 غير الشرعية ا » . وهناك مثال آخر حدث في أوائل القرن التاسع عشر  
 عندما حدث ثورة اليونانيين ضد الباب العالي فان الوحدات الجزائرية  
 قد أرسلت الى البحر الابحي ، ولكنها خسرت أيضا خسارة معتبرة .

ولقد سبقت الاشارة الى أن البحرية الجزائرية كانت عبارة عن « مشروع  
 خاص » في معظم تاريخها . ذلك أن السمن كانت مملوكة من قبل الرياس  
 أو الأغنياء الذين يملكون النقود بالمدينة اما باعتبارهم أفرادا واما  
 باعتبارهم منظمة من ملاكي السفن ، وهم الذين كانوا يستثمرون نقودهم ،  
 وربما يكون الداي أو الباشا من الملاك أيضا ، على أنه في هذه الحالة  
 يصبح مالكا باسمه الخاص كعرد يستثمر أمواله وليس باسمه كممثل  
 للدولة . وكان لكل من الباشا والآغا والداي والديوان وسائل معينة  
 للسيطرة على البحرية ، وتتمثل في تنظيم المشاركة في الفوائد ، ومنح  
 الرخص ، ومحاولة اجبار الرياس على احترام المعاهدات ، ومطالبة ملاك  
 السفن بتعويض أية سفينة قد تكون فقدت لسبب من الأسباب . وقد  
 يمرض هؤلاء المسؤولون على الرياس أن يذهبوا لنجدة السلطان . بعد  
 1650 — على أساس أن يدفع الباب العالي معونة . كما أن الرياس  
 تعتبرهم حكومة الايالة مسؤولين على السفن في البحر . واذا فشل  
 الرياس في الحصول على غنيمة بسبب الجبن أو بسبب سوء التصرف ،  
 فان الداي أو الباشا يمكنه أن يأمر بعقوبته ، عقوبة قد تشمل الجلد .  
 واذا فقد سفينة من السفن كان عليه أن يتقدم بتفسير مرضي لذلك ، ولا

يعنى من ذلك أحد ، حتى أن رايسا مشهورا مثل الرايس حميدو ، كان قد واجه المحاكمة ولم ينجح الا بعد أن جاء بحريته بين أن الموقع الذي قد فيه بعضه نسب عاصفة كبيرة كان حقا موقعا مائيا للرسم . وبو سم يتقدم بذلك البيان لكان من المحض أن نواجه عقوبه صارمة . وقد تغير هذا النوع من التملك خلال القرن الثامن عشر . ذلك أن حكومة الداى أصبحت أكثر استقرارا ، وتدريبها كان الدائليك ( أي الداى ووزراءه ) قد تولي ملكية معظم سفن البحارة - القراصنة وضعها في يد وزير البحرية . وخلال سنة 1717 لم تكن الجمهورية ( ايالة الجزائر ) تملك سوى سفينة واحدة من مجموع تسع عشرة سفينة كانت في الخدمة ( باستثناء السفن الصغيرة ذات الدفع بالمجاديف ) ، ولكن بنهاية هذا القرن ( الثامن عشر ) أصبح كل الأسطول تقريبا مملوكا للدائليك ، أي الداى « ووزراءه » لقد كان الأسطول كله تحت سيطرة وزير البحرية .

وهناك أسباب كثيرة لهذا التحول ، ولكن أكثرها أهمية هو تدهور الأرباح من الحملات البحرية . ذلك أنه بعد حرب الخلافة الأسبانية ، وبعد أن أصبح الانكلز متركزين بقوة في البحر الأبيض - جبل طارق ، وحيث فيكو Vico ، وحريره ماهون ، وبعد أن حصن الفرنسيون قواعدهم في طولون ومرسله . بعد ذلك كله أصبح الهجوم على لتجارة الانكليزية أو الفرنسية عر آس ، سيما اشترى الهولانديون والدول الأروبية الأخرى اسحارية حصاتهم من الهجوم بدفع اناوة في شكل نفوذ أو معدات حربية . من حتى جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية اشابة وقعت معاهدة سنة 1795 نص على دفع اناوة خاصة للجزائر . ان هذه الأمور لم تترك للرياس القراصنة الفرصة لأسر السفن . وبدون شك فانه كنتيجة مباشرة لذلك ، ومع تدهور كبير في نوعية الرحاا الذين يحسون القيادة ، ولم يعد يظهر أمام الجزائر الا عدد فيل من الاعلاج القادرين على قيادة السفن البحرية ، وما دام الأتراك لم يطوروا بحرية تجارية ذات أهمية ، فان عددا قليلا فقط من أهالي الايالة قد دربوا على القيادة . ومن الطبيعي أنه أمام هذا الوضع فان رأس المال اسخاص لم يجد الاستثمار في الحملات البحرية عملية مربحة بشكل مفر .

ويبدو أن الداي وحكومته لم يحدوا صعوبة كبيرة في السيطرة التامة على الأسطول . ولكن دعنا نرجع الى الحديث عن مشاكل البحارة — القراصنة في العهد البطولي من نشاطهم .

فمن أين جاء البحارة — القراصنة بسفنهم ؟ ان عروج واخوته ومن المحتمل أيضا أغلب مساعديه ، قد أبحروا على سفن مصنوعة في المشرق ، ونفس الشيء قد يكون صحيحا أيضا بالنسبة لمعظم السفن التي كانت في حوزة خير الدين عندما استولى على المقمية الاسبانية في مرسى الجزائر . غير أنه بحلول منتصف القرن السادس عشر أصبح في مدينة الجزائر أحواض لصنع السفن يمكنها صنع الغليظة ذات الأثمين والعشرين مقعدا للتجديف . وبمرور سنوات قليلة أصبحت المراكب والزوارق وغيرها من السفن الصغيرة تصنع أيضا في المراسي الجزائرية الأخرى . ومثل السفن الحربية في عصر من العصور فإن السفن الضخمة تمكس أفضل ما توصل اليه المجتمع من تقدم تقني ، غير أننا في هذه الحالة نلاحظ أن « المجتمع » كان أروبا أكثر منه جزائريا . ان نظرة فاحصة الى واقع بناء السفن تدلنا على أن كبار الصناع ، والعمال ، وربما حتى مهندسي السفن كانوا اما أعلاجا أو أرقاء قد تعلموا صناعتهم على الضفة الشمالية من البحر الأبيض . وليس هذا في الحقيقة محل عجب . ذلك أن الأتراك وسكان شمال افريقية لم يكونوا عادة شعويا جوابة للبحر ، وكان الانكشارية يجندون غالبا من عائلات الفلاحين لا من عائلات الصيادين ، ولكن الرجال الذين كانوا يقعون في الأسر اثر الغارات على الأراضي وعلى التجارة المسيحية كانوا تقريبا جميعا أبناء لأباء يعملون في البحر . اننا نعلم أنه كان للرئيس دور في طريقة بناء السفن لأنه كان يعلم ما تحتاجه سفينة البحار — القرصان . وفي هذه الحالة أيضا تبدو أهمية الأعلاج من جديد ، لأننا قد عرفنا ما يشير العجب وهو أن نسبة كبيرة من الرئاس كانوا من الأعلاج .

ان جزءا من الخشب الذي كانت تصنع منه السفن كان يجلب الى مدينة الجزائر من بجاية وشرشال وغيرها من الموانئ الصغيرة في شمال افريقية حيث يتوفر الخشب . وكان الباقي « ينقذ » من السفن التي تؤخذ كغنائم

والتي ليست صالحة للاستعمال في الغارات ( الزوت ) ، ولكن كان لها من النوح ما هو جاهر لباء السفن . أما الأشرعة والحوال والظلال والقطران وغيرها من الضروريات فقد كانت تأتي من أماكن عديدة . وقد جاء لاجئو الاندلس بمهارات كثيرة كانت نادرة ، وكذلك استمر المشرق في تقديم الحفاجات البحرية والعسكرية . وبعد التقارب الفرنسي - النماني خلال القرن السادس عشر ، كان التجار الفرنسيون يهرون ، بل حتى يوردون تلك الأجهزة الى مراسي شمال افريقية في عدد مكشوف لأوامر اسبابه التي يحرم ذلك ، كما أن التجار الانكليز والهولنديين كانوا يتنافسون ، خلال القرن السابع عشر ، في ممارسة هذه التجارة ( مع شمال افريقية ) وبعد منتصف القرن السابع عشر عقدت معاهدات مع الهولنديين وكثير من الامارات الصغيرة او لدويلات - المدن : تنص على تقديم « هدايا » من نوع الصواري والأشرعة وكور المدافع ، والمدافع ، وحوال وغيرها ، كالفنائع ، في مقابل الحماية من الهجوم . وإذا صحت تقارير القناصل ، فإن الصواري كانت تشكل أكبر مشكلة . ذلك أنه لم يكن يوجد مساحات كبيرة من المياه في شمال افريقية يسكنها أن تقدم توبيخات مناسبة من الصورى . وبذلك فإنه كان على المصنعين أن يستوردوها من المشرق أو من جهات أوروبية . وقد جاءت المدافع في البداية من المشرق ثم وردها الفرنسيون والهولنديون ، وأخيرا فإنه بمساعدة الفرنسيين ، أنشئت في مدنة الجزائر مصاهر لصنع المدافع مما وفر هذا النوع من السلاح .

ومن القرن السادس عشر إلى الثامن عشر هناك ملاحظة مشتركة حول سفن الحذرة - القراصنة البحرية وهي أن العلامات وكذلك السفن ذات الأشرعة الطويلة إنما صممت لتكون سريعة وسهلة القيادة وذات مرونة في توجيهها . وبذلك يمكنها أن تلحق بالتجار المبحرين أو يسكنها الهروب من السفن الحربية المسيحية . (5) وأن الطريقة الوحيدة السهلة لضرب سفن

5 - لقد كتب المحرّف في طولون الى كورنر قائلا : « ان الخطأ ليس في سفننا لانها لا تبحر بالعودة الى البحر بل في القرمصة البحرية ، ولكن الفرق أن سفننا محملة بالمدافع الثقيلة والامثلة ، وبذلك فإن حذاء المراكبة ستصلون سريّة أو تاليتة اصابع ، وليس لهم امثلة المدعية الحقيقة ، ولا يحصلون سوى مؤونة سنة او ثمانية اصابع ، وليس لهم امثلة

البحارة - القراصنة (البحرانيين) هو مبطا في المراسي وتعطسها هناك.  
لقد كانت هذه السفن دائما تصح بطريقه تجس حكلها مسطحا وغير عاثر  
قدر الامكان وانسى ، وبدون رجاو غير ضرورية ، وماء على مباح  
السفن ذات المروية والسلاسة في القيادة - وكان خوف هذه السفن غالبا  
موسحا ، وكانت دائما في أحسن حالة تليق بالسفن . وكانت السفن  
الشراعية الكبيرة التي صممت على نموذج سفينة الشباك Chabbak  
الغربية ، والفرقاطة التي أصبحت تقريبا هي وحدها « المقاس » كسمة  
للمواسم خلال القرن الثامن عشر والتي كانت قد شكلت على طراز  
الفرقاطة (Fregata) الانطالي ، وعبرها مثل اسم الالبريكة -  
كلها كانت قد صممت من مباح السفن الصغيرة التي تطورت خلال  
عهود سابقة . بعضها من سفن ذات محاريب وبعضها من سفن ذات  
أشرعة . وكانت السفن التي لها أشرعة طويلة مسطحة في العادة شباية  
عثر الي أرضي مدفا ذات طاقه ضعيفة بها ولكن أثناء عهود كثيرة  
وحدا عندما كان العرب العامة في أوروبا قائمة 1688 - 1715 .  
1744 - 1763 . 1793 - 1814 - وحدا البحرانيين يملكون سفنا  
حرية ذات حصى وستي مدفا . وبعض هذه السفن صممت في الجزائر  
لصها . ولكن عندما كان قد انحصر من البرتغاليين والبولنديين  
( دارق Danzig ) . والسابعة (6) ولكن هذه السفن لم تكن  
كلها ممددة للما على انصاره كدائمه اسم انصاره ذات المروية في  
القيادة مثل السكك أو الشراعية الكرم . وهناك خاصة أخرى لهذه  
السفن ، وهي تعلق بالمساحة المحصنة للصانع . حيث أن البحارة -  
القراصنة كانوا لا يحلون إلا الحد الأدنى من المقاومة . وبالمقارنة مع  
السفن الحربية الأوروبية . لا وجود لها لمساحة يسكن برلمان أن يعرف

ولذلك دار لسطر القمصين  
النافذة من حول القمصين وأمر بملار  
في 13  
6 - وعنده سبعة بحارة من نوع الشراعية كانت عذبة  
الصفحة الأمريكية لشدة ، وكان البحرانيين يرحلون في شرا واحد آخر على  
البحر ، ولكن الرئيس جيمس جونسون أولف المسقة .  
(Tourville) Delatbre  
لا يستطيعون

وبما مضاعفة للبيع . فليس من العجيب أن هؤلاء المهاجرين قالوا سمعة  
كبحارة ممتازين حتى ولو كانت قدرتهم على « تجادي » معركة مع طرف  
آخر في الدرجة الثالثة أو الرابعة إلى حد ما أقل فعالية .

وعندما تكون السفينة جاهزة للخروج من أحواض بناء السفن لجزائرية  
يقام لها احتفال : فكل فرد ، من كبير المهندسين إلى أدنى عامل من الأرقاء ،  
يشارك في مادة من الكعكسي ولحم الحروف وهو لطعام المعتاد في  
ذلك الوقت ، ويرافق ذلك دقائق الطول وعرف المزامير والقاء الحطب .  
وعندما تكون السفينة مستعدة للإسفار ، يرمع رئيسها عنه ويبعا كاتبه  
في تحصيل أسماء المتطوعين الذين سيبحرون معه وكذلك أسماء الطاقم .  
فإذا كانت السفينة من نوع الملبوطة فإن الأرقاء يكونون من نصيب  
الرئيس ، وثمة السفينة ، والذي ، من حتى لتكثر الحفلة التي  
« أجروهم » للرحلة . وهناك طقوس خاصة تتصل بمغادرة وعودة  
الحداثة - القراصنة . وما دام القرآن لا يسمح القراصنة ، فإن كل مظهر  
ممكن من مظاهر التقوى كان ضروريا وحسوبا بعد أن أصبحت  
« قداسة » انزوات الحرية ، مد وقت بعد ، مظهرا صحيحا من النشاط  
العام . وكان الرئيس يشاور في العادة مرابطا المتصل ، لبحره ما إذا  
كانت الشاؤم تدل على البحر ، له كه ويطلب منه المساعدة اربعة .  
وكان دم الحروف يراق على مقدمة السفينة لمدكر بأن المروءة انما  
كانت باسم العهد لقال لمحمد . وعندما بحر سمعة خارج الماء  
مارة بزاوية أو غير أشهر المرسى . نخصص الإعلام ، يطلب الرئيس منه  
الدعاء الصالح . وحيثما تعود السفينة مستمرة وهي تحت اسمها المعتنقة  
أو تقودها بالأشرعة وعليها أعلامها مسكنة ، تطلق المدافع ، يطلقات ،  
سواء من السفينة المستمرة نفسها أو من المرسى أو ارسيف البحري  
( المول ) ، تحية لها . ثم يمر المتصورون في استعراض عبر المدينة وسط  
ضجيج الطول والمزامير ، مع أسراهم الحديد وعائلاتهم ، وذلك لتقديم  
أعضائهم للشا أو الداي . وبحره المبحرون الذين كتبوا حول هذه  
الأنشطة عن الخرافات الفلظة التي كان يمارسها هؤلاء الرئيس الشبهين  
بالقراصنة . ولقد كانوا بالتأكيد على حق في ذلك لأن البحر في تلك



الذين كان ما بران عموماً غير مفهوم ، وكاتب منهم صعيقة أمام رعب  
أحاده . ولقد كانت كان المسيحيون والمسلمون على السواء يطلبون من  
المسيح ومن أولئك الجماعة ويرسلون بدعائهم وبحورهم نحو السماء  
شكراً له على نعمائه .

وإذا دخل الرئيس البحر فانه هو الذي يعود . ولا يهم ما إذا كان من  
الزوج أو من سكان الغرائر الأصليين فان كمنه هي العليا . والآباء  
الذين هم في مرتبة عليا في نظام الانتشارية أو الرق ، الذي هو في  
أصل درجات سلم الاجتماعي . كلاهما هو في وحب احترام سلطة  
الرئيس . وتتمتع رتب المسؤولين على ظهر السفينة القائد الثاني  
( أو نائب الرئيس ) ، والرمان ، والملاح ، والبحار ، والكاتب الذي  
يحفظ دفتر السفينة ويحفظ لسانه ، ثم قبط الباب . ومجموعة من البحارة  
لإدارة الأشرعة . كما في ذلك واحد رتبة آخر وثالث له لصناعة المتطوعين .  
وكم المدفوعين ومساعدته للأشراف على المدافع . وعندما أصبحت السفينة  
دات الأشرعة الطويلة تحبل عشرين أو أكثر من المدافع . كان الرجال  
المسؤولون على إطلاقها قد لعبوا دوراً أكبر من مدافعها . وهناك أحبار  
كثيرة تروى لـ أن سحابة كانوا من الإصلاح في الأريق . بل أن عدداً من  
المجاهدين مع الدول بحرية كانت يخدم على يد سماء أحبار الرق  
الفرنسي أو الإنكليزي من نولي دور البحار . مع الأوامر الذي يدل على  
أن ذلك لم يكن غير معمول به . وبما كان الإصلاح في الأريق أكثر تعقيداً  
في البحر من أمد الإصلاح ما اضلوا أو سوريه يخدم كانوا ضمن  
الانتشارية . لقد كان هؤلاء ( حدود المشرق ) متطوعين يحملون  
أنفسهم في أحرقة مرفعي الحصول على سهم من عسمة القود إلى جانب  
الانضمام الآخرين في سفينة . (7)

7 - أن سماء سماء سماء بعد الفطنة وسمه في عدداً من المسائل على سواها انطلاقاً  
من القوم استمع من كان أساتذة - بعد 12 في أمد مدسة البحار ، وعشرة نالاه  
سويس . وواحد في ثلاثة لأصلاح الرصيد البحري ( الرمان ) وواحد في ثلاثة  
اضرائب . وسمي ، وهو من 58 إلى 56 في المائة بذهب نصفه إلى ملك لسم ،  
والآخر إلى طام السفينة وسواها . وياخذ الرئيس من هذا الصف  
المناس ، من عشرة وألتر عشر سماء ، والآل ثلاثة أسهم ، والانتشارية سمح لكل  
سهم ، ورئيس المدفعية ثلاثة أسهم ، وقبره من المدفعية سمين ، وأبرار ثلاثة

وكانت من البحارة - القرصان لا يحمل من المؤونة سوى الشيء  
 الضروري للغاية . وكان الأرواء والمتطوعون على ظهر السفن من نوع  
 القادس ( الغاليات Galleys يطعمون بالسكوب والنحل والزيت ، ولكن  
 كان يسمح للمتطوعين بركية ذلك بأحصارهم وإذا حاصوا بهم في حقائبهم  
 مثل الفواكه المجففة والتجبن وغيرها . وكان يأخذ السفن الشراعية يطعم  
 أيضا تمريبا نفس الضمام الذي يعطى للأرواء في السفن ( الغاليات ) ، ولكن  
 يسمح لهم أيضا ، كما هو الحال مع المتطوعين - بأحصار طعام خاص بهم  
 معهم . وكان المتطوعون في ( الغاليات ) يأخذون على نفس الدكات  
 ( الأماك ) سي يأخذ عليها الأرواء ، ولكن كان مسموحا لهم بالحرك بحرية  
 أكثر عندما تكون لسمينة في الانحار أو في حالة رسو . وكان الانكشافه  
 في كل من السفن العاليه وشراعيه ، مسلحين بالسيف الخدياء والحداحر .  
 أما لرمح والأسلحه اناريه والسهام والأهوس فقد كانت مخبوءة في  
 غرفة خاصة مغلقة ولا يعطى الا عندما يفتق البحار - عرصان احتيا على  
 سحبه أو كان عليه أن يحارب عدوا مسلحا .

وكان الرياس يتعدون - عن حكمه ويفقد الامكان - بدحون في  
 المعارك التي قد تؤدي إلى تخفيف سموم أو بخص من عدد ضامهم (8)

اسمهم ، والاتاج ثلاثة اسمهم ، ورجل الأتاج ثلاثة اسمهم ، وفيهم العاليه سمومين ،  
 ولخارج ثلاثة سموم ، وسجده سمومين ، وقد كان على ظهر السفن خمسة رجال من اسم  
 اللان الحزازيين . ولا يظنون سوى سموم واحد ، لأنهم كان لا يكره الأسماء  
 عليهم كثيرا ، ، وأما كان من هؤلاء اسمهم رجاء فان اسمه حالك الرقيق هو الذي  
 يأخذ اسمهم ، وأجاب عظمى حردا نرس . من 265 266  
 ونفس هذا النص الذي جاء به مع ما أورده لكتاب الأخرى . نرس ، انظر أيضا  
 سير ديوكس ، سجل الضام الحربية في الحلة الأثرية 1545 XV (15) ، ص 70-  
 77 وعدد XV 16 ، ص 146-159 .

6 - ولتكم لم يكونوا دائما حكام في ذلك ، فقد كتب الفصل الإنكليزي درس في سنة  
 1675 ، بأن ولد الذي قد بقي إلى وفاة أمير البحر ميرال ، وأعطى مائة سموم  
 حديد ، اسمها بالحصار الذهبي ، ولا خرج في مروبه رقة خضه أخرى من البحارة  
 - القرصان مع حلفهم ، انتهى يرحل حربه برصالي وتبقى عليه الشاقي طليسا  
 الحرب وقد استطاع البرتغالي أن يمر من الأبر وقتل خلال المعركة مثل حوالي  
 دمهائة رجل من الأتاج والحوارثين وسبوا أسرا كبيرا للسموم ولذلك لم يولد  
 اندلي من سموم وسبى مكانه الراس كاري (canary) - لفة أمير البحر

PRO. SP. 71-1 Fol 89

وكانوا كثيرا ما يرفعون أعلام الدول الشمالية (الاسكتلندية) الى أن  
 يملوا مرحلة التصيق الكافي على صحتهم بحيث لا يمكنها المقاومة .  
 وعندما يكون عليهم أن يخطوا في معركة هاجم يفترون من اهدب على  
 أصوات المزامر ، وصحيح الأسلحة ، وصحيح المدافع ويران مقادف  
 الحجارة ، وصيحات : « استسلموا أيها الكلاب ، استسلموا ! » ومعظم  
 المعارك لا تدوم طويلا . وفي كثير من الأحيان ، عندما تكون الصحة مبحرة  
 بالقرب من الشاطئ . — كما كان الحال في معظم السير البحري في البحر  
 الأبيض . — ما من طاقم السفينة كان ، بكل بساطة ، يعطس في البحر ، لينتقد  
 نفسه من الأسر . ومتلى تقارير القاصد الفرنسيين بحكايات السفن  
 التي حيء بها الى المياه بدون طاقم . وإذا ما احتجزت السفينة في لمحيط  
 الأطلسي ، فإن المظنون هو أن الطاقم كان قد أعدم ، أما اذا حدث ذلك في  
 البحر الأبيض فإن الاعتقاد القريب من اليقين هو أن الطاقم قد فر  
 بواسطة الساحة الى شاطئ البقاء . ومهما كان ما حدث ، فإن جميع  
 الأخبار التي عرفنا تؤكد ، بدون أي مكان للمجب ، أن الشعوب العاملة  
 في البحر خلال تلك العرون الأولى ، كانت تخشى البحارة — القراصنة  
 كما كانت تخشى الشيطان ، بل لعلها تخشاهم أكثر منه ، دام بعضهم قد  
 رأوا البحارة — القراصنة في ميدان العمل ، وآخرون منهم حصلوا كآراء  
 الى المغرب العربي ( The Maghrib ) ، بما عدد قليل فقط تمكنوا من  
 رؤية ملك جهنم ( الشيطان ) .

ولكن ظهور القوة البحرية للإنكليز والفرنسيين ، وحتى الهولنديين  
 جعلت أسر المواطنين من هذه الشعوب أمرا مخفوق بالخطر ، ولذلك فإن  
 المعاهدات مع ادارة الحرائر نصت على حمل حواجز سفر من هذا النوع  
 أو ذلك . وهذا يعني وجود حراسة تصعد على ظهر السفينة للمراقبة وفحص  
 قائمة المسافرين وبصاعة السفينة الموقوفة في عرض البحر . وما دام كثير  
 من البحارة — القراصنة ، بل معظمهم ، لا يتقنون على قراءة اللغات  
 الأوروبية ، فإن الطريقة المعتادة هي مقارنة عدد الخطوط ، وطول الخطوط  
 في جواز السفر ساء على النسخة التي يعطيها لهم القنصل في الجزائر .  
 ولكن هذه الطريقة لا ترضي دائما البحارة — القراصنة : فقد كان من

حقهم أن يأخذوا المسافرين الذين هم مواطنون لأعدائهم كآرقاء كما يأخذون بضاعتهم على أنها مهربة إذا استطاعوا أن يشتوا أنهم فعلا كانوا أعداء وأن بضاعتهم بضاعة عدو . والشرط الوحيد هو أن البحار - القرصان عليه أن يدفع ثمن شحن البضاعة التي صادرها ، وقد كان هناك نتائج سيئة لهذا : فالبحار - القرصان قد يحاول إحراق الطاقم على تعيين المسافرين الأعداء ، وسيبذل البحارة - القراصنة قصارى جهدهم ، بما في ذلك استعمال العنف ، للبرهنة على أن الحمولة كانت في الواقع حمولة يملكها العدو . وكل من البحارة - القراصنة والقناصل الأوروبيين في الجزائر عانوا كثيرا من هذا الصراع . ذلك أن رجال البحر كانوا كثيرا ما يتهمون البحارة - القراصنة بالصف واستعمال التعذيب ، والضرب وما شابه ذلك . بينما كان البحارة - القراصنة يصرون على أن قذبة السفن ( الأوروبية ) كانوا يظفون الحقيقة . وكان الحكام الإنكليز وفرنسيون يشعرون أن شرف أعلامهم كان محل اهانة ، ولكن الحل لم يكن سهلا . وهناك مشكلة أخرى : ذلك أن البحارة - القراصنة كانوا غالبا ما يرفعون أعلاما ليست لهم ، وقد كان الأمر كذلك أيضا بالنسبة لقراصنة مدية سالا (9) . وأن القبطان العنيد لم يكن يرغب في الانتظار إلى أن يكون الأوان قد فات ليقرر ما إذا كانت السفينة المقترنة منه من الجزائر أو من سالا ، وغالبا ما يحدث أنه عندما يأمل القبطان في تحقيق النجاح يطلق النار على البحار القرصان وكان هذا التصرف ممنوعا طبقا للمعاهدة ، ولو لم يعد التاجر بإطلاق النار على البحار - القرصان ، لكلفت عملية الدفاع القبطان وطاقمه حريتهم وسفيتهم .

ولقد سبق لنا الحديث عن بعض أشهر رياس القرن السادس عشر البطوليين ، مثل عروج ، وخير الدين ، ودرعوث ، وعلج علي . إن هؤلاء

9 - كانت سالا (جمهورية برصة) تقع على الساحل المراكشي ، كانت تحكم من قبل جماعة من أربعة عشر قبطا ، ولها رئيس برصة أمير البحر (أميرال) ، وكانت الجماعة فيها مؤلفة من رجال البحر الهولنديين والإنكليز فقط تقريبا ، وكانت سمها عاملة في كل من البحر الأبيض وشمال المحيط الأطلسي خلال كل القرن السابع عشر وجزء من الثامن عشر ، أنظر أبطوس ر - دي أرماس De Armas ( القراصنة والهجمات ) الجزء الثالث ، ص 1 و ص 59 وغيرها ، وهناك كتابات أخرى عن جماعة سالا ، وكثير من المراجع المعاصرة من أنشطتها .

الرجال وأصدقائهم ومساعدتهم هم الذين أنشأوا إيلات الجزائر وتونس وطرابلس كمصانع من البحارة - القراصنة ، وأعطوها أشكالها السياسية والعسكرية الخاصة بها . ولكن القيادة الحقيقية للأسراب من البحارة - القراصنة ، كانت في إعادة في أيدي رجال أهل شهره من أولئك الذين أصبحوا دايلا رمايات والشاوش أمراء البحر في خدمة السلطان . وأشهر هؤلاء جميعا هو مراد راييس ( المعروف باسم Morato Arraes ) وهو عديم الباني كان في البداية قد خدم في البحر تحت قيادة قارة علي ، ثم رقى إلى قيادة قطعة من الأسطول تحت قيادته عالج علي أثناء حصار مازطة . وكان أسره لنفسه صقلية وعليها دوق تيرانوفا Terranova ، انقضى العسكري العام لصقلية ، ثم أسره ، بعيد ذلك بقليل ، لسفينته نابوية - حملته بطلا بين أنداده . ولكن معارضة الأكثر حياء كانت قيادته لقطعة من الأسطول تتكون من أربعة غلومات والمبور بها مضيق جبل طارق والذهاب إلى سالا . وهناك انضم إليه ثلاثة من الصايط القراصنة ثم توجه إلى جزر الكناري . وقد نهب البحارة القراصنة لابرروت Lanzarote وأسروا زوجة واية الحاكم ، كما أسروا مئات الأفراد الأقل أهمية . وبعد حولة حول تلك البحر ، وبعد عدد من الارتالات على الشاطئ لجمع غنائم أكثر وكذلك جمع الأسرى - قاموا برفع علم للدخول في المحادثات وسبحوا بتقديم الفداء لأسراهم الأكثر أهمية . أما بقية الأسرى فقد حصلوهم إلى الجزائر أو سالا كآرقاء . وقد حاول الأسبان ، الذين علموا مقدما بمودتهم ، ان يكسبوا لهم في مضيق جبل طارق ، ولكن مراد راييس استطاع سحاح ان يتحدى أسطول دان مرتان دي باديللا de Padilla أثناء عاصفة ، وعاد بقطعة أسطوله إلى الجزائر . لقد كانت غزوة حربية حقا ، وتنصح حرائها أكثر من كون سفينة الملوطة لم تكن في الحقيقة صالحة لياه المحيط الأطلسي . ان المسيحيين يحبون الاعتقاد في ان الله عاقب مراد راييس بوفاة ابنه قبيل عودته منتصرا ، ولكن القصة كما جاءت في الشهادات التي قدمت عن تلك الغزوة أمام محاكم التفتيش ( الأسبانية ) قد لا تكون كلها صحيحة .

وهناك راييس آخرون كانوا أقل حظا . ذلك أن البحار - القرصان ، إذا أسر من قبل الأسبان ، لا أمل له في الفداء . فهو إذا كان علجا سيستمر

أو يحرق ، كما جرت العادة . وأحيانا فإن رايسا مثل مصطفى أرمود (Aïmeud) ، الذي كان في أحد سجون نابولي مدة عشرين سنة ، استطاع الرياس الذين كانوا معه ، وعددهم أربعة عشر رايسا ، أن يحرروا أنفسهم ( سنة 1591 ) ربما بمساعدة زملاء لهم تسربوا الى نابولي متخفين في زي بحارة مسيحيين . فقد استطاعوا الهروب من السجن وسرقوا سفينة صغيرة واستولوا على أخرى أكبر منها ، وأبحروا متوجهين الى بنزرت . لقد كان علمهم الباهر نادرا جدا للدرجة أنه دخل لتقليد الشعبية .

وكثير من ضباط البحرية الأعلاج كانت لهم من معينة . وسوف نرى أن سيمون دانسر Danzer لم يعد آثما الى لبلاد المسيحية الا ليحلق مشاكل جديدة بهديته الى دوق دي غيز de Guise ، وهي الهدية لمحنة في المدفعين اللذين تملكهما الايالة الجزائرية . وقد وجد سليمان رايسا ، ابدي كان من لاروشيل La Rochelle ، الخلاص والفرصة لمواصلة مهنته بأن أصبح فارسا من فرسان القديس يوحنا ( ملطا ) . وحصل بقرصنة الانكليز : وارد Ward ، وسامسون Samson ، وادوارد Edward على حق الميث في بذخ بالجزائر نقائهم وتعليم الرياس الآخرين قيادة السفن الطويلة التي تستطيع بسهولة أن تتجاسر على دخول المحيط الأطلسي . (10)

10 - لقد رأينا أن كرا من الرياس وساعدهم كانوا من الأعلاج ، وأن مصيرهم كان مظلما اذا ما أمي عليهم المص ، ففي البحر كانوا عادة يشاركون معبر الصبح الانكليزي قائد السفينة المسماة ( هاممون ) بصفا انهم = قمر 14 ، التي أسرتها السفينة الانكليزية ( صفر ) = السفينة الرمداء ، في شب 1681 ، وقد كان مد شبي على العود . ( انظر كلاود Clowes . الحرية الملكية ، ج 2 ، ص 457 ) . وكانت محاكم الميث في كل من ايطاليا واسبانيا تحرق الأعلاج حرما ، ولا تستطيع أية معاهدة ان توقف هذا لانها « لا تطع الملك » ولا يمكن لحدوده أن تنقيد . . بمصاهدة « ( انظر مارميل امريت M. Emirit . تحاره بحرة شمال امريقة في القرن الثامن عشر في الكراسيات الموسمية - رقم 3 ، ص 364 ) فلا غرابة إذن أن الرياس الأعلاج كانوا لا يرغبون في أن يصنعوا ماطا لسفن تجارية قد ترسو بهم في ميناء أوروبي .

ان أكثر البحارة - القراصنة تروة وشهرة ، ذلك الذي درع طولا  
 وعرضا أكبر عهود الأنشطة الجوارية ( حوالي 1630 - 1660 ) هو ،  
 بدون شك ، **علي تشين** . لقد انقبه في فصول أخرى من هذا الكتاب  
 ولكنه يتحق اهتماما أكثر من ينك اعطاؤه . كان ينشئ من إيطاليا ،  
 ويسمى بال **Piccolo** ( من الدقية ) ، اسمه تشينو Piccolo  
 وصل إلى الجزائر بقود سيرة عرسه كان قد أبحر بها من البحر  
 للأندلس . وقد اعتنق الإسلام وسرعان ما صعد إلى المصاف العليا  
 من طاقته الرئيس لحراته وشجاعته . وقد حطته بحائمه عيا ، واستثمر  
 أمواله في سائر أخرى للفرصة حتى أن أسطوله هو الخاص أورثه لقب  
 أمير البحر في الجزائر . كان علي تشين يملك قصرين في مدينة  
 الجزائر ، وفيلا ( حوشا ) في الصواحي ، وعدة آلاف من الأرساء ،  
 والجواهر ، وأواني من الذهب والفضة ، وثروة طائلة من البضائع  
 المختلفة . وقد بنى حماما عاد عظيم الضخامة كباقي مسجدا كبيرا في  
 الجزائر هدية لهذه المدينة . وكان له حرسه الشخصي مؤلفا من المشاة  
 والعدالة وكان حده في أعلى من رجال قنصه كوكو الدين أصبح سلطانهم  
 والداروحت . وخلال الثلاثينات من القرن السابع عشر كان انقاصه  
 العاملون على مدينة الأسرى يتعاملون معه هو . كما تشير كتاباتهم من  
 الجزائر . أكثر مما كانوا يتعاملون مع الثالث ، باعده هو الحاكم  
 الحقيقي للمدينة . وقد أطلق عليه فرانسيس بايت F Knught ، الذي  
 كان أحد أرفقائه ، لقب « الطاعة » لأعظم الذي لا يحترم أحدا حتى ولو  
 كان سلطان نفسه . ولكن ليس كل أرفقائه قد مضوا إلى حالهم على أنه  
 حال « نائب للعادة » أو إلى سنده على أنه طاعة . هناك قصة تقول  
 أن أحد المتعصبين المسلمين أراد دخول الحنة بقل أحد المسيحيين ، فتوصل  
 إلى تشين ليبيحه هذه المرة بقل أحد أرفقائه . وقد وافق البحار  
 القراصن ( تشين ) ولكنه أعطى لشاب قوي المضلات سيفا ثم استدعى  
 الرجل الذي توسل إليه ، لمبارزته في الحقل ، وعندما هرب ذلك الرجل  
 المتوسل صعدت منه علي تشين إلى حد النفقة . وهناك رفيق آخر  
 أعاد حوهره كان قد « وحدها » ولكن علي تشين لاحظ عاقوته في أنه  
 لم يعتم فرصة الحصول على حوته بها .

ولعله كان علي بتشين طموح في الاستيلاء على الإيالة ، فتحامه مع سلطان كوكو ، وحراسه البالغون مآت من الخنود وبحريته بخاصة ، وعلاقته مع زعماء الكراغلة — كلها تشير الى طموحه السياسي . وكان قد هزم هزيمة كبيرة في فالونا Valons حيث خسر ثماني سفن من نوع الغاليات ( وقد حصل نائيت على حريته منه أثناء هذه المعركة ، لأنه كان مستترفا على أحد السفن التي أسرت ) والعين من الأرقاء . وبعد سنوات قليلة عندما خطط السلطان هجوما على مالطة ، رفض علي بتشين السماح للقوات البحرية الجزائرية بالمشاركة الا بعد دفع السلطان للمعونة مقدما . وقد أرسل السلطان شاوشا ( أي مبعوثا عنه ) الى مدينة الجزائر لحب رأس تشين . ولكن كان على الشاوش نفسه والباشا أن يهربا الى أحد المساجد فرارا من أتباع أمير البحر — القرصان ( يقصد بتشين ) . وأمام هذا الوضع رفض الباشا دفع أجور الانكشارية فطلب هؤلاء من علي تشين أن يدفع هو أحورهم . ويبدو أن تشين لم يكن قد أعد بعد رجاله للانقلاب . ففر الى بلاد صهره ، سلطان كوكو ، بينما الانكشارية نهبت منازل التي في المدينة بالإضافة الى العبي اليهودي . فمأذا حدث بعد ذلك ؟ من الواضح أن الباب العالي خشي من عودة علي بتشين الى الجزائر على رأس جيش من رجال رواوة ، ولذلك أرسل اليه النقود ، والنفو ، والتشريفات التي كادت تجعله هو الباشا . ولكنه عندما رجع الى الجزائر رفقة شاوش السلطان سرعان ما مرض ومات . وكادت جنازته لفخامتها أن تكون جارة ملكية ، ومع ذلك فإن الكثير شكوا في أنه قد يكون مات مسموما بأمر السلطان .

وهناك راييس آخر وهو بكير باشا ، الذي ظهر في الأوراق القانونية للقديس فانسان دي بول de Paul والذي اشتهر بشراسته وبدمائه على الضمر ، وبقسوته وسلوكه الانتقامي ، وبسوء معاملته لأرقائه ، وبتعذيب وضرب أولئك الذين لا يعجبونه . أو على الأقل ذلك هو السجل الذي تركه الآخرون عنه ووصل إلينا . وأن الكاتب الذي روى لنا أخباره يبدو مسرورا بإعلانه أن سفينة بكير باشا قد تحطمت ، وأنه في تلك اللحظة التي اعتقد فيها أنه قد نجا ، ضربته موجة بقطعة من الخشب وفيه حديدة



قائمة ملوية : « لقد استعمل الحشب والحديد والماء لقتل المسيحيين ، واستعمل الله الحشب والحديد والماء لقتله هو . وعندما مات ارتمت على جثته حجارة من الرصاص - ولعلها كانت جماعة من الشياطين المتخفية - ولكنها لم تمس الحشب الأخرى التي كانت موجودة بأعداد كبيرة على الشاطئ . » ومن الواضح أن كثيرا من الرصاص القراصنة كان لهم سمعة سيئة في العام المسيحي - ولعل بعض ذلك كان عن جدرة . (11)

وربما كان آخر الصباط العظام للبحارة القراصنة هو الرئيس حميدو الذي استغرق نشاطه عهد الثورة الفرنسية ونابليون . وهو خلافا لمعظم البحارة - القراصنة الناجحين ، لم يكن علجا ولا تركيا . لقد كان ابنا لخيط جزائري ، وتوجه الى البحر كضابط عمل في غرفة السفينة . ثم أنه عن طريق لدكة والشجاعة كونه نفسه حتى وصل الى رتبة ضابط وأخيرا حصل على رتبة أمير البحر على جميع الأسطول الجزائري . وكان له في مهنته أيدم له وأيام عليه . فقد خسر مرة سفينة من نوع الشبكة يملكها انداي نفسه ، ووقف ذات مرة على الجانب الخاسر في محاولة سياسية فاشة . ولكن الحظ كان معه في كل مرة ، ولذلك استطاع أن يخرج ساد من كل احتصار . وكانت أكثر عملية اسمها بعد ذلك ( البرتغالية ) - وفيه عى الفرقنة البرتغالية التي أصبح اسمها بعد ذلك ( البرتغالية ) - البرتغيزا - وعندما اصمت اليها السفينة المسماة ( الأمريكبة ) - الميريكانا - (12) ، وكذلك سفينة هو الخاصة ، أصبح لديه قطعة من الأسطول تتألف من ثلاث سفن من نوع الفرقاطة ذات أربع وأربعين مدفعا ، وكانت هذه القطعة في الواقع من أخطر قطع الأسطول البحري الجزائري منذ أكثر من نصف قرن . وكانت عائمه وأسراه الذين حصل عليهم بعد إزالة البحارة على سواحل البرتغال ، وصقلية ، ونابولي ، وجزر البحر الأبيض ، قد جعلته يملك ثروة طائلة ويصبح محل احترام وتقدير . ويجمع الكتاب على أن الرئيس حميدو كان يتمتع بالوسامة وكذلك بالذكاء والشجاعة . وكان محظوظا لأن نشاطه تصادف مع الفوضى التي عرفتها

(11) A.N., K 1334, N° 6.

12 - كانت هذه السفينة « هدنة » من جمهورية الولايات المتحدة الشابة .

فترة الثورة الفرنسية وحروب نابليون - هي كان من الصعب على الدول البحرية أن تحافظ على النظام ، ولكن يبدو أنه كان رحلا يتمتع بعبقرية عظيمة وأنه كان سترك بصماته ( على الأحداث ) مهما كانت الأحوال . ولكن نهايته كانت سريعة سنة 1815 . ذلك أن جمهورية الولايات المتحدة الوليدة كانت لها معاهدة مع الجزائر موقعه سنة 1795 تدفع بمقتضاها الولايات المتحدة اتاوة في مقابل سلامة سفنها ، ولكن عندما رفض توماس جيرسون الاستمرار في دفع الاتاوة أصبحت التجارة الأمريكية تمثل غنائم سيئة . وما دامت الولايات المتحدة لس لها عدد من بحرية جاهرة ، فإن الحرائرين لم يحافظوا الا حزبا على المفاوضة . وهكذا فانه بمجرد ما اتمت معاهدة غانت Ghent الحرب الميدة مع بريطانيا ، سارع لرئيس جيمس ماديسون بارسال قطعه من الأسطول تحت قيادة لفضاط ( الكومودور ) ستيفان ديكاتور S. Decatur الى البحر الأبيض لمعاقبة « القراصنة » . وقد التقى الأمريكيون قرب رأس غاب Cape de Gatt فرقاطة جزائرية تحمل العلم الأنكليزي . وكان الأمريكيون يعمون أيضا بعلم الأنكليزي الى أن أصبحوا قاب قوسين من صحتهم . وخلال المعركة التي شنت أحرقت السفنة الجزائرية على الضرب ولكن الراس حيدو الذي كان عليها أصيب بقذبة مدفع قوية فشطرته شطرين . وبم يحدث بذلك أبدا أن طهر بحارب قرصان بطل . ففي السنة الموالة ( 1816 ) أدى هجوم اللورد اكسموث Exmouth على مدينة الجزائر الى ضرب المؤسسة البحرية الجزائرية صرعة قاضية .

## الفصل الثامن الأرقاء

ما دام احصاء السكان لم يستعمل قط ، فان أي تقدير لعدد الأرقاء ، أو لحرار في شمال افريقية خلال هذه القرون التي ندرسها هو ، في أحسن الأحوال ، مجرد تخمين . ويخبرنا الراهب الاسباني أن هناك حوالي خمسة وعشرين ألفا من الأرقاء الذكور وألفا من الإناث في الجزائر خلال الثلاثينات من القرن السابع عشر . ويبدو أن رقم خمسة وعشرين ألفا هو الرقم الذي يمكن أن يتفق عليه معظم ملاحظي نصف القرن السابع عشر ، ولكن هذا الرقم لم يقل شيئا عن الأرقاء الكثيرين الذين كان يملكهم سكان المدن الأخرى من الأيالة أو الذين يملكهم السكان بداخل البلاد أو القبائل المتنقلة . ولعل رقم خمسة والعشرين ألفا رقم مرتفع جدا بالنسبة لمدينة الجزائر وحدها وهو أيضا رقم منخفض جدا بالنسبة لعدد الأرقاء جميعا .

ويخبرنا أحد الملاحظين ، وهو أكثر ثقة من غيره ، بأن عدد الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يباعون في أسواق مدينة الجزائر بين 1520 و 1660 كان يتراوح بين خمسمائة ألف وستمائة ألف نسمة . غير أن هذا الرقم قد يبدو عاليا جدا ، لأنه يتطلب أسر حوالي أربعة آلاف رقيق في السنة ، ومع ذلك فانه من المحتمل أن حوالي أربعمائة ألف رقيق كانوا قد بيعوا خلال هذا العهد . ومهما كانت الأرقام للسنوات الواقعة بين 1660 والاحتلال الفرنسي سنة 1830 ، فانه يجب أن نتذكر بأن عدد الأرقاء قد انخفض بشكل حاد في القرن الثامن عشر ، ومع ذلك فمن المحتمل أن وقما يقع بين مائتي ألف ومائتين وخمسين ألف رقيق قد أسر خلال هذا العهد الأخير ( القرن 18 ) . وبينما يبدو واضحا أن هذه الأرقام مبالغة فانها أيضا تعكس حجم المشكلة . وتدل الشواهد التي لدينا بوضوح على

أن عدد الأسرى كان في بعض السنوات أكثر منه في سنوات أخرى .  
ومع ذلك فإنه من الممكن أن تقدر بأن معدل الرقم هو حوالي ثلاثة آلاف  
أسير في السنة خلال العهد الأول ( 1520 — 1660 ) ، وقد يكون الرقم  
أقل من ألفين في السنة في العهد الثاني ( 1660 — 1830 ) ، وما دام معظم  
الأرقاء من الرجال فإنه من الصعب أن تقدر أثر هذا الأسر على البنات  
الديموغرافية في البلدان التي ينتمي إليها الأرقاء . ومن الواضح أن أكثر  
النقص كان من نصيب السكان الأسبان والإيطاليين ، ومن المحتمل أن  
يكون ذلك أحد العوامل في الأزمة الديموغرافية التي عاشها شعب إيطاليا  
وأسبانيا في آخر القرن السابع عشر . ذلك أن كليهما فقد بين ثلاثمائة  
ألف وخمسمائة ألف نسمة . لكن يجب الملاحظة بأن هذا النقص قد أثر في  
الأغلب على الاطارات الحربية أكثر من تأثيره على مجموع السكان .

ومن يكون هؤلاء الناس الذين كانوا يباعون في المزاد كما تناع الأمتعة ؟  
لقد كانوا أناسا يتكلمون كل اللغات الأوروبية . معظمهم جاؤوا من  
شواطئ البحر الأبيض أو من المناطق القريبة من هذا البحر من جهة  
المحيط الأطلسي ، ومع ذلك فإنه كان فيهم من جاء من روسيا ، وألمانيا ،  
والجزر البريطانية ، والبلاد الاسكندنافية ، والأراضي المنخفضة  
( هولاندا ) وشمال فرنسا . ولعل معظمهم كانوا بحارة أسروا وهم في  
البحر ، ولكن كان هناك آلاف من القرويين الذين أسروا أثناء الغارات ،  
ومآت من أهل المدن وغيرهم ، أولئك الذين كانوا مسافرين على ظهر  
سفن والذين اعتقلوا كفنائهم . وهكذا فإنهم كانوا على أنواع : فيهم  
أعلى النبلاء ، وكبار الملكيين ، وضباط السفن ، والتجار ، والمسافرون  
البرحوازيون ، بالإضافة الى رجال البحر العاديين والفلاحين الفقراء .  
وكان الأغنياء وأصحاب الوجاهة يفقدون ، أما البقية فمعظمهم يبقى مسترقا  
مدة السنوات الباقية من حياته ، وبالنسبة لهذا القسم الأخير فإن مصيرهم  
قد يكون تجربة قاسية وقد يكون مصيرا رغدا نسبيا أفضل مما كانوا  
يأملون فيه في أوروبا . أما بالنسبة للجزائريين ومدينتهم ، التي هي مركز  
الحروب فإن الأرقاء ، سواء كانوا من النوع العالي أو من النوع  
الأدنى ، كانوا يمثلون مظهرها هاما من مظاهر ازدهارهم الاقتصادي

## الفصل الثامن

### الأرقاء

بإدام احصاء السكان لم يستعمل قط ، فان أي تقدير لعدد الأرقاء ، أو الإحرار في شمال افريقية خلال هذه الفرون التي ندرسها هو ، في أحسن الأحوال ، مجرد تخمين . ويجبرنا الراحب الكب دان أنه كان هناك حوالي خمسة وعشرين ألفا من الأرقاء الذكور وألفا من الاناث في الجزائر خلال الثلاثينات من القرن السابع عشر . ويبدو أن رقم خمسة وعشرين ألفا هو الرقم الذي يمكن أن يتفق عليه معظم ملاحظي نصف القرن السابع عشر ، ولكن هذا الرقم لم يقل شيئا عن الأرقاء الكثيرين الذين كان يملكهم سكان المدن الأخرى من الأيالة أو الذين يملكهم السكان بداخل البلاد أو القبائل المتنقلة . وبعل رقم الخمسة والعشرين ألفا رقم مرتفع جدا بالنسبة لمدينة الجزائر وحدها وهو أيضا رقم منخفض جدا بالنسبة لعدد الأرقاء جميعا .

ويجبرنا أحد الملاحظين ، وهو أكثر ثقة من غيره ، بأن عدد الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يباعون في أسواق مدينة الجزائر بين 1520 و 1660 كان يتراوح بين خمسمائة ألف وستمائة ألف نسمة . غير أن هذا الرقم قد يبدو عاليا جدا ، لأنه يتطلب أسر حوالي أربعة آلاف رقيق في السنة ، ومع ذلك فانه من المحتمل أن حوالي أربعمائة ألف رقيق كانوا قد بيعوا خلال هذا العهد . ومهما كانت الأرقام للسنوات الواقعة بين 1660 والاحتلال الفرنسي سنة 1830 ، فانه يجب أن نتذكر بأن عدد الأرقاء قد انخفض بشكل حاد في القرن الثامن عشر ، ومع ذلك فمن المحتمل أن وقما يقع بين مائتي ألف ومائتين وخمسين ألف رقيق قد أسر خلال هذا العهد الأخير ( القرن 18 ) . وبينما يبدو واضحا أن هذه الأرقام مطاطة فانها أيضا تعكس حجم المشكلة . وتدل الشواهد التي لدينا بوضوح على

وه وقت السينة في الأسر فان أول شيء يجري هو احصاء حملاتها  
 ووسع قائمة بطاقمها ومسافريها . وكان الأسرى يسألون عدة أسئلة لمعرفة  
 أميتهم واحتمال الثروات التي لهم . والذي يعطي فكرة عن حالة  
 الأسير هو عدم وجود كلكلة في يديه ، وطريقة حديثه ، وفصاحة لسانه .  
 ولطاعة كلماته . ومن الطبيعي أن يرغب كل مسافر في اظهار تواضع حالته  
 لكي يتفادى مطالب الفداء العالية . ولكن البحارة - القراصنة كانوا  
 يسألون العاقم وكان الاعلاج الموجودون بين البحارة القراصنة يحاولون  
 الحصول على المعلومات من الأسرى باظهار اللطف وعرض الخدمات  
 البسيطة . وأحيانا يصح العنف هو القانون . وكان أعضاء الطاقم  
 يضربون ضربا اذا رفضوا اعطاء المعلومات أو تقدموا بأجوبة غير مرضية  
 على الأسئلة .

وعندما تصل السفينة الأسيرة الى الميناء ، يقاد الأسرى الى قصر الجينة  
 أو « دار الامارة » ، حتى يقدر الباشا أو الداي حقه الذي هو بين العشرة  
 والاثني عشر في المائة من مجموع الأسرى . وبعد أن يختار هو سهمه ،  
 فان الباشا - الداي يحتفظ أيضا بحق شراء أي رقيق بالسعر الذي وصل  
 اليه في المراد من أول مشتر . ثم يقاد بقية الأسرى الى البانيو Bagno  
 ( السجن ) . وفي صباح اليوم التالي يعرضون للبيع في المكان المسمى  
 البيزستان Bezesian أو السوق الرئيسي . ويخبرها الدكتور اندرهيل بأنه  
 كان قد جرد من ملابسه الا ما يستر عورته وعرض للبيع رفقة « الانل ،  
 والبغال ، والماعز ، والأرانب ، والمهاري ، والنساء والرجال ، وغير ذلك  
 من المخلوقات ، اما لاشباع الشهية واما للاستعمال . . . » وكان الصباح  
 مخصصا لمحص الأسرى : أيديهم ، وأسنانهم ، وصحتهم العامة ، واحتمال  
 السن ، وامكان القيلة بالنسبة لنفود الفداء . أما البيع فيجري بعد صلاة  
 الظهر ، حيث يستعرض الحارس الأسرى الواحد اثر الآخر الى المنصة ،  
 الفداء ، وعندئذ يباع الأسير الى المشتري الذي يدفع أعلى ثمن . ان كل  
 مرة بهذه التجربة ثم كتب عنها لا يترك لنا مجالا للشك حول الهم  
 الذي يصادفه والوضع المزري الذي يشهده .

وسما رؤية المرء لعصه يباع في المزاد يجب أن يكون لها أثر مريع على الشخص ، فان على أهل القرن العشرين أن يتذكروا بأن الرق في الجزائر لم يكن هو نفس الرق الذي كان في أمريكا بشارلستون ، ونيو أورليانز ، وكينغستون ، أو هافانا . أن رق البحر الأبيض كان ، منذ أقدم العصور ، يتعلق دائما بأناس من نفس لون المالك ، وأحيانا حتى من نفس سلالة وثقافته . أن الرقيق كان مخلوقا سيء الحظ وقع في حالته تلك عن طريق الصدفة بالحرب ، أو الفقر ، أو الميلاد . وكان مالكة يعلم أن دورة عجلة القدر قد تضعه أحيانا في نفس الحالة . وهكذا ، فانه بينما يوجد مالكون فاسدة ، وطلاب ثار أمثال الموريسكيين اللاحقين من أسبانيا ، وعمل شاق لإدائهم ، فانه لم يكن وصع الأرقاء في شمال افريقية هو نفس وصع الزوج في إحدى المزارع الأمريكية . وأن الدين الاسلامي حاول أن يُلطف من حالة الرقيق ، فقد نص على أن جسم الناس اخوة ، وأن الاختلاف في العقيدة واللون والأصل لا يقلل من قيمة الانسان . بسما كان الرهائن العاملون على فداء الأسرى ، والذين كانوا يحويون البلدان قرية قرية طالبين الصدقات لدراهم القدية ، قد قدموا لسامعهم حكايات مرعبة حول حياة وأوضاع الرقيق في شمال افريقية — فان الحقائق لا تؤيد كسل التأييد هذه القصص ، ما عدا في الحالات غير العادية حينما يصبح الرقيق ملكا لمالك قاس ، وقد يكون حتى محتل المعتقل ، أو يبعد نفسه مبروطا الى مقعد التعذيب في إحدى السفن .

ورغم أن حكايات الرهائن قد يكون مبالغا فيها ، فان الرق كما سئرى ، كان تجربة محطمة للنفس ، وأحيانا مرعبة لأغلب الرجال والنساء الذين حملوا الى ساحل شمال افريقية ضد ارادتهم . وأكبر فاحشة مروا بها ، فما يبدو ، هي فصلهم عن أصدقائهم وعائلاتهم وكونهم وحدوا أنفسهم في أرض حيث اللغة والعادات والدين غربة عنهم . ورغم أن كثيرا منهم كانوا معتادين على العيش في أسفل درجات السلم الاجتماعي في مجتمعاتهم الخاصة ، فان حالتهم كأرقاء أضافت الاهانة الى تعاستهم العامة .

وكانت الحالة الاجتماعية التي يتمتع بها الأسير في بلاده هي أكبر عامل في تحديد نوع المعاملة التي سيحظى بها في شمال افريقية . وقد تواترت

الأخبار بأن أهل الثقافة ورجال المهارات كانوا يعطون عملا منقطعا . إلى الأرقاء الذين كانوا يحصلون الانتقال ، أو يفلحون الأرض ، أو يجندون في السفن ، كانوا دائما تقريبا هم الناس الذين كان عملهم في أوروبا أيضا عملا شاقا . ومن الأكيد أن هناك استثناءات ، ولا سيما في أوائل القرن السادس عشر ، حين كان مشاهير الضباط يجبرون على التجديف ، ولكن بحلول القرن السابع عشر ، أصبح مثل هؤلاء الرجال ذوي قيمة كبيرة كمصدر للعداء بالدرهم لا نقاذ حياتهم ، بدلا من المفامرة بهم في التجديف . كما أن الرجال الذين يمكنهم تقديم المهارات التقنية التي يحتاجها أهل شمال أيرلندا كانوا أيضا ذوي قيمة كبيرة بحيث لا يفاقر بحياتهم . وبينما توجد قصص ، لا شك أنها حقيقية ، عن سوء معاملة اقساوسة من قل اللائين الموريسكيين من الأندلس ، فإنه يبدو أيضا أن القساوسة كانوا - في معظم الأحيان - قد سمح لهم بالاستمرار في مهنتهم - على الأقل بالنسبة لأولئك الذين كانوا قد تولوا هذه المهمة بحرية . ذلك أن أهل الخير من المسلمين يعترفون ويحترمون الأعمال الخيرية والاحسان حيثما وجدوها . ولدينا شواهد كثيرة تؤيد الادعاء بأن القساوسة كانوا في العادة يعاملون بالاحترام الواجب لمهنتهم . وهناك حالات نادرة ولكنها مروعة ، تشير إلى قسوة المعاملة أو حتى الاعتقال من قل اللائين الموريسكيين للقساوسة أخذا بالثار من المعاملة المائلة التي كان يتلقاها الموريسكيون في الأندلس .

إن الأرقاء الذين تنبى أحوالهم عن امكان الحصول منهم على نقود القداء ، كانوا هم بالدرجة الأولى المفضلين عند الشراة . وما دام من مصلحة الضحية التقليل من قيمته واحتمال مبلغ القداء الذي يتوقعه ، فإن المفاوضات بين الأسير والمالك تتميز بنفس الاثارة التي نجدها اليوم في سوق البضائع .

وكان الداي - الشا ، الذي له الحق في الاختيار الأول من الأرقاء ، وكذلك حق شراء آخرين منهم ضمن السوق ، قادرا بالطبع على الحصول على « أجود بضاعة » ، ولكن أغنياء الرياس والتجار ، بالإضافة إلى أكثر أعضاء الجالية اليهودية تأثيرا - كلهم جمعوا تقودا عظيمة من هذه



التجارة . وعلى المستوى الأدنى نجد المالكين الأقل أهمية والأقل ثراء يسترون أيضا الأرفاء على أساس أن ملوكهم ، أو أقربهم ، أو أصدقاءهم ، أو قباوسنهم المتحصلين بمسؤولية الفداء ، سيحدون النقود بمدائهم . وكان الاعتقاد السائد هو أن التجارة كانوا دوى قيمة خاصة في الجزء الأخير من القرن السابع عشر ، لأن الملوك الشماليين (\*) كانوا يحاضرون إلى افتدائهم لاستعمالهم في أساطيلهم الحديدية التي أخذوا في انشائها .

وكانت المفاوضات المتعلقة بتحديد المبلغ الذي يجب دفعه طويلة وصعبة بالنسبة للعائلات والأصدقاء الذين يمكنهم تقديم نقود الفداء . وكان الرقيق في ذلك العهد في العادة محروبا حراسة دقيقة ، بل أحيانا كان موقفا بالعديد لأفعاه بوحوب التوصل إلى اتفاق مرضى مع مالكة . وقد حرت العدة أنه بعد الاتفاق على مبلغ الفداء تترك للرقيق حرية الحركة أكثر من السابق ولا يلزم بالعمل . وليس من الصعب على اريقق أن يعطى كلمته بأنه لن يحاول الهرب . لأن الهرب كان من الخطر بحيث يستحق المجازفة إذا كان الفداء قد اتفق عليه . ولكن كم هي النقود التي كان يحري بها العمل ؟ ان المبلغ أحيانا كانت ضخمة . فهذا مثلا دون مارتن اشقرطس de Cordova ، ماركر كورتز de Cortez ، دفع إلى حسن باث 23 000 اسك Ecus ذهب (\*\*) . وهذا سيل من كتلاك Catalan اسمه غلاسران دي سوس de Pines وافق على دفع مائة قطعه حرير ، ومائة ألف دويلاب (doubles) ذهب ، ومائة حصان ، ونفس المبلغ من المقر . وهذا أسقف غوجا Govea دفع 16 000 دوكا . وهذا ابن أخ حاكم البراريل دفع 4 000 دوكا . وحاكم مازغان Mazagan 10 000 دوكا . وهذا الأب أنطوان دي لا كروا de la Croix دفع 5 000 ليفر Livres . أما صاحب الحرية أو ابحار العادي فقد يدفع لعدائه حوالي 500 ليفر . ولكن ما قيمة هذه العملات ؟ انه لا أحد يستطيع أن يخبرنا سوى صاحب قروض مائة من تلك العصور عن هذه

\* - المصدر المؤلف من «الشماليين» سكان الدانمارك وهولندا والسويد وغيرها من البلدان غير اللاتينية . (الترجمة) .

\*\* - جاء في القاموس أن ال (ليكو) كانت عملة فرنسية فضة أو ذهبية ، وكانت تسمى على الخصوص في القرنين 17 و 18 . (الترجمة) .

« الدولارات » و « الدوكات » و « الليفرات » و « القطع النماني » وما قيمتها في مصطلحات النقود التي يفهما انسان القرن العشرين ؟ ولا حظ أن كثيرا من هذه الاقتداءات الضخمة كانت بدراهم معدنية كانت متداولة في حوض البحر الأبيض بقيم متنوعة . وبآخر القرن السابع عشر وصلت قرصة العملات الذهبية والفضية درجة لم تعد فيها الدراهم تقدر بأوزن بدلا من القطعة . وكان لبعض العملات حواش مسكوكة لتضمن قيمة العملة . والشئ الذي نعلمه هو أن الباشوات والرياس وأغنياء التجار ، واليهود ، واللاجئين الموريسكيين ، وأبناءهم — كانوا يعملون في تجارة الفداء ، وأن هذه التجارة كانت مظهرا هاما من مظاهر مجموع اقتصاد يالات شمال افريقية ، ولا سيما ابالة الجزائر ، ما دامت هذه المدينة ليس لها الا القليل من التجارات الأخرى التي تولد المبادلات سواء في المدينة نفسها أو في داخل البلاد .

وتوجد عدة طرق لدفع المدا . كان التجار اليهود ، بما لديهم من مراسين في ايطاليا ، وفرنسا ، وامستردام ، هم في الغالب وكلاء الدفع . كما أن وكلاء التجار الانكليز والفرنسيين في لندن ومرسيليا كانوا يقومون بنفس المهمة . وكذلك كان يقوم عدد من انقناصل الأوروبيين الذين لهم وكلاء مبعوثين من بلدانهم ، يضاف الى ذلك طبعا القساوسة الذين كانوا منتدبين لعداء والذين كانوا يقومون بالوساطة للأفراد وكذلك كانوا يشرفون على الأموال التي جمعها الرهبان في البلدان المسيحية . ونقل الحالة من الرق الى الحرية يمكن أن يتم في القنصليات بمدينة الجزائر عندما تكون هناك سفينة في الميناء يمكن اقناعها بحمل الرقيق المحرر الى بلده ، أو يمكن ارسال الرقيق الى مدينة ليعورنيا حيث كان دوق توسكانيا ، الذي أوجد آباءه النظام الصليبي المسمى سان ستيفان ، يبقى على « سجن الرقيق » الذي يمكن الاحتفاظ فيه بالرقيق الى أن تتم جميع الاجراءات لتحريره . وكان الدوق المذكور يتقاضى بالطبع نسبة مائوية من هذه الخدمات . وهناك « سجن للرقيق » مشابه للأول في مدينة سبتة عبر مضيق جبل طارق من أسبانيا وهو يخضع لشروط مشابهة .

ومن الواضح أن الأعياء والبلاء كانوا يوقعون دفع الفداء عنهم ، اللهم الا اذا كانت هناك أسباب تؤثر على حالة استقرار الدولة أو على ملائمتهم قد تمنع من تحريرهم . ورغم ذلك فقد يحتاج الأمر على الأقل الى سنة كاملة قبل أن يستطيع هؤلاء المحظوظون معاداة شمال افريقية أحرارا . ولكن ما مصير أولئك الأسرى الذين ليس لهم دراهم ، ولا عائلة ولا أصدقاء لهم دراهم ؟ ان الإنكليزي والفرنسي والهولندي ، بعد منتصف القرن السابع عشر على الأقل ، قد يتوقع تحريرهم بطريق معاهدة بين حاكمه وإيالة الجزائر . وهناك صعوبات في إيجاد الدراهم وإجراء التبادل ، وقد يقضي عليه طاعون أو حادث ما قبل تحريره ، ولكن مع ذلك فإن الإنكليزي والفرنسي والهولندي لهم فرصة في نيل الحرية . ولكن ما مصير الرقيق البائس اذا كان إسبانيا أو برتغاليا أو إيطاليا ؟ انها لحقيقة مرة أن نقول بأن معظم هذا النوع من الرقيق بقي مستعبدا طول حياته . وبما كانت الايالات غالبا ما تتطلع الى عقد الصلح مع الدول التجارية القوية ، فليس هناك سلام مع ملك الدولة الاسبانية ، ولم يكن هناك قناصل يسهرون على مصالح رعايا الملك الاسباني ، غير أن قساوسة ( التنظيم التليشي المقدس وافتداء الأسرى - أو المثلثون ) و ( تنظيم سيدة الرحمة - أو آباء الرحمة ) حاولوا ملء الفراغ الذي خلفته الحروب الطويلة بين الدولة ( الإمبراطورية ) الأسبانية وإيالات شمال افريقية ، ولكن هذا « الفراغ » بقي عريضا حقا .

وكان لهُذين التنظيمين تاريخ طويل ومشرف يعود الى ما قبل نشاطهم على سواحل شمال افريقية في القرون التي تحدث عنها أي منذ 1520 . فالتنظيم التليشي كان قد تأسس سنة 1198 ، وتنظيم الرحمة تأسس سنة 1232 . وكان الأول تنظيما فرنسيا بالدرجة الأولى ، رغم أن جميع أوروبا الغربية كان في منظوره . وكاد الأخير أن يكون كله تنظيما إيطاليا - اسبانيا الى القرن السابع عشر ، حين أدخلته ماري دي مديشي de Medici الى فرنسا . وكلا التنظيمين كان له تاريخ طويل في الافتداء عبر العالم الاسلامي ، وكان كلاهما في القرن السابع عشر يعملان في كل من المشرق وشمال افريقيا . ويمكن اعطاء فكرة عن حجم وثروة التنظيم التليشي وحده وهي أنه في سنة 1789 ، كان له حوالي مائتين وخمسين فرعا منتشرة من

البرتغال وإسبانيا إلى فرنسا وإيطاليا ، مع ملاحظة أن حوالي نصف هذا  
المقدّر كان في فرنسا وحدها . وكانت هذه الفروع عبارة عن مؤسسات  
أهمرة على درجة من الاختلاف في الثروة . ولا شك أن التنظيم كان  
يراقبان الأملاك العربية من الأرض والمنازل التي تدعم نشاط تلك  
الفروع . ومن الطبيعي أن يوجد تنافس بين الفروع ، وعندما دخل تنظيم  
الرحمة إلى فرنسا في الربع الثاني من القرن السابع عشر تدخل العرش  
وقسم الأقاليم بينها بهدف جمع المداخل لكي يخفف من حدة النزاع  
الذي تطور بينهم .

وكان أعضاء التنظيم يتقلون من قرية إلى أخرى ، ومن مدينة إلى  
مدينة ، يجمعون المال للفداء ، ويصر السبد طاسي . وكذلك غيره من  
الملاحطين ، على أن أولئك الأعضاء كانوا يضربون بحكايات مبالغ فيها ،  
ويسترضون الأرقاء السابقين في « محفل مهيب ... بلحاهم غير المحققة  
... وبوجوه تفسه ... وهم مثقلون باللاس التي لم يوثقوا بها  
أبدا ... » وبذلك سيطروا على عواطف الناس الذين كانوا « يرمون  
بالذهب ولعنة في الأواني ... » وقد يكون الرهان مذنبين جعلهم  
ذلك ، كما يؤكد طاسي ، ولكن هناك شواهد مؤكدة بأن هناك أيضا  
دجالين متحين في زي الرهان ، وليسوا في الواقع أعضاء في تنظيم الفداء  
ولا في أي تنظيم آخر ، وإنما كانوا يستغلون سذاجة الناس . وكان  
« الأرقاء السابقون » الذين يسترضهم هؤلاء الدجالون يحملون سلاسل  
أكثر ثقلا ويقصرون حكايات أكثر فطاعة من أولئك الذين يرافقون أعضاء  
التنظيمات « الشرعية » وكم من الدراهم المجموعة يصرف في الفداء ؟  
لقد كان لتنظيم الشيشي وتنظيم الرحمة بيوتهم في الفرع الذي ينتمون  
إليه وكان عليهم الانقاء على ذلك ، بالإضافة إلى فداء الأرقاء . أم  
المحاطون فقد كان لهم فقط أنفسهم و « الأرقاء السابقون » . وما دامت  
تنظيمات « الحير » و « الرحمة » في القرن العشرين تجمع الدراهم  
« لهذا الغرض أو ذاك من الأغراض الخيرية » وتستعمل منها غالبا أكثر  
لم يستعملوا كل النقود التي جمعوها لتحرير الأرقاء .

وكان قساوسة الفداء دائما محل ترحيب في الجزائر . وكان الداي -  
الباشا يستقبلهم حالما يصلون ، لكي يكتشف ، فيما يبدو ، كم أحصروا  
معهم من نقود للفداء . وأول أمر يصدر هو دائما معاملة القساوسة  
الأخيار بالنزاهة والحسنى وعدم الاعتداء عليهم . وكانت الأيالة في حاجة  
إلى الدراهم التي أحضروها ، فمن عدم الحكمة افساد مستقبل دفع مبالغ  
الفداء بسوء معاملة القساوسة أو من هم معهم . وأول الأرقاء الذين  
يجررون هم أولئك الذين يملكون الباشا وعبره من الأعيان ، وهم في  
العادة الأرقاء الكبار في السن والعجزة الذين لم يعودوا مفيدين لمالكهم .  
ولا يضع تحرير أي رقيق آخر إلا إذا تمت الإحراجات بشأن هذا الصف  
منهم . وطبعي أن هذه الطريقة في العمل لم تكن معلقة صراحة ولكن  
القساوسة كانوا يفهمونها . وعندما يعادر القساوسة قصر الباشا يحيطهم  
الأرقاء من كل جانب سائلهم أن يكونوا أول الطلقاء . لقد كان ذلك  
منظرا مؤلما حقا . فهم جميعا كانوا يبدوون حزينين بالفداء ، ولكن أندراهم  
التي كانت لدى القساوسة كانت محدودة جدا . وكان الفداء الفعلي  
يستغرق في المادة عدة أسابيع ، وعندما ينحس ذلك كله ، تعطى الهدايا  
للباشا ، والآغا ، وأربر أعضاء الديوان ، ومسؤولي المبناء . وكانت هذه  
الهدايا تتراوح بين مبلغ رهد لمسؤول المبناء إلى مبلغ هام للباشا والآغا .  
وكان القنصل الفرنسي ، الذي هو الحامي « غير الرسمي » للقساوسة ،  
يعد في بعض الأحيان « مائدة مفتوحة » من أجل الرياس وضبط  
الانكشارية الذين كانوا بالمدينة . وكثير منهم كانوا من الأعلاج الذين  
تقدرون الخمر الفرنسي حق قدره .

وكان القساوسة يعملون أيضا كوكلاء للفداء الخاص بالمساحين  
البارزين . وكانت هذه الخدمات محل رحب خاص ما دام القساوسة  
يحضون بالنقود العنة إلى الجزائر دون التعرض لخطر الأسر الذي قد  
يحصل للسفر الأخرى ، كما أن باستطاعتهم « تصدير » الأرقاء الأحرار  
آمنين إلى مساء مسحي . ولا يوجد دليل على أن القساوسة كانوا نالون  
مقابلا ماليا على هذه الخدمات ، ومع ذلك فالظاهر أنهم كانوا يبالون  
مقابلا ما دام القناصل والتجار الذين يعشون بالجزائر كانوا دائما يتقاضون  
مقابلا على عملهم كوكلاء .

وكان الحود الملكي أيضا بطيئا في تدخله لانقاذ الأسرى • فملوك أنكلترا من الاستراتيجيين الأوفين لم يقوموا بقداء رعاياهم ، وقد برروا ذلك بحجة أن انقادهم للرعايا الأنكليز سيقنع البحارة — القراصنة بأن أسر الأنكليز كان معامرة تجارية رابحة • وبعبارة أخرى فان القداء لا يشجع سوى النهب • وبذلك كان احسان القساوسة الأنكليز ، في بادئ الأمر ، أو احسان الأفراد الأغنياء هو المصدر الوحيد للأسرى الفقراء الذين ليس لهم اصدقاء معهم نقود • ولكن خلال الأربعينات من القرن السابع عشر فرض البرلمان الأنكليزي ضريبة قدرت بواحد في المائة — وسرعان ما خفضت الى ربع في المائة — على التجارة لقداء الأرقاء الأنكليز • ولكن بنهاية ذلك التاريخ ( الأربعينات من القرن السابع عشر ) لم تذهب الى الجزائر الا بعثة واحدة لانقاذ أسرى الأنكليز ، وفي العقد التالي خصصت تلك الدراهم لاستعمال الأسطول البحري • ومن جهة أخرى كان الملوك الفرنسيون أيضا بطيئين في تخصص المال للقداء • فقد أعطي الملك لويس الثالث عشر مئتا زهيدا الى سانسون نابولون Napollon وأمر المذن الفرنسية أن تدفع قيمة فدء زملائهم سكان المدن • ولكن خلال الفترة من 1635 واثمثة الستين من هذا القرن كانت مصاريف الحرب والمشاكل المحرة عن ثورات الفلاحين ضد الضرائب قد انتهت هذا الكرم الملكي • وقد كان برلمان الأراضي المنخفضة ( هولاندا ) هو أول سلطة أوروبية تقوم بتنظيم القداء والحماية من الغارات ، وذلك بعقد معاهدة تنص على دفع « اناوة » ، وهو عمل اعتبره القناصل الفرنسيون والأنكليز مهانة ومدعاة للخل من كل الوجوه ، ولكن الهولانديين قرروا أن « شراء » الحماية أرخص من فرضها بواسطة السفن الحربية •

كان كرومويل Cromwell هو أول من استعمل القوة البحرية بفعالية لحماية التجارة وقداء الأسرى معا • ومع ذلك فان كلا من أنكلترا وفرنسا لم يرسلتا قطعا قوية من الأسطول البحري لفرض احترام تجارتهم على الايلات وتحرير رعاياهم المسترقين الا بعد سنة 1660 • وسنرى أن هذه الحملات كانت ناجحة طالما أمكن الابقاء على الضغط البحري ، لأن الايلات ( الشمال افرريقية ) ليس لها قوة بحرية بالمقارنة • غير أن الدول الأوروبية كانت أيضا غالبا في حروب ضد بعضها ، وكانت مضطرة لاستعمال

فواتها البحرية ضد بعضها ، تاركة « معاقبة » الايلات الشمال افريقية الى فترات السلام في المنازعات الأوروبية . وقد كانت هناك مشاكل حتى مع تحقيق النجاح . فالأرقاء الذين لم يجز بيعهم بعد كان يمكن اطلاق سراحهم ، ولكن الأرقاء الذين اشتراهم الأفراد قد أصبحوا « ملكية خاصة » . وكان ملوك الإنكليز والفرنسيين يحترمون « الملكية الخاصة » رغم أنها تعني أن المملوك هو أحد الإنكليز أو أحد الفرنسيين . ولذلك فإن المعاهدات التي جاءت عقب حملات بحرية ناجحة ضد البحارة - القراصنة لايلات شمال افريقية كانت تنص على « إعادة شراء » الأسرى وقد جرت العادة أن يكون ذلك بشئ محدد . وكانت هذه المادة في المعاهدات غالبا ما تسبب مشاكل للفنصل ، لأن المملوك كانوا غير قادرين على توفير اندراهم اللازمة لفداء جميع رعاياهم . وفي حالة الأسير الفرنسي ظهر مشكل آخر من المعاهدات التي تنص على تبادل الفرنسيين بأتراك أو اهالي شمال افريقية ( Moors ) الذين كانوا مربوطين في السمن برنسا . وسرى أن الفرنسيين ، الذين كانوا لا يريدون التخلي عن أرقاء مفيدين ، اکتفوا بارسال المستنير والمرضى والمعزة فقط ، بل كان يحدث أن يرسلوا بأناس لم يدخلوا الجزائر قط ولم يكونوا يقومون بأي عمل جزائري .

وهناك اضافة أخرى تصاف الى الصعوبات التي كان يواجهها الأرقاء الإنكليز في شمال افريقية . ذلك أن بعضهم كان يطلق سراحه بفضل جهود التجار الذين كانوا يشترطون على الرقيق أن يوافق على دفع جزء من مبلغ نفود الفداء أو كله عندما يعود الى أنكلترا . وفي هذه الحالة فإن التاجر المزود بالنفود من الأساقفة أو من الملك ، كان بإمكانه أن يحرر عدد أكبر من الرقيق ، ما دامت نفود الفداء ستتضاعف عندما يعد الرقيق أيضا بدفع جزء منها . ولكن ما يحدث غالبا هو أن الفقراء لا يستطيعون توفير النفود عندما يعودون الى أنكلترا ، فكان حالهم وهم في سجن أحد الدائنين ( بأنكلترا ) ربما أسوأ من حالهم وهم في الجزائر حيث كانوا يتمتعون على الأقل بحرية الحركة حول المدينة .

وما مدى فعالية جهود الفداء ؟ لقد حاول غرامون Grammont أن يقدر عدد الأرقاء الذين تم فداؤهم بواسطة المنظمات الخيرية ، وبالكرم الملكي ،



وهدم الهندي . ثم حاول أن يحصي عدد الأرقاء الذين تم تحريرهم  
 عن طريق حيود البحرية الأوروبية . أن سفن مالطة والبندقية قد أسر  
 وحررت الآلاف من أرقاء السفن المسيحية . وأضافت بحرية أنكلترا  
 وفرنسا والإراسمي المختصة أيضا آلاف أخرى إلى هذه القائمة ، وبالإضافة  
 إلى ذلك فإن البحارة - اعراضة المالطين والأسبان والإيطاليين أسروا ،  
 أثناء غاراتهم على سواحل شمال افريقية ، أرقاء مسيحيين ومسلمين أيضا  
 ليبيعهم في أسواق الرقيق بالبلاد المسيحية . وقد استنتج غرامون من ذلك  
 أن العمليات البحرية قد حررت من الأرقاء عددا أكبر مما قامت به  
 المنظمات المسيحية الخيرية .

ولكن اصفا برهبان وغيرهم الذين خدموا قضية الفداء ، بالإضافة  
 إلى العدد الخيري منهم الذين قدموا حريتهم وحياتهم كشهداء لهذه  
 القضية - يجب علي أن نشر إلى أن السنوات الواقعة بين 1550 و 1750  
 لم تكن سنوات حدة لجمع النقود . ففي السنوات الأربعين الأخيرة من  
 القرن السادس عشر كان الاقتصاد الفرنسي قد احتل كثيرا نتيجة  
 الحروب الأهلية والدينية ، بينما كانت حركة اصلاح الكنيسة  
 ( نروتاشنة ) قد فصلت كثيرا من أحزاء أوروبا عن المجموعة  
 الكاثوليكية ، ومن ثمة أوقفت جمع النقود من بعض الأقاليم الأكثر ثروة  
 التي كانت في ذلك الحين مرتعا للربهان . وفي نفس تلك السنوات  
 كانت كاستيل وأجزاء من إيطاليا قد نخرت عظامها الضرائب التي فرضه  
 عليها فيليب الثاني من أجل حروبه في البحر الأبيض وفي الأراضي  
 المنخفضة ، والقال الإنكسزي ( بحر المانش ) والمناطق الأطلسية القريبة  
 من شبه جزيرة ايريا . بل كان القرن السابع عشر أقل موثاة لجمع  
 النقود . فقد كانت أسانبا والبرتغال تعاني تدهورا اقتصاديا وديموغرافيا  
 خطيرا سيما كانت حاجات الملك تزداد توسعا . وأكثر من ذلك أهمية  
 فإن أحوال الطقس المحرقة التي أدت إلى الجفاف ، والصقيع ،  
 والفيضانات ، ومع هذه حدثت أيضا المجاعة والطاعون - قد أثرت على  
 أوروبا كلها . والمجاعة الزراعية التي كانت تعاني المجاعات كل عشر  
 سنوات تقريبا لم تكن لها تقود كثيرة تخصصها لعمل خيري بعيد  
 عنها . وأضيف إلى سوء المحاصيل عامل آخر لا يقل خطورة ، وهو



الحرب . فالحرب الألمانية الكسرة التي أصبحت صراعا عظمى كل أوروبا  
العربية والتي تسمى اليوم حرب الثلاثين سنة ، قد شعلت النصف الأول  
من القرن ، بينما الحروب التي تعرف الآن عادة بحروب لويس الرابع  
عشر ، قد استغرقت النصف الثاني منه . ومن الحق أن نقول أن أوروبا  
لم تعرف بين 1618 و 1713 إلا سنوات قليلة من السلام . أن الضرائب  
وابتزاز الحدود غير المصطنعين نسا ، كانت تنافس جهود فاسوسة القداء  
وعبرهم من المؤسسات البحرية في جمع الفائض الممكن من النقود عبر  
أوروبا الكاثوليكية . وقد عانت أيضا الأراضي المحيطة البروتستانتية  
وأراضي العرش الأنكليزي من نفس الأزمات الراحبة الناتجة عن سوء  
أحوال الطقس ، بينما الحروب الأهلية والعالمية كانت تستمد النقود  
والقوى البشرية التي كان جزء منها يستعمل ، لو لم تحدث ، في قداء  
الإرقاء .

وليس كل الأسرى يمكن فداؤهم . فكل من قد يكون مفيدا في  
أحواض بناء السفن ، أو في مرحلة أخيرة ، مفيدا في مصاهر المدافع ،  
كان عظيم القيمة بحيث لا يعطى فيه بالقداء . ( ومن الشيء يعان عن صسط  
السفن البحرية العاملة الذين يمكن اقناعهم بأن يصحوا أعلاحا ، أو  
الذين يمكن أن يكونوا معبدن على طهر السفن ولو كإرقاء .  
وكان مثل هؤلاء بحرون مقدما بأن لا بطعموا في الانتقاذ أو القداء ، وأنه  
لا يمكن أن يعودوا إلى أوروبا المسيحية ، ولكن إذا تخوا فقط عن  
دينهم ، فإن لهم مكانة مشرفة وعيشة رغدة مضمونة لهم في مجتمع  
الآباله . فإذا رفضوا فإن كبار النجارين منهم ، وبناء السفن ، وصغار  
الحديد ، وغيرهم يكتفون بالعمل في متاحرهم كإرقاء . أرقاء ولكن  
كانوا يعاملون معاملة حسنة حقا ، بل كانوا مدالين . وهناك فئة أخرى  
من الأسرى لا يمكن إجراء القداء عليها ، فكما أن ضباط السفن البحرية  
الأوروبيين يشنقون كل رابس علح وحدوه ، ويمجنون مدى الحياة كل  
رايس مسلم يمكنهم أسره لكي يخفضوا من عدد الضباط أصحاب  
الكفاءات العاملين في الأسطول البحري ، وكذلك كان بعض الضباط  
الأسبان لا يمكن فداؤهم ( في الجزائر ) خوفا من أن يعودوا لتأثر ، أو  
لأن سلوكهم قد أغضب سلطات الآباله . أن خبر الدين قد رفض حتى أن

يسمح بحثة دون جوار دي بوربوموندو de Portomendo، وهو زعيم  
تعدد مائل قام به الأرقاء، رقص أن يقبض عنه الفداء لدفعه. وهناك من  
الصلوات من احتفظ به في الجزائر لأسباب شخصية. فقد احتفظ، الرئيس  
علي بتشين، مثلاً هاريس من فرسان مالطا كسجينين «شرفين» صفاً  
احتياطياً لفدائه هو في حالة ما إذا اعتقل هو أثناء معركة بحرية. غير أن  
هذه الحالات كانت غير معتادة، لأن أسر وفداء المسيحيين، ولا سيما في  
القرن السابع عشر، كان نشاطاً تحاربياً هاما للمجماعة (بالجزائر) بحيث  
ليس لها إلا القليل من التجارة الأخرى مع العالم الخارجي.

وقد كان الهروب طريقاً آخر للحرية، ولكنه طريق صعب. ففي أوائل  
القرن السادس عشر عندما كان الإسبان ما يزالون يحتلون بجاية، تمكن  
عدد قليل من الفرار لهم عبر الطرق البرية، ولكن ذلك كان عملية خطيرة  
فمداوة الأهالي، والحيوانات الوحشية (وهي الأسود، والسمور،  
والههود الموحدة بكثرة)، وقلة الزاد من الأكل والشرب — كل ذلك  
حمل الهروب كائناً ما كان للذين حاولوه. وهناك آخرون هربوا  
بطريق البحر. ذلك أن المغامرين البحارة من أسبانيا أو ميورقة كانوا  
يتنقلون على مواعيد مع الأرقاء على الساحل، ولكن هذا أيضاً كان  
خطيراً لأن الجزائريين كانوا يراقبون الوضع بشدة. وهناك على الأقل  
مرة أو مرتين من الهروب الناجح الذي وقع على ظهر زوارق بنيت سرية  
في الجزائر وأطلقت لللا. وقد وصل الهاربون إلى ميورقة نصف ميتين  
من سوء الأحوال الجوية. وخلال أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر  
كانت أصح طريقة للفرار هي السباحة نحو سفينة حربية راسية. ولكن  
هذا الطريق كان غير ممكن مع سفينة تجارية لأن الجزائريين عندئذ يجبرون  
القباضة على ائزال آلة الأرساء وذلك حتى لا تغادر السفينة الميناء بدون  
رخصة. أما السفن الحربية فلا تتعرض لمثل هذه الإهانة، ولكن كان  
مشروطاً على هذه السفن الأرساء في الميناء بعيداً، وذلك لكي لا يتمكن  
على الهارب فإن المالكين الغاضبين يذهبون إلى الداي ويطلبونه القيام  
بالتمسك. وفي هذه الحالة يواجه القنصل صعوبة: وليس القنصل وحده  
بل كل أفراد المجموعة التي تنتمي إلى دولة السفينة المتحدية. وتبعية

بذلك كان القباط الحريين كانوا مسجونين منهم من نهر الأرقاء .  
مكثوا أحيانا يحضرون للأمر الواقع ، وأحيانا يجتمع رباطة العن  
التوديد يدفعوا فداه أولئك المالكين السماء ، وأحيانا كان الأرقاء يهربون  
في الحرية رغم الاحتجاجات .

لقد كان التمرار عملية محفوفة بالخطر ، فإذا فشل لرفيق في الهرب  
فانه يصر وأحيانا يشل به ، وأحيانا يقتل قتلا غلظ حتى تكون مثلا  
للآخرين . وبمما نجح عدد قليل في التمرار ، فان الأعباء الساحقة من  
الأرقاء اعتسروا ، فيما صدوا ، التمرار طريقة عمر مؤكده الموقف وعبر  
حذيرة بالمحدوسة .

وهاك سؤال آخر من المحتتم طرحه ، وهو لماذا لم يثر الأرقاء ويحاولوا  
على المذبحة ؟ فعلا الصف كان عدد كبير من الاكثارية ما في الحر  
مع البحارة - لفراصة واما كانوا يقومون « بحملات » داخل البلاد  
لجميع لصرائف . وعلا ما لا يكون في المذبحة اكثر من 5000 أو 7000  
لاحتمال الدفاع عنها . بما كان بها خمسة وعشرون ألفا من الأرقاء .  
فلماذا لم يقوموا بالنصب على المدافعين بطرق الثورة ؟ واتوقع انه قد  
حدثت تمردات ، بعضها كان قريبا من النجاح . وبعضها ، مثل  
ذلك الذي حدث في أوائل العهد والذي كان من وحي ابن أمير بحر  
إسباني ، سنة 1531 . كان قد اكتف وهو في العهد تسعة العدة .  
ولكن حدثت ثورات سنوات 1559 ، 1662 ، 1753 ثم 1763 أدت  
إلى كثير من اراقة الدماء والحروب في المذبحة . ولكن المدافعين استطاعوا  
في جميع المحاولات أن يسموا اسمهم وان قاموا بملظة أولئك الأشخاص  
ببؤساء الذين حاولوا قضاة . وكما حدث في ثورات لرفيق المشاة  
في جزيرة مالطة ، فان المذبحة كانت « في المدافعين الذين كانوا مسلحين  
بأسلحة أفضل وكانوا معادين على البحارة حماسا في وحدات بدلا من  
البحرية أفراد . وكان هناك في الحرائر إصابة أخرى لمواته الفرصة إلى  
جانب المدافعين . ذلك ان المسحين لم يكونوا فقط ينمون إلى مذاهب  
دنة مختلفة ، ومن ثمة كانوا لا يثقون في بعضهم البعض ، بل كانوا  
تكلمون لغات كثيرة مختلفة وبنسبهم من العادات والتقاليد

المختلفة . وبالإضافة الى ذلك ، فانه ليس كلهم كانوا غير راضين عنهم  
حتى يصرحون انفسهم الى الموت المرعب الذي قد يتلو القتل . ومهما  
كان الامر فانه لا الأرقاء المسجون في حرية مألوفة حيث كانوا يعفون  
المرسان ( مرسان مألوفة ) ومررتهم عددا ، ولا الأرقاء المسجون في  
الايالات . كانوا قادرون على انصاف ثورة ناجحة خلال جميع القرون  
الثلاثة التي كانوا فيها مسجونين في تلك البلدان .

ومادا عن حده ومصر أولئك الذين لم يهربوا والذين لم تأب نسايتهم  
عداء ؟ ان الرهائن الذين كانوا يحومون أوروبا سألهم الصدقات لعداء  
هؤلاء المكودس ، وانما كانت العرائض الذين حرروها الى ملوكهم  
يترحون منهم الزاوية به . كلهم قدموا صورة موحدة وبألسنة عن حده  
الأرقاء غير المقدس . هم موثوقون بالحديد ، وهم يصرخون ويعملون  
اكثر مما تحمله الطاقة البشرية . وهم جاع في غالب الأحيان ، وفي أسوأ  
نالية . كما ان الذين أسروهم يصفون على سرقة ارواحهم الخالدة منهم  
وذلك يحتمل على التحلي عن الله . بعد كان هدف هذه القصص هو  
سالة ذموم السامعي ، وكان المأمول هو حملهم بسرعة بالمال من  
جوبهم لدعم الملل البحري وهو عداء أولئك المكودس . ولكن الواقع  
هو ان الأوصاف شتى اربعة كانت أكثر تفصيلا مما تقدمه لنا هذه  
الصورة البسطة عنها . وقد عرف ان بعض الأرقاء كانوا يباعون  
ويشتررون كعالمه نجاة به راحة . هناك آخرون من المحتمل انه تم  
شرائهم للقيام بأنواع كثيرة من الخدمات التي يمكنهم القيام بها في  
الحقول . أو في الدكاكين . أو في السجون . أو في السفن . أو الخواص  
باء السفن . والافتعال العامة شتال أربعة .

وقبل فقط من هذه الخدمات سكني القدم بها شعبية اكبر لو ان  
المسيحي المكودس تحلى عن دينه . بل ان بعض تلك الخدمات قد يصعب  
مستحيلا لو انه فعل . ان ريشليو Richelieu ، وسان فانسان دي  
بول ، والاب دان ، وكثير غيرهم قد ردوا قصص الرهائن القائلة باحار  
الأرقاء على الاسلام . وانه انه ان اهتمامات ريشليو بانقاذ الأرواح من  
جهم قد ظهرت بشكل واضح في كتاباته حتى انها تكاد تبدو أكثر أهمية

من عودة البحارة الفرنسيين الى أعمالهم المناسبة في السفن الفرنسية .  
 ان هناك حالات حدث فيها الملاكون أرقاءهم ، ربما بدافع الحب والحنان  
 على التخلي عن دينهم ، ولكن بالنسبة للأرقاء من الرجال البائسين كانت  
 هذه الطريقة فيما يبدو هي الاستثناء وليس القاعدة . ان المالك المسلم ،  
 المتسامح مع الدين المسيحي كان غالبا ما يلاحظ أن « مسيحيا سيئا  
 سيكون أيضا مسلما سيئا » ومن الحق أن نقول ان سلوك الكثير من  
 الأعراب في الجزائر كان يؤيد هذا الرأي . وبالإضافة الى ذلك ، فإن  
 الرقيق اذا اعتنق الاسلام فقد أصبح في طريقه الى الحرية : فلا يرسل  
 الى العمل بالسفن ولا يقوم بعمل شاق ، كما أنه من السهل عليه التخلي  
 عن التزاماته في الخدمة ( العبودية ) . ومشكلته الوحيدة هي أن موثقا  
 زواما مرعا ينتظره اذا حاول العودة الى دينه المسيحي . ان هناك بعض  
 الملاكين الذين لم يحاولوا فقط ادخال أرقائهم في الدين الاسلامي ، بل  
 أنهم أجبروهم على البقاء مسيحيين حتى ولو رجعوا في الاسلام . وأشهر  
 مثل على ذلك ما قام به علي تشين الذي لجأ حتى الى استعمال العنف  
 لممارسة ذلك . (\*) ومن الواضح أن المالك لا يبال منه فرصا اقتصادية،  
 ولذلك فانا نجد معظم الملاكين لا يشجعون - بل حتى يحرمون - التخلي  
 عن المسيحية واعتناق الاسلام .

ومع ذلك فقد كان في الجزائر خلال هذه القرون آلاف الأعراب ، وكثير  
 منهم كانوا بدون شك قد وصلوها كأرقاء . فسنهم ؟ ان أوضح ما نحذه  
 في مدار القرن السابع عشر هو أن أولئك كانوا صباط السفن الخاصة  
 الذين انتهى عملهم المهني عندما توصل أولا ملوك فرنسا وأنكلترا ، ثم  
 ثانيا سلطات الأراضي المنخفضة المتحدة ، اما الى توقيع الصلح أو الى  
 الهدنة مع ملك الدولة الأسبانية . ذلك أن المسافة كانت قصيرة بالنسبة  
 لكثير من الأعراب بين ضابط في سفينة خاصة وقرصان ، ثم رايس بحري  
 وأخيرا التخلي عن الدين . ولكن القصص التي لدينا تثبت أن تغيير الدين  
 لم يكن من الواضح دائما أنه كان يعود الى تجارب دينية . انه بساطة كان  
 أسهل على القرصان أن يتصرف في بضاعته ، اذا ما استطاع أسر سفينة  
 ومعها حمولتها ، كغنائم في الحرب من أن يقدم على بيعها . وهناك ضباط  
 بحريون في المؤسسة البحرية الجزائرية كانوا قد أسروا ثم تخلوا عن

(\*) - يقصد انزاله ان على تشين منع اعتناق الاسلام مستملا بذلك وسائل العنف ،  
 من أجل اغراض اقتصادية . (الترجم)

دينهم في مقابل المعاملة الحسنة والثروة في المجتمع الجديد . وبعض هؤلاء  
وصل الى أعلى المراتب في الحرية الجزائرية ، ثم في عهد لاحق وصلوا  
إلى المراتب حتى في المؤسسة البحرية العثمانية نفسها . لقد كان المحظونون  
عند مالكيهم قد تغلوا عن دينهم المسيحي وصعدوا الى السلطة من خلال  
الثقود ، أو العمل الجدي ، أو القدرة العظيمة ، أو مجرد مساعدة الحظ .  
وغالبا ما كان أكثر من نصف أسطول الجزائر البحري خلال القرن السابع  
عشر تحت قيادة أعلاج . أما خلال القرن الثامن عشر ، عندما انخفضت  
لأرباح من الأنشطة الحرة وأصبحت الدولة أو الداي يملك معظم السفن  
قد أصبحت النسبة المئوية من الأعلاج ونعتى بذلك عدد الضباط  
المجندين منهم ، ضئيلة جدا .

وكان هناك أيضا أعلاج في الفرقة الانكشارية . وبحلول القرن الثامن  
عشر كان عددهم ملئنا للطر . فمن أين جاؤوا ؟ فإذا كان علينا أن نصدق  
الملاحطين المسيحيين الذين ربما لم يكونوا كرماء جدا في أحكامهم ، فإن  
كثيرا من هؤلاء الرجال كانوا هاربين من ماضيهم الخاص . اننا لا نعلم  
كم منهم وصلوا الجزائر كرجال أحرار ، كما أننا غير متأكدين من أن  
كلمهم أو حلمهم كانوا « خرافا سوداء » مجرمين أو تقيات . ومن الإكيد  
أن بعضهم كان فقط سائحا على القرص الموحودة في بلدانهم . أما  
بالنسبة للانكشارية الذين جاؤوا الجزائر كاسرى ، وتغلوا عن دينهم ،  
ثم أصبحوا مقبولين في الفرقة الانكشارية فنحن لا نملك عنهم الا  
معلومات ضئيلة . ففي القرن الثامن عشر ، عندما انخفض عدد المجندين  
من المشرق ، قد يكون هناك بعض المجندين ( الأروسين ) الذين تم  
اغراؤهم على التخلي عن دينهم لكي يحصلوا على أوضاع حسنة في  
الفرقة . ان هناك على الأقل شاهدا واحدا على أن أحد الانكشارية كان  
من قتل مسترقا ، وكان ملزما بمنح حزة من دخله الى مالكه .

وهناك أيضا أعلاج في نواحي أخرى من المجتمع الجزائري . فقد  
لاحظنا من قبل ان معظم الأرقاء الباقين لم يقع عليهم التأثير بتغيير دينهم .  
ومع ذلك فإن كبار التجارين ، ونباة السفن ، وصاهري الحديد وأمثالهم  
كانوا في الغالب يفرزون بفعل ذلك . ونفس الشيء يقال عن الضباط  
الذين وجدوا على ظهر سفينة مأسورة ، لأن مهاراتهم كانت تحتاجها

ابحية الجزائرية . وكذلك كان الحال مع الجود الأسبان والإيطاليين  
المسورين ، بل حتى كبار المسؤولين . وهناك مسمة وقع أثناءها اغراء  
فرقة كاملة باعتناق الاسلام والاشتراك مع الجزائريين ضد التونسيين .  
ولكن مصادرنا المسيحية كانت عادة سعيدة أن تعلن أنه لم يقع تحت  
تأثير اغراء المسلمين إلا عدد قليل من الجود والبحارة .

وهناك عوامل أخرى لتعير الديانة . الأطفال ، والأصدقاء ، والنساء ،  
وليس أمرا غير معروف أن يعامل طفل ما ، بعد أسرته وبعده ، معاملة  
أحد أطفال مالكة في عائلته الخاصة . فقد كان ابلدية ( أهل الحصر )  
مهيئين ، بل ولهم عاطفة حان قوية نحو أطفالهم ، حسبما نلما ، وكان  
من الشائع أن تتطور علاقة الطفل مع دويه ، ويصبح من السهل على  
الطفل أن ينسى بيته الخاص وديه . وهناك حالات كثيرة أصبح فيه  
مثل هؤلاء الأطفال هم ورثة مالكتهم . أما العامل الثاني فهو الصداقة .  
قبي المنزل الاسلامي حيث عدة زوجات ، كان على الزوج غالبا أن يدافع  
عن نفسه ضد مؤامرات عائلته الخاصة . ذلك أن أساءه يسكن أن  
يستفيدوا من وفاته بينما سيبذل الرقيق كثيرا من بقاءه حيا ، ومن ثمة  
يمكن لرقيق حذاب أن يصبح صديقا . وتوجد حالات عديدة من هذه  
العلاقة مما يجعلنا نقول بأن كثيرا من الإصلاح قد مروا بهذا الاطار ،  
بعضهم أصبحوا صباط سفن ، وبعضهم تجارا ، وبعضهم ورثة لثروات  
مالكتهم .

وان الزواج بين الأرقاء المحررين ومالكتهم قد فتح عنه أيضا تفسير  
الديانة . ذلك أن الزوج أو الزوجات ، في البيوت المسلمة قد احتفظ بها  
وراء الحجب الكثيرة ، فكانت غالباً تتمتع بالفصول الطبيعي للتعرف  
على العالم الخارجي الذي من حولها . بل أننا نجد ذلك حتى اليوم في  
قرى أعالي النيل حيث تحاول النساء أن تسرق النظر الى « الأجنبي »  
يسما أزواجهن ينهرونهن لكي يمدن الى بيوتهن — بل يرمونهن بالحجارة  
ليجبروهن على ذلك . ويخرنا عدد من كتاب المذكرات عن اهتمام  
النساء بالأرقاء وتطوير علاقات متينة معهم . وطالما كان الزوج حيا فإن  
على هذه العلاقات أن تكون مناسبة والا فإن الرقيق سيعرض نفسه  
لموت مهول ، ولكن هناك حالات ثبت فيها أنه بعد وفاة الزوج أصبح  
الرقيق مسلما وزوجا للأرملة بعد تخليه عن الديانة المسيحية .

وهذه الملائكة وجدت أيضا بطريقة معكوسة . ذلك أن معظم النساء  
 اللاتي يؤسرن أثناء الغارات على السواحل كن نسوة هلاجات ، يساء  
 المسافرات الأسيرات في البحر كن ساء من طقة راسه . وهناك آراء  
 مختلفة حول مصيرهن . فهذا فولتير في عمله ( المرأة المحجورة ) يريدنا  
 أن يعتقد بأن النساء الأسيرات كن قد اعتنسن من كل الرجال بلا استثناء .  
 ولكن موليير *Molière* يفهم المرأة على أنها ، بعد عشر سنوات  
 من الأسر في شمال افريقية ، ما تزال صالحة ككلوف في الزواج في أسرة  
 برجوازية راقية . ومن الواضح أنها لم تتعرض للاهانة . والشواهد  
 الموجودة تدل على أن هناك بعض الممرات لرأي فولتير ، ولكن شهودا  
 حذرون مكل ثقة يؤيدون الرأي القائل بأن اساء كن يعاملن معاملة  
 حيدة ، حتى بعد أن يصبح رفقات . وما سرعة عن الرجال والنساء  
 لا لتغرب أن بعد أن كسرا من النساء قد تحلين عن دينهن وتزوجن  
 مالكين . ومن يؤكد أن الكثير منهن لم يروجن الراس الحار الذي  
 أسرهن ، كما فعلت الشابة الانطالية السلة مباردة دي غاتالير  
*de Gatalier* . التي تزوجت حبر الدين ( حين كان قريبا من  
 الخمسين من عمره ) . ولكن هناك من هذا الزواج المختلط ما يمكن  
 نلفت النظر لامكانه . مثلا . كانت وجدة أحد الدفات علحة الكلبية .  
 والظاهر أنه لم يكن من الصعب جدا على امرأة شابة أن تنهى إلى الحكم  
 بأن رواج في الحرالم قد لا يكون معتبرا كثيرا عن رواج في أوروبا .  
 ومن يؤكد أن مثل هذا الزواج كان يحصل من خمسة وصصة في السنت  
 مدى الحياة .

ولا ينبغي أن نعرف كم من الإباح . . . أسهوا في تكوين  
 العوامل الوراثية لمجسب الحراري . فحدثت كتب فرج علنا أنه كان  
 بالحرائر على الأقل خمسة . ومن أهم هذه الكتب خروج الثلاثة التي  
 يعود لها عدد كتب وقد تكونت من أصل من . . . يمكن من الواضح  
 أنه كان هناك عدد كبير من الأرواح من أصول الأطفال في معتمات  
 شمال أفريقيا من حيثهم يؤثرون في النسب "الوراثية" للمجتمع . وقد  
 لاحظنا أنه في أمكنات أن تعرف اليوم في الحرائر وتونس والمغرب  
 على كم من السلالات التي أسهمت في تكاثر هذه المعتمات من  
 خلال الملاحة خاصة كائنات . والشعر . والمون . . . شكل الجسم .



وماذا كان مصير الأعلية الساحقة من الأرقاء المسيحيين ؟ من الواضح أنه ليس هناك جواب بسيط يمكنه أن يناول جميع الأوضاع المتسوعة التي كان عليها هؤلاء الناس . فقد كتب سيرفانتس Cervantes ، الذي كان هو نفسه رقيقا ، « أن حالهم كانت محزنة وبائسة ... انها كانت عبودية قاسية وخشنة تطول أثناءها لشقاوة وتقتصر فيها السعادة وتسمع ... انها برزخ الحياة وحهم هذا العالم ... » ومع ذلك فإن سيرفانتس تكلم في مكان آخر عن كرم ولطف المالكين ( لئلا ) . ويقول طاسي ، الذي لم يكن أبدا رقيقا ، ومع ذلك كان يعرف الحرر ، بأن جميع الصور التي تصور الفسوة مبالغ فيها ، ولكنه لا يستطيع أيضا أن يخفي الحقيقة وهي أنه كان هناك أعمال صعبة يجب القيام بها ، وهناك ما يكون غلاط كان يجب تحملهم . فإذا نظرنا إلى الأرقاء في سوت أعشاء الرياس ، وبرجوارى التحار ، وملاك السفن ، وكبار المسؤولين ، وما بعد رجالا لاسين ثامنا حسنة ، وبطعمون طعاما حذا ، ويسكون سكا مريحا ، ولا يقومون إلا بأعمال غير شاقة ، بل أن بعضهم كانوا أصدقاء مدللين ومجل ثقة لماكهم . وكان بعضهم يعتق ويصبح وارثا تركته مالكة . وكان على أرقاء الانكشارية أن يحفظوا على الصناعة القليلة لماكهم في شكل مسطحة ، وأن يحصروا له المائدة ، ولكم كانوا يرتدون نفس الثياب التي يرتديها مالكوهم ، وما يكون من نفس الأطلاق ، وكانوا عادة أصدقاء مقرب من امهم . وقد لاحظ أحد الانكشارية لرققه بأنه كان من الصعب معرفة « ما اذا كنت أنت عدلى أو أنا هو عدك » . وليس هناك حاجة بنا إلى اعطاء هذه العلاقة طامعا رومانسكا ، ومع ذلك فإن الملاحظين يؤكدون على فكرة ، وهي أن الانكشارية كانوا كرماء مع أرقائهم ، أن الرقيق قد انتهى به الأمر إلى أن أصبح واحدا من العائلة . وهناك أيضا اشارات إلى أن علاقة الشذوذ الجسدى لم تكن غريبة . ذلك أن معظم الانكشارية لم يكووا متزوجين .

وقد يكون حال أرقاء الدي والرياس حالا محلها كثيرا . فقد كان بعضهم يوثق بالحديد في مقاعد التجديف بأحدى السفن ، وكان آخرون يحرمون على العمل الشاق في المحاجر وحمل الحجاره إلى الرصيف البحري ( المول ) وغمره من مشاريع السائين ، وكان البعض يعملون في الحدائق والسائين التي تحيط بأحواش الطبقة الغنية والواقعة خارج

مدينة الجزائر ، وكان آخرون منهم يحملون الماء وغيره من الأحمال :  
اذن ليس جميع الأرقاء كانوا أناسا مدللين في البيوت ، أو حراس  
شخصين لأسيادهم ( المالكين ) . وأسوأ الجميع حالا ، في نظر كل  
الكتاب ، هم أولئك المساكين الذين اشتراهم المزارعون الذين كانوا  
يمدون مدينة الجزائر بالحبوب والخضر . فقد كانوا كثيرا ما عملوا فوق  
الطاقة ، وبقوا بدون غذاء كاف ، وسكوا مساكن سيئة ، بالإضافة  
الى قيامهم بالأعمال الشاقة من طلوع الشمس الى غروبها — وهو عمل  
الحيوانات حقا . أما أحسنهم حالا فهم أولئك الذين اشتراهم أغنياء  
البلدية أو الكراغلة ، الذين كانوا يتميزون بالرأفة . فحياتهم مع هؤلاء  
كانت في الغالب أحسن بكثير من حياتهم لو كانوا في أوروبا .

وهناك جماعة أخرى من الرقيق كانت حالهم أيضا مختلفة ، ولكنها  
لا تشبه حال الأرقاء الذين سبق ذكرهم . ذلك أن كثيرا من المالكين  
كانوا يشترون الأرقاء للاستثمار . فكان هؤلاء المالكون يسكنون  
أرقاءهم في محلات ( Bagnio ) عامة — أو خاصة — ، ثم  
هم اما يؤجرونها كعمال لأي شخص يحتاج العملة ، واما يتركونها  
يدبرون عملهم بأنفسهم ويدفعون لمالكهم نسبة من دخلهم أسبوعيا .  
فكان هؤلاء الرجال عبارة عن « اتفاقية مضاربة » متوفرة اذا احتاج الأمر  
الى دعوة الحذافين في السفن ، أو ظهرت الحاجة الى عمال لتفريغ  
السفن ، أو أي عمل آخر . وكان بعض الأرقاء أصحاب الحرف ، اما  
يعملون مع مالك هو نفسه من أصحاب الحرف ، واما يقومون هم بالسر  
على ورشتهم حيث يصنعون الثياب ، والأحذية ، والبراميل ، أو غيرها  
من البضائع المصنعة . وكان مالكهم ، في هذه الحالة ، يأخذ منهم  
نسبة من مدخلهم ، ويتوقع منهم أن يدبروا بأنفسهم أمر مآكلهم  
وملبسهم . وأكثر هذا القسم الأخير نجاحا كانوا يفتحون خمارات  
يبيعون فيها الخمر التي يستولى عليها البحارة القراصنة .

وقد لاحظنا أن هؤلاء الأرقاء كانوا يسكنون في البانيوات ، وكان  
بعض هذه المحلات من ملك الأيالة أو الباشا ، وبعضها في ملك الرياس  
الأغنياء الذين يسون البانيوات لأنفسهم ، وكذلك لغيرهم من المالكين  
الأرقاء . وكان هناك عدد من هذه البانيوات التي كانت تختلف حجما

وشكلا ، ومع ذلك فقد كانت متشابهة ، ولذلك استعملت عنها مجتمعة .  
 لقد كان البانيو مركبا ( محصنا ) من البناء بسكن غلقه ليلا . وخلال  
 منتصف القرن السابع عشر لم يكن يوجد من ذلك سوى بانيو واحد  
 يعتبر مضافا بمعنى الكنيسة ، وكان مقفلا في جميع الأوقات . كان  
 يستعمل مسكنا للأسرى الذين لم يحضر التفاوض بشأن فدائهم بعد ، أو  
 أولئك الذين يجب الاحتفاظ بهم منهم تحت رقابة شديدة . وكانت  
 البانيوات تستعمل للأرقاء من الرجال فقط ، أما النساء والأطفال فقد  
 كان يحتفظ بهم ، إذا لم يسكنوا عند مالكيهم ، في مؤسسات أخرى  
 منعلة عن الرجال . وكل بانيو كان تألف من ساحة محاطة بطابقين  
 من اساء لذي له شرفات تطل على الساحة . وكانت الغرف مستطيلة  
 وكانت صافتها تعتمد في العادة على انوار النصل بالفتحات الخارجية ،  
 وكل غرفة كان يسكنها بين العشرة والعشرين رجلا . ينامون على  
 الخصر ، وبأغطية يومها اما مالكوهم واما بديروها بأنفسهم . ومعظم  
 الخانات كانت ، كما هو الحال اليوم في كثير من المنازل الأخرى .  
 تتم في ساحة لواسعة تحت بحري اعداد طعام . واكله ، وللبس  
 الوردي ، والتشاحر أو الماحصات ، ويحكي انفسهم لطويلة . وتجرى  
 المعاملات العامة . وكل اكناب شراى . كان يحدث هناك من قوسى  
 صارحة ، ومن صحب ، ومن أوساخ . ومن رحام . وتوجد في  
 بانيوات الكثير دكاكين بيع الخمر بدرجة الأرقاء . وموردو الأطعمة  
 ( مثل لكسرة - الخمر المسج - ، الكسكي . وعد ذلك من الأطعمة  
 سهلة التحضير ) . وسجود ما تسمى الأرباب فتح سوى اللصوص حيث  
 كل أنواع الصائم كانت موزعة بأناس رعيه .

وكان حاكم ( أو حارس ) البانيو مسؤولا على الأمن ، وعلى جزء ،  
 على الأقل ، من طعام الزلاء . وعلى الانتباه على النظام في السيرة .  
 وكان هذا المسؤول في العدة من الإصلاح . وإذا كانت الكائنات حتى  
 قريبة من الصدق . فانه كان شحنا يلقب عنه الحرص على ملء حيونه  
 العاصة بالنفس في الأطعمة واشترط « هديا » صغيرة أكثر من قيامه  
 بأي عمل آخر داخل في مسؤوليه . وكذلك كان مساعدوه غششين  
 أيضا . فقد كانوا ، مثل حارس النامو ، يعتمدون على الرجال الذين تحت

اشراعهم . والمشكل الخطير الوحيد في هذه البايوات هو انتجار الفصح  
من وقت الى آخر . واشهر حالة من ذلك وردت في الكتابات هي ملحدت  
من نزاع بين الأرقاء الموسكوس ( الروس ) والألسان ، وهو النزاع الذي  
بدو أنه يعود الى الاختلاف في الدين واللغة والعادات بين المجموعتين .  
وكان المص قد بدأ خلال الحار ولم يتوقف الا بتدخل الحاكم ( العارسيا )  
ولكن عندما اعتف الأيووات بحلول الليل ، شهد البايو مظاهرة كلاسيكية  
مات فيها عدد من الناس وجرح آخرون قبل استعادة النظام .

وهناك محالات أخرى للعنف ظهرت من الحشرات التي كان يديرها  
الأرقاء في البايو ، كما ظهرت في بعض شوارع المدينة . ذلك أنه كان  
يمكن مالكي الحشرات شراء الحبوب التي استولى عليها اصغارهم -  
القراصنة مائتة مقولة حتى يتمكن رعايتهم من شرب أحود الحبوب  
شس زهد ( المروى أن أحود الحبوب هي التي كانت تصدر الى  
الخارج وأن أحود الحبوب هي التي تم الاستلاء عليها ) . وكثير من  
الأرقاء أدموا على البحر بحفوا من عذابهم . وسما المقروص في  
المجلس العقفي عدم شربهم للمواد الكحولية ، فان عددا منهم كان  
شربها . ولدينا أحار تقول ان عددا هاما من الإصلاح ، الذين لم يكن  
إعابهم الذي كاملا ، كانوا يطلون أحلاس حشرات من بعد الظهور الى  
ساعة متأخرة من الماء . ومن المحم حدوث لمعارات والمشاحرات  
الشخصية عندما يصب البحر بحره . . كان ملك حماره « مسؤولا »  
على السلام والأمن على الماء الكامل . سواء كان في الباسو أو في  
الشارع ، ولكن ماد يمكنه أن يفعل إذا كان المحم نفسه رجلا من  
الامتدرة ؟ ان الوقت إذا رجع بدء مد حدى ، قد تصرف - وحتى  
يقتل - على عمله . فقد كان مالكو الحشرات يحبون المشكل باعطاء  
« مساعدتهم » سببا . فإذا أصبح أحد الرأش مهاجرا يقومون هم  
بإدجابه في درختي الصم أو سططين وإحراجه من المكان الى الشارع .  
ان هذا النظام يبدو أسهل في كتابات الأرقاء السابقين من تعيذه فعلا  
في الحشرات نفسه . ولكن جدا أدنى من النظام كان محمظا به على  
كل حال .

والمصدر الآخر لثرويه في البايوات هو قصص حكايات ملققة حول

العالم الموجود خارج الجزائر . ان أكثر أولئك الرجال كانوا يحاربون ولا توجد الا أجزاء قليلة من العالم لم يرها أي واحد منهم . وفي هذه الحال الحكايات عن لاه ، وعن الأماكن البعيدة ، وعن العادات الغريبة الموجودة في العالم الجديد من شواطئ الهند في النان الى مضائق Magellan . وفي آسيا من اليابان الى الهند . وفي العالم الأمريقي - الأوروبي من أقصى الشمال الى رأس الرجاء الصالح . وهكذا يصبح العالم كله ، بطريقة أو بأخرى ، موضوع الحكايات والتفاني التي حست على صفة ما نالمة السط ( لاهما مر نك ) الغريبة للأرقاء لجزائريين . لقد كان حقا محتسب عالما - على الأقل محتسب ومبنا - عالمي .

ان سوق النصوص في لايوات كان يقدم « الكتابات » بالإضافة الى الضرورات ، كما كان يعرض أنواع محتسب من النصائح التي كان الأرقاء أو غيرهم يرفعون في ثرائها . وكانت السرفة طريقة من طرق الحياة عند كثير من الأرقاء . ففي بعض الأحيان كان مالكوهم لايوفرون لهم ما يحتاجون اليه من لعداء . وفي بعض الأحيان أصبحت السرفة « تجارة » تحولى حاجات كثيرة . وسدوا ان العرائض قد استقروا على رأي وهو ان الأرقاء قد سرقوا . وربما كانت السرفة محتسب عليهم . وما دام أكثر لهم كان موحا ضد العدالة ليهودية عن سرفة كان مسوحا بها الى درجة شر الذنوب . فقد كان بعض سرفة عار عن سب للدكاكي ، أو قطع لعداء لعداء ، أو سلب الى سوب . وكان بعضها عارة عن لغة « ثقة » من مدلى بمهنة بصدية . ل هذه بصدية الأخيرة قد أشار إليها الكتاب كـ « حة أبي بعض ما يبدو . ما أنها كانت شائعة جدا . » « أبي اسحب » عند كان أحد الأرقاء يستطيع أن يمشي مقرص الشهود - حادثة حذر بالحدث عنه . ومهما كان الأمر فإن سوق النصوص الذي كان بصدية سحرودا يفتق حكام ( المدارس ) الأيواب عند حله . انطلاقة . كن مؤسسة مشهورة في لايوات .

ولعل العسارات والمقتسبات والتقصص في السحات قد ساعدت على الترقية وتقديم بعض الثراء كثير من الأرقاء . عبر ان أرقاء آخرين

وحدثوا راحتهم في دينهم . ذلك أنه بنهاية القرن السابع عشر كان لكل  
 Duport  
 بابو معبد ( أول معبد كان قد أسسه الأب ديپور سنة 1551 في البانيو الذي كان يملكه أحد الكرافلة ، وهو الذي كان  
 المراك يسبه حافة الشارب ) وكان القديس يقام كل يوم في أكثر هذه  
 المعابد أما يؤديه القساوسة الذين كانوا هم أيضا أرقاء ، أو يؤديه أناس  
 ينتمون إلى أنظمة الفداء الذين أبوا إلا أن يشاركوا الأرقاء حالهم من  
 أجل خلاص الآخرة . وكان بعض هؤلاء القساوسة محبوبين للغاية ،  
 ذلك أن مواظبتهم وراحتهم في الانصات إلى الشاكين ، بالإضافة إلى  
 عزائهم للمحترمين والياستين - كلها قد جلبت اليهم رضى البروتستانتين  
 والإنجليك الأرثوذكس ، والكاثوليك الرومان على حد سواء . وكان  
 المراك أيضا يحترمون هؤلاء الرجال من أجل تقواهم ومن أجل علمهم  
 الخيري ، وكذلك من أجل تأثيرهم على سلوك الأرقاء ( ولا توجد إلا  
 حالات نادرة كان فيها الحاكم الضعيف يشترط رسما قبله لحضور  
 اقدس ) وليس هناك سوى قليل من القساوسة ، الذين كانوا بدورهم  
 أرقاء مثل جميع سكان البانيو ، والذين تسببوا ، بمسيرتهم الذاتية ، في  
 اهانة واحترار دينهم . ولم يكن يوجد إلا عدد قليل من رجال الدين  
 البروتستانت بين الأرقاء لسبب واضح وهو أن القرى البروتستانتية  
 لم تكن غالبا موضع غارة ، غير أن الأرقاء البروتستانت كان يمكنهم  
 حضور الصلوات في بنايات القنصليات الانكليزية والهولاندية ، وفي  
 وقت لاحق السويدية والأمريكية ، دون تدخل من قبل سادتهم المراك .

وكان قساوسة الفداء يقولون أيضا على مستشفيات ، وحتى صيدليات ،  
 في البانيوات أو قريبا منها حيث يجد الرقيق المريض رعاية أفضل مما  
 كان متوفرا عند مالكة ، وكانت هذه المستشفيات مدعومة جزئيا بضريبة  
 صغيرة تطوعية على البضائع المباعة من قبل التجار الأوروبيين في الجزائر ،  
 وهي الضريبة التي أصححت اجبارية بمرسوم من الداي شعبان سنة  
 1794 . ( هـ ) وكثيرا ما كان العرف في الجزائر يتحول إلى قانون .  
 وكانت هذه المستشفيات قضية غير هامة في أول الأمر ، ففي فاتح القرن  
 السابع عشر وجدنا واحدا منها يحتوي على ثمانية أسرة - أي أربعة

١٠١ - سائر الحديث مطولا من الداي شعبان . انظر الفصل الثاني عشر وهناك خطأ في  
 التاريخ المذكور ( وهو 1794 ) لأن شعبان يأتي حكم أواخر القرن السابع عشر وليس  
 الثامن عشر ، فالنسخ المقصود إذن هو 1694 . ( المترجم ) .

أسيرة (أبيالك) في كل جانب من الفرفة - مع هيكل ديني صغير عند نهاية الحائط بين الأسيرة . وكان يعمل في هذا المستشفى حلاق - جراح وممرض (مساعد) . ان هذا قد لا يبدو شيئا كبيرا في نظر رجال القرن العشرين ، ولكن في جزائر ذلك العهد كانت هذه المستشفيات شيئا له قيمة . ولقد صدق الأب مونروي Mauroy عندما كتب سنة 1612 قائلا : « ان الأتراك والجزائريين (العصر) كانوا غالبا ما يأتون الى هنا (أي المستشفى) ... لقد كان أمرا عجيبا بالنسبة لهم أن يروا الأرقاء المسيحيين لهم مثل هذه المؤسسة في مدينة الجزائر ... فلم يوجد لديهم مؤسسة مماثلة لمرضاهم ... » وفي القرن الثامن عشر، عندما أصبحت هذه المستشفيات أوسع بكثير مما كانت عليه ، لم يعد أمرا غير شائع أن يطلب المسلمون أنفسهم العلاج فيها .

وقد أبقي فساوسة القداء أيضا على مقبرة مسيحية خارج أحد أبواب الجزائر ، وهو باب الواد حيث يمكن دفن الرقيق في أرض مقدسة رغم أنهم قد يموتون خارج أوطانهم . وكان توفير قبر لكل ميت على حدة مستحيلا في بعض الأحيان نظرا لكثرة الوفيات . مثلا ، أن هناك من أخبر أن طاعون سنة 1740 قد أودى بحياة حوالي ثلاثائة رقيق في اليوم الواحد مدة ثلاثة أشهر ! ورغم أن هذا الرقم واضح المبالغة ، فليس هناك شك في مدى حجم الأزمة . وفي آخر القرن الثامن عشر قتل الطاعون آلافا أخرى من الأرقاء خلال سبع سنوات أخرى على الأقل ، وهو الأمر الذي يصر انخفاض عدد الأرقاء ، ربما بنفس النسبة التي انخفضت فيها على الأقل أنشطة الأسطول البحري (الجزائري) خلال النصف الثاني من هذا القرن (الثامن عشر) . ولا يمكننا الآن تقدير عدد المدافن في المقبرة المسيحية ، لأن ميناء الجزائر كان قد وسع حتى شمل تلك القطعة من الأرض .

\*\*\*

وبينما لا يدخل ، في الحقيقة ، مشكل الأرقاء المسلمين في مألظة وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا ضمن مجال هذا الكتاب ، فانه يبدو مهما أن نشير الى أن المسيحيين ليسوا وحدهم في هذا العهد الذين أدى بهم سوء الحظ الى الوقوع في الرق . وربما كان أغلب المسلمين الذين

وقفوا في الرق كانوا قد أسروا في البحر أثناء الحرب أو باعتبارهم  
 ربيبة ومساكين على سمن اسلامية أسرها بحارة — فراصنة مسيحيون .  
 فقد كان البحارة — القراصنة من المالطيين والايطاليين يجوبون مياه  
 المشرق ، وكان سوق اريق في مالطة لا يقل نشاطا عن سوق الجزائر .  
 كما أن السمن الحربية الغربية قد أسرت أيضا المسلمين وباعتهم عندما  
 وقعت الحرب بينها وبين دول شمال افريقية . وهناك مصدر آخر للأرقاء  
 المسلمين وهو الآتي من انارات التي كان يقوم بها البحارة — القراصنة  
 المسيحيون على القرى الاسلامية . وقد كانت سواحل شمال افريقية .  
 مثل السواحل الإسبانية والايطالية للبحر الأبيض ، تكاد تكون مهجورة  
 أيضا من السكان ، ما عدا في الموانئ المحصنة ، لأن العيش قريبا من  
 البحر كان غير آمن . وهناك مصدر آخر للرق يعتبر أكثر وقعا وكان قد  
 ظهر في فترات منتظمة في المراسلات الصادرة من الجزائر : وهو أن  
 الضباط المسيحيين كانوا يحملون على سفهم المسافرين المسلمين ، ربما  
 كانوا حجاجا في طريقهم الى مكة أو مجرد مسافرين الى إحدى موانئ  
 المشرق ، وبدلا من أن ينزلوهم في الاسكندرية يأخذونهم الى سيراكيوس  
 أو مسينا أو غيرها من الموانئ المسيحية ، لبيعهم في السوق . وهناك  
 حالات أخرى تحدث عن أن السفن المسيحية قد يوقعها بحار — قرصان  
 مالطي أو أساني ويصادر الجزائريين والأتراك المنكودين كغنائمهم  
 شرعية ، بينما يسمح للسفينة المسيحية بالاستمرار في رحلتها . وكان  
 الجزائريون مقتنعين بأن ضابط السفينة والبحار — القرصان كانا على  
 اتفاق مع بعضهما . وهناك جزائريون وأتراك آخرون أصبحوا أرقاء  
 نتيجة الحوادث في البحر . ففي عدد من المناسبات كانت السفينة التي  
 تحمل الحجاج يؤدي بها سوء الطالع الى أن تتحطم على الساحل  
 « أنقذوهم » ونتيجة لهذه الطرق العديدة للرق ، وجد عدد كبير من  
 الناس — نساء ورجالا — كانوا أما من كبار جماعة البحارة والانكشارية  
 أصدقائهم وعائلاتهم قد قاموا بالضغط على الداي — الباشا لاطلاق  
 سراحهم .



وكما كان هناك أسرى مسيحيون لا يرضى المسلمون باطلاق سراحهم ، كذلك هناك أسرى مسلمون لا يقبل فيهم المسيحيون أي فداء . ولا حظ يقع بين أيديهم ، ولا سيما اذا كان هذا العليج قد صادف أن أصله أحد رعايا ملكهم . وكانت السلطات المالطية والأسبانية والإيطالية تسجس « مدى الحياة » أي راييس بحري مسلم يقع بين أيديهم . وسبب ذلك بسيط : فقد كانوا يفهمون أن أساطيل شمال إفريقيا لم يكن لها عدد كبير من القادة الأكفاء ، ولذلك فإن أي واحد يمكنهم أسره وسجنه سيكون نقصا في ضابط كفء في الأسطول البحري . وقد وجدت ، في القرن السادس عشر ، حالات صارخة ( مثل حالة درغوث ) حيث اقتدى ضابط بحري هام ثمن عال جدا ، وكان الغالب أن أعمال الراييس البحري الذي أطلق سراحه تعطى أسره الحق في الندم على اطلاق سراحه . وخلال القرن السابع عشر كان صباط البحر الهامون قد يقضون على أحد النبلاء الكبار أو فرسان مالطة ويقونهم أسرى لبتسكنوا من المبادلة بهم في صورة ما اذا وقعوا هم في الأسر . ان هذه المبادلة كانت تأخذ نفس القبة التي تأخذها مبادلات كبار الحواسيس وغيرهم من الموظفين السامعين عند الدول الأعظم في عصرنا الحاضر .

وكان القليل فقط من الأرقاء المسلمين في أسبانيا أو إيطاليا قد خصصوا للفداء أو المبادلة . ذلك أنه لا وجود لمنظمة اسلامية للفداء ، ولا وجود لقناصل من شمال إفريقيا في أراضي ملك أسبانيا ، كما لا وجود لوسائل منظمة لتسهيل عملية الفداء أو المبادلة . ومن آن لآخر يطلق سراح رقيق مسلم مبادلة مع اطلاق سراح رقيق مسيحي اما في سبتة واما في لفورنيا ، حين تتوصل العائلتان الى اتفاق اما بواسطة المساعي الحميدة للقنصل الفرنسي أو لأحد التجار اليهود ، ولكن هذا لم يكن شائعا أو عاديا .

ويصر بعض الكتاب على أن الأرقاء المسلمين في البلاد المسيحية لم يكونوا يتمتعون بنفس المعاملة الحسنة التي يجدها الأرقاء المسيحيون في الايلات الإفريقية ، ولكن الشواهد المتوفرة لا يمكنها أن تقطع في ذلك . فمن غير المحتمل أن يصنف مالكو الأرقاء المسيحيون على أنهم

أكثر راحة من مالكي الأرقاء في إيلات شمال افريقية ، ومن الواضح أن حياة الأرقاء كانت صعبة ، وأن حياة أولئك الذين يوثقون في المحاذير كانت أصعب جدا ، وما دنا تعرف أكثر عن أرقاء السفن الإسلامية من معرفتنا للأرقاء المسلمين في البيوت المسيحية أو المزارع المسيحية ، فمن الممكن أن نقرر أن الرق في الجانب الجنوبي من البحر الأبيض كان أحسن وطأة من الرق على الجانب الشمالي منه . ولكن هذا الافتراض يجب أن يبقى محل شك .

أن بعض المعلومات التاريخية ذات الفائدة الكبيرة عن أحوال شمال افريقية جاءتنا من كتابات الأرقاء السابقين . بعضهم مثل سيرفانتس ، قد جرى اقتداؤه ، وبعضهم ، مثل توماس بايت ، (\*) قد أطلق سراحه عندما أسرت وحدات بحرية مسيحية سما جزائرية . وكقاعدة عامة ، فأننا نجد أن الرقيق السابق له قصة يريد أن يقصها عن أسرته قهر الدعوى ، وهي أن الرق على ساحل شمال افريقية كان ، على أفضل تقدير ، تجربة حزينة ، وعلى الأسوأ تجربة مرعبة . ومع ذلك فأننا من هذه المعلومات نتذكر أيضا من التوصل إلى الحكم بأن كثيرا من المالكين كانوا رحلا معقولين وإنانيين وكانوا تتعاطفون مع أرقائهم ويعاملونهم معاملة حسنة ، سما آخرون أما أهملوهم وأما أساءوا إليهم . أن رسائل الأرقاء المسيحيين المرسله من شمال افريقية ، وكذلك رسائل الأرقاء المسلمين ، فيما يبدو ، (1) المرسله من أوروبا المسيحية — كلها تشير إلى شيء واحد مشترك . الرغبة في الحرية والعودة إلى الأوطان والأهل .

(\*) - هكذا ذكر المؤلف توماس بايت ، وهو في الحقيقة مربي بايت ، صاحب الرحلة التي سير إليها المؤلف نفسه في البيلغرافية ، وقد استعدا بحر من رحلته في كتاب (الدرج الحزائر الثقافي) وغيره . (المترجم) .

أ - لا تلك رسائل من الأرقاء المسلمين إلى عائلاتهم وأصدقائهم ، ولكن هناك شواهد كثيرة في مراسلات الدانات مع ودياء ملوك فرنسا ، تدل على وجود مثل هذه الرسائل وعلى أنها كانت حبيبة تحت الأصدقاء والعائلات على فعل كل شيء ممكن لإطلاق سراحهم

## الفصل التاسع

### الأيالة الجزائرية وأوروبا ، الرحلة الأولى

1600 - 1630

ان الحرب الطويلة المزمدة بين حكام الدولتين الأسبانية والعثمانية قد انطأ في الثمانينات من القرن السادس عشر ، ولكن الهدنة انتي وقعت بين الكبار لهم تمتد الى تابعيهم . ففرسان القديس يوحنا مالطة ، وفرسان القديس ستيان في توسكانيا ، والبحارة الخواص العاملين في موانئ إيطاليا وصقلية وغيرها من الجزر في غرب البحر الأبيض ، قد استمروا في مهاجمة التجارة الاسلامية وفي التعرض للحجاج المتوجهين الى الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، بالإضافة الى غيرهم من المسافرين الأثرياء في المياه الشرقية . وفي نفس الوقت كان رياس البحر العاملين خارج موانئ ايالات طرابلس وتونس ، وفوق ذلك كله مباء الجزائر ، يقومون بحرب لا هوادة فيها ضد البحارة والسواحل الأسبانية والايطالية والبرتغالية . لقد كان الأمر ، بالنسبة للطرفين المسيحي والاسلامي ، أمر جهاد وحربا مقدسة . ففرسان مالطة كانت لهم بذورهم وكذلك تاريخهم الطويلة في النزاع مع الدولة الاسلامية ، وكان البحارة الخواص من الأسبان والايطاليين يعلمون أن حركتهم كانت تحل بهم الثروة والعراة معا . ومن جهة أخرى كان أهل شمال أفريقية جميعا يعرفون أن هذه الحرب كانت ثارا كما كانت تمجيدا لله ، ذلك أن الذكريات كانت مازال ماثلة للعيان في جميع أنحاء شمال أفريقية عن الهجمات الوحشية التي قام بها الغزاة الأسبان Conquistadors الذين هاجموا الموانئ الرئيسية من وهران الى طرابلس ، مذبحين السكان ، وناهين أمتعتهم ، وفارضين رسوما ثقيلة على الدوللات « التابعة » لهم والتي سمح لها

بالاستمرار في الوجود . ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد . فقد رأينا  
شمال افريقية قد أصبح أيضا دارا لعشرات الآلاف من الرجال والنساء  
الذين طردهم من بيوتهم « التعصب العرقي والديني » الأسباني ، والذين  
كان أقاربهم ما يزالون يعاونون ( إلى سنة 1610 ) تحت الحكم الأسباني  
المتعصب . لقد كان من السهل أن تعد طاقما لحلة بحرية ضد « العدو »  
الذي كانت معه ما تزال تعبر على قرى شمال افريقية لتأسر الأرقاء  
وتأخذ المتاع ، والذي كانت حدوده المعسكر في وهران والمرسى الكبير  
يقومون بنزولات يصلون بها إلى دواخل البلاد ووراء موانئ المدن التي  
يحتلها الإنسان . وهكذا فإنه لا التماسون المسيحيون للملوك أسبانيا ولا  
التاسون للمسلمون لسلطان الدولة العثمانية قد تحلوا عن أعمال العدا  
عندما انتهت الحرب بين أسيادهم .

عباد ، كان موقف الأمراء الأروبيين أمام هذا الوضع الفئائك في البحر  
الأبيض ؟ خلال معظم القرون السادس عشر كان ملوك فرنسا حلفاء ، أو  
على الأقل شركاء ، للسلطان العثماني . لقد كان من السهل عليهم ، أمام  
العدو المشترك ، وهو أسبانيا ، أن يتوصلوا إلى اتفاق حول بعض العمل  
المشترك . حقا أن هذا التعاون لم يكن وثيقا وتعاون الذي حصل بين  
خير الدين وفرانسوا الأول والذي حمل الحرية العثمانية تقضى شتاء  
في الموانئ الفرنسية . ولكن الأشرطة الفرنسية ، والبارود ، والطلاقان  
الناوية ، وجميع المؤن البحرية بنفس مدة سولة تحت تصرف البحارة  
المسلمين في سواحل شمال افريقية . وكل من الرئاس المسلمين وأناب  
العالي باسطنبول كانوا مطروون نظره الشك إلى وجود كثير من التلاء  
الفرنسين في خدمة فرسان القديس يوحنا صابطة . ولكن هذا لم يمنع  
السفر الفرنسي في القرون الذهبى ( اسطاسون ) من ممارسة كد جرس  
النفوذ على وزراء السلطان . حقا . أن السفير الفرنسي كان قادرا على  
الحصول على عزل باشا الجزائر الذي وقف موقفا غير ودي نحو فرنسا ،  
كما حصل على قطع رأس أحد الرئاس الذي نهى سعيته تجارية فرنسية .  
ولكن نهاية القرن السادس عشر بدأ تأثير السفير الفرنسي على الحوادث  
في شمال افريقية ، مثل تأثير الباب العالي نفسه ، يتدهور . ومع ذلك .

لأن رجال بحر القيرسي كانوا ما يزالون آسيى لى حد معمول من هجومات رياس شمال افريقية ، كما كانوا مقبولين فى مواسم الايام (الجزائر) . وبالإضافة الى ذلك فقد كان يوجد مصنع قيرسى فى الجزائر وتونس وطرابلس ، وكذلك حصلت شركة فرنسية تجارية على امتياز تشييع بمقتضاء مركزا تجاريا محصيا ، وهو المسمى ( حصن قرب ) الواقع على جزيرة خارج السواحل بين حدود تونس والجزائر . لقد كان هذا الحصن يعمل مصدر المرحاض وتاجر مع الفئس البربرية بدلة البضائع الأوروبية مع ما عدها من الشمع والخلود والحبوب والحيول وكثير من البضائع الأقل قيمة . وظالما كان ملوك قيرسا ما يزالون يشون حرما مرة ضد الدولة الأسابية ، كان هذا الواقع القيرسى - اشمال افريقى من بطرقة أو باخرى الابقاء على السلام بين قيرسا ومطلى شعب افريقية . ولم تصح التجارة القيربية هذا لرياس شمال افريقية ، ولا سيما من الجزائريين ، الا بعد أن وقع عبرى الرابع السلام مع ساسا لى نهاية القرن السادس عشر .

جاء الإنكليز الى البحر الأبيض كحارب . وكحارب حراس ، وكقراصنة تده من أواخر انقروى السادس عشر . وقد عصفت الملكة الراحلة على معاهدته مع لسلطان المسمى أغسطس بعد . حارب الانكسر انتدات منديه لتلك التى يتبع بها لم يسهل . بالرغم من أن المعاهدات القيربية - الفشاة جعلت الملك القيرسى هو حارس سحر لمسحين الى المشرق . كما صحت القصاص القيرسى ملاحاب واسعة من السلطة اشرعة على جمع المسحين فى الموبى . الفشاة . وقد وجد بحارة بسى الخاصة وبقراصنة الانكسر ملحا آم بعد فى مواسم الادالة العراثرية وتوسية مد وقت مسكر . لقد كانت حرمه مع لدونه لأساسة ، وهذا ما جعلهم حلفاء أو على الأقل شركاء لرياس شمال افريقية . وكان المقترح أن الشركة الإنكليزية التركية ( شركة المشرق - المصعب Eleven ) هى المسئولة لى عهد الملكة الراحلة ، على تصييع القصاص الانكسرى فى مدن المواليء القندية . وكان من الصعب تعيين قنصل فى الجزائر عدلدا لعدم وجود نشاط تجارى هام فى هذه المدينة « مدينة الحرب » التى كانت تكرم كل حملها تقريبا لهجومات رياسها الحربيين .

وسد هذه المضايق على خليعتها ، حينئذ الأول أن زمن الحرب قد انتهى ، ولم يكف توقيع السلام مع اسبانيا بل أنه أيضا أعطى نفودا كبيرا وسعة الى السير الإسباني في البلاط الانكليزي . ومن الطبيعي أن هذا التحول سرعان ما لوحظ في كل من الجزائر وتونس . ومع ذلك فإن القراصنة الانكليز كانوا ما يزالون محل ترحيب في الموانئ الجزائرية والتونسية حيث كانوا هم وظراؤهم الفلانديون Flanders والهولنديون يملكون الراس المسمون كيفية بناء وسير السفن الطويلة التي تمتد في مسيرتها على الرياح . ولكن التجار الانكليز لم يمددوا آمين كما كانوا من قبل اذ ما أسفروا عبر البحر الأبيض في اتجاههم الى المشرق للتجارة . وإن السير الانكليزي في اسطنبول ، مثله مثل نظيره الفرنسي بعد أن وقع حري الرافع السلام مع اسبانيا ، قد وجد نفسه لا يستطيع الضغط كثيرا على ( السلطات الثمانية ) لوقف الهب « غير الشرعي » للسير الانكليزية من قبل رياس شمال افريقية . ذلك ان سلطة السلطان لم تعد تعنى بسهولة سفن الدول التي يفترض أنها صديقة لظامه والتي هي في نفس الوقت في سلام مع اسبانيا .

أما الدولة الشمالية (●) الأوروبية الناحية الأخرى ، وهي نيدرلاند ( الأراضي المنخفضة - هولندا ) المتحدة ، فإنها لا ترسل كثير من السفن الى البحر الأبيض قبل نهاية القرن السادس عشر ، بالرغم من أن أولئك البحارة الهولنديين والفلبينيين ، الذين احتازوا مضيق جبل طارق كانوا في العادة موضع ترحيب في الموانئ ، الشمال افريقية كالحلفاء ضد ملك اسبانيا . ولكن هؤلاء البحارة الذين يطلق عليهم « شحاذة البحر » كانوا في معظم الأوقات محملين برسائل الحماية من أمير أورانج of Orange الى البرلمان وكانوا يختارون محطات في خطوط المحيط الأطلسي تقود الى اسبانيا والبرتغال . وعندما بحث التجار الهولنديون سفنهم للتجارة مع العالم الواسع كانت أهدافهم الأولى أمريكا الجنوبية والشرق (●●)

(●) - يطلق المؤلف عبارة الدول الشمالية في العادة ، على بريطانيا ، السويد ، الدنمارك ، هولندا ، النرويج .  
(●●) - عبر الكتاب ترحبا كلمة  
Orient - الشرق وكلمة Levant - المشرق .

وليس البحر الأبيض . ولذلك فأن أول « الرجال الهولنديين » الذين  
 عملوا في البحر الأبيض كانوا أناسا يبيعون بحارة السفن الخاصة وانقراصة .  
 ويبدو أنهم كانوا يمتسون ، بدون تمييز ، تداره وعباءة ملك أسبانيا  
 أو الجزائر ، وكانوا هم والانكليز وبعض صباط البحر الفرنسيين قد  
 علموا الجزائريين والتونسيين طريقة اعمار السفن التي يمكنها احتراق  
 المحيط الأطلسي ، ومن ثمة توسع مجال أنشطة البحارة ( المارة ) بصفة  
 كبيرة . ولم يظهر التجار الهولنديون بعدد معتبر في البحر الأبيض  
 إلا بعد سنة 1600 ، وخصوصا بعد توقيع معاهدة هدنة الاثنى عشر  
 ( سنة 1609 ) بين أسبانيا ونيذرلندا المتحدة ( الاراضي المنخفضة ) ،  
 وبعدئذ أصبحوا سرعيا فرسة لبحارة شمال افريقية .

وهكذا نرى أن أنكلترا وفرنسا ونيذرلندا المتحدة لم تكن تعد  
 صمومة مع البحارة العاملين مع الايالات المغربية ( كذا ) طالما كانت هذه  
 الدول أيضا في حرب أو في عداوة مع الممالك الأسبانية ، ولكن عندما  
 وقعت هذه الدول الثلاث السلام مع « العدو » فإن بحارة شمال افريقية  
 توقفوا عن النظر اليهم كحلفاء ، وسرعان ما استولوا على السفن التجارية  
 التي تعود الى أصدقائهم السابقين واسترقوا طواقمها . وسرى أن تدخل  
 اسطانبول قد يغير القرارات في العقد الأول من القرن الجديد (17)  
 ولكن سرعان ما توقفت سلطة السلطان عن توفير الأمن لأي سفينة  
 تعبر البحر الأبيض .

غير أن الممالك الاسبانية كانت . الى العقد الأول من القرن السابع  
 عشر ، ما تزال هي العدو الرئيسي لايالات شمال افريقية . وكان  
 الهاربون من التعصب الأسباني يمدون هذه العداوة . وكثير منهم أصبحوا  
 أغنياء وأصحاب نفوذ ، بينما آخرون منهم اشتركوا بقبطة في اجهاد .  
 وحتى بعد أن أصبحت أسبانيا أكثر عقلانية في نظرتها نحو الاسلام  
 وشمال افريقية . بقيت عائلات أولئك الهاربين ( اللاحقين ) والسكان  
 الجزائريون الذين يتذكرون جيدا وحنية الجود والبحارة الأسبان الذين

نزحوا على ساحلهم ، مع هؤلاء اذن يصحون ، بدون أية صعوبة ، جيرانهم  
من اسبانيا ما تزال هي العدو .

وهناك مصومات أخرى واحده اسبانيا في نهاية القرن السادس عشر  
فانح لسابع عشر ذات طابع مأساوي . فقد حكم تشارل الخامس  
( شارلوكا ) وانه طلب الثاني مصنوعة من الاراضي النشابة التي  
تعرف باسم الدولة ( الامراطورية ) الاسبانية حوالي قرن من الزمان ،  
وكانه شرع على تنظيم ماسي معقد وممتد من الفلبين على السواحل  
الاسبانية الى الأمريكتين ( الحوض والنشابة ) ثم الى شبه جزيرة ايبيريا  
وايدنا . وخلال مدة طويلة كانت هذه الدولة الكبرية تبدو مدعومة  
من كسب الذهب والفضة الآتية من العالم الجديد . ولكن الواقع هو  
ان هذه الكور لم تكن تكفي لد حاجاتها لولا أن شارل الخامس  
وحقق طلب الثاني استطاع أيضا أن يحلها لثروة والقوة من مملكة  
كاستيل . وكان الاعتماد على كاستيل في المال والحدود للدفاع عن تلك  
الاراضي المترامية الأطراف هو . من عده وجوه . الحقيقة المعبرة بهذه  
الدولة الاسبانية ، ذلك انه لا شارل الخامس ولا أي أحد من خلفائه من  
عائلة الهابسبورغ ، كانوا قادرين على احراز أو انهاء المملكة الاسبانية  
الأخرى ، وهي أراغون والولايات التابعة لها في البحر الأبيض على أن  
تتحمل جزءا معتبرا من مصاريف الحروب التي استغرقت القرن السادس  
عشر كله . كانت كاستيل عنة وكانت تنسجها تلك الامراطورية ( الدولة )  
واسعة الأرحاء الممتدة الى ما وراء البحار التي ومرت هي أيضا الثروة  
للحماية الملكية . ولكن حروب شارل ضد فرنسا والدولة  
المنشابة وحروب طلب ضد فرنسا وأكثرتا والدولة العثمانية وضد  
دعائه هو في الاراضي المحيطة ( سبيلاند ) . كل ذلك امتص تلك  
الثروة امتصاصا مرعا . وإلى سنة 1600 كانت اسبانيا ما تزال تبدو  
ذلك المصلاق الساسي العسكري الذي منى في تاريخ القرن السادس  
عشر مشة لمحتال . ولكن نظرة دقيقة الى ده ان الملك الأسباني وإلى  
الوصف المدسوعرافي والاقتصادي لكاستيل . إلى وضع المناجم في العالم  
الحديد حيث سنعحص قريبا سلاسل المعادن الثمينة - كل ذلك يدل  
على أن ذلك المصلاق كان يمر بمرحلة حطية . وعندما تولى فيليب الثالث



العرش كانت الدولة الاسبانية في محنة حقيقية . ذلك أن الملك الحديد كان معدا لأن يكون راهبا أفضل من حاكم ، بينما الصعوبات التي كانت تواجه حكومته لا يمكن أن يغلب عليها رجال عجرة كأولئك الذين كانوا يحكمون دولته . لقد كان يمكنهم أن يصربوا ضربة لانتهاء الحرب في الأراضي المنخفضة أو يسحقوا « عش النسر » في الحرائر ، ولكنهم لم يفعلوا لهذا ولا ذاك . ان المائة سنة من التدهور والانحلال التي انتهت بعد قرن من الزمان بالحرب المعروفة بحرب الخلافة الاسبانية قد بدأت ، وحتى رجال دولة أقوىاء أمثال غاسبردي غوزمان de Guzman وOliverès ( 1521 - 1543 ) ، لم يستطيعوا وقف ذلك التدهور والانحلال .

ان الانحلال الذي كان قد أصبح وشيكا في الدولة الاسبانية ينعكس في هبوط البحارة الاسبانية . وهناك عدة عوامل لعبت دورا في ذلك الهبوط . وبدون شك لم تكن أنشطة بحارة شمال افريقية الا واحدة منها ، ولكن تسلل نظرائهم ، « كلاب البحر » الانكليز و « شحادة البحر » الهولانديين ، والتصاعد المدهش للقراصنة الانكليزية والهولندية في حوض البحر الأبيض - كان لها أيضا عواقب وخيمة على التجارة البحرية الاسبانية . وكان هؤلاء القراصنة وبحارة السفن الخواص من الانكليز والهولانديين محل ترحيب في موانئ شمال افريقية حيث كانوا يبيعون غنائمهم ، ويربحون طواقمهم ، وأحيانا يشاركون ضيوفهم كرياس أعلاج . ان هؤلاء الرجال لم يكن لهم ولاء للسلطان العثماني ومن ثمة كانوا لا يتورعون عن مهاجمة سفن حلفاء الدولة العثمانية مثل الفرنسيين أو أصدقاء هذه الدولة ( العثمانية ) مثل أنكلترا والبنديفة . لقد كانت سفنهم القوية ذات الأشرعة والمسلحة بالمدافع عاملا مهما في تدهور البندقية (1) وكذلك تدهور الولايات التابعة لاسبانيا في البحر الأبيض . وكان الأسبان قد فكروا في الانتقام العنيف من الهب الذي حصل لهم من القراصنة المذكورين ( الانكليز والهولانديين ) ومن الرياس الجزائريين . ولكن خطط الهجوم على الجزائر في مدار القرن لم تأت

1 - انظر الجبر تينانتس A. Tenenti (القراصنة وتدهور البندقية) 1580 - 1615 .

## الفصل الحادي عشر

### الديالة الجزائرية واروبا ، 1660 - 1688

انتج ربع القرن الذي جاء بعد سنة 1660 تميزات حصرية في المؤسسات السياسية والعسكرية الأوروبية ، وهي التغيرات التي سيكون لها على المدى البعيد تأثيرات هامة على جماعات البحارة في شمال افريقية . فنظم الملك الشاب ، لويس الرابع عشر الذي تولى سلطة سلطته عند وفاة مازاران ، كان في الحقيقة استمرارا للأعمال التي قام بها الورديران العظيمان ( الكاردينال ريشليو والكاردينال مازاران ) الدان حكما فرنسا أثناء العقود الماضية . عند كات وزارة الحرب ، ومعها الجيش النظامي الذي يتلقى أوامره من الملك والذي كان ريشليو قد تصوره عندما أدمج مصلحه أمير البحر وشرطه فرنسا في وراثته ، قد ظهرت هي الساعد القوي للحكومة الملكية . ثم ان ظهور الحرية الفرنسية الحقيقية قد وازته صناعة بحرية في كل من انكلترا والأراضي المحيطة ، ويعني بذلك الموانئ البحرية التي بولدت مع أساطيل بحرية لم يكن في مقدور الدول شمال افريقية ان تسابق معها . ومن جهة أخرى فإن حكام شمال افريقية لم يستطيعوا أيضا ان يطوروا بيروقراطية « عصرية » ، شأنهم في ذلك شأن عجزهم عن بناء صن حربية في حجم وقدرة القوات البحرية الأوروبية . وهذا يعني ان تخارة أهم الدول الأوروبية الثلاث ( فرنسا - انكلترا - هولندا ) تصبح « لعبة » خطيرة بالنسبة للرياس ، ما عدا اذا كانت هذه الدول في حرب ضد بعضها البعض .

أصبحت حماية السلطان لهم أقل فعالية - وبالإضافة إلى ذلك فإنه ما دامت السفن التجارية الفرنسية قد نالت أرباحا طائلة من حمل البضائع والمسافرين من آسيا وإيطاليا ، فإن سؤالا أصبح مطروحا وهو هل يمكن للعالم الفرنسي أن يحمي حق الأجانب الموحدين على السفن الفرنسية . لقد كان هذا الأمر مجلبة لثروة كبيرة لكل السفن التجارية والقناصل الفرنسيين في المشرق الذين كانوا يطلبون اثنين في المائة كضريبة قسطنطينية عن كل البضائع التي اشتراها أو باعها التجار المسيحيون ( ما عدا الإنكليز ) في موالي المشرق الشمالي . فهل كانت تلك السفن تحمل بضائع « العدو » وهل كانت تلك التجارة تجارة مهربة ؟ لقد كان من الطبيعي أن يبرر الرئيس المسلمون الاستيلاء عليها بأنها كانت كذلك . فكانت القراصنة العاملون في معظم الأحيان من تونس ، فيرون على أية حيلة تجارية بدون تمييز . ولم يكن لاحتجاج الفرنسيين إلا أثر ضئيل .

وقد حدثت أزمة خطيرة سنة 1604 . ذلك أن شمال افريقية ، مثل كثير من أجزاء أوروبا الغربية . وقع مريسة للحصانة ، وعندما علم أن أصحاب الامتيازات الفرنسيين في حصن فرنسا ( بالجزائر ) كانوا يصعدون إلى فرنسا الحبوب التي كان يجب أن تظم الحرائيرين . حدث هيجان كبير . ذلك أن لامكسارية حرائيرة مدعومة من الرئيس مراد ، ذلك الأمير الحري الشهير ، هاجموا الحصن وأخلوه . ولما احتج هنري الرابع لدى اسطانبول أحاب الجزائريون بالعنف ضد شخص القنصل الفرنسي . ولكن مملكة فرنسا ما يزال لها نفوذ في اسطانبول ، كما أن السلطان ما تزال له القوة الرادعة بحيث حكم بعزل وشنق الباشا الذي فشل في وقف الهجوم على الحصن الفرنسي . ثم وقع السلطان أحمد وهنري الرابع اتفاقا جديدا نص بصراحة على منع بحارة شمال افريقية من استرقاق الفرنسيين أو مصادرة بضائعهم وسفهم . وفي مقابل ذلك ضمن الاتفاق لرئيس شمال افريقية حق اصلاح سفهم في المواني الفرنسية وشراء المؤونة من الأسواق الفرنسية .

ولكن القراصنة المائلين في الموانيء الشمال افريقية والذين لم يتقدموا بهذا الاتفاق ، استمروا في هجوماتهم على التجارة الفرنسية . ولم يكن لهرى الرابع قوة بحرية معالة ، ولذلك منح رخصة لدى بوليبيو de Beaulieu لقيادة قطعة بحرية خاصة ومهاجمة القراصنة في تونس . وقد نجح دي بوليبيو بطاها ناهرا عندما اشرك بقواته مع الأسطول الاسباني - الصقلي في البحر الأبيض في الهجوم على الميناء التونسي ، خلق الوادي . فقد أحرقوا أو أخرجوا ست عشرة سفينة بحرية كانت تعمل أكثر من أربعمائة قطعة من المدفعية . ولذلك بقي القراصنة مدة قصيرة لا يسببون مشاكل . أما الحرائر فلم تاتر بذلك .

إن القطيعة الكبيرة التي حدثت بين فرنسا وإيالة الجزائر قد جاءت بعد ذلك بقليل حول حادث مدافع الصايط سيمون دارر S. Danzer . وقد كان الفرنسيون هذه المرة ، وليس إيالة الحرائر ، هم الذين سلطوا مسلحا يمتد محل شك . وكانت القضية هي تسجعة الممو الذي معه هري الرابع للصايط دارر ، الذي هو رأس قرصان اكسه جرائه في البحر لقب « الرأس السلطان » بين الجزائريين . ويبدو أنه كان من الأراضي المحظوة ( علبسي ) ، ولكن كانت له زوجة تعيش في مرسيلية ، وكان يتطلع الى التحلي عن دوره النشط في الحماية البحرية الجزائرية ، والى التفرغ لحياة أكثر منعة بثرواته الهائلة (2) . وقد حصل دارر على الممو الفرنسي موسط حماية الحروب التي الذين أنقذ لهم ستة منهم من الرق . وقد استطاع أن يحصل أكثر ثروته على سفينة وبحر فهو مرسليا . وكان أكثر حظا من قرصان شمالي آخر يسمى بويل Bonel ، كان قد حو ، به أيضا الى مرسليا في نفس الوقت قطع رأسه . واعتبرا من دارر بالمعاملة الكريمة للحكومة الفرنسية ، قدم الى السدوق دي غيز de Guise . حاكمه الاقليم ، مدفعين من

2 - لم يكن دارر سوى واحد من كثير من هؤلاء الممارين وارد ، بشية ، جوسون ، للانبيد ، غريسي ، ميسي أراس ، سامسون ، دسال ، وجرهم من لهم أسماء انكليزية أو هولندية وعربية . الذين كانوا وملاء له ، وكان بعضهم قد أصبحوا أملاجا ، ولكن آخرين ، مثل دارر ، بقوا مسيحيين ، يقطع الطريق من طريقة الجيش التي عاشوها .

الحاس كانا ، لسوء حظ الحوادث اللاحقة ، معارفين له من الحكومة الجزائرية . ومن الطبيعي أن يطالب الجزائريون الذين هزتهم « خانه » دانزر باعادة المدفوعين .

وقد تطورت الأزمة السياسية ببطء ولكن بثبات . فقد رفض ( عز ) تسليم المدفوعين ، ولكن الحوادث في فرنسا التي لم تكن متصلة بقضية دانزر ، هي التي أحرزت رد الفعل . فقد قتل هري الرابع ، وكانت الوصبة على العرش . ماري دي مديشي ، تعالي من الاضطرابات التي تزعجها في كل من منطقة الراين وباريس . ولكن شيئا لم يقع . ان هذا هو نوع الأزمة التي كان الرئيس الجزائريون ينتظروها . فقد كانت التجارة الفرنسية في البحر الأبيض كثيرة وغنة ومعربة . ومع رفض الملك الفرنسي الاستجابة لطلب الحكومة الجزائرية ، حانت فرصة ذهبية للبحارة . وكان الباشا ، الذي كان يجب عليه حماية حليف السلطان ( فرنسا ) ، يعاين هو الآخر من الصعوبات . المجاعة ، وحدث زلزال ، وتسرّد أو التهديد بالتسرّد من قبل منطقة القنائل والكواغلة ، وهكذا سرعان ما ظهر رجال فرنسون في سوق الرقيق ، وكذلك كانت السفن الفرنسية تباع بحمولاتها في الحرائر كسائه . وسرعان ما كانت خسائر مرميلا تتصاعد الى الآلاف من الفرنك (livres) ، وكان الأرقاء الفرنسيون يطلبون الجحده من مكهم . أما الحرائر فقد دخلت عهدا جديدا من الرخاء .

وقد تعالت الاحتجاجات من طائون . ولكن الجزائريين أصبحوا الآن قادرين على تأخير أو رفض الإحاه . وقام تجار مرميلا بشراء وتسليم خمس سفن شراعة مصوغة في هولاند للانتقام من معذبهم . وتحدث الأبحار بأن قائد تلك السفن هو دي فيسر de Vincheguerre الذي كان أقل نجاحا من بوليو ، ومع ذلك ففي سنة 1617 كان في السفن الفرنسية عدة مئات من « الإمبراك الجزائريين » يسمون كارقاء . ونتيجة لذلك ، وسواء أراد ذلك الفرنسيون أم لم يريدوا ، فإن فرنسا كانت في حرب مع الجزائر ، وكان الحار والبحارة الفرنسيون غنائم تباع في المزاد بهذه المدينة .

وكانت الحرية الانكليزية في مطلع القرن السابع عشر شبه التجربة  
 انهرسية . فقد كانت السفن الانكليزية تادّره في ابجر الأبيض قبل  
 الثمانينات من القرن السادس عشر . ولكن الزايت حصلت على معاهدة  
 مع الباب العالي سمحت للشركة المعروفة باسم شركة المشرق (أو تركيا) (١)  
 برسال قناصل واحراء المعاملات الاقتصادية في مدن الموانئ بالدولة  
 العثمانية . وكان الرياس الجزائريون قد اعصروا في البداية هذه السفن  
 الانكليزية هذا لنشاطهم ، كما أن باشا الجزائر رفض منح السفن  
 الانكليزية وسائل المرور الآمن . بل أنه أخبر ممثل شركة المشرق أنه  
 يتوقع أن يعارقه يستولون على بعض السفن الانكليزية . ولكن هذه  
 الغنائم كانت قليلة ، لأن السفن الانكليزية كانت مسلحة جدا وكانت  
 قادرة في العادة على أن تحمي نفسها نفسها ، والواقع أنه بعد أن نجح  
 خمسة تحارب من الانكليز في توقيع الهزيمة بقطعة من أسطول دوريا  
 Doris سنة 1586 ، أظهر باشا الجزائر « سروره العظيم بهم  
 وأبدى استعدادده للترحب بهم ، ووعدهم موفير جميع حاجاتهم ، معنا  
 على الملا في المدة ( الجزائر ) بأن لا يتعرض اليهم أحد بسوء في  
 أعمالهم أو في أشخاصهم أو في بضائعهم ... ومن يفعل ذلك فقد  
 عرّض نفسه لعقوبة الموت » (3) ورغم ذلك فإن قنصل الشركة المشرقية  
 المسمى السيد تبتون Tipton كان عليه أن يقطن ، سنة 1600 ،  
 في الحي اليهودي ، وكانت له من الأسباب ما جعله يحتج الى الباشا  
 حول نشاط الرياس نحو السفن والحارة الاسكندر ، لقد أصبح الحارة  
 الانكليز أرقاء عندما أسر الحارة الجزائريون أو أعرقوا سفنهم .

ولكن الحذاء كان أيضا . سنة 1600 . في اعدم الأخرى . فقد  
 جاء ضابطان انكليزيان ( قرصافان ؟ ) (٢) سفينة لسمها على أنها غنيمة ،  
 مدعين أنها كانت أسبانية الأصل . وبعد ذلك بقليل طهر في الجزائر  
 الضابط الحقيقي للسفينة المحتجزة وأجبر الباشا أن السفينة كانت

(\*) - هذا التوضيح من المؤلف نفسه : وقد مرر ذلك لأنه متر منطقة المشرق من تركيا  
 الدولة العثمانية (١) ، (المرجع) .

٢ - انظر فيليب جونز Jones اقامة الحقيقة ، 1586 .

\*\*\* - سذكر المؤلف اسم هذين الصائطين بعد قليل . (المرجع) .

مسجلة تحت اسم البندقية وطالته بالعدل . لقد كان الاحتجاز عملية  
قرصة واضحة . وقبل أن يتحرك الجزائريون عند الاسكتلزيين إلى  
أوراق لفظة وكادت النار تأتي على كل النمل لأخرى في المياه .  
وقد كتب سليمان باي (هـ) إلى الزايت محتجا على أن هذا الفصل  
غير انشعري قد حدد المياه وعرقل المداهة انحرارية وبسكن أن يؤدي  
إلى الانقراض من البندقية . أن هذه العداوة وقعت في نهاية عهد البرايت  
ولم يتم خلعها بأي إجراء حول الموضوع بلعوى أن الاسكتلزيين  
المسلمين لم تحت سلطته . وسرعان ما أصبح السلوك الشيطاني بقرصة  
الانكليز الآخرين أصحاب السمن الغضامة ، أصبح فصحة شائعة . ذلك  
أن الصاطين ست Beai ووكولي Buccoli المدين انارا  
الاحتجاج السابق لم يكونا سوى رائدين للمغامرين الانكليز ، أولئك  
انقراض الذين لا يعرفون حدودا لكسب لمذم والذين كانوا يملكون  
في موانئ شمال افريقية منذ توقيع جنس الأول السلام مع أسباج .  
هؤلاء وكذلك الهولنديون . أصبحوا أحيانا أعلاها ونحو أحيانا  
أخرى على المجبة ، ولكن سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين فإن  
تصادف حياتهم وأساط سلوكهم جعلت المسلمين الاتيلاء متأكدين بأن  
المسيحيين كانوا شياطينا واناسا لا سلطان عليهم . وبالرغم من أن سلوك  
هؤلاء ، المتميز بالحق والخمر والنصار قد هز كثيرا من المسلمين ، فإن  
رياس شمال افريقية رحبوا بهم لأنهم علموهم كيف يختارون مضيق جبل  
طارق إلى المحيط الأطلسي حيث استولوا على السمن الانكليزية .

ولم ينتظر الانكليز إلى توقيع ملكهم اسلام مع اسباج لمرمو أن  
سفتهم قد أغار عليها البحارة من الحرائر . في ستمبر سنة 1602 كتب  
كبير أمراء البحر الانكليز إلى الفصل بحرر في مصر في اسطانبول  
يحتج على احتجاز السفينة ( ماريمولد Margold ) في عرض  
المحيط الأطلسي وقد حوالي 1730 حنه سترلي . وبما كان  
الفرنسيون في هذه الأثناء تمكنوا بنفودهم من حمل السلطان على عزل  
وشنق أحد الباشوات ، فإن الانكليز لم يكن لهم مثل هذا التأثير .

(هـ) - كما ذكره : سليمان باي ، والظاهر أنه يعتمد الداي . ( الترجمة ) .

ان صلح جيمس الاول مع اسبانيا قد أنهى ما بقي من حصة للسفن  
الانكليزية ضد المغيرين الجزائريين ، وذلك في نفس الوقت الذي امتنع  
فيه الرئيس ، بمساعدة الإعلاج والمغامرين الشماليين ، أعظم عهدهم في  
الشاط البحري . وقد رأينا أن البحارة الجزائريين كانوا يصرون على  
أن البضائع الاسبانية والمسافرين الأسبان كانوا عرضة للاقتاد ، ولكن  
ذلك كان مبررا كما اذا ما حاولت راية صديقة ( فرنسا ) أن تحمي  
بضائع وأشخاص العدو . وعندما سمحت لهم الحوادث بالنظر الى  
السفن الانكليزية والهولندية والفرنسية على أنها سمن أعداء الجزائر  
لم يعودوا في حاجة الى مرر . وحالما أصبحت سفن هؤلاء البحارة  
عاملة على الجانبين من مصب جبل طارق ، بل أصبحوا يحويون المنطقة  
الواقعة بين جرجر الكناري وايسلاندا ، والى أبعد من ذلك عدد ضفاف  
الصيد من أمريكا الشمالية ، وحد البحارة الجزائريون السفن الانكليزية  
وأسروها بسهولة . واذا كانت شرعية الاحتجاز محل تساؤل ، فان مجرد  
تحرره تهب السمية واسترقاق طاقمها وإرسال السفينة الى قاع البحر  
قد حطم معظم الأدلة . وقد أكد السفير الانكليزي في اسبانيا ، بعد  
السبع السنوات الأولى من حكم حمس ، ان أربعائة وستة وستين  
انكليزي أسرههم الجزائريون واسترقوهم ، سماء لم تفعل الحكومة  
الانكليزية أي شيء نحوهم . وكل ما فعله هذه الحكومة هو منحها  
الترخيصات للضباط البحارة الانكليز ليعرجوا في حملات ضد القراصنة،  
وهي التراخيص التي أعطت لهؤلاء الضباط حق الاحتفاظ لأنفسهم بأي  
شيء قد يقع في قبضتهم ودون دفع أي مبلغ الى السلطات البحرية .

وقد استطاعت شركة المشرق ، من جهة . أن تبعد معظم البحارة  
( الجزائريين ) وذلك بإرسالها فافلة من السفن التجارية المسلحة تسبحا  
حيدا . وكانت هذه السفن الضخمة أكبر مما تستطيع غلويطات  
البحارة أن تتحمل . والواقع أن واحدة من تلك السفن كانت مسلحة  
بستة عشر مدفعا قد قاومت خمس غلويطات « تركية » بقيادة علج  
انكليزي اسمه والسينهام Walsynham وأجبرتها على التراجع .  
ولكن القضية وقعت أيضا معكوسة . ففي إحدى المعارك سقط نصف  
أسطول الصيد المتألف من ثلاثين سفينة فريسة في أيدي البحارة



للجرائير، خارج شوانيه، يوفاو دلايد . وهكذا فانه ابتداء من العقد الثاني للمرد السابع عشر أصبح أسطول الحارة المطلق من الجرائير يشكل تهديدا خطيرا لحركة السفن البريطانية وسفن الدول المتحالفة الأخرى . ولم يكن يظهر أن هناك طريقة سهلة للوصول إلى حل . فقد كتب السيد فرانيس كوسهام *Cottingham* السير الانكليزي في اسبانيا سنة 1617 قائلا : « ان عودة وحراء فراعصة شمال افرقية هذا الآن على هذا اسعو من الصعوبة . سواء في اسعر الأرص أو في المحيط الأسي . واتعهد أني لم أعرف في حياتي شيئا قد حث إلى هذا اللات ( الأساني ) الأسي العمق والحرب الكبير عر هؤلاء الفراعصة . » وكانت هناك اقتراحات في كل من مدريد وباريس لتقديم بحلة بحرية انكليزية - اسبانية مبركة ضد الجرائير . ولكن عندما أصبحت هذه المسألة ممكنة ، راجع الأسان عن العمل لتترك مع الانكليز أعدائهم السابقين .

علم جيش الأول وورداؤه عن هذه لقصة من رعاهاهم لمكوديس . وقبل نهاية العقد الثاني من القرن السابع عشر طالت عدة عرائض من الأرقاء لانكليز باجرائير بسحل الملك . كما طالب عدد من البحارة الانكليز من انقادة الحرية العليا بالحكومة . وقد أعد السيد ولسام *Monson* . وهو بحار فذ في بحر وراءه حصص سنة من الخدمة كما أن به حربه عسفة بأحوال بحر الأرص - أعد مذكرة لحكومة الملك . وكان محبوبا ورئيس بعثة عن انه لا يمكن السيطرة على الرياس البحرية الا بتعاون جميع الدول المتحالفة الأوروبية . سواء كانت بروستانتية أو كاثوليكية . وقد لاحظ ان الحرير كان محروسة . فأعلاجه وشرس بالأسلحة . كان قد بحثوا عن شه وعن القصص . . . « ان كل المحاولات بالفلاح عم هذه المدة قد فشلت . والأمل الوحيد في أي نوع من النجاح جرح أي لتعاون بين جميع الدول الأوروبية . ان هذه الملاحظة مهمة لأن حصص من قديمه لمذكرات حول الموضوع خلال فترة من التناوب قد كرروها . وقد ذهب *Monson* إلى اقتراح خطة ملء فراعج شبة بالمقترح الذي تقدم به تبحر من *Bristol* بريستول . وهو يقوم على أن التبحر من المدن الساحلية

أوروبية يجب أن يرخس لهم في مهاجمة المنش والقري الشمال افريقية  
 وأسر الرجال والنساء والأطفال وبيعهم في أسواق أسبانيا ومالطة ، كما  
 طالب الاقتراح بأن يضمن هؤلاء المحاربين الخواص أن يمتلكوا أي شيء  
 يمكن أن يقع في أيديهم . وأصر مونسون أيضا على أن أي راييس عليج  
 يؤمر يجب شقه في الحال ، وأن أي راييس مسلم لا يطلق سراحه ليعود  
 إلى بلاده . وما يلاحظ أن هذه الخطة تجعل الرياس البحارة ليسوا  
 هم فقط المحكرين للسلوك الخشن .

ولم يتحقق شيء من مقترحات مونسون ، ولكن المارك الدموية في  
 البحر واسترقاق المزيد من الانكليز ( في الجزائر ) أقنع قصر باكنهام  
 Buckingham والمملك بأنه لا بد من فعل شيء . وفي الموضوع ،  
 ولكنهم كانوا قد استعدوا العمل المشترك مع الهولانديين نظرا لمعاملة  
 هؤلاء الوحشية للبحارة الانكليز في الشرق الأقصى . وكان الحل هو  
 حملة كلفها انكليزية متعاونة مع الأسطول الأسباني . ويبدو أن الشركة  
 الشرقية قد وقع التأثير عليها لتضمن دفع التكاليف وهي حوالي عشرين  
 ألف جنيه ، بينما حصل السفير الانكليزي في مدريد على وعود مضمونة  
 بالمساعدة الأسبانية . وغادرت الأرمادة الانكليزية متوجهة إلى البحر  
 الأبيض مكونة من ست سفن حربية عادية وعليها مائتان وثلاثون مدفعا  
 نحاسيا واثنا عشر سفينة تجارية وعليها مائتان وثلاثة وأربعون مدفعا  
 حديديا من العيار الصغير . (4) وكان السيد رويير مانسيل Mansel  
 هو قائد هذا الأسطول من سفينته المسماة ( ليون = الأسد ) ، وهي  
 سفينة حربية ذات حمولة ستمائة طن ، وأربعين مدفعا وطاقم من مائتين  
 وخمسين رجلا . وكانت سفن مانسيل أكثر تفوقا في قوة الطلقات النارية  
 في مقابل أي نوع يمكن أن يقابلها به بحارة الجزائر ، ولكن سفن

4 - بحلول سنة 1620 كانت صناعة الحديدية الانكليزية تصنع المدافع الحديدية بكميات  
 كبيرة ، وكانت أكثرها أكبر البندان المنحثة للمدافع الحديدية في أوروبا ، فم أن  
 المدفع الحديدي كان خطرا على الطاقم الذي يطلقه لأنه كان كثير الانعجار . أن أوروبا  
 حتى ذلك الحين لم تعلم بعد كيف تصنع الحديد دون التعرض لاحتراق كبيرة . ولكن  
 مدفع النحاس أو مدفع التوت (Fonte) كان أفضل من ذلك بكثير ، فهو لا يصدأ  
 كما يصدأ الحديد ، كما أن انفجاره كان باهرا .

هؤلاء كانت أسرع وأكثر سهولة في القيادة . ولذلك من أي تفوق  
لطلقات الدرية الانكليزية كاد يصبح معدوما .

١. وصل مانسيل أمام الجزائر في آخر شهر نوفمبر سنة 1620 ، ولكن  
هذه العملية كانت بدون نتيجة . فقد سارع الباشا بأرسال كلفت بمسولة  
حول « تعليمات رئيسه ( السلطان ) بمعاملة الانكليز بمكسل صداقة  
واحترام » . وحتى عندئذ ورغم وجود السفن الانكليزية رسية أمام  
مدينة الجزائر ، فإن أحد الرياس الحزازيين جاء مسيبتين انكليزيتين  
على أنهما من الغنائم . وقد أعلن الناس في الحال بأن المسيبتين  
ستطلقان . وفي الثالث من ديسمبر وحمل أسطول أسباني يتألف من  
ست سفن حرية وأطلق أرمبا وسبعين قبلة على المدينة . وردت عليه  
مدفعية الميناء ، ولم يصب أي طرف بخسارة ، كما أن الانكليز لم يقدموا  
أي مساعدة للأسبان . وبعد عدة أيام أبحر مانسيل متجدا حين أنذر  
بطقس باقتراب عاصفة . وقد نجح في تحرير حوالي أربعين من الأرقاء  
الانكليز ، جميعهم كانوا مسين ، بما بقي المئات الآخرون من الانكليز  
في الجزائر .

ذهب مانسيل الى أسبانيا للتشاور ولجمع حطة يستعمل بمقتضاها  
السفن الأسبانية لحجب الزوارق البارية ووضعها في شكل يتم به  
أحراق الأسطول الحزازي . ولكن حدثت مرحلة من سوء التفاهم .  
فقد ظهر أسطول هولندي أمام ساحل عن أسبانيا أنه ينتظر انتهاء  
هدنة الاثنى عشر سنة مع أسبانيا . وقرر قائد هذا الأسطول عملية  
مشتركة مع مانسيل ضد الحزازيين . ولكن الأسبان فهموا الهدنة أن  
لخطة تعنى عملا مشتركا للهجوم عليهم هم حالما تنتهي الهدنة . وفي  
النهاية لم يتقدم لا الأسبان ولا الهولنديون بأية مساعدة لخطط  
مانسيل . وقد حاول أن يحرق الأسطول الحزازي بنفسه ولكن الرياح  
كانت معاكسة له ، ولم تكن مراكمه المدبوعة بالمطاديف قوية بما فيه  
الكفاية لوضع الزوارق البارية في الشكل المناسب . وأخيرا انسحب .  
وتذهب جميع الآراء الى أن حملة مانسيل كانت فاشلة فشلا ذريعا ،  
ويظهر ذلك من جميع الكتابات التي كتبت عن هذه الحملة ما عدا ما كتبه

حوليان كوربيت J Corbett الذي برز ما قام به مانسيل ، مع ذكره للاهظة كانت في الواقع أكثر دلالة على كوربيت لا على الحكومة الانكليزية سنة 1621 ، فقد كتب قائلاً : « أن الحكومة الانكليزية لم يكن لها أية للمعاملة بأسطول ومهاجمة أكثر أعداء أسبانيا قوة بطريقة مستعجلة » . فإذا كان هذا الرأي صحيحاً فلماذا أرسلت الحكومة الانكليزية حملة مانسيل الى الجزائر منذ البداية ؟

ان الرد الامكليزي على استرقاق الانكليز ونهب السفن الانكليزية يبدو ضعيفاً حقاً ، ولكن البحرية الانكليزية سنتي 1620 — 1621 كانت ضعيفة وكانت الخربة الانكليزية غير مستعدة للقيام بعملية طويلة المدى وغالة الثمن وبميدة على الشواطئ الانكليزية ، ولا سيما اذا كانت عملية موحدة ضد عدو من الصعب الحصول عليه . وبالإضافة الى ذلك فإن جيمس الأول كان عندئذ أكثر اهتماماً بمصر ابنته التي طرد زوجها المسمى « ملك الشتاء » وهو فريدريك اللاتيناتي Palatinate

من بوهيميا في نفس تلك السنة ( 1620 — 1621 ) . كما كان يشرع الى تروبيج ابنه شارل من أميرة اسبانية من عائلة الهابسبورغ . ان الرياس البحارة كانوا حقاً يشكلون تهديداً ، ولكن في تلك اللحظة كانت الأحداث في أوروبا ( حرب الثلاثين سنة ) أكثر خطورة على ملك كان يريد قبل كل شيء الاحتفاظ بالسلام لمملكته والأمن لعائلته وعرشه . وقد أجاب الرياس البحارة على هذا الضعف الانكليزي . لقد كتب كاتب الدولة بورشل يقول : « انه ما كاد السيد ريتشارد ( مانسيل ) يظهر عائدًا حتى أسر هؤلاء البحارة أربعين سفينة كاملة تعود الى رعايا سده ، كما سُتوا الغارات على السواحل الأسبانية بحدة لم يمارسوها من قبل » .

وهناك حادث حدث أثناء حملة مانسيل يعتبر هامشاً مهماً يمكن الوضع في كل من انكلترا والجزائر . فقد طلب الباشا عندئذ أن على مانسيل أن يعين قنصلاً . ولكن أمير البحر (مانسيل) لم يكن لديه

١٥٠ - سور أن اسمه روسر وليس ريتشارد مانسيل (مترجم)

شخصية « مناسبة » لهذا المنصب . ولذلك ألبس « رجلا عاديا » لباس رجل مذهب ووضعه على الشاطيء وأعطاه مائة جنيه في جيبه . ونحن لا نعلم ماذا حدث فعلا للسيد ريتسارد فورد (Foorde) (القنصل المقيم) . ان مكتب السجلات العامة (PRO) بريطانيا يحتوي على رسائل منه تخبر عن الأحوال السيئة للأرقاء الانكليز وعن صرفه للمائة جنيه في محاولة انقاذ بعضهم ، وعن وضعه الشاذ وهو بدون نقود ولا أصدقاء . فقد كان يواجه عداء الباشا ، والجوع ، ومعيشة « لا تكاد تكون أفضل من معيشة الأرقاء . » وليس هناك دليل على أن الحكومة الانكليزية قامت نحوه بأي شيء . ومن الواضح أن « رجلا عاديا » ، يمكن الاستغناء عنه ، ولكن في السنة الموالية قررت الحكومة الانكليزية فعلا ضرورة عقد معاهدة مع الجزائر ، وتعين قنصل انكليزي ليسهر على التجارة الانكليزية ، وليحاول الحصول على حرية الأرقاء ، ويمنع الانكليز من أن يصبحوا أعلاحا ، وأخيرا يحافظ على الجزائر حتى لا تنضم الى أعداء انكلترا في حالة وقوع حرب .

قام السيد توماس روي Roe ، السفر الانكليزي لدى الباب العالي بمقعد معاهدة مع « أولئك في الجزائر » خلال مارس سنة 1622 ، وهي المعاهدة التي يفترض فيها أنها حققت السلام بين الدولتين على دعائم ثابتة . فقد نصت على تعيين قنصل انكليزي في الجزائر ، وعلى أن التجار الانكليز سأتون بالأفمشة وغيرها من البضائع (المعدات الحربية) الى الجزائر لبيعها . ووافق الملك الانكليزي على إعادة شراء سبعة عشر « تركيا » كان مانسل قد باعهم في أسبانيا مبادلة مع عدد مشابه من الأرقاء الانكليز في الجزائر . وكذلك يمكن تحرير أرقاء آخرين انكليز عن طريق الشراء . وقد وافق الملك جيمس الأول على المعاهدة ، وعين جيمس فريزل Frizell ليكون قنصلا . وكان راتبه ، الذي كان تحت مسؤولية شركة المشرق ، قد دفع له مدة سنتين فقط . وتدل رسائل فريزل التي بعث بها أكثر من عشر سنوات بعد سنة 1626 على أن الشركة لم تدفع له ، وأن الملك لم يفعل شيئا لجعلها تدفع له راتبه . كما أن طلبات فريزل بتعيين قنصل آخر مكانه لم تصادف نجاحا . ويبدو أن سبب اهمال الشركة له يعود الى أن تجارا آخرين لا صلة لهم بالشركة

التركية (\*) قد تسربوا الى التجارة بالجزائر ، ولذلك ترك القنصل  
وشأنه ليجد دعما لنفسه من الرسوم القنصلية .

ولم يكن طريق فريزل طريقا سهلا . ذلك أن الجزائريين قد عقدوا  
السلام مع أنكلترا ، حسبما شرح ذلك الباشا في رسالة منه الى جيمس  
الأول ، لأن السلطان أمر بذلك ، وأنهم كانوا مجبورين على « طاعة  
أوامر الله ورسوله وسيدهم السلطان » ولكن سرعان ما تقدم الجزائريون  
شكواهم . فخلافا لنصوص المعاهدة كان التجار الانكليز يقتلون بضائع  
العدو ومسافريه من مرسى الى آخر وقد رفضوا تسليم الجميع عندما  
طلب البحارة الجزائريون منهم ذلك . وكان ضباط (\*\*) البحر الانكليز  
يأسرون ويبيعون الأتراك والجزائريين كأرقاء ، كما أن الأتراك  
الجزائريين السبعة عشر الذين باعهم مانسل في أسبانيا لم يرجعوا الى  
الجزائر . ان وثائق مكتب السجلات العامة لم تحب على هذه القضية .  
فهل أن أولئك الرجال لم يقع شراؤهم أبدا من حديد ؟ اننا لا نعرف  
ذلك . لقد كتب الباشا الى جيمس يقول : « لولا ذكاء وحكمة خادمتكم  
المخلص جيمس فريزل ... لكان لذلك نهاية أكثر تعقيدا » ورغم  
ذلك فإن حكومة الملك لم تقدم لفريزل أي تعريض عن خدماته بالرغم  
من أن هذه الخدمات ستستمر مدة طويلة بعد ذلك .

ان معاهدة السد توماس روي التي أنهت الحرب الأولى بين أنكلترا  
والإمالة الجزائرية متصبح القاعدة التي قامت عليها كل الاتفاقات المقبلة  
بين البلدين . ويدو أن السد روي ، كان خجولا كثيرا من التعامل  
مع الجزائريين الذين كانت ثقافتهم وطرقهم السياسية أدنى بكثير من  
الثقافة والطرق السياسية لوزراء الباب العالي باسطنبول ، ولكنه تحققا  
للسلام كان عليه أن يتعامل مع « أولئك في الجزائر » ، وأن يوافق

(\*) - هكذا يسمى المؤلف شركة الليغانت (المشرق) أحيانا . (المترجم) .

(\*\*) - اذا ذكر المؤلف رؤساء البحر الأروسي فإنه يسميهم (ضباط) أمير البحر = أدميرال  
البحر ، بينما اذا ذكر رؤساء البحر السطحي فإنه يسميهم البحارة ، وفي احيان  
الأحوال يسميهم «الرئيس» (المترجم) .

على تعيين قنصل كان في الواقع مثلاً ولكنه كما كان مثلاً لمصالح  
الشركة التجارية العاملة في المشرق . ان معاهدته كانت اول اعتراف  
من قبل الحكومة الانكليزية بأن الجزائر كانت من حيث الواقع ، ان لم  
تكن بالمعنى الشرعي المعاصر ، مجتمعاً شبه مستقل ، وعلى رجال الدول  
الأوروبية أن يعاملوا مع هذا المجمع حتى ولو كانوا ينظرون الى  
المفاوضات مع « مثل هؤلاء الناس » أقل درجته من كرامة أمير أروبي .  
وهناك دول أخرى ذات تجارة في البحر الأحمر ستعطر أيضاً قريباً  
الى الاعتراف بالوضع الحقيقي في الالة الجزائرية ، وأن تدوم مباشرة  
مع النasha ، والآغا ، والدونان بدل الباب العالي باستدول .

ولم يصبح الهولنديون مدخلي بنق في تجاره ابهر الأبيض الا  
في السنوات الأولى من القرن السابع عشر ، ولذلك لم يكتشفوا  
الصعوبات التي يصعب بحرية شمال إفريقية أمام الحكم الأوروبيين الا  
بعد الفرنسيين والانكليز . وكانت ثورة مدرلاند المتحدة ضد حاكمها ،  
الذي صاوغ أن كان هو ملك أسبانيا والبرتغال ، قد جعلت تجارة شه  
جزيرة إيبيريا هدف طمعاً للمارة الهولنديين انخواس . لقد كان  
هؤلاء مزودين بمثل الاعتماد . وكانوا يملكون المنطقة الواقعة بين  
القبال الانكليزي ( بحر المشرق ) ونهب المحادية لأروما سواء من جهة  
العالم الحديد أو ارضية . وأجراً أجروا بعضهم حول إفريقية الى  
الهند وما وراءها . وبحلول السنوات الأولى من القرن السابع عشر  
كان البحار وأصحاب اسوك الهولنديون قد أقاموا في عالم التجارة  
والاقتصاد نظاماً واسعاً متشابكاً جعل من مدينة أمستردام مركزاً لكل  
تجارة أوروبا الشمالية . فقد ساهمت عليها البضائع من الشرق ، والشرق ،  
وبحر روسيا البيضاء . والمواشي الفرنسية على المحيط الأطلسي وخليج  
بيسكي ، ومن ألمانيا . ومن انكليز ، وكانت هذه البضائع كلها تصنف ،  
وأحياناً تدخل عليها تعديلات ( كانت الخمر تترج بالماء ا ) ثم يعاد  
تصديرها . وكل ذلك في السفن الهولندية . ان هذه الامبراطورية  
التجارية أجبرت الانكليز على التوجه الى أمستردام لشراء البضائع  
السويدية والألمانية والروسية والفرنسية والشرقية . ومن جهة أخرى فإن

الفرنسيين والألمان والروس والسويديين وغيرهم لم يتاجروا مع بعضهم  
لقد كانوا يرسلون بضائعهم إلى أمستردام ( في السفن الهولندية )  
ويشترون بضائع العالم من أمستردام . وكانت أسعار الحاس والزك  
والصوف والرصاص والبارود والخمر والجبن ، ومئات من أنواع  
البضائع ، كلها كانت تقرر في أمستردام ، كما كان ضباط البحر  
الهولنديون يحملون هذه البضائع من العالم إليه . فإذا أخذنا في  
الاعتبار هذه الامبراطورية الواسعة فإنه ليس من الغريب أن يظهر  
الهولنديون في حوض البحر الأبيض حائلا سمحت لهم قوتهم العسكرية  
باحراز مضيق جبل طارق لمهاجمة عدوهم ، أسبانيا ، من الخلف . وكان  
اولئك المحاربة الهولنديون الأوائل ، مثلهم مثل البحارة الانكليز ،  
جميعهم كانوا بحارة من النوع الخاص الذين غالبا ما وحدوا من السهل  
عليهم أن يصبحوا قراصنة . وقد عانت السفن الفرنسية والبندقية ، كما  
عانى رعايا الدولة الاسبانية من برشلونة إلى نابولي ، من هؤلاء الغزاة  
الذين كانت سمعهم عالية الحواب . وكان كثير من هؤلاء المغامرين  
الهولنديين قد اكتشفوا ، كقراصنة ، أنه بإمكانهم أن يعملوا من موانئ  
شمال افريقية بالتعاون مع البحارة المسلمين .

وبعد سنة 1609 جاء الهولنديون أيضا عبر مضيق جبل طارق  
ليشتروا ويبيعوا بدل محاربة عدوهم السابق . أسبانيا ، كما أن  
الهولنديين سرعان ما أصبحوا باعون في أسواق الرقيق بتونس  
والجزائر ، ومن ثمة كانت البضائع والسفن الهولندية تؤخذ كغنائم .  
وقد حاول حكام نيدرلندا المتحدة في البداية أن يحدوا بحارة شمال  
افريقية بمعاهدة مع السلطان شعبة بالمعاهدتين اللتين وقعهما مع الفرنسيين  
والانكليز . فمعاهدة سنة 1612 تعهدت لرجال السفن الهولندية بعدم  
أمرهم من قبل بحارة شمال افريقية ( طالما أن الهولنديين لم يلجأوا إلى  
أعمال القرصنة ) ، كما تعهدت بأن يجد أهل شمال افريقية ملجأ في  
الموانيء الهولندية وفرصة لشراء المؤن البحرية والحرية . وقد نصت  
المعاهدة بالخصوص على منع بيع الهولنديين في اليونان أو آسيا  
الصفرى . وكونها لم تشر إلى شمال افريقية بدل ، فيما يبدو ، على



أن الباب العالي قد اعترف بأن سلطته كانت هناك أقل من المطلق القريبة من عاصمة السلطان . أن هذه المعاهدة مع السلطان لم تمنح ، ولم تستلح أن تمنح حصول الصعوبات بين المصالح التجارية الهولندية والصناعات البحرية المغربية . (٥)

أن الهولانديين لم يمودوا « حلفاء » الجزائر ضد عدو مشترك (اسبانيا) ، بل أصبحوا يتظلمون إلى المتحرة مع الموانئ الأسبانية . وكان صباط البحر الهولانديون مستعدين لنقض الصنائع الأسبانية وحمل المسافرين الأسبان من مرسى إلى آخر . ولم يكن يوجد قانون دولي معترف به يحل هذا المشكل . ومع ذلك فإن الهولانديين كانوا دائما يصرون على عدم تدخل الحرب في المصالح التجارية . وما داموا مستعدين للتجارة سواء مع العدو أو الصديق في أي وقت فاهم كانوا يريدون أن يحمي عليهم كل الصنائع وكل المسافرين في سمهم هم (5) . أما الرياس الجزائرية فقد أصرروا على حقهم في مقصورة صنائع عدوهم واسترفاق رعاياه حيث يوجدون مها كات انفس نبي كانوا عليها . ولم يكن ذلك هو المشكل الوحيد . فالجزائريون لم يقلوا ، عن رضى . الحصانة التي أعطتها معاهدة السلطان لنفس والتجارة الهولانديين . ذلك أن السفن الهولاندية كانت تسمى مرة بأنها . حلالا للنفس لانكليزية اننى كانت كمارها مجله تأسسها نعله . كانت في العادة سفنا صغيرة مسلحة بسلح خفيف ما يحميها هذه سفلا للرياس البحارة . وهكذا ، فانه رغم المعاهدة المذكورة . من الجزائريين قد استولوا بين سنوات 1613 و 1622 على أربعين وسبعة وأربعين سفينة هولندية كغنائم . حقا أنها كانت في معظمها سفن صغيرة ولا تشكل سوى نسبة ضئيلة من مجموع السفن الهولاندية العاملة في البحر . ومع ذلك فقد

٥ - هذا ما ذكره المؤلف «المقدمة» لرحم

5 - كانت قوانين الحرب البحرية في القرن السابع عشر غير محددة جدا . بعد كان الهولانديون يرمون دائما في التمسك بالمعاهدة وهي أن السفن المحايدة تحمي كل الصنائع . أما الجزائريون ، وانكليز فيما بعد ، فقد أصرروا على حق مصادرة الصنائع المهربة . وهو يعرف ما هو الشيء المهرب .

كان الاستيلاء عليها يشكل خسارة وكان التجار بأستردام يريدون جعل  
حد لذلك .

وفي سنة 1622 تجاوز الهولنديون السلطان وعقدوا معاهدة مع  
« مدينة ومملكة الجزائر » ، ولكن البحارة الجزائريين ، الذين كانوا  
غير مستعدين لتفويت الفرصة على الفنائم الضخمة ، استمروا في الاستيلاء  
على السفن الهولندية . ولذلك ظهر سنة 1624 أسطول هولندي في  
البحر الأبيض واستولى على عدد من السفن الجزائرية ثم أرسى أمام  
الجزائر . وقد طلب قائده ، أمير البحر لامبير Lambert ، إطلاق سراح  
جميع الأرقاء الهولنديين واحترام المعاهدة المتفق عليها . وهدد بأنه في  
حالة الرفض سيشتق جميع من كان معه من الأسرى . وقد قرر الباشا  
والآغا والديوان بأن ذلك منه كان خديعة ورفضوا التهديد . وعند  
رفضهم سارع لامبير بشتق الأتراك الجزائريين الذين كان قد أسرهم ،  
على سواحي سفسه - ثم أبحر مبتعدا . وحالما أسر جماعة أخرى من  
الأتراك ( الجزائريين ) والجزائريين ( ) رجع وقام بنفس التهديد . في  
هذه الأثناء قام أهل مدينة الجزائر بالاحتجاج بقوة حتى أن الحكومة  
بادرت إلى إطلاق سراح الأرقاء الهولنديين والسفن الهولندية التي كانت  
ما تزال محتجزة وأعلنت أنها مستعدة لعقد معاهدة جديدة . أن معاهدة  
يناير سنة 1626 قد أكدت على ما جاء في المعاهدة السابقة مع إضافة  
بعض البود القليلة .

أن المعاهدات الهولندية مع الجزائر تعتبر وثائق هامة لأنها تصور  
شكل صارخ المشاكل التي كان أمراء أوروبا الشمالية يواجهونها مع  
البحارة الجزائريين . وأول مشكل كان مطروحا « للحل » هو حق السفن  
الحايطة في حمل بضائع وأشخاص عدو الأيالة الجزائرية . وقد نصت  
المعاهدة على أن البحارة الجزائريين يحيون السفينة الهولندية ، وعندما

1) - كلمة « الجزائريين » الأولى استعملها المؤلف ، وكلمة « الحراريين » الثانية ترجى  
بها كلمة Moors التي استعملها المؤلف . لأن تفريق المؤلف هو بين الشماليين  
والحراريين ، بالترجمة .

بعض السيرة علمها يرسل البحارة عددا قليلا من الاشخاص بمصدوقه  
 ويحصون حمولتها وركابها . فادا وجدت بضاعة للعدو مهربة على السيرة  
 يمكن مصادرتها بعد دفع اجرة النقل الى البلد الموجهة اليه . وادا  
 وجد ركاب هم من رعايا العدو على سهرها فانه يمكن اسرهم . غير انه  
 لا يمكن أسر الطاقم ولا الركاب غير الأعداء أو حجز أي بضاعة تعود  
 الى بلدان محايدة . ونصت المعاهدة صراحة أيضا على منع أي معاملة  
 حشنة أو قاسية لأي عضو من الطاقم لاجباره على « الاعتراف » بوجود  
 بضاعة أو أشخاص « أعداء » على ظهر السفينة . ذلك أنه كان شائعا  
 أن البحارة الجزائريين يتجاوزون الى صرب أعضاء الطاقم للحصول منهم على  
 اعترافات تؤدي الى المصادرة أو الاحتجاز . كذلك نصت المعاهدة على  
 اقامة منصب « قنصل سفير » في الجزائر مع اعتبارات خاصة بوصفه .  
 وقد سبق أن رأينا أن الجزائريين كانوا يحصلون عاليا القنصل مسئولة  
 ما يرتكبه مواطنو بلاده سواء كان العمل مادرا من راسين أو من أشخاص  
 عديدين . فكان القنصل أحيانا يؤثق بالعديد ويسجن ، وفي حالة قطع  
 العلاقات فعلا مع بلاده . تصبح حياته فيها في خطر . وفي هذه الحالة  
 كما يعتبر نوعا من « الرهينة » ولا يسمح له حتى «المصعود الى سفينة  
 حربية دون المصادقة مع « رهينة » أخرى . أما في المعاهدة الهولندية فقد  
 اتفق على السماح للقنصل بمدة المدفوعة بحرية . وأنه لا تحمل مسئولة  
 أعداء مواطنيه أو بصرف مبالغ لبحر الهولنديين الخاصين . (١) كما نص  
 على السماح له بامتلاك أصول . « لسر بحرية خارج المدينه ( الجزائر ) .  
 وأخيرا فانه في حالة وقوع حرب بين الأعداء المتحدة ( هولاندا ) والجزائر ،  
 يسمح للقنصل بمغادرته البلاد في سلام . ان كل هذه الامتيازات كان قد  
 منحها — وان لم تكن دائما محترمة — اسطنبول العثمانى الى السراء  
 الأوروبيين . وها هي المعاهدة الجزائرية — الهولندية الآن نجعلها تنس  
 لقنصل في الجزائر . وهكذا فان الهولنديين في الواقع كانوا بذلك  
 يعترفون « بالدولة » في الجزائر على أنها ، على الأقل ، شبه دولة ذات  
 سيادة .

١ - البحارة المراسلون - القرائنه غير الرسمية أو الأحرار المرحوم

وهناك سود أخرى في/المعاهدة تتعلق بحقوق واميازات التجار  
 العاملين في الجزائر . وقبل كل شيء تحبس الجزائريون عن ممارسة  
 المعادة في اجبار السيرة التجارية على ارسال اشعتها وحبالها الى ارضة  
 المياه « للاحتفاظ بها في ماس » اي أن تسمح رخصة المفادرة . وقد أصبح  
 التجار الهولنديون غير مطالبين « بقرص » الدراهم الى المسؤولين  
 الجزائريين . ولا يحاسرهم على دفع العربة الجبركية الا على انفاق  
 اني اشترت او تمت فعلا . وقد تمت المعاهدة صراحة على السماح  
 لهؤلاء التجار ببداله بضائعهم بالمتوحات المحلية . وفي صورة ما اذا لم  
 تب البضائع المنتزة بش البضائع المبيعة ، يسمح لهؤلاء التجار بقول  
 الدراهم نقدا وحملها معهم . كما نص صراحة على السماح لهم باستيراد  
 « المواد المصنوعة » وهي البارود . ومعدات الرصاص والعتات النارية .  
 والحديد الاسف والرمادي والرنك والرصاص ، والمدافع . والمجاذيف ،  
 والاشربة واحبال ، والاسلاك . ان هذه المواد كانت تاطبع « مصنوعة »  
 على التصدير ولكنها كانت محل ترحيب كبير ناسه للاستيراد . وكان  
 التجار الهولنديون مسوحا بهم أن يعاملوا في السمك المعروف بسمك  
 الرنكة Herring . والحس . والريدة ، ومشروب اجرا ، وغيرها من  
 انواع الأغذية . كما لا نساء معاملة التجار والفلوقم من قبل أي شخص  
 ما داموا في الجزائر .

وهناك مشكل آخر ساوله هذه المعاهدات وهو يتعلق بحياة وامكانية  
 استعمال الأرقاء الهولنديين . فقد سمع المعاهد تحرير أحد الأرقاء اذا  
 كان مشروطا بالخروج في حملة مع راس حرايري . ما عدا اذا أعلن الرقعة  
 في نفس الوقت تحليه عن ديه . ومن الواضح أن ربح البحر الهولنديين  
 كانوا أكثر مهارة في معالجة السفن ذات الصواري الطويلة والاشربة  
 الكبيرة ، وهذه المهارات كان بحارة الجزائر في أشد الحاجة اليها . وفي  
 نفس الوقت سمعت المعاهدة انزال الأرقاء الهولنديين إلى الاعلاج الهولنديين  
 في حالة ما اذا لحاق احدى سفن البحارة الجزائريين الى مرسى يقع تحت  
 السلطة الشرعية للأمير أورنج of Orange . ان هذا الاجراء يعتبر  
 حماية للملاكين الذين يملكون الأرقاء ومحافظة أيضا على حياة الاعلاج  
 الذين قد يقتلون اذا وقعوا تحت السلطة المسيحية .

ان معاهدة سنة 1626 قد أكدت ما جاء في معاهدة سنة 1623 التي وقعت مع الباب العالي ، مع وجود معادلة هامة لضمان المحافظة عليها . فقد صر الباشا وكبار المسؤولين في الايالة الجزائرية على أنهم قبلوا هذه المعاهدة بدون « خيانة ولا خداع في قلوبهم » وأن أي اختلال بها سيكونون هم المسؤولون عنه . وكان من المتوقع أن « يقسم » رعايا أمير أورنج ، من جهتهم ، « أمام الله » على أنهم لا يحملون بضائع ولا ركابا أسبانا . لقد كان هذا أمرا سهلا على الهولانديين في ذلك الوقت لأنهم كانوا منمكنين من جديد في صراع آخر يائس مع أمراء الهابسبورغ ، وهو الصراع الذي سيدوم الى منتصف القرن . (6)

وقد اكتشف الهولانديون ، كالانكليز ، أنه لا يمكنهم نيل أي مظلمة من مظالمهم في اسطنبول . فقد أصبحت الايالة الجزائرية تسيطر على سياستها الخارجية الخاصة ، ومن ثمة فإن أي مفاوضات ناجحة يجب أن تتم في الجزائر نفسها .

وقد لاحظنا سابقا أنه في نفس الوقت الذي اكتشف فيه الملك الانكليزي والأوصياء الهولانديون أن معاهداتهم مع السلطان العثماني لم تضمن سلامة سفنهم ولا سلامة رجالهم البحريين من غارات بحارة شمال افريقية - وقع الفرنسيون أيضا في مشاكل مع الجزائر حول المدفعين الحاسيين اللذين أهداهما الضابط دانزر الى الدوق غيز . لقد كان لتجار مرسيليا مشاكلهم مع فراصنة الطرق الداخلية وبحارة الجزائر حتى قبل وصول دانزر الى مينائهم ، ولكن حين رفض الدوق دي غيز إعادة المدفعين ، تحول الوضع الى حرب مكشوفة بين المملكة الفرنسية والجزائر . ان هذا الوضع كان مرضيا جدا للرياس الجزائريين . فالسفن الفرنسية العاملة بين مرسيليا والمشرق كانت غنائم سائغة ، وكانت سهلة الأسر نسبيا لأن السفن الفرنسية كانت صغيرة وقلما كانت تتحرك في قافلة . وكانت صيحات النجدة مرسيليا قد سمعت في باريس ، ولكن ماري دي مديشى كان لها كثير من المشاكل الأخرى التي تهز اياالتها ( وصايتها ) مما جعلها لا تعطي اهتماما كبيرا للجزائر ، ( بعد اغتيال هنري الرابع سنة

6 - ان هذه المعاهدات موجودة في ديومون Dumont ج 2/5 ، ص 413 - 415 ، 485-487 .

1610 . أصبحت ماري دي مديسي هي الوحيدة على العرش عن اسمها  
اليوم ، يومس الثالث عشر ) .

ولكن حكومة دي مديسي لم تكن الوحيدة التي تعاني من المشاكل .  
ماشيا لجزائر اندي كان عليه أن يحمي الفرنسيين من سرقة الراس .  
دات يستمع الى صايد بحرته بدل ورواء اسطاسول ، لأن الحزازير كانت  
تدعى من المعانة والزبون وتورد القائل ، وكان على الناس ان يركزوا بسلامته  
كل جهوده في الانباء على سلطته المتلاشاة . وهكذا رخص ماريان في  
الاستيلاء على الثنائيم الفرنسية وان يسبوا الفرنسيين في سوق الرقيق  
والحزازير رغم أن للفرنسيين معاهدة صداقة مع السلطان .

ومعانة أصبح بشكل مفرط الإرقاء الفرنسيين في الحزازير أكثر استيلاء  
وأكثر نقدا . فمدمر داتير حمل فرنسا في حرب مع الحزازير رغم أن فرنسا  
كانت دولة ذات أمثلة في اسطاسول . لقد كان الأمر خطيرا حقا ، لأن  
الرياس الصخرة أعدوا في الاستيلاء على السس التحديدية الفرنسية على  
لطاق واسع . وعندما تصاعدت خسائر تجار مرسيليا ، فقدوا ثقتهم في  
قوة الأسطور الصخر الذي تقوده جان دي ميسمير وطاسوا بوحسب  
المساعدة من حكومة الملك . ولم يجد المشرورون في مرسيليا طريقا غير  
سريع طلب المساعدة من السلطان . وقد ترحى السعير الفرنسي باسطنبول  
الحصول على المساعدة ضد تدخلات أولئك اربعا العثمانيين المتحدين في  
ساحل شمال افريقية . وبدوا أن السلطان كان مستعدا للاستماع ، وكان  
ما يزال له ، كبرهت الحوادث ، بعض التأثير في الحزازير ، لأنه عندما  
حصل مبعوث بركي الأوامر بضرورة مقاومة دات الحزازير مع الفرنسيين  
من أجل السلام ، وافق الدات والديوان على ذلك . وكانت سلطات الناسا  
سنة 1617 ، ما يزال قوية بما فيه الكفاية بحيث سمح له بمناقشة عبارات  
السلام مع ممثل ملك فرنسا . ولكن الحكومة الملكية بباريس ، التي  
حصلت على تدخل اسطاسول . لا ترغب في التعامل مباشرة مع الناسا  
والآغا والديوان في الحزازير . ان هذه « السلطان » بمدينة البحارة  
( الحزازير ) لا تمثل سوى حكومة اقليمية ، وهكذا فانه لا يجوز أن  
تفاوض معها سوى سلطات اقليمية فرنسية بدون الشعور بأهمية

الوجه ، بذلك أرسل الدوق دي غيز ، بإعبيره حاكم نيم برومسي  
 وصاحب الالتزام في حصن فرنسا ( بالقالة ) - أرسل الدوق دلمان  
 d'Allemagne ليعاوض على معاهدة في الجزائر - والواقع أن هذا  
 يعني الاعتراف الصريح بأن الجزائر كانت لها سيادة وسيطات قد لا تكون  
 هي نفس سيادة وسيطات الباب العالي ناسطابول ، ولكن ملك فرنسا  
 لم يعترف بذلك وبأن أياالة البحارة هي في درجة مساوية معه - ومارت  
 المدونات في بطنه ولم تأت نتائج مرمية سام - بالإضافة إلى ذلك فإن  
 أول علامة لعودة الآراء الأتراك قد أساء قائد البحرية الفرنسية التصرف  
 معها ، بعد قتل في المحافظة على الأسرى تحت ظفر لأهيم ، بساطة ،  
 حتفوا في الزحام بمدينة الجزائر - ولم تأت الاحتجاجات الفرنسية نتيجة -  
 وكلا الطرفين تمسك سوء البية - ولكن بحلول سنة 1619 أكد الجزائريون  
 للملك الفرنسي بأنهم مستعدون للتفاوض - بعد أن حرصهم السلطان على  
 ذلك ، وأن « لهم الرعة في عدم المساس بمواد التزلات ... » ولكن  
 لدوق دي غيز كان أقل تأكدا من ذلك - فقد كتب يقول : « ن الملك  
 قد وجد من الصعب عليه أن يثق في كلمتهم .. فقد أسدؤوا استعمال  
 أوامر سلطانهم - ومع ذلك فإنه ما دام لا بد من إيجاد طريقة ما لحصل  
 البحر آمنا للتجارة الفرنسية ، فإن الملك الفرنسي سجد طريقا لأنه  
 المشاكل المتعلقة منهم » (7)

وأخيرا صيحت معاهدة ووجه بعد حراري إلى فرنسا لوضع الحب  
 الأخير على السلام ، ولكن حدثا انقلاب قد من حديد إلى المنازعات -  
 فقد أوقف رابيس حراري مشهور بالصف سفينة فرنسية تسمى بولاكر  
 Polacre محملة « بضائع العنة جدا ، لقد كانت أوراقها سبعة وأعت  
 السلام ، ولكن الرابيس لم يستطع مقاومة حظوظ الثروة الطائمة - فنهب  
 السفينة وقتل جميع طاقمها ما عدا بحارين شابين استطاعا أن يختفيا بطريقة  
 خاصة ، وبعد معاناة شديدة وصلا مرسلتا وقصا قصتهما من أعضاء الطاقم  
 لربان السفينة ، دريفو Drivet وحوالي ثلاثين شخصا من أعضاء الطاقم  
 المقتولين ، أصدقاء وأقارب في مرسيليا أخذوا بطالبون بالنار - ومن سوء

(7) B.N.M.S. Franc. 16141, fols. 256 ff

أحد أن كان برسيلا أيضا في تلك اللحظة كين ( كنعان ؟ ) أعلا  
 Ceyss وهوالي أربعين جزائريا آخرين كانوا قد جاؤوا في مهمة  
 السلام . فهاجمت جماهير عاصبة القنصل الذي كان يقيم فيه الجزائريون ،  
 وفي الحال دبحت البحة الجزائرية بأكملها ، رغم جهود بعض المهندسين  
 لانقاذهم . ان مدد القرن السابع عشر ليس لها قوات شرطة قادرة على  
 السيطرة على الجماهير . وما الكتيب المسمى ( التاريخ الجديد للذبحة  
 الأتراك في مدينة برسيلا بروفنس ) - 15 صفحة ، مدينة ليون سنة  
 1620 - الا واحد فقط من بين هذه كتابات معاصرة صارحة عن هذا  
 الحادث المخوس .

وعندما سمع المسؤولون في الجزائر من مبعوثهم في فرنسا ، تساءل  
 الماشا وانديون : « ماذا حدث لكايانان آغا ؟ » لقد كان رجلا محبوبا  
 وقويا في الفرقة لانكشارية . ولما ظهرت الحقيقة ، أصبح الفرنسيون  
 في الجزائر يواجمون تقريبا نفس الخطر الذي واجهه كايانان آغا : فقد  
 رمي بالقنصل وجميع الحالة الفرنسية في السجن وهددوا بتسيذ القتل  
 فيهم فيما كان الروس ، الذين لم يعجبهم السلام مع فرنسا ، قد انطلقوا  
 مقتبطين في البحر ليجعلوا الفرنسيين يدفعون ثمن حريتهم . وحلال  
 ستة أشهر بلغ عدد السجن الفرنسية المستولى عليها واحد وعشرين وبيعت  
 بصائغها جميعا في الجزائر ، وقد كان خمس منها يحمل بضاعة تقدر بين  
 العشرين والخمسة والعشرين ألف فرنك ، ولا يوجد منها سوى ثمان  
 تقدر قيمة حصولها بأقل من سبعة آلاف فرنك . وقد قدر القنصل  
 الفرنسي الخسائر بمائتين وأحد عشر ألف وتسعمائة فرنك ( 211 900 ) .  
 ولكن لم يقع في الأمر من البحارة الفرنسيين الا مائة وثمانية وعشرون  
 بطارا لأن كثيرا من أعضاء الطواقم انقذوا أنفسهم بالقفز الى البحر  
 والساحة الى الشاطئ .

وقد أنذر السد كاي Cax القنصل الفرنسي بالجزائر ، سبطت  
 برسيلا بأن على فرنسا اما أن توقع سلاما حقيقيا مع الجزائر أو تعلن  
 صدها « حربا جيدة » . ولكن الحكومة الفرنسية عندئذ لم تفعل لا هذا  
 ولا ذلك . فقد كان لويس الثالث عشر ومحظيه شارل داليريدي لويس



de Luyne . وهو من في عازجات بائنة مع الموعود .  
والسلام الكبار الذين أيدوا الملكة . ولم يكونوا مدرين على القصد بأي  
نقص كأي يقول أن هناك سفا جديدة بمقدد الأعداد للقيام حبه  
انتحارة الفرنسية . وقد أضاف بأن حبه الخاصة لم بعد إلا لأنه كان  
ممرها في جمع الهدايا . وخلال شهر مارس . أعلن أن ثلاثمائة من  
الانكشارية وأربع عشرة سفينة حربية هاجموا جنس فرنسا وقتلوا  
أو أسرقوا جميع سكانه . بما في ذلك ممثل دي غيز . لما ود الدلب .  
وأضاف بأن في الجزائر أنه مرسى رفيق . وقد احتار الفرنسية في  
ذاك الوقت بـ 21 مليون ومائتين من الفرنك .

إن حكومة الملك خلال السنوات الأولى من عقد العشرينات من القرن  
الـدس عشر كانت شبه مدولة بالمشاكل الداخلية التي تكب في فرنسا  
على نهج الحارة الجزائريين . ولم تحقق أصوات الشكوى من الحائر  
وطلب المساعدة أي شيء . ولم يتطعم الصغير الفرنسي في اسطانبول  
سوى أن يقع الباب العالي بارسال رسائل إلى الجزائر أمراً بها ببناء  
الزراع . ولكن الديوان الذي كان تحت ضغط الراس وأبصر كان  
مقتنعاً بأن الحرب مع فرنسا كانت نزاعاً عادلاً بالإضافة إلى أنه رابع  
مربع ، استطاع أن يتجاهل أوامر السلطان . وبحلول سنة 1624 ،  
عندما استتب الأمر إلى حد ما للكاردينال ريشليو كوزير مكلف بالشؤون  
الخارجية ، أصبح الوضع يشكل أزمة على نطاق واسع . فقد وسع بحارة  
الجزائر من نشاطهم حتى شمل المحيط الأطلسي وسواحل فرنسا — بل  
حتى بيكاردي الواقعة على القنال ( بحر المانش ) ، بالإضافة إلى التجارة  
الأطلنطية — كلها أصبحت معرضة لنفس الأخطار التي كانت تهدد أقاليم  
فرنسا الواقعة على البحر الأبيض . أمام ذلك ، اعترف ريشليو بأن هناك  
شيئاً يجب فعله .

غير أن القضية ما تزال معقدة بالنواحي الاحرائية . ذلك أن ملك  
فرنسا طالما تفاوض مع سلطان الدولة العثمانية على قدم المساواة ، وكانت  
كل القضايا التي تخص حكومة الملك والجزائر تناقش دائماً في اسطانبول .

وكان الفصل في الجزائر لا يمت بمغاريبه الى المفاك . لأنه اما كان وكبر  
 عن سطات مرسيليا . ولكن المفاوضات في اسطنبول أصبحت غير قادرة  
 على التأثير على سلوك الابانة الجزائرية . وكان الانكليز والهولنديون  
 قد اجمعوا المشكل بالتدويز مباشرة مع الجزائر . فالسيد توماس روي (Roe)  
 مع « أولئك في الجزائر » ، وأحر أمير البحر الهولندي لأمير  
 الى المرسى بالجزائر وتصل مباشرة ، ولو بطريقة حشنة ، مع الباشا  
 والإغا والديوان بالامالة . وكان التحرك الأول لريشليو هو أيضا جعل  
 الدوق دي عز ، حاكم اقليم بروفنس ، مسؤولا على المفاوضات ، ولكنه  
 خلال فبراير سنة 1626 . قرر ان المفاوضات تكون أكثر فاعلية اذا حرت  
 على يد معوث من الملك يصل نتوحات ملكية . وقد يكون ريشليو  
 رأى ذلك خطوة أخرى في طريق جعل شؤون الملكة الفرنسية شيئا  
 فشا تحت سطرته . وواقع الأمر هو أن فقد أهل مرسيليا فجا بعد  
 ومعارتهم أعمال هذا المعوث الملكي ، وهو سانسون نابلون Napollon  
 قد يدل على معارضتهم لتدخل السلطات الملكية في مجال كان الى ذلك  
 العهد هو مجال اهتمامهم الخاص . (8)

كان نابلون معوث ريشليو ، من جزيرة كورسكا ، وكان يتمتع  
 بحرية واسعة في شؤون المشرق حيث عمل كقنصل ، وكعميل سري  
 (حاسوس) ، وكناشر ، وكان يتكلم التركية بطلاقة ، ويفهم التقاليد  
 الاسلامية ، وكانت له مهارة فائقة كمفاوض . ذهب أولا الى اسطنبول  
 وحصل على رسالة من الصدر الأعظم ترخص له بالمفاوضة مع باشا وأغا  
 وديوان الجزائر . وعندما وصل الى هذه المدينة كان استقباله فيها  
 محبوا ، ولكن توزيع الهدايا سخاف ، وشخصيته الجذابة قضت على  
 كثير من المارضة لشخصه وللمعاملة ، ولكن ليس قبل أن يرسل الديوان  
 بدوره معوث الخاص الى اسطنبول للتأكد من أصالة رسالة نابلون من

• - توماس روي Roe هو السفير الانكليزي في اسطنبول . (الترجيح) .  
 في ان الوثائق المتعلقة بتدخل ريشليو تقدم اراءا حيدفا ، ولكنها مع 14-21 BN ، 96-113 :  
 بدون جواب . انظر BN ، 96-113 :  
 AAE Alger, Mem. et doc. XII, fols. 14-21 , BN , 96-113 :  
 M.S Franc 16164, Fols. 76-81 et passim. R.A, XXIII pp. 28 ff  
 Grimaud, Négociations, XVII siècle, pp. 28 ff

الصدر الأعظم . وتخبرنا كتابات ناعلون قصه عن أن المفاوضات كانت عسرة  
عن مناقشات لا نهاية لها ، ومداولات معقدة ، وحطب طويلة عضفافة ،  
ومحادثات سرية . إنما نفس القصة التي سجدت معها الدسوماسيون  
وضباط البحرية خلال القرنين التاليين . فالمفاوضات مع الجزائر كانت  
دائما طويلة ، وعشبكة ومدهونة بالهدايا . (9)

إن السلام الذي تحقق سنة 1628 كان ماضيا . وكان على مرسلنا  
أن يدفع انفس غالبا . فقد « أعيد » مدعما دابرر ( إلى الجزائر ) عن  
طريق شرائها من الدوق دي عز . كما أن هدايا ناعلون إلى أعضاء  
الدبران وكبار الرياس دفعت مدينة مرسيليا ثمنها . ومداعى الأملاك الأرقاء  
الذين استولى عليهم الجزائريون ؟ إن الصناعة كانت قد سمت وأكلت  
أو استعملت ولا مجال لاستعادتها . وكانت السفن قد سب أو كسرت  
والأرقاء ؟ لقد كان يوجد « أنراك وجزائريون » في الرق فرنس ، كما  
كان يوجد فرنسيون أرقاء في الجزائر . ولكن الأنراك والجزائريون  
كانوا حصا قريبا في ملكة ملك فرنسا . موثقين بالعديد عند مجاديف  
السفن . بما كان معظم الفرنسي في الجزائر في ملكة للأفراد العاصمين ،  
والملكة الخاصة . حالى لملكة الدولة . كانت مقدمة . فادا كان من  
لضرورى اطلاق . هؤلا ، الفرنسي فان مالكهم يجب يعوضهم  
مع « قليل » من « رة » . واجه « حق » ناعلون على نفس المدد . وذلك  
يدفع مائتى فرنك عن كل سفينة للأفراد . أم الأنراك والجزائريون  
الأرقاء في السفن الفرنسية فتقع مبالغته بالأرقاء الفرنسيين الممنوكين  
للحكومة الجزائرية .

ويجب أن نلاحظ أن هذه المادة المتعلقة « إعادة الشراء » سرعان ما أصبحت  
مشكلا خطيرا . ذلك أن الأرقاء الفرنسيين لم يعودوا قابلين للبيع في  
الجزائر ما دام الثمن قد حدد وإعادة الشراء من المتوقع أنها ستحقق في  
الحال ، ولكن حكومة الملك لم يكن لها هذا المبلغ من المال جاهزا لإعادة

(9) B.N. Ms. Franc. 16141, Fols 284 and 294-304.

القرن . لقد قرر ريشليو أن الغداء تدفعه الجماعات التي ولد فيها الأرقاء ، بينما عائلات الأرقاء تجبر على تمويل هذه الجماعات . إن هذا الإجراء يخفف من العبء على مرسيليا وغيرها من مدن البحر الأبيض ، ولكن هذه الطريقة لم تنجح بالطبع . وعندما لم تأت الدراهم بالسرعة المطلوبة لأرصاد المالكيين في الجزائر ، صدرت الكلمات القاضية بالتهديدات بالتقدم الجديد . وها امتحنت مهارات نابليون إلى أقصى حد . ولكنه كان قادرا ، طالما بقي على قيد الحياة ، على منح قطعة جديدة بين فرنسا والأيالة الجزائرية .

ويبدو أن ريشليو كان غير سعيد من أنه كان عليه أن يتفاوض مع « الأوماني » الذين يسيطرون على الجزائر ، ولكن قواته البحرية كانت بكل ساطة عاجزة عن فرض الإرادة الفرنسية ، ومن ثمة كانت المفاوضات هي وستة الوحيدة . وقد كتب ريشليو عن نفسه قائلا : « إنه لا يسكن للكاردينال أن يصلح أحطاء قرن كامل » . وأضاف بأن البحرية التي تزد في سعة الملك وتظهر البحار من الفراصنة ... الذين طالما افترسوا رعايا الأمراء المبحجين ، سارقين موادهم الأساسية وحاملين رعاياهم أرقاء ، لا يمكن تأسيسها في ظرف زمني قصير . ولكنه مجهود حدير بالتحقيق . ذلك أنه إذا أسس الملك أسطولا بحريا « فانه سيحجر القراصنة على الاختفاء » . وإلى أن تحقق تأسيس هذا الأسطول ، فانه حتى على ملك فرنسا المسحى أن يتعامل مباشرة مع باشا و آغا وديوان الجزائر .

وبحلول الثلاثينات من القرن السابع عشر ، كانت المعاهدات الثلاث التي توافقت بشأنها السلطات الجزائرية مع الدول الأوروبية الثلاث ، التي لها أنشطة تجارية هامة في البحر الأبيض ، قد أشارت إلى فتح عهد جديد بالنسبة للأيالة الجزائرية . فإلى ذلك الحين كان السلطان باسطنبول هو الذي يوافق على الاتفاقات مع الأمراء الأوروبيين وبأمر باشوائه في الجزائر بالسهر على احترام هذه الاتفاقات . وحتى سنة 1604 كان الباشا الذي فشل في تنفيذ مثل هذه الأوامر قد فقد وظيفته وحانه . ولكن بحلول العشرينات من القرن السابع عشر ، أصبح الراس والاكشارية الجزائريون أقوياء جدا بحيث كانوا يتجاهلون أو يرفضون الأوامر من الباب العالي . وهكذا ، فانه ، إذا رغب الحكام الأوروبيون

في الاتفاق مع البعثة الحرثية ، الحصة الحربية « حرث » منهم  
أو يتفاوضوا مباشرة مع الحرث . لقد كان هذا تطوراً ملحوظاً ، كثير  
من المشاكل والأخطار ، لأن الإمالة الحرثية لم تكن حصة ميسرة  
حقة ، وكان المحكام الذين يتفاوضون معها ليس هم إلا أعضاء قليل  
لهذا المحسم الذي اضربوه « جمهورية من قطاع الرقاب واللصوص » ،  
وهكذا فإن أي اتفاق بين الإمالة والحاكم الأروبي . كان ذلك يواجه  
خطر الاتفاض من هذا الجانب أو الآخر ، ولم يعد لسلطان في مسائله  
قادراً على إعادة الأمور إلى نصابها .

## الفصل العاشر

الديالة الجرائرية وأروبا ، 1630 - 1660

إن السوات الواقعة بين أرمه بوهيميا (1618) وسلام البيرني (1659) كانت سوات ملته بالحروب والثورات التي أثرت على جميع أروبا الغربية من المحيط الأطلسي إلى حدود بولندا وروسيا . ويسمى المؤرخون الألمان ذلك العهد باسم حرب الثلاثين سنة . ويعرف المؤرخون الفرنسيون بأن الحروب لم تسهي «لغة لغزا إلا بعد عشر سوات أخرى من حلول السلام في الماسا . وبهزم المؤرخون لانكير بذلك العهد أيضا باعتباره عهد الحروب الأهلية والكوسوات . ومن جهة أخرى يمكن تسمية تلك الفترة بعصر ثورات الفلاحين ضد حجة الضرائب ، وثورة الفروند Fronde فرنسا . والرداف في برنلوة ونامولي وغيرها . فقد كانت هذه الأحداث في العاشر عصره المدى ولكنها كانت انفجارت الفصم ضد تدخلات السلطة الملكية ، وكان هذه الأحداث لم تكن كافية لاختار أسلوب الحداثة عند الإنسان ، فساهمت الطبيعة فيها في خلق القوضى . ذلك أن هذه السوات كانت سوات الحصاصة في الحصول الزراعي وسوات مصاعة أسمر انحز غالبا بأربعة أمثاله ، مما ترتب عليه المجاعة والأمراض المتصلة بالقص في الغذاء . وقد يسمى اختصاصيو أحوال الطقس ذلك « بالعصر انجليدي الصغير » ، ولكن المعاصرين كانوا يعرفون أنه عصر المأساة . فلا غرابة إذن أن الصور المحصورة في الخشب والتي تمثل ( الفرسان الأربعة لسفر الرؤيا ) كانت محبوبة بين الناس الذين حاصرتهم الحرب والجوع والطاعون والموت .

وكانت تلك السوات كذلك مثل العهد اندي قام فيه الامراء ووزراءهم بالنسبة الكبرى في فرض السلطة الملكية على السلطات الادارية والبلدية . ان « الحكم المطلق » الذي وضعه لويس الثالث عشر بانه حكمه كان عبارة عن سلطة سياسية لا تشارك في صلاحاتها السلاء الكبير والمجالس المدنية ( من المدن ) او غيرها من الجماعات . وقد حاول برشلون ومملكه ان يؤسسا هذه السلطة في فرنسا ، كما كان الامراء الاخرون يتبعون برنامجا مشابها في مواضع اوروبا الاخرى من ندرج قد تكون افضل او اكثر . ان الدولة البروقراطية - العسكرية لم تستمر فعلا الا اثناء العمل اللاحق عندما كان في امكان الامراء التصرف في السلطة العسكرية بطريقة اعظم منه مما كان موجودا عند زعمائهم الذين قد يتازعون معهم ، ولكن جهود هؤلاء « الامراء الثوريين » اضمت الى امبراطرات ذلك العهد حتى كان ايمان السلاء - او جماعات المدن - ارباب اندس - او غيرها من الجماعات ضد الحد من التطور الناجح « للحكم المطلق » .

اسبانيا ، 1630 - 1660 .

كان الحكام الاسبان باحزم من مو من كثير من الاضطرابات الأوروبية معهما الحبول . فتتور في الاامم المحصنة ، والخصومة مع فرنسا التي ادت في الاخير الى الحرب المكشوفة سنة 1635 . ثم الثورات ، الممارعات لمدة في ايطاليا ، ورسلوة - كلها ، مضافة الى دخل متناقص من ناحية العالم الجديد ومن جراء المحاصيل في كاستيل ، احتجعت لبر . من الأساس . تلك الدولة ( الامبراطورية ) التي تركها شارل الخامس ( شارلوكار ) وفلسب كاتي واحقادها الاقل منها كفاءة . فمن اوائل عقد العشرينات ( من القرن السابع عشر ) الى سلام البريم سنة 1649 ، كانت مطالب الحدود الذين كانوا يحاربون على جهات كثة قد اوقفت الخربة وارسدة الممالك الاسبانية ، وقد اصبحت الى هذه المصاعب ذلك الرأع الزمن مع انالات شمال افريقية . فالجراحة الحرة من السكاتني ورسلوة . ومن نابولي وبليرمو وميناء ونظام ارباح المراقبة وحراس النواطية - حسما قد اعطت نوعا من

تجسيه ضد فرصة البحر . وعلى تدهور البحر ، حتى الحرب البحرية  
الاسبانية . وخصوصا حركة السفن الاسبانية . قد حصل بحره شمال  
افريقية أقل خطرا ما دام لم يعد يوجد على اسبانية كثيرة منهم ،  
ولكن طالما بقيت القضايا الأوروبية عامة على راحة كبيرة من الإهانة ،  
فإن اسبانيا لم تستطع إلا أن تسع البحارة من عبور مضيق جبل طارق  
ولا أن تعد أسطولهم الذي كان يراقب المراكب المارة . سوء هي  
المحيط الأطلسي أو البحر الأبيض .

ورغم ذلك فإن الأسبان لم يستسلموا . وبحره أحد المؤرخين  
الاسبان ، بعد أن تعرض لشرح الصعوبات الكثيرة التي حدثت من نشاط  
البحرية الاسبانية . ما بهم فعلا حاربوا البحارة ( الجزائريين ) قائلا :  
« اليوم كان فرادو Fernando الذي حارب السفن الجزائرية في راس  
سان فاسان ، وعدا سيكون كسيد Queside على الشاطئ ،  
الرتبالي ، أو جون دي كاناس Juan de Canas هو الذي يفرهم  
ضربة قوية . وفي نفس الوقت كان الماركيز دي فيلانوفا  
de Villafranca وساتاكروز Cruz يحاربونهم في البحر  
الأسفر . » ولكنه يقر بأن هذه الممارك كانت عبر حاسمة . لقد تمكن  
الاسبان من الاستيلاء على سفينة لأمر بحر جزائري ، ونجحوا في تعظيم  
عدد كبير من سفن البحارة ( الجزائريين ) ، ومع ذلك فإن النتيجة العامة  
كانت ضئيلة . ويعود ذلك إلى أن أعظم التزامات اسبانيا البحرية أهمية  
بين سنة 1521 وسلام ويستمالا سنة 1648 ، هو حراسة الطرق الجوية  
من اسبانيا إلى حنوة ، الذي هو الخطوة الأولى في الطريق المصب  
الذي يربط اسبانيا بكل من أرض الراين والنمسا . لقد كانت عملا  
شاقا غالبا ما كلف الكثير للقوات البحرية الاسبانية التي كانت آخذة  
في التدهور .

وإذا كانت ارادة ملك اسبانيا لم تستطع أن توقف نشاط بحارة  
شمال افريقية ، فكذلك لم تستطع ارادة سلطان الدولة العثمانية أن  
توقف من نهب فرسان القديس يوحنا بالمطلة . وبالرغم من أن الفرنسيين  
كانوا تابعين لمملكة صقلية ، فإن التزاماتهم للدولة الاسبانية كانت اسمية .



وكان تصانهم الهام هو « الحرب المقدسة » ضد الاسلام . وذلك يشمل  
الحرب ضد بطارقة شمال افريقية ، ولكن أكثر من ذلك أهمية هو  
الحرب ضد التجارة الاسلامية والحجاج في شرقي البحر الأبيض . لقد  
كانت مائله أكثر ملاءمة كقاعدة لجماعة البحارة ( القراصنة ) من  
المزائر . فهدد ليس لها سوى رصيف بحري ( مول ) من صنع الالسن  
لعباية السن الرابية من أمواج البحر ، بينما كان لمالطة عدة مواوي  
جيدة ، بما في ذلك الموقع الممتاز في لافاليت ، حيث يوجد مرساوان  
عميقان جدا الى حب ومحروسان بسهولة بحصينات مذهشة . وبالإضافة  
الى ذلك فان مالطة كانت تقع في وسط البحر الأبيض ، وكان في امكان  
السن أن تنطلق من مراسيها وتصل الى المشرق التركي ( العثماني )  
والبرتغال *Posant* الاسباني .

ان المرسى العميق في لافاليت حمل مالطة محطه طبيعية للسفن التجارية  
الفرنسية عندما تكون في طريقها الى المشرق . فقد كان الخشب والماء  
وعبرها من مؤن متوفرة هناك ، ولا سيما بعد أن أسست دور تجارية  
فرنسية مراكز لها ( مستودعات لتخزين البضائع ) لتسهيل عمليات تجارتها  
افريقية . كما ان هذا المرسى كان منذ أمد طويل قاعدة للبحارة المسيحيين  
الذين يحملون رسائل الاعتماد من ( السيد الأعظم *Grand Master* ) ( ١ )  
ويرفعون العلم المالطي . وفي أوائل القرن السابع عشر كان عدد سفن  
البحارة ( القراصنة ) من مختلف الأحجام العاملة ، انطلاقا من مالطة ،  
يتراوح بين الستين والثمانين سفينة . وكون معظم هؤلاء الضباط  
البحريين فرنسيين ، جعل السلطان وحكام اياه شمال افريقية ( الجبرث )  
يفكرون في ما اذا كانت فرنسا هي عدوتهم الحقيقية ، بالرغم من أن  
السير العرسي في اسطابول أكد لهم أن البحارة ( المسيحيين ) لا علاقة  
لهم بملك فرنسا بأية حال .

( ١ ) - سيوضح المؤلف المقصود بهذا التعبير ، وهو على كل حال ، يقصد به كبير لفرسان  
القدس يوحنا ، ( الترجمة ) .

وقد تطورت جزيرة مالطة ، بحكم استعمال التجار والبحارة لموانئها ، فأصبحت سوقا هامة للرقيق ، بالإضافة الى فرص التخلص من السفن والبضائع المحتجزة . وبنهاية القرن السادس عشر أصبحت هذه المشاريع ، مضافا اليها أنشطة البحارة ، تتطلب بعض التنظيم . ولذلك فإن ( السيد الأعظم ) أنشأ سنة 1605 مجلسا *Tribunale degli Armamenti* كهيئة ذات سلطة لتنظيم البحارة الذين يرفعون العلم المالطي . وقد أقسم كل ضابط بحري على احترام هذه التنظيمات .

ومن بين هذه التنظيمات مادة تنص على مع الاساءة الى التجارة المسيحية بالإضافة الى عدم الاساءة الى أي سمية للكفار ( المسلمين ) تحمل جواز مرور من حاكم مسيحي . ولكن هذه المادة خلقت مشكلة . ان ضباط هذه السفن البحرية قد أقسموا على عدم الاساءة الى حركة تنقل السفن المسيحية أو السفن الاسلامية التي تحمل جواز مرور من حاكم مسيحي . ولكن ما هي في الواقع « حركة النقل المسيحي » ؟ ان محاكم مالطة قد ملئت بحالات تتجت عن كون الاغريق الأرثوذكس وغيرهم من الكنائس المسيحية الأخرى في المشرق كانوا من جهة مسيحيين ومن جهة أخرى رعايا للسلطان العثماني . فهل يصبحون ، عندما يتوجهون الى البحر ضحايا لطلاب الغنائم ؟ وهل كانوا منشقين أو ملحدين ؟ لقد كانوا سببا في وجع الرأس بالنسبة للمحكمة التي تنظر في قضيتهم وبالنسبة للبحارة الذين يصطادون في المشرق من أجل الغنائم ، لأنهم كانوا يأتون الى مالطة ويرفعون الدعاوي ضد مزعجهم في محاكم السيد الأعظم . غير أن هؤلاء المسيحيين الشرقيين لم يكونوا هم فقط الذين وقع عليهم معظم الضغط من الفرسان ( فرسان القديس يوحنا ) والبحارة المالطيين . فقد عانت أيضا منهم قرى شمال افريقية نفس المعاناة التي لقيتها على أيديهم القرى الواقعة على سواحل أسبانيا والجزر ( جزر البحر الأبيض - الباليار - سردينيا الخ . ) وإيطاليا . ذلك أن مالطة كانت هي الجزائر المسيحية في أكثر من وجه ، فقد كان سكانها من الأرقاء يعادلون تقريبا أولئك الذين كانوا في الجزائر ، كما

كانت الثورت واضطراب الثورت هاك حقيقة . كما كان احداث في الجزائر . ( ١ )

وسكن بحوث مصف القرن السابع عشر كانت القوة البحرية الموروثة للملك الاسبان في اسباب وفي ممتلكاتهم الابطالية حتى بعد أن غاوي الأسطول « الديسي » بمالطة . كانت غير قوية بما فيه الكفاية لمنع بحارة شمال افريقية من التسلل الى سواحلهم والاستيلاء على سفن التجارة . وكل ما كان يمكن أن تحققه البحرية الاسبانية عندئذ هو المحافظة على المار البحري الواقع بين برشلونة وجنوة ، آمنا الى حد ما لقل الحنود والمؤونة الموحدة الى مبادين المعارك بأروبا الوسطى .

وحتى بعد سنة 1648 ، حين أنهى سلام ويستفاليا Westphalia

النزاع الاساني مع الاراضي المنخفضة ، كان خط الاتصالات المثار اليه ما يزال هاما للبقاء على الجيوش الاسبانية التي كانت تحارب الفرنسيين في حوض الاراضي المنخفضة . ولا يمكن محاصرة الرياس البحرية المليون طالما كان ما ذكرناه هو المسؤولية الاسبانية الاولى . أما بعد انتهاء الحرب مع فرنسا سنة 1659 ( سلام البيريني ) فإن الانحلال السريع الذي أصاب القوة العسكرية الاسبانية قد منع أي تحرك بحري هام ضد الفرنسيين من شمال افريقية .

فرنسا ، 1630 - 1660 :

وكان الملك الفرنسي أيضا ، مثل الاسبان في الثلاثينات من القرن السابع عشر ، لا يملك قوة بحرية قادرة على السيطرة على البحارة الجزائريين سنة 1620 . ورغم أننا رأينا أن ريشيليو كان غير سعيد تماما بالمعاهدة التي تفاوض بشأنها ساسون فابولون مع باشا وأغصا وديوان الجزائر فإنه رضى بالمصادقة عليها . وتعكس المذكرة التي كتبها بنفسه أفكاره عن الوضع بفرنسا . لقد اعترف ريشيليو أن المملكة

( ١ ) - نظرا لكثرت عدد الجزائر المسلمة ومخالفة المسيحية ، وهو يريد أن يقول أن مالطة كانت تقوم للمسيحيين معتمدين في المور الذي كانت تقوم به الجزائر للمسلمين ، لهذا اضطرت المسيحيين وذلك قسطنطين المسلمين . ( المخرجة )

المدر الأعظم . وتحربا كتابات نابون تمه عن أن المفاوضات كانت عسرة  
عن مناقشات لا نهاية لها ، ومداولات معقدة ، وخطب طويلة قضاضة ،  
ومحادثات سرية . أنها نفس القصة التي سيتحدث عنها الدبلوماسيون  
ومباط البحرية خلال القرنين التاليين . فالمفاوضات مع الجزائر كانت  
دائما طويلة ، ومشددة ومذهوبة بالهدايا . (9)

إن السلام الذي تحقق سنة 1628 كان مائلا . وكان على مرسلنا  
أن تدفع الثمن عاليا . فقد « أعيد » مدفعا دائرا ( إلى الجزائر ) عن  
طريق شرائها من الدوق دي غير ، كما أن هديا غامولون إلى أعضاء  
الديوان وكبار الرياس دفعت مدينة مرسيليا تمه ومدا عن الأملاك الأرقاء  
الذين استولوا عليهم الجزائريون ؟ إن الصاعقة كانت قد سمعت وأكلت  
أو استعملت ولا مجال لاستعادتها . وكانت السفن قد سب أو كسرت  
والأرقاء ؟ لقد كان يوجد « أنراك وجزائريون » في الرق بفرون ، كما  
كان يوجد فرنسيون أرقاء في الجزائر . ولكن الإنراك والجزائريون  
كانوا حصا تقربا في ملكة ملك فرنسا . موثقين بالعديد عند محديف  
السفن ، بما كان معظم الفرنسيين في الجزائر في ملكة لأفراد ابحسين ،  
والمملكة الخاصة . حلاى لملكة الدولة . كانت مقدسة . فإذا كان من  
ضرورى اطلاق سراح هؤلاء الفرنسيين فإن مالكمهم يجب بمواسمهم  
مع « قليل » من الرقة . واجبة . وفق غامولون على نفس ابعده . وذلك  
يدفع مائتى فرنك عن كل دفين مسوك للأفراد . أم الإنراك والجزائريون  
الأرقاء في السفن الفرنسية فتقع مداسهم بالأرقاء الفرنسيين المبوكين  
لحكومة الجزائرية .

ويجب أن نلاحظ أن هذه المادة المتعلقة «بعادة الشراء سرتان ما أصبحت  
مشكلا خطيرا . ذلك أن الأرقاء الفرنسيين لم يعودوا قابلين للبيع في  
الجزائر ما دام الثمن قد حدد واعادة الشراء من المتوقع أنها ستحقق في  
الحال . ولكن حكومة الملك لم تكن لها هذا المبلغ من المال حاهرا لاعادة

(9) B.N. Ms. Franc 16141, Fols 284 and 294-304.

وسمى وحودته مثل استعمارهم الجزائر بعد سلام 1626 ، وبهاية الثلاثينات من امر وسبق طامس سبعة جزائرية بعد سلام 1626 ، وبهاية الثلاثينات من القرن السابع عشر أصبح الأسطول الفرنسي في البحر الأبيض ، الذي كان غالبا يعمل بطاقة « المراك والجزائريين » ( المربوطين ) في مقاعد المحاربين ، أصبح قوة مهابة .

وما دام ريشليو غير قادر عندئذ على إنشاء بحرية (1) قادرة على مرافقة بحاره شمال افريقه ، فانه كان متطلعا الى الابقاء على المرسى التي ضمنها معاهدة نابولون ( مع الجزائر ) سنة 1628 للملكه الفرنسية . ولكن كانت هناك مشاكل ، ذلك ان القصل الفرنسي الذي رجع الى الجزائر لم يكن معيا من قبل الملك ، فهذه الوظيفة ( القصل ) كانت ترجع الى عائلته فياس *Vias* التي كانت تقوم بتعيين الشخص الذي يؤدي تلك الوظيفة . وكان القصل المقيم في الجزائر لا يكتب مباشرة الى الملك ولكن الى مرسيليا . وكانت معاهدة سنة 1628 تنص ايضا على عادة فتح حصن فرنسا الذي كان مركزا مربحا ( قلعة ، ومكاتب ، ومخازن ، وغيرها ) لصيد المرجان ، بالإضافة الى التجارة في القمح والجلود والشمع والخيول وغيرها من البضائع المتوفرة على

1 - قام ريشليو لملايين الدول ، ومن عائلة المول ان يشير الى ان داعمه لذلك القرار ليس فقط نشاط البحارة البحريين . ذلك ان هيمنة البحرية الانكليزية خلال حصار (الاروشيل) ودوق الحرية الاساية التي كانت تحرس الطريق بين برشلونه وجنوه وما كان اكثر سيطرة على تفكيره عندما مرر ذلك ، ولكن مراره هذه الأسطول اعطى الاساره الى سباق بحري بين الملكين الفرنسية والانكليزية ، وبحلول سنة 1631 كان الفرنسيين اربعون سفينة تتراوح بين 200 و 900 طن ، وفي نفس سنة السنة في الانكليز اربع سفن ذات 800 طن ، وسبعين ذات 500 طن ( كانت السفينة ذات 800 تحمل بين 34 و 40 مدفعا ) ، وفي السنة الموالية بين ريشليو سبعة ذات 400 طن ، ولكن الانكليز ثلثا سفينة من ثلاثة طوائف ذات 500 طن ، وهي المسماة ( سيدة البحار ) التي كانت تحمل 102 مدفعا ، فرد الفرنسيين بسا السفينة المسماة (كودونا) ذات 2000 طن ، وكان لها طابقان فقط وتحمل 72 المدفع ، ولكن طولها كان 28 قدما أطول من السفينة الانكليزية الكبيرة ، وكان التقدم التالي في سباق بناء السفن هو تطوير نوع العرقاطة ، وكانت الاولى من ذلك من السفينة (ديتريك) التي كانت ذات 300 طن فقط ، ولكنها كانت تحسن من 20 الى 30 مدفعا وكانت سهلة القيادة جدا ، وكان هذا فاتحة عهد جديد من السفن ولكنها كانت أيضا من نوع الفرقاطات التي لم تكن فقط مفيدة للقيام بالحراسة ، انظر جوليان كوربيت *J. Corbett* ، ( انكلترا في البحر الأبيض ) ، الجزء الاول ، ص 180-182 .

السجل . وقد انقطع دأبهم ان يصعد مائة في المعاهدة يسمى بها  
 منه هو الأوكل .  
 . في المصالح المطلقة للأساس . وقد يسمى ان تشير من  
 وعمرها من أساس . مرسية قد أصبحت من المصالح البحرية والأمنسية  
 مرسية التي كان . يكون المصلح في جزائر . وكان لا بد من  
 انوصح ان يعود الى الرابع . ولكن ملاءة باجود التي حكومة بباله  
 الجزائر كانت محفوظة . أولا لخدمة شخصه واما لاه ومن على  
 دفع مبلغ من المال سونا بقدمة حصص فرنسا بدلا من دفع مائة .  
 وهذا المبلغ المالي أصبح مصدرا هاما لأجور عرفة الانكسارية ، الدرجة  
 ان دأبهم كان بعد ان اعطى سكون ذلك ما حتى لو لم ترست  
 العلاقات بين الجزائر وفرنسا الى نورث .

ومن اعطى على المرء ان يحس ماذا كان ساعدت لو ان ريشليو  
 قد اسمع الى نصيحة دأبهم حول الساسة التي على المملكة الفرنسية  
 اتاعها في شمال افريقية (●) . ولكن يبدو ان ريشليو كان يشارك  
 الراي العام الذي يرى ان الابالة الجزائرية كانت محكومة بحسنة من  
 العلاج غير جديرين بالثقة وسكمار لا اخلاق لهم . وكان يتعامل معهم  
 للضرورة ما دام السلطان كان غير قادر على الدفاع عن المصالح الفرنسية  
 من اسطانبول ، ولكن من الواضح انه ( ريشليو ) وجد هذه المفاوضات  
 معهم عديمة الذوق وكان تماما لا يثق في نزاهة ووفاء أولئك الرجال  
 في الجزائر . غير ان الأحداث أظهرت ان الجزائريين كانوا أكثر وفاء  
 من الفرنسيين . فعلى اثر التوقيع على المعاهدة جيء بسنة فرنسية  
 الى الجزائر على أساس انها رفضت التحقق من أوراقها . وكانت هناك  
 مطالبة صارخة بمعاقتها ما دام الضابط الحار محبوبا جدا ، وكانت  
 سفينة مملوكة من قبل اناس أصحاب نفوذ (●) . ومع ذلك لم ان

● - كذا ، والمؤلف يحسن الحرار طبا . الترجمة .

● - قد يبدو في هذا الكلام بعضي التوسيع ، ولوسيجيه ان الرئيس الجزائري الذي  
 أسر السفينة الفرنسية كان محبوبا وكان على رأس سفينة سلكها كثر الضوم من  
 لهم سلطة في الجزائر ، ومع ذلك فان السفينة الفرنسية لم تعاقب على دفعها  
 (المؤلف من الاوراق . الترجمة) .

ابديون اطلق سراح السفينة وجعلوها • وبعد أيام قليلة جئى بسفينة  
اخرى مرسية ( الى الجزائر ) كسيرة ، ولكن اطلق سراحها في الحال •  
ثم امر الديوان اربابا بالكشف عن الاسماء الى السفن الفرنسية • مع  
الانذار بمصوبة الموت • وقد لقت سانتون نابولون اثناء القناصل  
في مرسيليا الى هذه الاحداث كدليل على التزام الجزائر بالمعاهدة •  
وبدري ما اد كان رسيبو قد اطلع على هذه الاحداث •

ومهما كان الامر فان الفرنسيين كانوا اقل دقة في الالتزام بالمعاهدة •  
فهناك قضية استة عرب محاربا حراثوا الذين انتشلوا بعد ان عرفت  
سبعهم بالقرب من الساحل الفرنسي • فقد جئى بهم الى مرسيليا  
ودبحو في الحال • وبعد فترة قصيرة تمكنت السفينة الفرنسية ( سان  
جان ) الأرساة ( من آرل Arles ) من اسر سفينة جزائرية ذات صار  
واحد • وباعت طاقمها كله الى الاسبان • بينما كان نابولون يحاول  
ان يشرح هذه الاعمال الى الديوان • هاجمت سفينة حرية فرنسية ،  
تحت قيادة السيد دي لاي دي رارللي de Razelly سفينة جزائرية  
واسرتها واوقعت جميع طاقمها عند المعاديف • كان راييس هذه السفينة  
هو محمد اوجيا ( حوكة ؟ ) الذي كان محبوا وصاحب  
لقوة • وكان دي رارللي صامطا بحرما مرخصا به من قبل الملك الفرنسي •  
وقد تصاعد الغضب عاليا في الجزائر من جراء ذلك • لانه لم يكن عمل  
صامط بحري حاصر غير مسؤول • عزم دي رارللي ان يسمح لاسراء  
بالعداء بسلم ثلاثمائة فرنك لكل فرد • ما عدا ستة اعلاج ورفض  
تحريرهم بأي ثمن • وقد جن جنون نابولون من ذلك • هل من الحكمة  
سجن ستة اعلاج • كانوا قد فقدوا ارواحهم على انة حال • ( هـ ) ومن  
ثمة التسبب في موت او سجن مائة وحسين فرنسا • وربما كثير غيرهم  
قد يعمون في الاسر في المستقل ؟ بعد كان نابولون على يقين من ان  
هذا الموقف من قبل صامط البحر التاسع للملك سيشعل حربا اخرى •  
وسرعان ما برهنت الاحداث على انه كان على حق •

١ - هذا ليس اسماء المؤلف ، وليس • • • • •  
ما دامو قد امضوا الاسلام • • • • •

كانت المواقف تنقد في الجزائر مع كل «استمرار» جديد يرتكبه الفرنسيون . وعندما كان واضحا أن سعيه بحرية مرسية هي التي أحلت بالمعاهدة ، وضع نائب القنصل في القيود ورمى به في السجن حيث مات على ما يبدو . وقد توجه نapolon إلى الجزائر ومع الباشا والدواؤ بطريقة ما من إعلان الحرب على فرنسا ، ولكنه لم ينطع أن يسمح الاستيلاء على التجارة الفرنسية . وقد أبحر الرئيس ليشأروا لزملائهم ، وسرعان ما أصبحت المعائن الفرنسية والأردية الفرنسيون قضية شائعة في الجزائر كما كانت ، فالزعيم من عدم وجود إعلان رسمي للحرب . ويحسبونا السيد لاروسيه *La Roncière*

أن الجزائريين لم يبعوا كما يسمى بسلام سنة 1628 ، وقد فعل من احصاءات الأب دان أنهم استولوا على أكثر من ثمانين سفينة بلغت قيمة حولتها خمسة ملايين فرنك ، واسترقوا خلال سنوات 1629 - 1631 ألفين وثلاثمائة مرسية . ولكن يبدو أن هذا المؤرخ الوطني للبحرية الفرنسية لم يلاحظ أن الفرنسي هم الذين أبحروا بالقمع هذه أولا ، ثم رفضوا إطلاق سراح الأتراك والجزائريين الذين كانوا أرقاء في سجنهم *Chilourmes* ( أي حسانب اسم ) بحرية الفرنسية الملكية . وقد كانت هذه هي قصة الفرق كله ، فعاد الفرنسي الفرنسي كانوا غير مسميين لتفريق جماعة أصبحت ممرسة على مهنتها ( التجديف ) . كما أن الضباط على الحصون كانوا لا يريدون التحي عن « أربكهم » الذين كانوا أفضل الرجال لمحدثين . وعندما كان المدون ان يطلب لحرته للأرقاء الأتراك والجزائريين في فرنسا . كان الصمام الفرنسيون لا يطلقون سراح إلا المعززة والطاعين في السن ، مدعين بأن هؤلاء فعلة هم الذين عندهم ، وهذا بالرغم من أن الرسائل من أرقاء السن لمرسينا كانت تصل إلى الجزائر بانتظام .

ومن جهة أخرى فإن الجزائريين قد يكونون أيضا صماء . فقد رفضوا تبادل الأرقاء واحدا بواحد . وأصرروا على أن الشخص الذي اشترى الرقيق يجب أن يكون له الحق في بيعه بأسعار السوق بدل بيعه بالنفس الأصلي . وكانت أسعار السوق : كما شرح ذلك فونيس نايت ، ترتفع



في كل وقت يقع فيه الحديث عن تبادل الأسرى • واذن فإن كلا الطرفين قد يتحمل مسؤولية الاحلال بالمعاهدة الفرنسية الجزائرية لسنة 1628 •

وكون املاك نابولون في الحصن ( حصن فرنسا بالجزائر ) بقيت لم تنس بسوء ييسا كانت السفن الفرنسية غنائم في الجزائر ، قد اقتنع تجار مرسيليا بأن نابولون كان حقا قد اعتنق الاسلام ، أو على الأقل كان علجا ، عاملا ضد مصالحهم • فهم لم يكونوا مسرورين من كونه أصبح وكيلا للحصن مدى الحياة • والحصن كان دائما ملكا للدوق دي غيز ، باعتباره حاكم إقليم بروفنس كما انه ( أي الحصن ) كان يمثل الحس الخاص بتجار مرسيليا • أما نابولون فقد كان أجيبا عنه في نظرهم • وقد بدأت المؤامرات ضده حالما جرى التوقيع على معاهدة سنة 1628 • فعاولوا أن يضروا بمسليانه في صيد المرحاض بمؤامرة مع تونس • وكتبوا رسائل ضده الى باريس • وعندما رجع الرياس الجزائريون الى الاستيلاء على الغنائم الفرنسية ، لم تستطع باريس تجاهل تلك الحملة ضده •

وفي هذه الأثناء كانت مكانة ريشيليو كورير للملك مكانة آمنة • وكان قد بدأ فعلا في تحقيق برامج التي تهدف الى تقوية سلطة الملك في جميع قطاعات المملكة • ومنذ أوائل سنة 1629 وجدناه يقرر أن الحصن يجب أن لا يكون ملكا خاصا لأي فرد عادي • بل يجب أن يكون تحت سلطة ملك فرنسا ويحكمه حاكم يعينه الملك • وله صلاحيات تضمن الأمن لصيادي المرجان والتجار العاملين هناك • وكان ريشيليو في ذلك الوقت يعني الدوق دي غيز ، عندما تحدث عن الفرد العادي • لقد كان الدوق ، وهو حاكم بروفنس ، يتمتع بدخل الحصن قبل الهجوم عليه في فاتح القرن • وكان يحاول مع تجار مرسيليا ، استعادة ملكيته لنفسه • بينما كان ريشيليو الذي كانت سياسته العامة تقف الى جانب توسيع السلطة الملكية ، يهدف الى منع جميع مثل هذه المشاريع الخاصة المتحكمة • فقد كان يعمل على تجريد « كبار النبلاء » والمدن امتيازاتهم الخاصة ومن سلطاتهم • ولذلك فإنه عندما وصلت قضية الحصن درجة الأزمة ، أرسل ريشيليو ، أبي دي ليزل Abbé de l'Isle في جولة

تفقدية مع صلاحيات تقرير مصير نابولون والحصن منا . وقد قام دي ليزل بدراسة الملفات ، واستحوب المسؤولين ، وأخيرا قرر أن نابولون ، الذي كان منذ البداية قد أرسله ريشليو معه الى الجزائر ، أن يبقى حيث هو (في الجزائر) . وبعد استعراض للجهود في الحصن أعلن دي ليزل عن قراره ونصب نابولون رسما كحاكم ملكي للحصن ( أبريل سنة 1632 ) .

وهناك ما يدل على أن تعيين نابولون كان أيضا من وحي رغبة ريشليو في تأمين محطة للتدخل في ساحل شمال افريقية . فقد جعل نابولون الحصن عبارة عن قلعة ومحطة حوسية حيث يمكنه « أن يعلم ما كان يجري في شمال افريقية » . ولم يكن صيد المرجان والمركز التجاري سوى « تكميات » عن خطة التوسع ، لأنه كان يرى الحصن عبارة عن قاعدة للجنود في حريره قد تستعمل لاقامة محطة على الأرض الداخلية كلها .

ومن الواضح أن هناك أشياء أخرى لوضع نابولون كحاكم ملكي هي أكثر من مجرد تبرير لأعماله الى ذلك الحس . ففي السنة التالية ( أي 1633 ) بلدات أحد حظه لطرد الحسوس من حزريره سرقة

Lamellini

Tabarque (\*) حيث كانت عائلته لوميسي

تملك وكالة وتقوم بصيد المرجان . وذلك بناء على اتفاق بين خير الدين ودوريا ، منذ قرن مضى . وقد من « نابولون » أنه حقق بطريق الرشوة انتصارا سهلا . ولكن الرجل الذي من أنه اشتراه برشوته نقل القصة كاملة الى حاكم وكالة لوميسي . فكان الجويون مستعدين لنابولون ورجاله عند نزولهم . فقتلوا نابولون وطردهوا رجاله . ولم يحدث شيء آخر بعد ذلك .

\* - جاء في كتاب خلاصة تاريخ تونس لحسن حلي عن الوهابي في 160 أن طبرقة كانت مرسى على جبل مرتفع شمال مرسى تونس ، وفي بحر المرجان الربيع ، وكان بها الجويون مقيمين بقصد صيد المرجان ( المرجح ) .

ماي سنة 1633 ، أسسني  
 Lo Pago  
 من وجهة نظر الأرض من  
 عمليات القاء ، معه  
 طويلا تكسيه  
 من ناس من  
 لوماس  
 عامه لوماس  
 كان يقوم  
 الحرائق  
 من  
 وقد بقي  
 تاريخ الجرائم (1)  
 على القائم

المعلومات لكافة من قبل  
 ومن من العرب ان ريشليو لم يكن قادرا على القيام بعمل شي.  
 جديد حول البرع الذي في الجزائر - ذلك ان السوات التي في  
 النص الاول للمساعدة (الجزائرية - المرسية) كانت ملئة . في  
 فرنسا وفي بقية اعضاء أوروبا ، يوم المخبوعين ( ) (Day of Dupes)  
 وفي المملكة لواء ، واستراع المدني مع الدوق دهرلان ، ومحاكمة واعده  
 الدوق دي مونتورسي Montmorency . ونغزو غومناف ادهلف  
 G Adolphi ( ) لالمانا ثم موه وتفكك التحالف البروتستاني من  
 قبل الفرنسيين . من معركة نوردلين Nordlingen الى سلام براغ .  
 لقد كانت هذه الأحداث أكثر ضعفا على رورنامه ريشليو من قضاء  
 نهر امريضة . واخيرا اقتنع ان على فرنسا ان تعلن الحرب ( سنة  
 1635 ) على الهاسبورغ فاذا به يكتشف ان المملكة ( المرسية ) كانت  
 غير مستعدة تماما لوقف العدوان الذي كان يتهدد باريس نفسها . فالحج  
 يس لانه - يستطع ان يعمل الكثير حول شمال افريقية ، بل لانه نعم

١ - كان لابد من ، من الآب حاضر من له ، صبيها معلما أرمعه مطر جواظيه  
لهم من في أرى ، وكان ثمر الصداوة للدين الاسلامي والملة الاسلاميه  
وإذا لم يثره فلما اشهر منه ، قبل بأرمعه بغير وثيقه من أهم الولاى التي بعد  
بصره من هذا قبل ، صحيح لهذا لثأر لفضيلة حدة لعمروا بغير من القاسم  
لأروجه لهم أحد المسائل القنده ، فالأروى يمررون بالصمبل لحال من أصل  
الآب من ، وأرضى السابق مرسى مايت ، وهرهما من أوتكك اللان تركوا لنا  
أما بقية دملية من وجودهم في العراق خلال هذه السنوات .

١٠ - تم في ١٧ من شهر ١٦٣٥ حينئذ كان أعداء ريشيليو ، وخصوصا ماري له  
بطانة الملك انهم قد اذروا في تلك القاصبة هذه ، بينما كان ريشيليو يصعد  
السلطة - ثم يقال ان الملك هو الذي اسقطه عن الملك ( انظر ج ٢ )

حوالي سنة 1636 في القنصلية الأسطول الأسير الأسير أسير أسير  
العلم الفرنسي في تلك الحارة .

وكيف يجب استعمال هذا الأسطول الفرنسي الجديد ؟ ان تهديدات  
البحارة الجزائريين قد حلت في المجلس الملكي في فترة استعمال  
الحرية لعمرو الجزائر وتدميرها . ومن الواضح ان هناك امورا لها  
أصحاب هذا الرأي تتعلق بانضمام التي مدثر . وهناك حجاج آخر  
كان يحث من المصاريف ومثل المحاولة . بالامانة التي يعود العمل  
التي قد تطور في اسطنبول ، فاقترح محاولة عقد معاهدة مع السلطان  
بشكلها ان تضمن وقف تهديدات بحارة شمال افريقية . وربما كان  
أصحاب هذا الرأي يتطلعون الى ضمان تأييد السلطان اذا ما ، او جيد ،  
تدخل فرنسا في حرب ضد الهاسورغم . وهناك حجاج ثالث اقترح  
المفاوضات المباشرة مع الجزائر (1) . وكان الاقتراح الأخير هو الذي  
أقره المجلس ، ومع ذلك فانه عندما ذهب لوماج الى الجزائر اكتشف  
ان المعاهدة المقترحة كانت صعبة المفاوضة . ورغم ان سنة لوماج كانت  
فاشلة ، فانها تدل على تصاعد نفوذ المجلس الملكي في هذه المنطقة التي  
كانت الى هذا الحين تعود سياسيا الى مرصلا .

ولكن الأسطول الجديد لم يكن أكثر تأثيرا من الدبلوماسيين . ففي  
سنة 1636 انطلق هذا الأسطول تحت قيادة الأسقف - البحار دي  
سوردي de Sourdis والدوق داركور d'Harcourt وسرعان  
ما استولى على خمس سفن للبحارة ( الجزائريين ) . وكان يسود الجزائري  
عندئذ الخوف من الغزو . فأمر يوسف باشا (2) بضربة خاصة لتحصين  
أسوار المدينة . ولكنه عندما أعاد التفكير في الأمر وضع القنود في  
جيبه ورجع الى اسطنبول ، تاركا وراءه مبررا آخر لتجريد الباشوات

1 - انظر فرانسوا فرنسا مع الجزائر ، 1633 - 1640 ، في الحلة الاخرى : 23 ،  
ص 417 .

2 - بولي يوسف باشا السلطة في الجزائر عدة مرات . انظر ص 417 ، تاريخ الجزائر  
الشمالي ، ج 1 ، انظر ص 417 ، ومع ذلك ، ارجع وستلي من مفاوضات الجزائر وطلعت ص 417 ،  
في كتابها المصنوع في الادب والرسالة : - والرحمة .

من سلطانهم . وفي سنة 1637 أمر ريشليو الأسطول بالابحار الى مياه الجزائر وطلب معاهدة ، ولكن عاصمة مزقت شمل الأسطول ولم تصل منه الى الجزائر الا سفينتان لطلب المعاهدة . غير أن الديوان سحر من التهديد الفرنسي وأضاف بأن أي نشاط حربي مشابه سيترب عليه موت جميع الفرنسيين الذين يوجدون بالجزائر ، ورجعت السفينتان الى عرض البحر . ولكن بعد قليل ظهرت قطعة من الأسطول الفرنسي في ميناء الجزائر ومعها السفينتان اللتان استولت عليهما للبحارة الجزائريين . وادى ذلك الى تحرير الأرقاء المسيحيين وربط المسلمين في مقاعد التعذيب . وكانت إحدى السفن المأسورة من أملاك علي بتشين ، أكبر أعضاء الطائفة ( الرياس ) ثروة وثائرا . وقد وقعت مظاهرة في مدينة الجزائر ترت عليها وضع جميع الفرنسيين المحررين ، بما في ذلك نائب القنصل ، في السجن ووثاقهم بالحديد ، وتهديدهم بالموت . وقد طالب الديوان بأحراق القنصل ، ولكن على تشين أصر بأن الخطأ كان منه هو وأن سفينته قد حلت سبعة آلاف قطعة من ثمانية Pieces of eight 7000 . ولم يطلب سوى الترخيص له بالهجوم على الحصن ليتمكن الفرنسيين درسا . وقد حصل على ذلك الترخيص . وقال : « ان الخسارة كانت لي شخصا باعتباري المالك الوحيد للسفينة ... وأنا لا أطالب بأي ثار ... ولكني مكتم ... » وأنى اقترح الاسلاء على الحصن 100 وهو الأمر الذي فعله مع حصوله على أرباح طائلة مه لنفسه .

ولكن هجوم تشين على الحصن كانت له نتائج غير متوقعة . فهو لم يجد أية صعوبة في مهاجمة التحصينات الفرنسية ، وأسر أو قتل 317 فرسيا ، بما في ذلك حاكم الحصن . ثم حصل غنائمه وانصرف . غير أنه عندما توقف الحصن عن دفع الالتزام السنوي واجهت الخزينة في الجزائر المصاعب ، ثم أنه عندما رفضت القبائل دفع الصرية لأنها لا تملك النقود التي كانت في العادة تحصل عليها من بيع انتاحها في الحصن ، وصلت معاناة الخزينة في الجزائر الى حد الأزمة . وقد حاول باي قسطنطين أن يجمع الضرائب بالقوة غير أن جنوده الانكشاريين هزموا شر هزيمة . ان القبائل الآن أصبح عندها الأسلحة النارية التي اشترتها من الحصن .

ان هذه الازمة الناتجة عن هجوم علي بتشين قد قللتها أزمة أخرى أصرت كثيرا بأمير البحر الجزائري وبكثير من ضباطه . ذلك أن السلطان أمر الأسطول الجزائري بالمشاركة في ارمادته لمهاجمة مواقع البندقية على البحر الادرياتيكي . ولكن عاصفة هوجاء أجبرت السفن الجزائرية - والتونسية على اللجوء الى مساء فالونا Valona الصغير . وهناك فاجأهم أمير بحر البندقية ، كيبيلو Cabello ، وهم في وضع حمل استكمال مدفيعتهم لا يفيد شيئا . فحصرها ست عشرة سفينة ، أربع منها غرقت واثنا عشر أسرت ، وحرر ثلاثة آلاف مسترق وقتل عدد من الانكشارية الجزائريين والتونسين . وكانت خسارة علي بتشين من ذلك أعظم من غيره ، لأن معظم السفن كانت ملكا خاصا له . ومن الممكن أن نقول أن نكبة فالونا كانت جزئيا مسؤولة على فشله في الاستيلاء على حكومة الجزائر في هذه اللحظة الحرجة (1) . وقد حصل موته بعد هذه النكبة بقليل ، ربما نتيجة التسمم . وهناك عاقبة أخرى هامة لهذه المعركة . ذلك أن السلطان أكد للجزائريين انه سيثابر لهم ، ولكن ذهب البندقية خفف من غضبه ، ويبدو أن السلطان كان شرها للنفود شراة اباشوات الذين يرسلهم الى الجزائر كل ثلاث سنوات . ان الرياس أصروا ، وعندما طلب السلطان مرة ثانية مساعدة الأسطول الجزائري ، على دفع معونة (مالية) مقدما .

حاول الدويان أن يسترجع السمعة التي فقدتها في فالونا سنة 1638 بحملة ضد قبائل كوكو الذين كانوا قد تسببوا في هزيمة باي قسنطينة (\*) ، ولكن بدل تحقيق النصر وجد الانكشارية أنفسهم محاصرين ومجبورين على الاستسلام . ان هذه الهزيمة خدعت القضية الفرنسية أيضا ، لأنه عندما وافق الآغا على السلام مع قبائل كوكو ، وافق على وقف جاية الضرائب ، ومنح العفو للكرافلة الذين فروا

1 - انظر الفصل السابع من

(\*) - يبدو أن المؤلف يشير هنا الى ثورة ابن المحري  
( تاريخ الجزائر الثقافي ) - ( المترجم ) .

الى المواقع الرواوية المحصنة بعد فشل ثورتهم الذريع ، كما واقع على  
اعادة فتح حصن فرنسا . ومن المهم والمفيد ان نلاحظ ان التكة هي  
فالونا وهزيمة الانكشارية في جبال زواوة هما اللتان اقنعتا الديوان ،  
وليس ضغط الأسطول الفرنسي ، بالاضفاء الى المقترحات الجديدة لعقد  
معاهدة جديدة مع فرنسا .

وعندما اندى الديوان استعداده للتفاوض أرسل ريشيليو السيد  
ج . ب . دي كوكيل de Coquel ، الى الجزائر على رأس قطعة من  
الأسطول لعقد سلاما يتج عنه تحرير الأرقاء الفرنسيين ، واعادة فتح  
الحصن ، وكتابة معاهدة ثالثة للسلام . ولكن قطعة الأسطول لم تكن في  
الواقع سوى خدعة . ذلك ان بناء ودعم بحرية البحر الأبيض قد اوقعت  
ضرورات الحرب في ألمانيا والأراضي المنخفضة . حقا ان السيد سوردي  
كان أكبر المعتذرين عندما كتب الى الباشا قائلا انه لم يستطع ارسال أسطوله  
كاملا لأنه كان محتاجا اليه في محاصرة الأسبان . ولم يضاف الى ذلك الا قوله :  
« اذا كنت تعتقد ان حصوري ضروري ... فاني سأبقى مع بقية أسلحتنا »  
وخلال المفاوضات واقع الجزائريون ، الذين كانوا تحت ضغط « أتباعهم »  
أهل زواوة ، على اعادة فتح الحصن ، ولكنهم كانوا أقل مرونة بالنسبة  
الى نقط أخرى في معاهدة السلام .

ان المعاهدة التي وقعها السيد دي كوكيل في اسامع من يوليو سنة  
1640 ، تكشف عن الكثير من حياء النصارى الممثلة . فقد أصبح حاكم  
الحصن مطالبا منذ هذا التاريخ بدفع أربع وعشرين دوبيلا doubles  
الى الباشا سنويا لصرفها في أحور فرقة الانكشارية . بالاضافة الى عشرة  
آلاف دول توضع كاحتياطي في حرية ( الدوة ) بالعصبة . وفي مقابل  
ذلك فإن جميع السفن الموجهة الى الحصن لها مطلق الحرية ولا يتعرض  
لها أحد ، وصمن لصيادي المرحاض اللجوء الى ميناء جزائري عند حدوث  
المواصف . وفي مقدور حاكم أن يبنى مراكز المراقبة حول تحصيناته  
وأن يحرر البساتين لاستعمالها في التخزين من المارل الواقعة في مدينتي

عناية والقالة الساحليتين (+) • ومن حق الحصن أن يخبر الخبز وأن يمنع  
 ينظم العقود مع التجار المحليين • كما أن المعاهدة حددت التعريفة الجمركية  
 وشروط المتاجرة ، بل حتى حق سفن الحصن في الاحتفاظ بأشعتها عندما  
 تكون في المرسى • وأخيرا وقع الاتفاق على أنه في حالة الحرب بين فرنسا  
 والجزائر ، فإن الحصن يبقى حرا ولا يساء إليه ، كما أنه سيواصل دفع  
 المبلغ السنوي (1) • وهكذا فإنه لا التجار ولا السلطات الجزائرية كانت  
 ترغب في تكرار تدمير هذا المركز التجاري ما دام الطرفان قد بقيا معاونة من  
 جراء هجوم على بتشين عليه منذ سنوات قليلة قبل •

وصياغة معاهدة عامة للسلام والصداقة تعتر من أشق الأمور • فقد  
 كانت المناقشات تقطع حول قضايا مثل إطلاق سراح الأرقاء الفرنسيين ،  
 وزياره السفن التجارية الفرنسية ، وغيرها من القضايا الأقل أهمية • وقد  
 أجبر أحوال الطقس السيئة السفن البحرية الفرنسية على العودة الى  
 فرنسا ، كما توجه دي كوكبل معها ، ولكنه رجع الى الجزائر في السنة  
 الموالية (1641) ، واسطاع أن يصل الى اتفاق ، ولكن ريشيسو رفض  
 المصادقة على المعاهدة • وكانت اعتراضاته هي نفسها اعتراضات انور •  
 الفرنسيين بالنسبة للمعاهدات المستقلة • فهو كان يريد بالخصوص  
 ضمانات أكثر للاحوال البدنيه الروحية للفرنسيين الذين كانوا أرقاء في  
 الجزائر • كما أنه اعرض على الطلب الجزائري القاضي بأن عاقب أي  
 سمية يقاوم هرفة « الزياره والتفتيش » بالسلاح سيؤخذ كرقيق • ان  
 الكاردينال ( ريشيسو ) كان خائفا من قراصنة مدينة سلا الذين كانوا غالبا  
 يرفعون علما جزائريا ، الى أن تحين اللحظة التي يصعدون فيها طهر  
 السفينة غير المشككة بهم • فادا أراد الجزائريون أن يبدى الفرنسيون  
 مقاومة ، فعليهم أن يضعوا حدا لما تمارسه قراصنة سلا • وذهب ريشليو  
 الى الاصرار على أن مطلب « الزياره والتفتيش » كان ضد المعاهدة

(\*) - كتبها المؤلف Cole والطاهر أنه يفتد بها القالة - (الترجم) •

(1) A.A.E. Algérie XII, fols. 101-3



تقرضه مع السلطان ، ومع ذلك فقد كان عليه أن يعترف بعدم اعتراضه على مصادر الصالح وحظر الاتجار بالدين يتمون إلى أعداء الإيالة العثمانية ، أما نقطة حرجية ، لأن أصحاب السفن الفرنسية الحوض كانوا أيضا طالبون بهذا الحق ، وأخيرا قرر ريشيليو بأن دي كوكيل لم يسع طلبه ، ومن ثمه فانه لم يصادق على المعاهدة ، غير أن معاهدة مندية وقعت المصادقة عليها بعد وفاة الكاردينال ( ريشيليو ) في السنة الموالية .

إن الوضع عموما كان يتطلب معاهدة ، فقد كان بالجزائر حوالي حصة آلاف من الأرقاء الفرنسيين ، كما أن الخسائر التي سببها التحارب الفرنسيون أصبح لا يمكن التسامح معها . ثم أن قوة البحرية الفرنسية التي كان يمكن توظيفها ضد بحارة الجزائر كانت مجهودا ضعيفا ، فقد حاولت الحرس أو الست سن الحرية أن تراقب مساحة شاسعة بمبلغ 15000 و 16000 فريك سنويا . إنما استولت على بعض الغنائم ولكنها فشلت في حماية حركة السفن الفرنسية . وتشير مذكرة قدمت إلى المجلس ( الملكي ) إلى ضياع مجهود الرقابة الفرنسية ، وقد لاحظت المذكرة أن الجزائريين ، يستفهم الحرية البالغة ستا وأربعين سفينة ، بالإضافة إلى عدد آخر من السفن ، كانوا في الحقيقة عدوا خطرا لا يمكن ودعه بدون تدمير قوة أعظم بكثير من ذلك . ولاحظ المجلس أيضا أنه ما دام السلطان لم يعد في استطاعته السيطرة على الإيالة ، فإن الفرنسيين سيتفاوضون من جديد مباشرة مع الجزائر ، تماما كما اضطر الإنكليز والهولنديون إلى فعل ذلك ( \* ) . وقد ظهر أصحاب هذه الحجة ، وعليه توجهت بعثة فرنسية أخرى إلى الجزائر ووقعت معاهدة تكاد تكون طبق الأصل لتلك التي تفاوض سانسون نابولون بشأنها منذ خمس عشرة سنة مضت .

أما الأسباب التي جعلت الجزائريين يوافقون على هذه المعاهدة فهي غير واضحة ، فقد تكون تلك الأزيمة التي كانت تواجه حكومة الإيالة

\* - إن وضع الكوافة لذلك ، يعرف الفرنسيون على عدم التفاوض مباشرة مع الجزائر ، من مسألة مسألة نموذجية ، أو مسألة مصالح ( المترجم ) .

والتي تسمى بتجريد الباشا من جميع سلطاته هي التي جعلت السلام مع فرنسا فرصة جذابة . أو قد يكون الرئيس ، الذين كان لهم تأثير كبير في الحكومة ، يحتاجون الى طريقة لدخول السوق الفرنسي لشراء التوابع البحرية ، أو قد يكون الامر ببساطة هو ان الجزائريين قد اعرفوا بأن الفرنسيين الذين كانوا في حرب جديدة مع اسبانيا ، هم حلفاؤهم ضد عدوهم . ومن سوء الحظ ان الوثائق التي تحمل هذا المشكل غير متوفرة .

مات ريشيليو سنة 1642 . ولاحق به لويس الثالث عشر بعد شهر قليلة ، تاركا المملكة الى طفل ، هو لويس الرابع عشر . كانت حكومته هي حكومة والدته ، آن النمساوية ، باعتبارها هي الوصية على العرش . وكان وزيرها الاول . وهو الكاردينال مازاران *Mazarin* ، قد واجهته حرب خارجية باهظة مع اسبانيا كما واجهته مشاكل داخلية متولدة عن وصاية ضعيفة ، ليس لها الاقل من الوقت لبحارة شمال افريقية . ولكن بالرغم من انه لا مازاران ولا الملكة الوصية خصص اتساعا كبيرا للجزائر ، فانها قررا قرارا خطيرا بوضعها القسوة الفرنسية في الجزائر وفي تونس في أيدي الآباء اللزاريين .

ان الدوافع والخلفيات التي كانت وراء هذا القرار ليست واضحة تماما . لقد كان هذا هو العهد الذي كانت فيه الثورة المضادة بلاصلاح ايدي قوية في فرنسا . وكان التآمر الديني كثيرا ما يتدخل في المجال السياسي ، ولكن يبدو ان لآب فانسان ( وهو المعروف لنا الآن بسان فانسان دي بول ) كان قد صدم عندما علم كم كانت قليلة تلك القود المجموعة من قبل الآباء القاديين لتحرير الارقاء . كانت فعلا مستعملة في هذا الغرض . ولذلك قرر ان يقوم بشيء حول هذا الموضوع . كان سان فانسان مقربا الى الحاشية الملكية . فقد كان قد حضر وفاة لويس الثالث عشر ، وكان قريبا من آن ( النمساوية ) التي كان ورعها نموذجيا لساء البلاط . كما انه كان عضوا في مجلس الضمير الذي كونه مازاران . لقد كان سان فانسان رجلا خيرا ، وكان معاصروه يمتقنون في القصة التي تذهب الى انه كان رقيقا في تونس ومن ثمة كان يعرف الكثير عن قضايا الرق في شمال افريقية . ان هذه القصة كانت « كذبة بيضاء » ربما نسجت لتعطي

جزءاً من ماضي فاسان ، ولكنها قصة أعملت لهذا القسوس مكانة  
 منه في التاريخ (6)

ونس من الواضح ما إذا كان الأب فاسان هو الذي أجمع دوقه ديمون  
 17 August 18 أو هي التي أفضته ، ولكن مهما كان الأمر فإنها هي التي  
 اشترت انفصليه في الجزائر من عائلة فياس سنة 1646 وقدمتها ، مع تلك  
 القصص التي في تونس سنة 1648 ، إلى الإباء الزاريين (7) . لقد كان  
 مطر الملك في تلك الأيام مهتمك في سير الأحداث التي قادت إلى  
 (لا فرويد) Prond والمفاوضات بمونستر Monster للوصول إلى  
 معاهدة سمي الحرب الألمانية . ولم يكن للانفصالية الفرنسية بالجزائر  
 أهمية عظيمة سواء 1646 - 1648 ولا حتى في العشر سنوات اللاحقة .  
 حين كرس مارزان كل جهوده ، بعد فني قصير خلال حادثة لا فرويد ،  
 لتأجيل حل للحرب مع إسبانيا . وكان الأب فاسان دي بول يستع بثقة  
 الملك أن ، ومن المحتمل أن يكون مارزان سعيداً باهتمام هذا الأب  
 بفضائل الجزائر بل أن يصح متورطاً أكثر في المؤامرات بالبلاط . ويبدو  
 أن اهتمام مارزان كان مقتصرًا على السؤال ما إذا كان من الممكن  
 الاستيلاء على قاعدة على ساحل شمال أفريقية تسمح لفرنسا بمراقبة أنشطة  
 بحارة هذه المنطقة ، وهو السؤال الذي قد يكون مسؤولاً عن تحرك لويس  
 الرابع عشر بعد مدة قصيرة من وفاة مارزان .

6 - من سأل أن يرى تمثال أسطورة اسم مار فاسان بموس عائلة بالداكرا ، محسن  
 السيد تاني Tapie سمعها نسخة الأمريكية من كتابه ( فرنسا في عصر لويس  
 الثالث عشر ودراساته ) ص 141 . وذلك بعد مدة طويلة من ظهور بصبه فرانشان  
 Grandchamp الذي حوالة : « الأمر الزعم لسان فاسان دي بول بتونس »  
 في كتاب فرنسا بموس خلال القرن السابع عشر : ج 6 ص 20-1 والذي لويس له  
 هذه الأسطورة من أساسها .

7 - لقد عين السلافة : شبيكر Chair وريكو Ricon وبلانشارد Blanchard  
 وبيكي Piquet على التوالي كتابه فاسل في الجزائر . لقد استوا نصيبه  
 في أرشيد ومحاكم وعلمه حيث الحانة بإعقل التحار الفرنسيين ، وأن مراسلات  
 بين سلاطنة باريس .  
 بلانشارد وريكو كانت موجهة إلى السلطات في فرنسا

ن من القسوية من أيدي رجال الأعمال إلى أيدي رجال الدين كان  
 له عدة نتائج غير موفقة . من جهة سيكشف التجار في القناصل  
 التي تمنع بيع أي نوع من المواد الحرة إلى الكفار ( المسلمين ) . وبما  
 كان قناصل الأعمال الدنوية يطرون إلى الموضوع من زاوية أخرى .  
 حتى جلب التجار الفرنسيون كل أنواع السوابب الحرة والمسكينة  
 إلى النقص وإلى مناهي نعاية والجرائر . أن هذه التمديدات قد أسس  
 بعضها أيضا ( خلال العهد الجديد ) . ولكن القناصل الدينيين حصلوا الأمر  
 المنهي إلى الطام الزاري لم يرحب به القساوسة الأسبان والابطالون  
 الذين يتنون إلى أنظمة التثليث ، والرحمة والكوشى (caprichos)  
 وإعادة شراء الأرقاء . ولكي يعمل الأمور تزداد سوءا على هؤلاء  
 القساوسة ، نجح الأب فانسان ودوقة ديفيون في اقناع البابا بجعل القنصل  
 الفرنسي أسقفا رسميا *titular* والوكيل الرسولي ( البابوي ) لكل  
 شمال إفريقيا . وقد رأى أعضاء نظام التثليث الأسباني - الذين واجهوا  
 طويلا مشكل إطلاق سراح الأرقاء ، ونوا وأداروا مستشفى بالجزائر ،  
 وكانوا هم المسعفين الرئيسيين لأرواح أولئك المنكودين الذين بقوا في  
 الأسر - رأوا أن ذلك الموقف هو أهانة لهم ورفضوا طاعة أوامر الوكيل  
 البابوي الجديد . أن هذا المسؤول الجديد قد أعلن عنه سنة 1650 في  
 الوقت الذي كان فيه مازاران والملكة منهمكين في حادثة لا برونه . أن  
 الحكومة ليس لها أي دخل فيما جرى ، أو اذا شئت في الصعوبات التي  
 عمل القناصل الدينيون على توريط أنفسهم فيها من خلال سوء إدارتهم  
 المالية وردود فعلهم الباردة نحو مشكل الأرقاء (8) . لقد حاول فانسان

8 - من أوائل القرنين في تولي هذا المنصب ، هو الأب بارو *Barreau* ، الذي عرف  
 كل العقود المتوقعة لديه ، لم ذهب يستدين المال وذلك سببا لاقتلا الأرقاء . ولم  
 يكن لدى الحكومة الفرنسية نفوذ مقدما فيه ، وحتى الأب فانسان لم يكن قادرا  
 على إبعاد الفراهيم الكاثبة لتنظيم ديونه التي وصلت إلى 7000 بيستر ، وقد  
 ألقى هذا القسيس المنحوس بالعديد ورسى به في السجن إلى الأبد ، ولكن  
 أحد الباشوات الكرماء أطلق سراحه لأن هذا القسيس كان قد قدم مساعدة كبيرة

أى يجد شخصا فى مرسيليا يشتري منصب القنصل من القساوسة ، ولكن  
ما دام مصرا على ضرورة استمرار القساوسة فى تثبيت « السلطة المسوية »  
فانه لم يجد أحدا مستعدا لشراؤه .

انكلترا ، 1630 - 1660 :

رأينا أن معاهدة توماس روي Roe « مع أولئك بالجزائر »  
قد وقعت قبيل معاهدة نابولون بسنوات قليلة ، وهى المعاهدة التى حاولت  
أن تظم علاقات بين انكلترا والإالة الجزائرية . وكما حدث مع  
الفرنسيين فإن أول المحلّين بسود المعاهدة هم الانكليز وليس الجزائريين .  
بقد كان حكام أوائل القرن السابع عشر يحدّون صعوبة فى السيطرة على  
سلوك رعاياهم ولو كانوا من أولئك الضباط البحريين الذين يأتَمرون  
بأوامرهم وبأخذون التراخيص منهم . أن الدولة البيروقراطية المنظمة  
التي ستظهر خلال هذا القرن كانت ما تزال فى شكلها الأولى . ذلك أن  
الحجارة الخواص المرخص لهم يصحّون بسهولة قراصنة لا يمكن مراقبة  
سلوكهم فى البحر . ولكن الذى أزعج السلام مع الجزائر لم تكن ببساطة  
هى أعمال ضابط تاجر تحول إلى قراصنة . ذلك أن سفن الحرب الانكليزية  
المرخص لها بانتظام قد نقضت أيضا هذا السلام . وكان للمسؤولين  
الانكليز ، كما للمسؤولين فى فرنسا ، امتعاض عام من حماعات الاعلاج  
والقوات المتواجدين على ساحل شمال افريقية ، ومن نتيجة ذلك أن  
الانصالات الرسمية بين الأروبيين وحكومة الإالة غالبا ما حرّحت هذه  
الآخرة . وهناك عدة أحداث توضح المشكل . فخلال حرب باكنفهام  
Buckingham مع اسبانيا ( سنة 1625 ) أجبرت سفينة انكليزية خاصة  
أحد الرياس الجزائريين على تسليم السفينة الاسبانية التي كان الرياس  
قد استولى عليها كغنيمة . وطبيعى أن الرياس احتج على ذلك . ثم انه  
عندما جاء باكنفهام لمساعدة لاروشيل ضد الملك لويس الثالث عشر الفرنسي  
« استولى » أحد البحارة الانكليز الخواص على سفينة فرنسية كان قد

الى صحابا الطامون ولكنه عاد بعد مدة قصيرة الى مشاكله المالية إذ بلغت  
دونه هذه المرة 6000 ساسر ، ومع ذلك نجا من الموت المزمع مرة ثانية لأن الأروبا  
عدموا بمصراعهم للانقاء بالتزاماته .

استولى عليها من قبل بحار جزائري وكانت مبحرة كغنية تحت قيادة  
 «مقام جزائري» . وقد حكمت محكمة البحريه الانكليزية باعطاء نصف  
 المية الى البحار الخاص الانكليزي ونصيب الى الجزائريين ، ولكن  
 الجزائريين ، الذين كانوا غير متمولين على اللغة أو على القانون الانكليزي ،  
 كانوا قد خدعوا من قبل شخص يدعى « الذكور هارت » *el Hart*  
 ابدي زعم لهم انه « لورد كبير » وأقنعهم بتركه يدالج هو هذا الموضوع .  
 ولكنهم لم يحصلوا مطلقا على أي شيء . وبالإضافة الى ذلك ، هناك  
 البعثة الرسمية الجزائرية التي أرسلت الى لندن « لتفصيل يد الملك »  
 ( شارل الأول ) ، وأهدائه « خيولا وأسودا وفهودا » ، كما انها أرسلت  
 لكي تحاول الحصول على تمويض عن الانتهاكات المقصودة للمعاهدة من  
 قبل البحارة الانكليز . ولكن حظ هذه البعثة لم يكن أفضل مما سبق .  
 فقد ترك الملك شارل الأول أمر الاهتمام بهم والترفيه عليهم الى شركة  
 المنرق ( أو تركيا ) . وكانت هذه الشركة حذره حتى لا تصرف أموالا  
 كثيرة . وكانت هدايا الملك شحيحة . وهكذا فشلت البعثة . وقد اقترح  
 باكتفاهم بأن على الملك أن يرسل « هدية » أخرى الى الجزائر ، ولكن  
 يبدو انها لم تساعد كثيرا .

وكان هناك مشكل في الجزائر ايضا . فالرياس البحارة وملاكو سفنهم  
 لم يكونوا سعداء بمعاهدة تسعهم من الاستيلاء على السفن الانكليزية .  
 ذلك ان العلم الانكليزي كثيرا ما شوهد في البحر الأبيض خلال بعثريات  
 من القرن السابع عشر . وكان الرياس دائما يدكرون الباشا والآغا بأن  
 مهمة الجزائر هي الحرب وان الاستيلاء على سفن الأعداء وبحارتهم يجلب  
 الثروة للإبالة . وقد جاءت فرصة حصة لبربر نقض المعاهدة وعلان  
 الحرب على أنكلترا حين هاجمت سفينة حربية أنكليزية سفينة للبحارة  
 الجزائريين وأحرقتها ، فكان من نتائج ذلك ان وصع جيمس فرانزسل  
*Franzel* المسكين ، القصل الانكليزي ، في الحديد ورمى به في لسجن  
 فلا غرابة انه في رسالته التالية ، ناشد حكومة الملك من جديد أن ترسل  
 من يموضه وأن يسمح له بالمودة الى بلاده . وتبرهن وثائق مكتب  
 السجلات العامة ( الرسمية ) على أن التصرفات الانكليزية كانت وحدها

هي المسئولة على اعلان الجزائر الحرب ، ولكن لا يوجد دليل يدل على أن الرئيس الجزائريين لم يكونوا فرحين بالفرصة التي سنحت من جديد بمهاجمة التجارة الانكليزية .

ان الحرب التي حصلت بعد ذلك بين أنكلترا والجزائر دلت على انها كانت في صالح الجزائر ، فبالرغم من أن سفن الشركة التركية ( أو شركة المشرق ) كانت عادة سفنا مسلحة تسليحا جيدا وتكاد تكون محصنة ضد هجمات البحارة ( الجزائريين ) ، فقد كانت توجد سفن أنكليزية أخرى في البحر الأبيض وفي المحيط الأطلسي وفي القنال الانكليزي ( المانش ) والبحر الارلندي وعند ضفاف زيمبابوي وندلاند ، وهي السفن التي كانت هدفا سهلا للرئيس . وكان أجراً هجوم هو الذي قام به العليج مراد راييس ، الذي نزل في بلتيور على الساحل الانكليزي نفسه ، وحمل معه مئات الرجال الانكليز والنساء والأطفال لبيعهم في سوق الرقيق بالجزائر ، وقد كانت هناك هجومات أخرى على الساحل الانكليزي والساحل الارلندي ولكنها كانت أقل إثارة مما سبقها ، ومع ذلك تسببت في تحريك المشاعر في أنكلترا . ان بحرية شارل الأول كانت غير قادرة على حماية حركة السفن الانكليزية وحتى حماية المدن الساحلية من تسرب سفن البحارة الجزائريين .

ولم يمض وقت طويل حتى تهاطلت ارسائل على الملك وكبار المسؤولين في الكنيسة من الارقاء بالجزائر أو من عائلاتهم بأنكلترا تناشدهم انجدة . وكثير من هذه الرسائل نها طابع الرثاء : بسؤس القساوسة وهم في الرق ، وجوع وحزن الزوجات والأولاد . ولم يكن الملك يملك النقود التي يمكن استعمالها لفداء الارقاء حتى وان كان وزراؤه قد تأثروا بمدى الحاجة الى انقاذ البحارة الذين كانت البحرية والتجارة البحرية في أمس الحاجة اليهم . ولم يكن في استطاعة الملك سوى الترخيص للآخرين بجمع المال لانقاذ هؤلاء المعذبين .

ولكن الحكومة استرشدت غيرها فيما يجب أن يعمل . فقد تألفت لجنة من السيد توماس روي ومن شخص يسمى ليث Leathe ، وهو



تاجر له أعمال في الجزائر ، ومن كيلهام ديفاي Kelham Digby

وهو تاجر إنكليزي ، ومن الدرمان عروي A. Garraway ومات بأعداد  
مفرين حول المشكل . فاما ما يتعلق بالفداء ، فانه الى جانب كون الملك  
ليس له نفوذ لهد الرقص ، فان اللجنة أدت تخوها من أن أي سياسة  
عامة لفداء ستعطي فقط فكرة للجزائريين بأن الإنكليز هم بصاعة رابحة ،  
وهي مستظلمهم بأن يبدلوا مجهودات أخرى للاستيلاء على الأسرى من  
أهل الفداء . أن العائلات والأصدقاء يمكنهم اتخاذ إجراءات لتحرير  
بعض الأسرى ، ولكن حتى هذا الأمر يترتب عليه ضرر ما دام تحرير  
البعض قد يجعل الآخرين يقطنون ويفقدون الشهادة . بل ربما يتخلون  
عن دينهم . ولم تكن الدبلوماسية هي الحل أيضا لأن اللجنة اتفقت على أن  
كلية حكاه شمال هرقية لا يمكن الاعتماد عليها ، فهم سيظلون يمررون  
« بضائع الكفار وأشخاصهم » هدفا مشروعا لهم . ( سيما لم تقل اللجنة  
شيئا عن القتل الإنكليزي في إحرام لماهدات ) . وهذا الموقف من  
اللجنة جعل استمرار الحرب هو الحل الوحيد الممكن ، ولكن حتى هذا  
الحل كانت تقف دونه عقبات . فالحجة له تنفق على عدد القوات العسكرية  
لضرورة للرئيس الإرادة الاكسبره على الإيالة . وكان هناك اقتراح يقول  
بأن أربع مئة اثنتان مئة ذب خمس مئة على واثم مئة ثلاثمائة وخمسين  
منا ، يمكنها أن تحرر جزائر على شدة السلام في أقل من سنتين .  
وقد قدرت تكاليف ذلك بحصة عشر ألف جنيه استرليني سنويا . وهناك  
اقتراح آخر أقل تفاؤلا من السابق قدر بأن أسطولا من ثمان مئة سفن يقوم  
بالعمليات خلال ثلاث سنوات تتكالف تقدر بخمسين ألف جنيه سنويا  
قد يكون ضروريا لجعل « القراصنة » يعودون الى رشدهم . ولكن قائمة  
المبالغ التي قدرت بمائة وخمسين ألف جنيه وحتى ثلاثين ألف جنيه ( + )  
كانت مبالغ أكثر مما يمكن لفخمة الملك أن تحمل .

ومن الواضح انه اذا كانت الدبلوماسية أو الفداء أو الحرب جميعا  
غير مقبولة فإن هناك بديلا آخر يجب اكتشافه . أن اللجنة رجعت الى

١٠ - هذا هو الرقم الذي ذكره المؤلف وهو ثلاثون ألف جنيه ، ولكن النص يقتضي أن  
يكون الرقم « ثلاثمائة ألف جنيه » . ( المترجم ) .



طريقة أخرى أثبتت الوقف نجاحها : جعل الحرب ضد شمال افريقية  
 كمشروع خاص بالبحارة الممارسين ورجال الأعمال . وهذا الاجراء قد  
 يجعل الحرب تشمل كل الدولة العثمانية ، وعليه فإن السفير الانكليزي  
 في اسطنبول يجب ان يوضح للسلطان بأن سلوكه رعاياه في شمال افريقية  
 هو الذي اجبر الملك الانكليزي على الانتقام في صورة منح أوراق اعتماد  
 للبحارة لمواص الانكلز تسمح لهم مهاجمة جميع التجارة المتوجهة الى  
 الموانئ الشرقية . ويمكن للسفير أن يصبر عن « أسفه » بأن فشل  
 السلطان في مراقبة رعاياه هو الذي أدى الى هذا الاجراء الشديد وبأمل  
 في ان الحرب مع السلطان يمكن تفاديها . ولكن حتى هذا الاقتراح لم  
 تكن التهمة به اى الملك ممسكة ، لأن تجار شركة سيمانون منه بدون  
 شك ، سيستحود على أسواقهم مافسوفهم الفرنسيون والهولنديون .  
 ولكن الفكرة كانت مبررة لصايط البحر الانكليز الذين يتذكرون الثروات  
 التي حصل عليها البحارة الخواص في الماضي . وهكذا فإن تقرير اللجنة  
 لم ينتج عنه أي شيء واستمر عدد الانكليز في الأسر يزداد بالطراد .

ويوجد كتابان هامان نشر في بريطانيا قبل أن يؤدي ظلام النزاع  
 بين الملك شارل الأول والبرلمان الى مشاكل جديدة الأول هو كتاب  
 فرنسيس نايت ( رحلة ... 1640 ) . وقد كان نايت أسيرا في الجزائر ،  
 وتقدم في كتابه باقتراحين أحدهما أن معاهدة مع الشا والديوان  
 سيحترما الجزائريون إذا احرمها الانكليز . وقد لاحظ أن القضاة  
 الانكليز يحدون من السهل عليهم الانتقال من وضع التاجر الى وضع  
 القراصنة ، وثاني اقتراحه هو حرب اسبانيا ، وقد دغدغ هذا  
 الاقتراح السلوك الاقتراسي الانكليزي . وذلك باخبارهم عن وجود  
 الثروات بالجزائر ، كثرة الذهب والفضة والحلي وسلاسل الذهب والطباق  
 الفضة . واعتقد نايت انه يمكن الاستيلاء على مدينة الجزائر ونهبها  
 بحيش من ثلاثين ألف رجل مدعوم باسطول . ومن جهة أخرى أشار الى  
 أن التجارة قد تكون أكثر فائدة من الحرب ، وبين انه من الممكن  
 للانكليز أن يحلوا محل الفرنسيين في الحصن . وقال ان التجارة هناك

تقدر بمائتي ألف دوكة *dukes* (٥) سنويًا وإنه إذا أصبح الحصن تحت إدارة الإنكليزية فإنه يمكن أن يزداد المبلغ بسهولة . أما المؤلف الثاني فهو هنري روبنسون *Robinson* . وكتبه هو ( تحرير أو نسخة إنكليزية ، 1642 ) وقد دعا فيه إلى حرب شاملة ضد الجزائريين . وقال إن أي اقتراح بالحصار سيثبت لأن القضاء على أسطول البحارة الجزائريين سيستغرق سنوات بسا محوم بري سيجبرهم على الاعتراف بحقوق إنكلترا . وأصر روبنسون على ضرورة موافقة السلطان على هذا المحوم ضد امتاعه ما دام لا يملك قوة بحرية قادرة على دعمهم . فإذا اعترض السلطان فإن روبنسون مستعد لإعلان الحرب ليس على الجزائريين فحسب بل على الدولة العثمانية أيضًا .

تقد كان عدد الإنكليز في الأسر ، بعد سنة 1634 ، قد استمر في الزيادة . وقد قدر هنري روبنسون عددهم بخمسة آلاف أسير سنة 1640 ويبدو أن هذا العدد مرتفع إلى حد ما ، ولكن أخضع تقدير لهم هو ثلاثة آلاف نسمة ، وهو عدد كاف لتوليد موجات متوالية من العرائض الموجهة إلى الملك وإلى البرلمان . وإنه خلال هذه السنوات نفسها قام شارل لأول بجهود ضخمة لبناء بحرية ملكية يمكنها أن تجعل العلم الإنكليزي محترمًا في البحر ، وكان أصحاب العرائض يلقون ، الواحد بعد الآخر ، على أن أولئك الأرقاء كانوا في أغلبهم يحاربهم بأن يخدموا الملك وهم على ظهور سفنه أفضل مما يخدمونه وهم في القنود الجزائرية .

وعندما أحد البرلمان في ماضية قضية الأرقاء الإنكليز قرر المجلس ، لاسعافهم ، تخصص المجالس المفروضة على الأعضاء المتخلفين عن أداء الصلاة ، وهو اقرار الذي لم يأت بالطبع إلا بنقود قليلة . وفي يناير 1641 - 1642 تم اقتراح برنامج أكثر أهمية : فقد فرض مجلس العموم ضريبة واحد بالمائة على الواردات والصادرات لتوفير المال لفداء الأرقاء . وقد وافق مجلس اللوردات على ذلك في الخامس من شهر ماي من نفس

٥ - جاء في كتاب خلاصة تاريخ تونس على حسي بعد الوهاب من 132 أن ٩ لدوكة نوع من القنود الأساية المدمجة في الواحدة من أسيرة إلى أخرى من قنود ( الترجمة ) .

السنة . إن هذا هو أول اعتراف من أي حاكم أو برلمان بأن الدراهم التي تجيبها الضرائب الملكية يمكن استعمالها في الفداء . أما في البلدان الأخرى فإن الحمل كانت تتحمله البلديات أو الكنائس ، ومعظمه كانت تتحمله المؤسسات الخيرية .

وأول محاولة لاستعمال هذه النقود للفداء وقعت سنة 1645 عندما غادر آدمون كاسن Cassea انكلترا على ظهر سفينة محملة بالبضائع والنقود لفداء الأرقاء في الجزائر . وكان كاسن أيضا قد تم اعتماده كقنصل . واعطى صلاحيات عقد معاهدة للسلام والأمن مع الايالة الجزائرية . ولكن سفينته ارتطمت بالأرض بالقرب من اسبانيا أثناء عاصفة واحترقت . وقد نقلت بعض النقود الى سفينة أخرى هي ( الماسة ) التي غرقت في الحال بالقرب من قادس ، وأمام ذلك اعتقد البعض ان تلك كانت مشيئة الله الذي يريد أن يخبرهم بشيء ما ، ولكن كاسن عاد الى انكلترا واعد نفسه لبعثه أخرى لاسعاف الأرقاء الانكليز . وقد وصل الى الجزائر سنة 1646 ومعه نقود فداء الأرقاء ولقب قنصل . واستقبله الباشا والديوان بتشريفات واضحة وأكدوا له أن الجزائر مستعدة لعقد السلام مع انكلترا ، سلام « يدوم ما دام العالم » . ان المشاكل الواقعة بين الباشا والديوان جعلت كليهما مستعدا للتفاوض مع انكلترا ، ولا يريدان اضافة مشاكل جديدة .

تمكن كاسن من عقد معاهدة جديدة لم تكن في الحقيقة سوى تأكيد لتلك التي عقدها السيد توماس روي منذ حوالي خمسة وعشرين سنة مضت . وبناء عليها فإن السفن الانكليزية في الجزائر ستجد استقبالا حسنا ولا يساء الى طاقمها سواء « بالاساءة اللفظية أو الفعلية » . وحددت التعريفات الجمركية بعشرة في المائة ، ولا يمكن مصادرة أملاك الشخص الانكليزي الذي مات في الجزائر . كما لا يجوز لأي انكليزي أن يسرق ولا لأي سفينة انكليزية أن تؤخذ كغنيمة . ومنذ هذا الحين تتبادل السفن الحربية للامتين التحية في البحر . كما أن السفن الجزائرية ستجد استقبالا حسنا في الموانئ الانكليزية . ولكن مشكل الأرقاء الانكليز في الجزائر عندئذ كان أكثر صعوبة . فقد كانوا في ملكية

البحر الأبيض ، ولذلك فإن حريمهم متوقفة على شراء حقوق مالكهم . وقد  
اكتشف كاسن بأن عدد الأرقاء كان عاليا ( Came high ) ، فأرسل  
إلى انكلترا أسماء مائتين وستة وأربعين انكليزيا استطاع أن يحررهم  
( أكتوبر 1646 ) ، ولكنه أقر بأنه لم يستطع أن يبعد شراء أكثر من شطر  
من مجموع الأرقاء .

ويبدو أن كاسن ( الذي يطلق أيضا كيون Cason وكاسون  
Cason ) قد بقي في الجزائر إلى وفاته سنة 1651 أو 1652 . وكانت  
هذه سنوات عاصفة في انكلترا : الحروب الأهلية ، ومحاكمة الملك  
وإعدامه ، وأخيرا إنشاء الكومنولث وعلى رأسه كرومويل Cromwell  
صاحب السيادة عليه . وكانت حكومة الكومنولث مدعومة بقوة من  
تجار لندن الذين وافقوا على قوانين الملاحة البحرية وعلى الحرب  
الإسبانية - هولندية التي كانت تهدف إلى تحطيم احتكارات الأراضي  
للمنخفضة ، كما كان أولئك التجار مهتمين بتجارة البحر الأبيض . ذلك  
أنه من الواضح أن تأسس تشيل انكليزي من قبل في الموانئ التجارية  
للعالم بالضرورة يسمى التجارة الانكليزية . وهكذا فإن الانفصالية  
الانكليزية في الجزائر عند وفاة كاسن كانت مؤسسة على قواعد صلبة .  
ولم يكن القنصل الجديد ، وهو روبرت براونني Browne تاسعا لشركة  
المشرق : فقد كان له راتب ثابت تقدر بأربعمائة حنة سنويا ، بالإضافة  
إلى النقود التي يأخذها لتقدمها « هدايا » صورية لخلق علاقات طيبة ،  
وكل ذلك كانت تدفعه خزنة الدولة . كما أن التعليمات التي تلقاها كانت  
أصا أكثر مباشرة وأكثر حماء من التعليمات التي تلقاها الذين سبقوه  
إذا تعرض أي شخص أو بضاعة للاستلاء من على سفينة انكليزية ،  
أو أي نوع آخر من أنواع العنف المخل بالمعاهدة ضد أي انكليزي  
« فيكون عليك أن تطالب بأرجاعه » ( والتأكيد على هذه الحملة  
تسيطر تحتها موجود في الوثيقة نفسها ) . فإذا لم يتحقق شيء من وراء  
مطالبك « فانك ستكتب إلى لندن وأضأ إلى الأسطول الانكليزي في  
البحر الأبيض حتى يمكنه أن يظهر نفسه أمام المدينة المذكورة ( الجزائر )  
ويعمل ما قد تأتيه به التعليمات لفعله ... »

وفي تلك اللحظة لم تكن هي التي كانت تعلق كرومويل ، ذلك ان الايالة نفسها كانت لها مشاكلها الخاصة . ولما كانت الأزمة حول دور الشاخص تصاعد ، فان الجزائر لم تكن ترغب في إضافة النزاع مع أنكلترا الى مشاكلها غير ان البحارة التونسيين الذين لم تكن تمنح أنشطتهم مثل هذه الموانع ، كانوا يستولون على الغنائم الانكليزية ويسترقون البحارة الانكليز . وتحت لذلك أرسل كرومويل أمير البحر روبرت بليك Blake الى البحر الأبيض لمعاينة البحارة التونسيين واحارهم على الاعتراض بالحقوق الانكليزية ، وأن يعمل على أن تعترف الجزائر أيضا بالحقوق الانكليزية . ان أوامر كرومويل تدل على توجه جديد سبب تطور في العلاقات بين ايلات الشمال الافريقي وحكام أوروبا . وكان بليك قد كلف باله عندما وصل أمام الجزائر يأخذ القنصل عنده على ظهر السفينة ويبحث معه حقيقة الأحوال . كما نصت الأوامر اليه انه اذا اقتضى الحال فان علي أن يطالب بأرجاع أي شخص أو أي سفينة أو بضاعة احتجزت بطريقة غير شرعية . وأي أسير قد يحضره ، عليه أن يحمله على سفنه أولا ، ثم يرسله الى بلاده بواسطة أية سفينة تجارية متوفرة عندئذ . كما منح ترخيصا بالتعاقد على « نود السلام التي تهاها مناسبة وضرورية » . وفي حالة الرفض ، فانه بإمكان بليك استعمال القوة « . . . ومهاجمتهم اما في البر أو في البحر ، وحاربهم ، وأقتلهم وأدبح كل الأشخاص الذين يمترضون سيالك » . وقد اشتملت الأوامر اسر بلقاها أيضا على مراقبة القوات الفرنسية والاسبانية ، بالاصطفاء الى مساعدة أهل السندقية في حروبهم في جزيرة كريت . ولكن بليك تحذر اجرائات وتوجه مباشرة الى تونس .

اد توفقه الأول بحلق الوادي لم يتح عنه سوى خيبة الأمل . فقد أحرر التونسيون حركته بكلمات خداعة ، ثم انه قام بزيارة ثانية لهم بعيد ذلك بقليل فوجدهم فيها « أكثر تصلبا وأكثر تشددا من ذي قبل ، مضيقين الى عيادهم كثيرا من الحصار والاحتقار ، رافضين أي تعامل بالحسنى واللباقة » . فقد رفضوا محبة الماء وأطلقوا النار على مرابكه . وكانت مؤونة بليك لا تكفيه ، ولذلك انسحب بعيدا ليراقب الوضع من البحر ، وأرسل حرا من أسطوله الى ايطاليا للتزود بالخبز وغيره من

المؤونة ، ولكنه لم يكن ينوي ترك الأمور كما هي . فقد كتب قائلا عن التوسيع « ان سوء ادبهم قد استقر مشاعرنا لدرجة اننا رايانا انه من الضروري لشرف الأسطول والآلة والدين ... ان نعلمهم يشعرون بنا كأعداء » . و تبرهن رسائل بلوك بوضوح على انه كان رجلا من لقرن السابع عشر . فقد كان يعتقد ان ارادة الله كانت في الظاهر تبارك أعماله . ولذلك فانه عندما تجمع الأسطول أبحر به الى ميناء بورتوفينا ( \* )

Porto Farina

حيث كان قسم كبير من مرسى البحارة التولسين راسيا في حماية مذبح انقلمة . وبخبرنا بلوك بأن « الله ، الذي أنعم عليه بالنسيم العليل الذي سيطر عليهم الدخان ... قد سهل مهمتنا » . وأثناء تحرك قوي للأسطول الانكليزي ، كانت تسع مرسى تونس اما أغرقت واما أحرقت ، وذلك في مقابل أربعة وعشرين قتيلا وأربعين جريح من الانكليز .

وقد اعترف بلوك بأن مرسى الشكوك قد ساورته حين رأى التأثير الكلي لهجومه . فهل كانت التعليلات التي جاء بها تسمح له بمعاذرة العناد بتلك القوة ؟ لقد كتب عى ذلك قائلا « اعترف ... انني ترددت كثيرا ... نظرا لمفوض التعليلات ، ... الى أن غير الميزان ذلك السمك الحسن لبلوك القراصنة . » ولكن شكوكه تخفرت تماما في اللحظة التي وصل بها الحزائر حيث سقطه أخبار عملياته القوية والعاسمة .

أما في الحزائر فان نمس بلوك القاصة « استعمال القوة قد جاءت بنتائج طيبة . وقد كتب هو نفسه قائلا « ان البابا والديوان قد رحبوا به ... تشريف لائق وتقدير ... ووافقوا بكل اسعداد على التفاوض على تحرير الأرقاء الانكليز . » ولكن حدث له مشكل صغير ذلك انه بينما كانت سفته راسية امام الجزائر سيج عدد من الأرقاء الهولنديين نحوها ثم حملهم بحارها على ظهورها . ان هذا كان مطلقا ضد المعاهدة

(\*) - يقول حسن حسن عبد الوهاب في خلاصة تاريخ تونس ص 143 طائفة ان بورتوفينا هو غار الملح الذي هو مرسى صغير قرب بنزوت .

وأدى في الحال إلى احتجاجات . وكان البحارة الانكليز الذين أصروا على عدم تسليم لأرقاء المذهبين وأخذوا في جمع الدراهم لفدائهم - دولارا على كل بشار - واشتروا لهم حريتهم . ويبدو أن الجزائريين كانوا راضين بهذا الحل ، لأنهم أكدوا من جديد موافقتهم على المعاهدة التي كان كاسي قد عاوض عليها منذ عدة سنوات خلت .

وفي منتصف القرن السابع عشر لم يكن كرومويل أكثر نجاحا من شارل ( الأول ) في السيطرة على القراصنة الانكليز ، وأصحاب السفن العامة ، وضابط التجارة الحرة . وقد كان السلام الانكليزي مع الهولنديين سلاما هشا ، وبعد تحالفه مع ما زاراي الفرنسي ، دخل كرومويل لمدة قصيرة في حرب ضد أسبانيا . ولكن كان للجزائريين بعض الشكاوى : فالسفن الانكليزية كانت تحمل بضاعة العدو ومسافريه وترفض تسليم ذلك إلى الراس الجزائريين . وهذا ضابط انكليزي حصل الحاج المسلمين كساميس على سفينته ، بما في ذلك مبعوث السلطان ، ثم باعهم إلى فاجر من اليدقة . وقد كتب الباشا عن ذلك ( إلى الحكومة الانكليزية ) قائلا : « أنا متأكدون من أنهم جعلوا أرقاء وأن بضاعتهم قد فست . أنا نرحوكم أن تقدموا الضابط إلى المدالة . » وقد ذهب الباشا إلى التهديد بأن الجزائريين سلهاون إلى الثار « لأننا لا نستطيع التحمل » . مبعوث سلطاننا المفدى « وببما كان الحق مع الجزائريين في الاعتراض على السوء الانكليزي ، فبأن الرئيس لم يكونوا أيضا غرياء عن الاخلال بسواد المعاهدة . فقد كتب القنصل براوني إلى الوزير ثورلو Tharloe قائلا : « ان هؤلاء الناس يلحون في المطالبة بالمدالة لأنفسهم . ولكنهم لا يفعلون هم فحوها شيا . . . » وقد أوضح ذلك بقوله أن الجزائريين كانوا قد احتجروا الانكليز الذين استولوا عليهم في السفن الأجنبية ، وصادروا بضائع ( انكليزية ) من سعة قد يحطط . كما أنهم حددوا اقامة « القنصل . وأصاب إلى ذلك قوله : « مد بضعة شهور لاحظت أن معاملتهم لنا مختلفة كثيرا عما كان يجب أن يكون عنه . . . » ان دخول بليك إلى لبحر الأبيض لم يكن في الظاهر غير اجراء مؤقت . وإذا



كان الحكام الانكليز لم يستطيعوا السيطرة على بحارتهم ، فان الجزائريين لم يكونوا مستعدين للسيطرة على رياستهم ، ولعل المشاكل الداخلية في الجزائر جعلت ذلك من المستحيل . وان الحركة التالية ستقوم بها الحكومة الجديدة في انكلترا بعد عودة الأسرة الاستوارتية *Stuarts* الى العرش .

ان السنوات الأخيرة في عقد 1650 — 1660 شهدت حل كثير من المشاكل التي كانت تزعج حكام أوروبا منذ أكثر من قرن . فالحروب الدينية التي تولدت عن حركة اصلاح الكنيسة قد انتهت . وسلام ويستفاليا (1648) قد أنهى الحرب الألمانية ، وسلام البيريني (1659) قد حل مؤقتا النزاع بين مملكتي فرنسا وأسبانيا ، ومعاهدة أوليفيا *Olivia* (1660) قد وفرت السلام لمنطقة البلطيق . لقد كان حلم مازاران هو أن دبلوماسيته ستهدئ البلاد المسيحية ، وعندما تولى الملك الشاب ، لويس الرابع عشر ، مسؤولية الدولة كاملة وألقى نظرة على أوروبا سنة 1661 ، فإن الأمور كانت تبدو وكأن مازاران قد حقق فعلا مهمته قبل وفاته . وما دام ذلك العقد من الزمن قد انتهى أيضا بحركة ( العودة ) في انكلترا ، وهي الحركة التي أرجعت الاستوارتين الى عرشهم « الشرعي » ، فانه يبدو أن الأحداث التي هزت المملكة الجزيرة ( انكلترا ) مدة عشرين سنة كانت أيضا قد حلت في النهاية . ان الصعوبات التي رافقت ذلك العقد (1650—1660) كانت على درجة كبيرة من الالحاح جعلت الانزعاجات التي بسببها رياس شمال افريقية اما ، ببساطة ، يقع التفاوض عنها واما يسمح لها بالاستمرار ، لأنه ، فيما يبدو ، لم يكن لها جواب مناسب . ولم يقف موقفا صلبا من بحارة شمال افريقية سوى كرومويل ، لأن أنشطة أولئك البحارة قد أقضت مضامع تجار لندن ، ولكن هذا الموقف الصلب سيعطى نمطا جديدا للعلاقات الأوروبية مع شمال أفريقية . وسيكون على الجيل اللاحق ، أي جيل لويس الرابع عشر ، وشارل الثاني ، وويليام الأورانجي أن يجدوا طرقا يحتوون بها العنف الذي سببته هذه الجماعات غير المنضبطة لتجارهم ولرعاياهم .



## الفصل الحادي عشر

### الديالة الجزائرية واروبا ، 1660-1688

أنتج ربع القرن الذي حاء بعد سنة 1660 تغييرات جذرية في المؤسسات السياسية والعسكرية الأوروبية ، وهي التغييرات التي سيكون لها على المدى البعيد تأثيرات هامة على جماعات البحارة في شمال افريقية . ونظام الملك الشاب ، لويس الرابع عشر الذي نولى سلطة مملكته بعد وفاة مازاران ، كان في الحقيقة استمرارا للأعمال التي قام بها الوريثان العظيمان ( الكاردينال ريشليو والكاردينال مازاران ) اللذان حكما فرنسا أثناء المقود المأصية . فقد كانت وزارة الحرية ، ومعها الجيش النظامي الذي يتلقى أوامره من الملك والذي كان ريشليو قد تصوره عندما أدمج مصلحة أمير البحر وشرطة فرنسا في وزارته ، قد ظهرت هي الساعد القوي للحكومة الملكية . ثم ان ظهور البحرية الفرنسية القوية قد وازته صناعة بحرية في كل من انكلترا والأراضي المنخفضة ، ونعني بذلك الساق البحري الذي تولدت عنه أساطيل بحرية لم يكن في مقدور ايلات شمال افريقية أن تتسابق معها . ومن جهة أخرى فان حكام شمال افريقية لم يستطيعوا أيضا أن يطوروا بيروقراطية « عصرية » ، شأنهم في ذلك شأن عجزهم عن بناء سفن بحرية في حجم وقدرة القوات البحرية الأوروبية . وهذا يعني أن تجارة أهم الدول الأوروبية الثلاث ( فرنسا - انكلترا - هولندا ) ستصبح « لعبة » خطيرة بالنسبة للرياس ، ما عدا اذا كانت هذه الدول في حرب ضد بعضها البعض .

## الفصل الحادي عشر

### الديالة الجزائرية واروبا ، 1660 - 1688

اتج مع القرن الذي جاء بعد سنة 1660 تغييرات جذرية في المؤسسات لساسية والعسكرية الأوروبية ، وهي التغيرات التي يكون لها على المدى البعيد تأثيرات هامة على جماعات انهاره في شمال افريقية . فنظام الملك الشاب ، لويس الرابع عشر الذي تولى سلطة سلطته عند وفاة مازاران ، كان في الحقيقة استمرارا للأعمال التي قام بها ابوريران العظيم ( الكاردينال ريشليو والكاردينال مازاران ) اللذان حكما فرنسا أثناء العقود الماضية . فقد كانت وراثة لحرية ، ومعها الجيش النظامي الذي يتلقى أوامره من الملك والذي كان ريشليو قد تصوره عندما أدمج مصلحه أمير اسحر وشرطة فرنسا في وراثته ، قد ظهرت هي الساعد القوي للحكومة الملكية . ثم ان ظهور الحرية الفرنسية انقوية قد وازته صاعدة بحرية في كل من انكلترا والاراضي المحفظة ، ويعني بذلك الشان البحري الذي ولد له أساطيل بحرية لم يكن في مقدور االابال شمال افريقية ان يسابق معها . ومن جهة أخرى فان حكام شمال افريقية لم يستطيعوا ان يطوروا بروقراطية « عصرية » ، شأنهم في ذلك شأن عجزهم عن بناء من حرس في حجم وقدرة القوات البحرية الأوروبية . وهذا يعنى ان تخارة أهم الدول الأوروبية الثلاث ( فرنسا - انكلترا - هولندا ) تصبح « لعبة » خطيرة بالنسبة للرياس ، ما عدا اذا كانت هذه الدول في حرب ضد بعضها البعض .

ولكن الجزائريين ليس لهم الا مجال ضيق للعنصرة . فالاقتصاد  
الجزائري ، خلافا للاقتصاد التونسي القائم على تجارة شرعية معتبرة  
وعلى مجموعة زراعية كبيرة ، كان في معظمه معتمدا على الغنائم  
( البحرية ) . وأمام تدهور التجارة وحركة السفن الاسبانية ، كان  
على الجزائر أن تكون « في حالة حرب » مع دول مسيحية أخرى لكي  
تعيش . وكان القناصل الأوروبيون خلال القرن السابع عشر غالبا  
ما لاحظوا أنه بدون دخول الجزائر في حرب مع انكلترا أو فرنسا أو  
الأراضي المنخفضة ، فإن الجباعة ( الايالة الجزائرية ) لا يمكن أن يكون  
لها وجود . وهذه الحقيقة لم تحدث أي مشاكل خطيرة أثناء العهد  
العظيمة للبحارة الجزائريين ، ذلك أنه كان بإمكان الجزائري أن تكون  
في حرب مع واحدة أو اثنتين أو حتى الثلاث من هذه الدول ، مع ضمان  
الامن نسبيا ، لأن الحروب والثورات الداخلية منعت الدول الأوروبية  
من رد الفعل الفعال ، ولكن المشكل ، بعد سنة 1660 ، كان أكثر صعوبة  
( على الجزائر ) مع مرور كل عقد من الزمان .

وكانت الدول التجارية الهامة الثلاث قد سبق أن أقامت أنماطا خاصة  
من السلوك نحو دولة البحارة الجزائرية . فالهولنديون ، وهم أناس  
واقعيون عمليون كما كانوا ، اعتقدوا أن أفضل حل هو عقد معاهدة  
تضمن ، كلما كان ذلك ممكنا ، لسفنهم السلامة من الهجمات حتى ولو  
كان ذلك يعني دفع « جزية » ( اتاوة ) الى « القراصنة » فقد يكون شراء  
رضى البحارة أقل ثمنا من محاولة حربهم . وكان قناصل انكلترا وفرنسا  
يرون ذلك أمرا « مخجلا » و « جينا » و « مخلا بالشرف » والواقع  
أن الهولنديين كانوا يمونون الجزائريين بالمواد الحربية لمهاجمة تجارة  
الأمم الأخرى ، لأن الصواري والمدافع والبارود والأشعة والرصاص  
كانت دائما جزءا من الاتاوة . انها « طريقة مهيئة » لضمان حصانة  
السفن الهولندية . ولكن حتى هذا النوع من الاتاوة لم يضمن تماما  
للهولنديين أمن تجارتهم . فقد كانت الحكومة الهولندية تشترط أن  
أي سفينة هولندية في البحر الأبيض يجب أن تحمل على الأقل اثنين  
وستين مدفعا وطاقما لا يقل عن أربعين شخصا لتتمكن من مقاومة

الترسنة • وكانت القوة على عدم الوفاء بهذا الشرط هي المصادرة •  
وكانت معظم الحرية الجزائرية تحصل بمداخيل أقل •

كما أن الانكلير أيضا اعتمدوا على القوة البحرية والمجاهدين لضمان السلامة بينهم ، ولكن هذه المجاهدين لم تنفس دمع • اتاه • • • حتى أن القوة البحرية الضعيفة التي أرسلها جيس الأول للتأثير على الجزائريين في أوائل العشرينات من القرن السابع عشر لم تنجح إلا بدور ضئيل ، ولكن خلال المصاعب من ذلك القرن أصبحت لدى الحرية التي أرسلها كرومويل وأسير بحر ( ١ ) كان مسعدا للفرس في الحرب ، اقتضت الجزائريين بأن انكسرت سكر أن يكون لها حصة بحرية خطيرة • وكانت التجارة الانكليرية في البحر الأبيض تحري اما في سن تجارة مسلحة تسبحا جدا تلكها شدة كه الشرق • أو في مراكب صغيرة تنقل من نقل الضائع الانكليزية وكذلك العامة • لافرس الأجانب من ماء إلى آخر • وكانت هذه المراكب الصغيرة • كما لاحظ البدهون فرنس French « تسبح دائما ثبات ( بحارة ) شمال إفريقيا • • • ومن ثمة كانت باهظة الثمن على الملك ، وحصارة لرعاياه • • • ثم أضاف قوله « ونحن لم نسمع ( rival ) في حرائرهم ولكننا اتبعهم في نزاهتهم » غير أن هذه المراجعة لم تظهر إلا عندما اقتضت حماية التجارة ( الحرائير ) بأنه من الخط التدخل في حرب مد انكلترا •

• • •

## فرنسا 1660 :

وحلال أغلب القرن والصف الذي سبق سنة 1660 كان الفرنسيون حلفاء مستترين أو حربي مكشوفين لبحارة شمال إفريقيا ضد عدوهم المشترك : أسبانيا • أثناء السبعينات التي تلت عقد هيري بروديه السلام مع الملك الاسباني • وعدت بحرب مديري دي مديتشي لعرشيين ( الفرنسي والاسباني ) بصفه الرواح ، تحارب الحصانة التي طامسا

• - بشر المرفع الرواحي • وقد • • • الذي رسله كرومويل • • • المباشرة • المترجما •

سحت بها التجارة الفرنسية في معاهل اسبان . وكان مفاوض ماهر ، مثل نابولون ، قادرا على وضع الحصور بين العلاقات التي اردت من الجزائر وفرنسا ، ولكن تأثيره لم يكد يقي بعده . وقد كانت التجارة الفرنسية بالخصوص مرسمة للخطر لان أغلبها كان يحمل في مراكب صغيرة لا تستطيع الدفاع عن نفسها . وهناك مشكل آخر ايضا تعاني منه ، وهو ان القساط البحرية الفرنسية المتوجهين الى المشرق كانوا يتمثلون مانعة كالول محطة لهم للسويين وتحرير الصنائع وتبيحة لذلك تسلط البحار الفرنسيون على التجارة المانطة وحملوا الحرية تظهر وكأنها مستمرة مرسمة . وقد رأينا انه عندما يذكر الجزائريون بان اطلية فرسان القديس يوحنا كانوا فرنسيين ، لم يد غير معقول أن ينظروا الى الفرنسيين على أنهم كانوا حلفاء لأعظم أعدائهم خطرا . وهكذا فان الضغط النسبي لسفن الفرنسيين وارتباطهم ساطة حمل الجزائريين « على حق » في التساؤل حول وفاء الفرنسيين للمعاهدات . ولكي تقاوم الغارات الجزائرية ، حاولت الحكومة الفرنسية عدة مرات أن تقنم البحار مارسان معهم الى المشرق في جماعات ، ولكن هذه الطريقة وجدت دائما مقاومة ، لانه اذا وصلت جميع السفن في نفس الوقت ، فان أسعار الأقمشة وغيرها من الصنائع ستخضع ، بينما أسعار المنتجات المحلية التي يرغبون في حملها الى فرنسا ستكون أعلى . ومن ثمة فانه عندما يقع الاخلال بالمعاهدات أو يشعر الرئاس بأنهم أحرار في الهجوم ، فان التجارة الفرنسية كانت أفضل مورد مريح للضائيم .

وكانت كل الدول التجارية الثلاث الهامة في حالة توتر مع الجزائريين سنة 1660 . فقد كان هناك بن عشرين وخمسة وعشرين ألف رقيق في الايالة ، معظمهم كانوا اسبانيا أو برتغاليين أو ايطاليين ، ولكن عدد الأرقاء الانكليز والهولنديين والفرنسيين كان يقدر بالمئات ، بل لعل بالآلاف . فليس من الغريب حينئذ انه بمجرد « تحقيق السلام » النسبي في أوروبا ، بادرت الدول التجارية لانهاء الضسارة التي كانت تعاني منها سواء مالمسة للقوى البشرية التي تحتاجها منهم أو بالنسبة لرأس المال الذي كان يرجع الى تجارهم وملاك السفن عندهم .

تمتعت بها التجارة الفرنسية في محافل النيان . وكان مفاوض ماهر ، مثل نابولون ، قادرا على وضع الجسور بين الخلافات التي أوردت بين الجزائر وفرنسا ، ولكن تأثيره لم يكد يقي بعده . وقد كانت التجارة الفرنسية بالخصوص معرضة للخطر لأن أغلبها كان يحمل في مراكب صغيرة لا تستطيع الدفاع عن نفسها . وهناك مشكل آخر أيضا تعاني منه ، وهو أن الصايط الحريين الفرنسيين المتوجهين الى المشرق كانوا يستعملون مالطة كأول محطة لهم للتزويج وتخزين البضائع ونتيجة لذلك تسلط التجار الفرنسيون على التجارة المالطية وجعلوا الجزيرة تظهر وكأنها مستعمرة فرنسية . وقد رأينا أنه عندما تذكر الجزائريون بأن أغلبية فرسان القديس يوحنا كانوا فرنسيين ، لم يبد غير معقول أن ينظروا الى الفرنسيين على أنهم كانوا حلفاء لأعظم أعدائهم خطرا . وهكذا فإن الضغط النسبي لفرن الفرنسيين وارتباطهم بمالطة جعل الجزائريين « على حق » في التساؤل حول وفاء الفرنسيين للمعاهدات . ولكي تقاوم الغارات الجزائرية ، حاولت الحكومة الفرنسية عدة مرات أن تقسم التجار مارسال سفنهم الى المشرق في جماعات ، ولكن هذه الطريقة وجدت دائما مقاومة ، لأنه اذا وصلت جميع السفن في نفس الوقت ، فإن أسعار الأقمشة وغيرها من البضائع تنخفض ، بينما أسعار المتوجات المحلية التي يرغبون في حملها الى فرنسا ستكون أعلى . ومن ثمة فانه عندما يقع الاخلال بالمعاهدات أو يشمر الراس بأنهم أحرار في الهجوم ، فان التجارة الفرنسية كانت أفضل مورد مريح للضائيم .

وكانت كل الدول التجارية الثلاث الهامة في حالة توتر مع الجزائريين سنة 1660 . فقد كان هناك بين عشرين وخمسة وعشرين ألف رقيق في الايالة ، معظمهم كانوا أسبانيا أو برتغاليين أو ايطاليين ، ولكن عدد الأرقاء الانكليز والهولنديين والفرنسيين كان يقدر بالمئات ، بل بعض بالآلاف . فليس من الغريب حينئذ أنه بمجرد « تحقيق السلام » النسبي في أوروبا ، بادرت الدول التجارية لانتهاء الخسارة التي كانت تعاني منها سواء بالنسبة للقوى البشرية التي تحتاحها سفنهم أو بالنسبة لرأس المال الذي كان يرجع الى تجارهم وملاك السفن عندهم .

قد اتجه الى شمال افريقية ، ذلك ان هذا العهد قد شهد نجاح الديوان في ايجاد بشار السلطان ابي حيث لا سلطة له ، كما نجح في اعدام اي آغا حاول ان يعرض حكمه على الجماعة . وكان الفرنسيون ينظرون اليهم على انهم *sclerats* ( اي اناس اشرار وغدارون ) . وهكذا رأى كولبير انه لا شيء يحول دون طلبه من برلمان ايكس ان يجد قانونا يحكم بقوة الموت على سليمان رايس ، وهو علج قرسي . ولا ار بأمر سده ( الملك ) بقصف الجزائر بعلظة اتباعا فقط لسياسة الارهاب ، ونفس هذا الملك وهذا الوزير قد معكرا في الأحوال البدنية والروحية الأرقاء الفرنسيين بشمال افريقية . ولكنهما في نفس الوقت سرعان ما سحر به مآدله الأتراك الجزائريين الذين كانوا أرقاء في السفن الحربية الفرنسية ما عدا اذا كانوا طاعين جدا في السن أو مرضى لدرجة لا يستطيعون معها تحريك محذاف .

وكان أول معامره بحكومة اسب لويس الرابع عشر ملكه . منه في ذلك مثل المحاولات المديدة التي لحقتها . وكان شسوفاليي بون Paul وهو قرسي من فرسان القديس يوحنا والذي قاد الأسطول الحربي الفرنسي ، قد حذر الملك بأن الجزائريين كانوا يملكون بين أربعين وخمسين سفينة حربية تحمل بين خمسة وعشرين وأربعين مدقة . لكن منها « وحشيها لها اشرعة جيدة » . فقد يكون هذه السفن خطيرة جدا . ولكن كولبير كان يعلم ايضا ان يدعون ندي صرب لجزائر سنة 1663 سبب في وفاة الكثير لدرجة ان لارسي الجزائرية « اندخلت » قد أصبحت فارغة . « من السكان » . ومن ثم لم يظهر الجزائريون بمظهر الحظر . وقد قرر وزراء لويس الرابع عشر سيد افراح مازاران بأن على فرنسا ان تحصل على ميناء قابل للاستعمال على الساحل الجزائري كميناء تجاري وكقاعدة لمراقبه ابخرة المسلمين . وقد فهم هؤلاء الوزراء ان السكان المرمر سيجنون بهم . لأشترأهم معهم في المداة للأتراك . وعلى اثر بداية خاطئة بجح كولبير في تجميع أسطول من القواعد الحربية في البحر الأبيض والمحيط الأطلسي ، وحمل منه قوة قامت بحمله على ميناء حجل الصغير . ومن سوء حظ الجهود الفرنسية فإن القيادة كانت منكسة وغير كفأة على الإطلاق . وقد تساءل السكان ، وهم يحملون

على الهدنة . عن سبب نزول الفرنسيين على أرضهم ، فكان الحواف  
 لهياضه الأتراك ، فأجاب البربري : « نسي استعرب كيف أن ألسنا  
 إعياء شديدا ، مكملين حادوا ليزنوا ( على أرض ) ليس فيها أي خير ،  
 حيث ليس لهم شيء يستفيدون منه . أبشع عراه . وفلسا بعد ما نأكله ،  
 ومع ذلك فنحن رجال حرب . . . أما في مسالككم . ادعوا . . . بوجهوا  
 في بلاد أخرى حيث يسكنكم أن محملوا الحرب أكثر فائدة لكم . »  
 وقد كان على الفرنسيين أن يصغوا . وبدلا من ذلك . أزلوا المدافع  
 والمؤن ، وسكنهم غلوا في إقامة الخطوط الدفاعية . وهذا التصرف  
 أعطى الوقت للانكشافية لقتل مدافعهم وأجهزتهم من الحرائر إلى حجل .  
 وعندما وصل . فصل السكان البربر أن يجازوا إلى جانب الأتراك  
 المسلمين بدل الانضمام إلى المسلمين منهم . وقد رمى الحزائر بون  
 بالفرنسيين في البحر . وحملوه بصردون حصه مدافعهم ( خمسة  
 وثلاثون مها محاسة وخمسة عشر من الحديد ) . وحسم حقائهم ،  
 بالاصافة إلى حوالي أربعائة رجل وقموا في الأسر . تحول الكثير منهم  
 إلى أتراك . لكن بحجم المصد الزمأ وهو لرو . وقد وصف  
 القنصل الانكليزي . « منا سمع في الله . الاحتمالات التي أعمت ذلك  
 من الحرائر . وكان الفرنسيون في بعض تلاحقهم أبواب كموا .  
 القنصل » حجل حجل ( 1 ) أن سائل في الابع عن لم  
 قائديه الحربي . شدد . ل . المدعي دي بون de Beaufort  
 شهادة مفصلة عن هبائه بخمسة . لكنه بصفة خاصة لم يتفق من  
 الرجال الذين كانوا معه . إلى غير فصل خمسة .

وتم مكن حجل هي اربع . بعد من حدود الفرنسيين والمسلمين  
 في تلك السنة ، لأنه عدده متى حسن غشبي عن الدبوت وهاجبه  
 الدولة ( الاسم الطوي ) الإمامة . بحرك بوسر لم به عمر كانه شريف  
 الماني من الانزاس ومن ممكك برب . وأسمه بحملة بعت دورا حاسا  
 فهو ايقاع الهزيمة بالأتراك في سان غابيار Gonthart . ولم يكن

1 - بعض المذاهب الفرنسية التي تركت عام 1864 . حدثا بعد بون . 1870  
 في طلبة بعد . بعض حوالي . حتى بلة من حجل



السلطان قادرا على رد الفعل ، سواء للدفاع عن أنصاعه في شمال افريقية أو للتأثر من التدخل الفرنسي الى حاب الحاكم ( الامبراطور ) الهولندي ، ولكن الفرنسيين كانوا يريدون التأثير لهمجتهم في جيجل ، ولذلك غل شوقاليي بول ولندوق دي بوهور خلال الستين التاليتين ، يحوان اسحر الأبيض ضد الجزائريين ، وقد نجحوا في احراق أو اغراق ثمان أو عشر من السفن الحربية للآيالة . وكان يمكن أن تنتهي الحملة البحرية بنتيجة مرضية للملك ( الفرنسي ) لو أن الانكليز لم يهاجموا الأراضي المنخفضة سنة 1666 ، وهو الهجوم الذي أحرر لويس الرابع عشر على إعلان الحرب على انكلترا تأييدا لحلفائه الهولنديين . ولكي يشارك في هذه الحرب أمر فرانسول الفرنسي بالبحر الأبيض بالتوجه الى الموانئ الغربية الفرنسية الواقعة على المحيط بكل سرعة . حقيقة أن الأسطول لم يصل الى هناك الا متأخرا عن المشاركة مشاركة فعالة لتأييد الهولنديين ، ولكن اقلاع الأسطول من البحر الأبيض جعل هجومات أخرى ضد الجزائريين غير ممكنة . وقد اعتقد الهولنديون ، الذين أساء الانكليز استعمال قوتهم البحرية ، أن لويس الرابع عشر فشل ، عن قصد ، في دعمهم ، ولكن الشواهد تقف ضد هذا الاعتقاد .

وبينما كانت الحرب الانكليزية - الهولندية في عنفوانها ، مات فليب الرابع ، ملك أسبانيا ، تاركا طفلا مريضا ، هو شارل الثاني ، كوريت له . وقد اعتقد الملك الفرنسي أن ملكته ، ماري بيرز ، وهي أكبر سنا من فليب الرابع ، لها حق في نصب من تركه والدها . وكانت دعواه في « تحويل » نصيب من الأراضي المنخفضة الاسبانية ، لم تكن تبدو صحيحة لدى كثير من الناس في أوروبا ، ولكن لويس الرابع عشر كان له جيش جيد لدعم مطالبه . فلما رفض الأسبان الاعتراف بحقوق ماري تيريز ، كانت الحرب محتمة . ويمكن للجزائريين أن ينتظروا العقاب . فقد أرسل لويس الرابع عشر السيد تروبير Trubert الى الجزائر وأعطاه تعليمات بأن يعقد معاهدة جديدة تؤكد ما جاء في المعاهدات السابقة ويصيف اليها شرطا وهو أن يأتي جزائريان برتبة عالية للعيش في مرسيليا كرهائن عن

القنصل الفرنسي وغيره ممن يعيشون في الجزائر . وأكد ترويير الى  
 حكام الإيالة بأن الملك الفرنسي سيجي بالتزامات المعاهدة وأنه يتوقع  
 من الجزائريين أن يحترموها بدقة . وقد تضمنت التعليمة الملكية  
 الترخيص له بمنع « هدايا » الى « الناس الذين لا يتهمون الا مصالحهم  
 الذاتية » رشوة لهم على اعلان الجزائر الحرب على انكلترا . وبعد التعاقد  
 بشأن هذه المعاهدة ، تلقى ترويير الأوامر بأن يحاول التأثير على ملك  
 نافيلالت ، وهو حاكم مغربي على الأراضي الداخلية من طجة (هـ) ،  
 لتنضم الى فرنسا في الهجوم على هذا المرسى ( أي طجة ) . وباستطاعة  
 ترويير أن يقدم الى هذا « الملك » ما قدره مائة ألف فريك اذا رضى  
 بالهجوم . وعندما يحاصر الفرنسيون طجة من البحر . وقد نجح ترويير  
 في توقيع المعاهدة مع الحرائر ولكن مقترحه بالهجوم على طجة تبخر  
 مع حلم ساسي آخر من أحلام ذلك العهد .

ولكن معاهدة سنة 1666 لم تقص على الصعوبات ، ان هذا هو العهد  
 الذي كان فيه كولير مدل قمارى جهده فى ساء بحرية فرنسية . فعندما  
 تبلى ادارة الشؤون الحربية سنة 1661 ، كانت تألف من ثلاثين سفينة  
 حربية من جميع الأصناف ، ولما مات بعد عشرين سنة ، كانت تألف  
 من ست وسبعين سفينة ، مما انتان وثلاثون من السفن الحربية الكبيرة  
 ( غالبيات ) . وهذا الأسطول الحربي هو لدى نسب من صعوبات مع  
 الحرائر . فقد سحر الناس الحكم . عسبه لمعمل كحد من ولكنهم كانوا  
 صاعقا ، ذلك لأنهم كانوا متفرون الى القوه البدية والى معرفة لبحر .  
 ولم يكن يوجد من الدس الأحرار لراعى فى لميل بالمحاذيف الا عدد  
 غير كاف ولذلك كان على الأسطول الحربي أن يعتمد على الأرقاء . ومنذ  
 سنة 1662 ، وحدنا كولير والملك يأمران فواد الحربية الفرنسية  
 بالنزول على ساحل الشمال الاعرقى واحتداد الأرقاء ( المسلمين ) ، وعندما  
 لم تأت هذه العملية بما فيه الكفاية من الرجال ، قام الفرنسيون بشراء  
 الأرقاء من أسواق مالطة وفلورنس . ومعظم هؤلاء الرجال كانوا

٥ - هذا عهد عامس من المؤلف لأن لاملات مع سبيده من طجة ، في الجنوب الشرقي  
 من المغرب الأقصى . ( المترجم ) .

جزائريين أو أتركا ، وكثير منهم كان لهم أصدقاء وأقارب في الجزائر  
أو كانوا أعضاء في الفرقة الانكليزية الجزائرية . وقد قاموا بإرسال  
الرسائل الي بلادهم مترجمين الايالة أو تجد وسيلة لخلاصهم . وكانت  
مباحدة سنة 1666 قد نصت على إعادة هؤلاء الجزائريين والأتراك الذين  
كانهم الحظ في مقابل المادلة بالأرقاء الفرنسيين . ولكن ضباط  
الأسطول الحربي كانوا — كالعادة — غير مستعدين لرؤية الخلل في  
صعوبات جدابهم . فعندما تعلم فرقة من الأرقاء كيف تحذف صعبا  
واحدا ، فانه يصبح من المحتم المحافظة على الفرقة مكتملة . ومن نتائج  
ذلك انه عندما أرجع الفرنسيون من حديد « الجزائريين والأتراك » ،  
فان الأمور سارت — كالعادة أيضا — وهي أرحاع الطاعنين منهم في  
الس والمعرة والمضى فقط . أما الأرقاء القادرون بدنا فكسبوا ،  
عندما تصعب الدراهم لمدايهم ، « غير موجودين » . ان هذه الممارسة  
قد تبت في صعوبات جديدة بين الجزائر وفرنسا ، ثم ان رأي الملك  
الامتاضي ، وكذلك رأي وريثه ، لم يساعد على تذليل هذه  
الصعوبات .

انتكرا ، 1660 — 1688 :

وكذلك كاد للسلكة الانكليزية مشاكل على ساحل شمال افريقية بعد  
سنة 1660 . فعندما أعاد شارل الثاني الى « عرش أجداده » كانت  
هناك مجموعة من القضايا التي تحتاج الى حل . كان هناك عدة مئات  
من البحارة الانكليز في الرق ، وكانت الدراهم التي جمعت من الواردات  
لفداء هؤلاء المعبدين قد صرفت في أغراض أخرى . وهناك أزمة أخرى  
تطورت حينا وقم اللورد انشكوين Enchequin وكل حاشيته ، بما  
في ذلك ولده ، في أسر الجزائريين وسموا بيمما . وكان انشكوين  
قد شارك الملك في المنفى وصعد الى رتبة عالية في الجيش الفرنسي .  
وما دام صديقا للملك وكان يحتاج اليه في البلاد العسكرية الانكليزية ،  
فان اطلاق سراحه كان هدفا ملحا . وقد أرسل شارل رسالة ودية الى  
حكام الجزائر قائلا فيها : « منذ أعاده الله الى مصبه الشرعي » كان  
يأمل في عقد مباحدة مع الحرائر . وقد رأيا أنه كان قد عين روبر

براوني كقنصل وأمر سفيره لدى الباب العالي ، اللورد وينشيلسي Winchelsea (أو اينشيلسي Inchelsea) لكي يفاوض على معاهدة تمديد شروط المعاهدات الانكليزية السابقة مع الجزائر وتضيف عدة شروط جديدة .

ويبدل وصف اللورد وينشيلسي للمفاوضات على أن التعامل مع الجزائر في ذلك الوقت لم يكن أمرا سهلا . فاحتجاج الديوان مع المفاوضين الانكليز كان تجربة لا تكاد تصدق . فقد كتب عنها قائلا : « انها طريقة مضحكة في المناقشة ... لا نظير لها في جميع أنحاء العالم . ولا يمكن لهذا الشكل من المداولة أن ينتج عنه أي نتائج فاضحة أو دائمة . » « ان هؤلاء الرابرة يترنمون » بقراراتهم بأن يعلن الآغا : « هل نحن راغبون في فتح المفاوضات ؟ » فيجيب الديوان كله : « نعم ، نحن راغبون . » ولكي يحصل السفير على معاهدة شبيهة بالاتفاقات الانكليزية الجزائرية السابقة ، دفع رشوة بخمسين حنيها ، ومع ذلك فلم يكن له ثقة في هذه المعاهدة . فقد فهم الملك بأن العرب وحدها هي التي ستجبر الجزائريين على الانضباط وهذه العرب ، كما اعتقد السفير ، ستكون سهلة ، دام أسطول الجزائريين لا يملك الا قوة نارية منخفضة وأن تحصينات المدسة كانت ضعيفة .

وكان تشاؤم السفير قائما على أساس صحيح . فقد كان الرياس يصرون على حقهم في الصعود على أية سفينة لاكتشاف أشخاص وبضائع « العدو » . وقد توسعوا في مطالبهم فأضافوا حقهم في السماح لهم باستعمال السفن ضد طاقم السفينة للحصول على المعلومات . وقد احتج القنصل براوني قائلا . ان الضباط الانكليز أشدروا الى أن عليهم أن يحملوا الأشخاص والبضائع الاسبانية ليجعلوا رحلتهم ممتدة ، وإذا لم يضمنوا الامن فان السعر سيتوقف . وعندما لم تحصل أية ترضية لاحتجاج القنصل ، فان التدخل المسلح كان يبدو هو الأمل الوحيد لحل القضية . كان الأسطول الانكليزي يستعد للتوجه الى منطقة البحر الأبيض ليأتي بالأميرة البرتغالية التي ستصبح عروسة شارل الثاني . وقد توقف الأسطول بالجزائر وفشل في الحصول على أية ترضية فقصص

المدينة بالقنابل . ولكن الأسطول لم يتسبب الا في أضرار بسيطة على  
 نفيس توقعات وشيلسي المتفائلة . غير أنه بعد انصراف الأسطول  
 الانكليزي بقليل حطت عاصفة هوجاء . معظم السفن الجزائرية المتارة  
 وأصرت بالرصيف الحري ( المول ) . فكان أن حققت هذه العاصفة  
 ما عجز عنه الأسطول الانكليزي . وقد أصبح الجزائريون الآن متخوفين  
 من القوة البحرية الانكليزية فوقعوا معاهدة جديدة ( سنة 1662 )  
 استجابت لمعظم الشروط الانكليزية . فقد كانوا مستعدين لاحترام  
 المعاهدة طالما كان أسطول البحارة ( الراس ) صغيرا .

ان المعاهدة الجديدة خلقت نظام مرور وافق الجزائريون على احترامه ،  
 وهو يحدد باثني عشر الرحال الذين يصعدون على ظهور السفن  
 الانكليزية لتفتش قوائم ركابها وبضائعها . كما حاولت المعاهدة أن  
 تنظم إعادة شراء الأرقاء الانكليز . ولكن اذا صدقنا القنصل الانكليزي  
 براوني ، فإن « هؤلاء الناس » كانوا عبيد ، وسرعان ما واجهت  
 المعاهدة صعوبات . فقد كتب براوني قائلا : « المهم يستولون على  
 القنائم كما يشاؤون ، ويسرقون معاملتنا قوادنا ومحاربتنا ليعملوهم  
 يسرقون . » وهم يدعون أن هناك قانونا للشحن ( بوليصة الشحن )  
 مكتوبا بالاطالفة . معناه « بضائع العدو » ، وهم لا يحسنون قراءة  
 حواجز السفر . « ولا يستقدون في أي شيء آخر سوى مصالحهم . »  
 وهو يعترف بأنه كان يوجد بعض الناس « من النوع الفاضل » الذين  
 يخلعون من هذه « الطرق المروية » ، وان الآغا قد يرغب في فعل شيء  
 آخر . ولكن الآغا أصبح مريضا مرتضا خطيرا ، ومات القنصل براوني  
 بالطاعون . وقد اعتذر في إحدى رسائله الأخيرة عن ملء تقاريره  
 بالشكاوي — « فليس هناك الا القليل الذي يمكن الحديث عنه من  
 هؤلاء الأوباش ... » .

ولم يمض وقت طويل حتى لم يكن براوني وحده هو الذي يشكو .  
 فقد أهدت عروس شارل الحديدية ميناء طنجة على أنه صداقها . ولا يمكن  
 تمويل هذا الميناء من البر ، وقد كان بعيدا عن أنكلترا . ولذلك فإن  
 معظم تمويله واحتياجاته كانت تجميعه من اسبانيا عبر مضيق جبل طارق .

وهذا النقل كان يتم في سفن صغيرة تحمل علم الملك الانكليزي ، ولها رخصة من حاكم طنجة ، ولكن جميع البحارة كانوا يتكلمون الاسبانية ، وكانوا حقا اسبانيا ، ولكنهم كانوا رعايا شارل الثاني ، مع أنكلترا . بينما البحارة الجزائريون قد نظروا الى هذه السفن على انها هدفهم المفضل وان طاقمها مرشح للرق . ومن الطبيعي أن يحتج حاكم طنجة . وكان للجزائريين على الأقل « احتجاج مضاد » واحد ، وذلك عندما أرسى ضابط بحرية أنكليزي في طنجة ومعه جماعة من المسافرين الاتراك والجزائريين ، فاذا به يجبرهم على العمل وذلك بجعلهم يشحذون البحارة . ولم تكن الحكومة الانكليزية مهتمة بهذا الحادث .

وحتى قبل وفاة براوني كان الانكليز قد قرروا العمل بحسم . فقد كانت المؤسسة البحرية الجزائرية ما تزال ضعيفة ، وكانت معظم فوهات مدافعها من الحجم الصغير . بل ان سفن الجزائر الحربية الثلاث لم تدخل البحر خلال صيف 1663 . وقد أرسل شارل رسالة الى الباشا يخبره فيها ان السيد جون لوسون Lawson متوجه الى الجزائر ليحصل على ترضيات نتيجة الاخلال بالمعاهدة . ولكي يطمئن شارل الرأي العام الانكليزي بأن هذه البعثة كانت في مكانها ، أصدر اعلانا عاما قائلًا بأنه مرسل قوة بحرية الى البحر الأبيض ، ذات مصاريف باهظة ، لحماية الأجانب المسافرين على السفن الانكليزية لأنه « سيكون من العار الكبير ان الاشخاص الذين يمنحهم الضابط الانكليزي حمايته ... يجب تسليمهم الى أيدي أعدائهم » .

وقد وصل أمير البحر لوسون الى الجزائر سنة 1664 ، ومعه نسخة من معاهدة سنة 1662 ، التي كان السلطان العثماني قد صادق عليها . وفي الحال أطلق الجزائريون ثماني سفن أنكليزية ( كانت محتجزة ) ، ولكن لوسون أصبح مقتنعا بأنه « لا أمل في عقد السلام معهم الى أن يشاء الله بجعلهم يشعرون بنوع من الوخز ، ولكن ذلك سيكون أسوأ من الحرب نفسها » . ولم يستطع لوسون أن يبقى ليرى ماذا سيحدث ، لأن الحرب الانكليزية - الهولندية التي اندلعت تتطلب منه الحضور في المياه الاطلنطية ولكن الضابط توماس آلان Allen تولى القيادة

واستمر في المفاوضات . وبعد تصادم بحري قصير وقوي مع الاسطول  
الانكليزي ، وقع الجزائريون على معاهدة وافقوا فيها على وقف « التدخل »  
مع المسافرين على السفن الانكليزية وأن يحترموا بنود معاهدة سنة 1662 .  
وقبل أن يعود ألان الى أنكلترا ترك الضابط نيقولا باركر Parker  
ليتولى مكان براوني ، كقنصل . وكان ألان يعتقد ان المعاهدة ستضمن  
عهدا من السلام .

كانت معاهدة توماس ألان كسبت سنة 1665 ، ولكن الجزائريين  
جددوا معاهدتهم مع فرنسا في السنة الموالية . وقد لاحظ القنصل  
الانكليزي الجديد ، جون وارد Ward بأن عاصفة سنة 1662 ،  
والطاعون ، والخسائر التي كبتها لهم الفرنسيون منذ 1665 — كلها  
أضعفت البحرية الجزائرية بشدة ، وجعلت الديوان يتصرف معقولا .  
ومع ذلك فانهم ( الجزائريين ) بحلول سنة 1667 كانوا يبنون أسطولا  
جديدا : ست سفن من نوع الفرقاطة ذات قدرة تبلغ الى أربع وأربعين  
مدفعا ستكون جاهزة للاستعمال سنة 1668 . وكان القنصل وارد متاكدا  
من أنه عندما تخرج هذه السفن من ورشاتها ، ربما تعلن الجزائر الحرب  
اما على فرنسا واما على أنكلترا ، لأن الغنائم المتوفرة كانت قليلة جدا .  
وكان الزياس يلتقون في كل بحر بالسفن الانكليزية والفرنسية ، ولكنهم  
يجدونها محمية بمعاهدة . فاستولوا على بعض السفن الهولالندية ، وحتى  
« تلك التي كان لا خوف منها كالسفن الفلبينية Fleming الآتية الى  
هذه البحار ... لتدفع حسابات سابقة » . وقد أوضح وارد بأنه اذا تحقق  
السلام مع الهولنديين ، فان الجزائر بالتاكيد ستعلن الحرب اما على  
أنكلترا واما على فرنسا . انه لا يمكنها أن تبقى في سلام مع كل الدول  
التجارية الثلاث الكبرى .

وكان تورط الفرنسيين في الحرب المعروفة بحرب القسمة devolution  
سنة 1667 — 1668 قد شل مؤقتا قدرة الفرنسيين على التحرك بفعالية  
في البحر الأبيض . وهذا الأمر ، بالإضافة الى النزاع حول ارجاع الاتراك  
والجزائريين ( المسترقين ) في السفن الحربية الفرنسية ، قد اقنعت القنصل  
الانكليزي بأن الجزائر ستعلن قريبا الحرب على فرنسا . ولكن لويس



الرابع عشر عرف كيف يخضع نفسه من الوضع العظم الذي خلقه ما يعرف بالحلف الثلاثي ( أنكلترا - الاراضي المنخفضة - السويد ) ، وهو الحلف الذي عرض الوساطة ولكنه هدد بالتدخل . ذلك ان معاهدة ايكس لاشيل قد انتهت الحرب وحررت القوات الفرنسية وسبحت للويس أن يرسل بأسطول الى الجزائر ليطالب التاكيد على معاهدة سنة 1666 . ورغم ذلك فإن القصل الانكليزي كان على حق : فالجزائر لا تستطيع أن تبقى في سلام مع كل من أنكلترا وفرنسا . ومع شيء من اللاحاح من قبل القصل الفرنسي واتحاد الفرنسي في الحرس ، بدأ الرياس بالتدخل في حركة السفن الانكليزية . ولا سبب مع تلك السفن التي تحمل الحبوب والزيت والفواكه وغيرها من المواد الغذائية من اساسا اى طجة . ثم ان الانتصار في جزيرة كريت قد حرر السفن لجزائرية الجديدة التي كانت قد أرسلت الى هناك لمساعدة الأسطول العثماني ، مما أدى الى توقيف السفن الانكليزية وتمشيتها في كثير من المناسبات . وقد قررت الحكومة الانكليزية في لندن . ان اشعراضا بحريا يجب أن يكون كافيا لحمل الجزائريين يعترفون بالحقوق الانكليزية . ولكن سرعان ما تعلمن الانكليز ان أسكرا كانت بعيدة جدا عن الجزائر . لقد كان يمكن للفرنسيين ، بقطع قليلة من السفن الحربية ، أن يؤثروا على الناي والديوان ، لأن فرنسا والأسطول لفرنسي كما يوحدان على الحصة الأخرى فقط من البحر . أم أسكرا فكانت تحتاج الى قوة اعظم تشكل تهديدا .

وفي آخر صيف سنة 1668 . وصل السيد توماس الان لى الجزائر على رأس قسم صغير من الأسطول ليطالب بالرصيات . وقد كتب عن ذلك : « اسي آمل أن أكون قادر خلال مدة قصيرة . على اعطاء بعض الاخبار الجيدة عن هؤلاء العذريين الذين لا يعرفون لاجل ( والدين ) . بالرغم من انهم لا يعرفون بالوعد ... فانهم يقولون بأن علينا أن نحفظ بحسن بوعدنا ... » ولكنه لم يكن لديه سوى قسم صغير من الأسطول لا يؤثر ، ثم ان البنادقة قد استسلموا في جزيرة كريت ، وكان أمير البحر الفرنسي ، بوفور Beaufort قد قتل ، وكانت راية الاسلام عالية .



فعندما تكلم الآن وواحد من ضباطه في الديوان ، أصر الآغا على انهما « كانا سكرانين ، كما تدل على ذلك طريقة حديثهما . » وردد جميع أعضاء الديوان الشكاوى الجزائرية ضد أنكلترا . فلم يصفوا الى أقوال المدعي الانكليزي ، بل طلبوا تعيين قنصل أنكليزي يمكن التفاهم معه . ثم أرسلوا شخصا يدعى محمدا ، وهو عالج كان سابقا قسيسا ، الى سفينة الان حاملًا رسالة بلغة لاتينية جيدة ، يردون فيها « شكواهم . » وعندما أشار توماس الان الى أن هذه الشكاوى جميعها « مختلقة » (whole cloth) وافقه محمد على ذلك . فقد تم اعدادها فقط لمنع المطالب الانكليزية من الجزائر .

وحين أصبح واضحا للضباط الانكليز انهم لن يحصلوا على طائل ، عزموا على ارسال السفن النارية الى الميناء لحرق الاسطول الجزائري الذي كان راسيا هناك . وقد فشل المشروع لعدم وجود الرياح المواتية ، ولكن الجزائريين تفتنوا الى الخطة وادعوا في الحال انهم على استعداد للمفاوضات . ووافقوا على اعادة العمل بمعاهدة سنة 1662 واطافة بعض المواد اليها . غير أنه لم يكد الآن يغادر الميناء حتى أوقفت السفينة الانكليزية ( ويليام أوف لندن ) من قبل السفينة الجزائرية ( شجرة البرتقال ) : فبيع أربعون مسافرا اسبانيا رقيقا ، وصودرت جميع بضائعها ، حتى تلك التي تعود الى الطاقم . وبحلول أبريل سنة 1669 كان لدى وارد مجموعة من الانتهاكات المشابهة . ومن الواضح أن قطعة بحرية صغيرة ليست كافية للتأثير على الجزائريين .

واذن ففي الحرب . فقد أرسلت القيادة البحرية بلندن الأوامر باحصاء القوات البحرية الجزائرية . فكان الاحصاء أن لدى الجزائر خمسا وعشرين سفينة حربية متوفرة . وهي تحمل بين ستة عشر وأربعين مدفعا ، ومجموع الطاقة النارية للقوات البحرية الجزائرية سبعمائة وثمان وأربعين مدفعا ، معظمها من العيار الصغير . وقد تألفت ارمادة ( أسطول ) توماس الان الجديدة من ثلاث وعشرين سفينة معظمها من الدرجة الثالثة والرابعة ( كانت سفن الدرجة الثالثة تحمل من أربعين الى خمسين مدفعا ) مع طاقة نارية أعظم بكثير من طاقة البحرية الجزائرية مضافا اليها المدافع

الموجوعة على الرصيف البحري - ( المول ) . وبالإضافة إلى ذلك كانت  
الارمادة المذكورة تصمم مجبوعة من السفن النارية ومن الكتس  
( keiches ) ومن التورين . ومنذ أكثر قليل من نصف قرن فقط  
كان جيمس الاول قد أرسل مائيل إلى الجزائر ليقوم بأول استعراض  
بحري ملكي أمام الحرائر ، ولكن نتيجة تلك الحملة كانت عملة يرمى  
لها ، أما هذه الارمادة فقد كانت أفضل تحسرا من سابقتها ، لتعرض  
أرادتها .

وكانت تعليمات توماس الآن قد كتبها جيمس . دوى أوف يورك  
york . وكانت التعليمات تقوم على « لطلب مبعوث » على أي  
سنة جزائرية قد تلقاها في الطريق إلى الجزائر . وعندما يصل إلى المدينة  
فعله أن يطلب إطلاق صراح الاسان . بالإضافة إلى الانكليز ، الذين  
أسروا على السفن الانكليزية ، وكذلك رجاء جمع النماذج المصادرة .  
وأخيرا يجب معاملة الراس المدعي . ناد وفق بحرائر يور على ذلك ،  
فان توماس الآن يمكنه تجديد المعاهدة . مع التاكيد به ( لبحرائرين )  
بان القباط الانكليز لن يحلوا بسع أي حرائري وأ يركى دا كان من  
قبارقا . فاما لم يتوصل توماس الآن إلى أي اتفاق ، فانه ناسكه ان  
يهاجم ويفرق سفن الحرائرين في رصف البحري ( المول ) وأية سفن  
أخرى في المرسى . ان اء مر جيمس ( دوى يورك ) ، كانت قوية بالمقدرة  
مع الأوامر المحتشمة التي كان حده ، جيمس الأول ، قد أصدرها للمائيل .

وصل توماس الآن إلى الحرائر في أول سبتمبر سنة 1669 . وقد جاء  
المدينة ، وبعده سبعة من الرصف البحري ( المول ) . ولكنه لم يرسل  
رسالته إلى الرصف . لأنه كان يأمل أن يعثر الأسطول الحرائري تحت  
البيلة . فليس هناك صابط من القرن السابع عشر يمكنه لف . ولكن  
الرياح لم تكن مواتية ، ولذلك فانه أرسل في اليوم التالي مطسه بارطاع  
الانكليز والاسان الذين أسروا من على سفن انكليزية . كما أنه أخذ في  
اقتاف جميع السفن الداخلة إلى الحرائر واحتجز طاقمها وركابها . وعدد  
كان الجواب الحرائري على مطالبه غير مرضي ، قام بأحراق سفينة جزائرية  
حرية احتجزت مؤخرا ، وهي ذات أرمع وعشرين مدفعا . ثم عرض تبادل

المساجين ولكن الحواب كان من حديد غير مرضي ، وهكذا أصبحت  
الجزائر وأكثرها في حالة حرب (2) .

وقام الجزائريون هذه المرة فقط باحتجاز القنصل الانكليزي في داره  
ولم يرموا به في السجن « لأن ملكك والحاكم الرئيسي صديق لي » ،  
كما روى ذلك القنصل وارد نفسه ولكن الجزائريين أعلنوا انهم غير  
خائفين من الانكليز ، فسخنهم كانت أسرع ، كما أنهم كانوا متأكدين من  
أن أنكلترا غير مستعدة أن تحارب حربا غير حاسمة . وقد أبحر أسطول  
توماس الآن دون معاهدة ، غير أنه رجع في الربيع التالي على رأس عشر  
سفن حربية . وانضم الى أمير البحر الهولندي ، فان غنت Van Ghent  
لمطاردة البحارة الجزائريين . ودارت الحرب ضد الجزائر : ففي شهر  
أغسطس أغرق الانكليز أكبر سفينة للتجارة ، وفي شهر سبتمبر استطاعت  
القوات البحرية الانكلو - هولندية أن تدخل في معركة قرب رأس سباريل  
Sparrel وأن تفرق أو تحرق أثناءها سبعا من أكبر السفن  
الجزائرية ، بما في ذلك أربع دات أربعة وأربعين مدفعا . وخسر الجزائريون  
الفين ومائتي رجل ، وعددا من أبرز قوادهم المهرة . وقد جاء توماس  
الآن بهذه الأخبار الى الحرائر . فافر الحكام بأن الأخبار يجب أن تكون  
حقيقية لأن الأسطول كان قد تأخر طويلا عن معادته ، ولكن الديوان  
أمر بمقوية الموت لكل من يقترح انهاء الحرب . وكان هناك خمس سفن  
جديدة في الورشات تكاد تكون جاهزة للأسفار ، وكان الجزائريون على  
يقين من أن على توماس الآن أن يغادر محطته لأن فصل الشتاء يقترب  
وهو ما فعله حقا .

ولكن الانكليز رجعوا في السنة الموالية . ففي ربيع سنة 1671 وصل  
السيد ادوارد سبراغ Spragg أمام بجاية حيث وجد سبعا من أحسن

2 - أحد الأسبان الذين كانوا في أيدي الجزائريين هو دوق لوربرو سانس دي بيدرو  
de Pedro ، وهو شخصية هامة وسيل من كبار الأمراء ، وعندما اندلعت  
الصلواته بلاتين الى مطمة من نوع ثمانية ، كان توماس الآن سزوعا جدا ما دام  
هو كان يقوم بالحرب دوايك ، بصفة حاسمة من أجلهم ، ( انظر Pro. Ind  
13395 f. 573

السمن الجرائرية راسية خلف كتلة خشية boom محصنة . وقد عرف صابطان شاذان كيف يشقان تلك الكتلة Cut the boom بحيث تستطيع السفن النارية ( الانكليزية ) الدخول الى الميناء . فكان الهجوم ناجحا كل النجاح : فقد تحطمت سبع سفن تماما ، بما في ذلك ثلاث عمرها أقل من سنة . وسبع أحد الأرقاء الهولنديين الى الأسطول ، وأحبر ان ثلاثة آلاف ومائة رجل قد قتل ، وان جميع صناديق معدات الجراحة قد احرقت عن آخرها ، ولذلك فان كثيرا آخرين ربما يموتون ، بعدم وجود الأدوية ، من حروقهم وجروحهم (+) . وقد فقد سراغ سبعة عشر قتيلا وواحدا وأربعين جريحا . وعندما وصلت هذه الأخبار الى الجزائر حدثت فيها ثورة . فالأعا قتل ، وبدأ نظام جديد ، تحت رعاية الرئيس ، بتنصيب أول داي .

ان الثورة في الجزائر قد جاءت الى السلطة برئيس غني يحمل لقب الداي مع صفات بأن في امكانه انتزاع واحترام وطاعة المدينة . وكان أول عمل قام به هو دعوة الانكليز للتفاوض حول معاهدة جديدة . وقد أصر سبراغ على تثبيت النصوص الواردة في المعاهدات السابقة مع اضافة مواد تؤكد حق فداء الأرقاء الانكليز بشس البيع الأصلي ، بالإضافة الى ضمانات أقوى بالنسبة لحركة النقل بين طجة واسبانيا . ولكنه لم يستطع أن يبقى امام الجرائر مدة طويلة ، لأن شارل الثاني استدعه ليكون في مياه القنصل الانكليزي ( المانش ) تحضيريا للهجوم الانكسور — فرلسي المشترك ضد الأراضي المنخفضة . وقد ترك وراءه القنصل ، حزن واراد ، ليكمل بقيه العاقل . وكانت هذه هي القاعدة العامة في ذلك العهد : النزاع في أوروبا يأخذ دائما الأسبقية على أية حركة على الساحل المغربي ( ١٧٠٠ ) ، سواء كان الأمر يتعلق بمعاينة مجموعات البحارة الأثراك أو بالتفاوض معهم .

(\*) - من المريب أن المؤلف يسوق هذا الخبر دون أن يعلق عليه ( المترجم )

(\*\*) كذا يذكره المؤلف [ المغربي ] ، وأحيانا يسميه ساحل الشمال الاقريقي ، وأحيانا أوبرباري Barbary . ( المترجم )

ان معاهدة ايكس لا شاييل سنة 1688 قد انتهت حرب القسمة  
 Devolution ، وقد رأينا انها اعطت شارل الثامن حرية الحركة وارسل  
 اسطوله الى البحر الأبيض لمقاومة الجزائريين . وقصص المعاهدة اعطت  
 للويس الرابع عشر حرية الطر في الأخذ بالنثار لعزيمة الفرنسيين بجعل  
 ويكاد يكون الوقت الذي جاء فيه توماس الان بقطع الأسطول الانكليزي  
 الى البحر الأبيض هو قصص الوقت الذي أمر فيه لويس الرابع عشر  
 السيد دي مارتيل Martel بالتوجه الى البحر واحراق سفن البحارة  
 في موانئ طرابلس وتونس والجزائر . وقد كتب كولبير قائلا : « ان  
 الملك يتوقع منك ان لا تعود الا ببعض التحرك القوي الذي سيجعل  
 هؤلاء الرابرة يشعرون بالمقاصب الذي استحقوه لعدم وولهم  
 بالمعاهدات ... » ورغم ذلك فان الأسطول ( الفرنسي ) لم يبحر الا خلال  
 اربيع التالي . وقد أضاف كولبير قائلا « انني سأكون سعيدا جدا  
 ان أنقل الى الملك اخبارا عن بعض التحركات القوية ... مثل احراق  
 السفن ... والزول على الأرض ... والاستيلاء على إحدى السفن في  
 البحر ... » ولكنه لم يتصل بمثل هذه « الأخبار السارة » . وفي سنة  
 1671 كان جان ديستري d'Estrees هو قائد الأسطول الفرنسي .  
 فكتب كولبير له ايضا : « ان الملك سيكون مسرورا اذا ما حاولت شيئا  
 معتبرا ضد الجزائر . » ولكن أمير البحر لانكليزي ، سبراغ ، هو  
 الذي احرق الأسطول الجزائري . وقد كتب لويس الرابع عشر عن ذلك :  
 « انني قلق من سماع الحركة البحرية الانكليزية بينما لم يقوم الأسطول  
 الفرنسي الا بالقليل . » ولكن في تلك اللحظة كانت المملكة الفرنسية  
 مركزة ثروتها وقوتها من أجل « احرب الحاملعة » الضخمة ضد  
 الهولنديين . ولا يمكن للبحرية ان تستعمل ضد الجزائر ، لأن هناك حربا  
 طويلة المدى ستستنفد الثروات والطاقة الفرنسية من 1672 الى 1679 .  
 كانت الجهود البحرية الفرنسية والانكليزية بين سلام ايكس لا شاييل  
 واندلاع الحرب الهولندية تمثل نذور المستقبل . فبعد سنة 1665 أخذ  
 انشاء الأساطيل البحرية المتنافسة في انكلترا وفرنسا والأراضي المنخفضة  
 يمثل أول سباق بحري حقيقي هام في العصر الحديث . وخلال السنوات  
 التالية نمت أساطيل الدول الثلاث بالباع والذراع ، ليس فقط من حيث

اعدادها ولكن أيضا من حيث احجامها . ففي سنة 1650 كانت السفينة ذات الأربعين مدفعا تعتبر سلاحا قويا ، ولكن سفن سنوات الثمانين ( من القرن السابع عشر ) ذات المائة والعشرة مدافع — وهي عبارة عن قلعة عائمة — قد جعلت سفن سنوات الخمسين في الدرجة الثالثة . ولا يمكن لدولة صغيرة مثل ايلة الجزائر أن تطمح الى بناء مثل هذه السفن ولا أن تطمح الى الوقوف ضد هجوم مركز من قبل الدول البحرية . غير أن الوضع لم يكن فقط وضع دولة صغيرة من البحارة في مقابل الدول البحرية ( الكبيرة ) ، فخلال هذه السنوات ( منذ 1665 ) كانت الدول البحرية تتنافس ضد بعضها البعض . وقد حول الملك الانكليزي والملك الفرنسي قواتهما البحرية سنة 1672 ضد الهولنديين . ولم يكن لهما سفن فائضة يعاقبان بها البحارة الجزائريين . ولم يحن بعد اليوم الذي تستطيع فيه دولة بحرية ملكية ضمان استقرار البحار بنفس الطريقة التي كانت فيها الجيوش الملكية الصاعدة تعمل على تأمين الاستقرار داخل المملكة (1) .

لقد خلقت المعاهدة التي أبرمها أمير البحر ، سبراغ ، مشاكل . فقد نصت على فدية الأرقاء الانكليز بسعر البيع الأصلي ، ولكن في الحقيقة لم يكن يوجد سوى 4416 ر4 من الجنيهات في غرفة ( برلمان ؟ ) لندن للفداء ، بينما هناك مائتان وثلاثة وثمانون رقيقا يقدررون بـ 6 ر245 ر369 ر22 من الجنيهات ، وكانوا مستعدين للفداء ، رغم أن هذا الرقم لا يشمل جميع الأرقاء الانكليز في الجزائر . ولكن المعاهدة « جمدت » أسعار هؤلاء الأرقاء : فمالكوهم لا يستطيعون بيعهم ، ولا يوجد لدى الحكومة الانكليزية الا حظ ضئيل لتوفير الدراهم اللازمة لفدائهم . وقد حدثت مظاهرات ( في الجزائر ) من قبل المحتجين ، وقتل القنصل الانكليزي وارد . وكاد خلفه ، القنصل مارتان Martin ، أن يلقي نفس المصير ولكنه بطريقة ما عرف كيف يستعطف ( Shamed ) الداي

1 - اشرت في كتاب آخر الى أن تطور الجيوش التي تلس المظفب الملكي ، ويمونها ملكيون ، ويقودها غباط تحت سلطة وزير الحرب الملكي قد انتهت العهد الطويل الذي كان فيه نبيل كبير او مدينة قوية تتحدى الاوامر الملكية وتنازع تلك السلطة . انظر ج . ب . وولف ( ظهور الدول الكبرى ، 1685 - 1715 ) - 1952 .

يحييه . وفي يوليو سنة 1674 كتب الادي ابي شارل الثاني بحثه على  
 ارسال النفود للعداء ، وما قاله : « اذا لم تمدهم سنرسل اليك قسلك  
 ... وسيكون ذلك حرمه لانهاء السلام معك » . وفي هذه الأثناء كان  
 السيد جون نابورو Naborough في طريقه الى الجزائر ومعه القسود  
 للعداء . ولكن الأوامر التي عنده كانت تسمح له بعقد السلام أو الحرب .  
 ر حبا تراه صالحا »

والسيد جون هذا لم يكن له دراهم كافيه لغدية جميع الارقاء ، ولكنه  
 كان قادرا على ارضاء الملأك « دوي المكائة » — أي أولئك الذين يقدررون  
 على تعريك المظاهرات — باستعماله نفود الملك وأصاع بعض الارقاء ،  
 بأصافة نفودهم الخاصة الى المونة الملكية . وقد اكتشف ان بعضهم كان  
 لا يرغب في العودة . وعن ذلك كتب العاصف هامبسون Hamilton  
 قائلا : « بأنهم يسيلون الى النخلص من ربهم في سبيل ، حب اسبا ،  
 التركبات اللاتي من على العموم ، جسلاب حدا ... » وهو يعمر لهؤلاء  
 الساكنين ضمهم . لأن هؤلاء النساء « كن عريقات في فن البحر ...  
 وأسيرهن لا يتحرر أبدا » . وقد أرسل نابورو في شهر نوفمبر قائمة  
 بالدين فداهم . فكتب تصم مائة وسبع وثلاثين شخصا ، بشئ قدره  
 248ر56 قطعة من نوع نمابة . ثم أصاف برمودا Brisbane ، وهو  
 مستشار انفصالية . قائمة بمائة وخمسة وثلاثين . خلال شهر ديسمبر .  
 وكان برمودا ، حدرا ، يلاحظ أن الميت كان « مبرما بعداء أولئك الارقاء  
 الذين كانوا موحودين منه 1673 فقط » . أما الأسرى الذين أسروا بعد  
 ذلك فلبوا دحلين في المدهدة . وعدم سبت هذه العملية كان ادياي  
 ومساعدوه يتوقفون شت آخر اصفا . وقد كتب مارتان عن ذلك قائلا  
 « انهم كثيرو التوقع لهدية من الملك ... وبكى بسحقوها ، أجبروا  
 الملاكين ( لرتيق ) على أن يأخذوا ، في مقابل ارضائهم ، نصف الثمن معدفا  
 والنصف الآخر نفودا فضة » وليس واصحا ما اذا كانت « رشونهم »  
 قد تمت كما ينبغي .

وفي سنة 1674 — 1675 تغير الوضع السياسي لانكلترا تغيرا كبيرا .  
 فقد دخل شارل الثاني الحرب سنة 1672 ضد الهولنديين كخليف لأن



عنه لويس الرابع عشر ، بناء على اتصال احتفظ به سرا على منظم  
مستشاريه ( يعني معاهدة دوفر Dover ) - وبعد سبعين تعاقب الصلح  
عليه بالانسحاب من الحرب حتى أصبح من الصعب عليه ان يقاومه .  
وكان شارل ، لندي كان يرغب في ان يموت على غرائبه كملك لانكلترا ؛  
من الحكمة بحث رشح للصط . ولماذا لا ؟ ان هجوم لويس على  
الأراضي المحصنة الهولندية قد طال بدون نهاية في الأفق ، وأصبح  
استحالة الكامل من الراي الأدي محتما . لقد أصبح لويس الآن  
متورطا بعمق في حرب ضد الحاكم الهاسبورغي في ساسا وصيد  
امراتور الهاسبورغ في ألمانيا ، بالإضافة الى حرب ضد الأراضي  
المحصنة الهولندية وعدد آخر من أبرز امراء الألمان . هذه الحرب ليست  
هي الحرب التي كان شارل يريد أن يعاقب بها الهولنديين ، انها حرب  
أوروبية شاملة ، حرب موجهة على المصوم ضد فرنسا . ومن جهة أخرى  
كان الهولنديين قد حرموا ثورة عندما هاجمهم الفرنسيون ، وقد أصبح  
عدهم وليام ، أمير أورنج الذي هو ابن عم لشارل الثاني ، والذي كان  
متزوجا من ماري ، ابنة آخ (ruccel) شارل - قد أصبح هو الحاكم  
الفعلي للأراضي المحصنة . وهكذا وقعت انكلترا سلاب مرورا  
سنة 1674 .

لقد كان على الحش الفرنسي أن يسحب من موقفه المتقدم على  
الراي . ولكن الأسطول البحري لكارل هزم سنة 1675 ، الأسطولين  
الاساسي والهولندي المتعاقبين ضد جزيرة صقلية ، واستطاع الحش  
الفرنسي أن يتركز على هذه الجزيرة وكان الانسحاب من حرب لويس  
الرابع عشر في هولندا مربحا للتجار الانكليز . فقد عرفوا كيف  
« يحصلون » على سهم الأسد من التجارة التي لم يجد الهولنديون  
يتسككون من القيام بها مع التراماب الحرب . كما ان اتجار الانكليز  
حصولا على كثير من التجارة الفرنسية السابقة ما دامت فرنسا أبضا  
كانت عارقة في الحرب . ولكن عندما تركز الفرنسيون على جزيرة صقلية  
أصبح الانكليز غير سعداء ، لأن ذلك سيحمل القوة البحرية الفرنسية  
بالصط في منتصف خطوط اتصال انكلترا بالشرق . وقد كانت طلع



من الأسطول الانكليزي بقيادة ناربورو في البحر الأبيض ومعه أوامر بأن  
تسلم الأتراك في طرابلس بأن عليهم أن يحترموا الحقوق الانكليزية .  
ولكن هذا الأسطول معي في البحر الأبيض ليراقب الفرنسيين ومنع  
النمو الصحيح للتجارة البحرية الانكليزية .

ومر وقت طويل حتى خلق هذا التوسع التجاري الانكليزي  
مشاكل مع الجزائر . فقد كانت السفن الانكليزية تبحر وبين طاقمها  
« عرباء » كانت السفن الانكليزية تحرق بجوازات سفر مزورة من القيادة  
البحرية نفسها ، وكان الضباط الانكليز يرفضون تسليم المسافرين  
الذين كانوا أعداء للآيالة . والنسبة : أصبح الرجال الانكليز أرقاء .  
واحتجزت السفن الانكليزية كغنائم ، وحمل القنصل الانكليزي نفسه  
غير محبوب في الجزائر . وفي يوليو سنة 1676 أرسل شارل الثاني  
من جديد ناربورو الى الجزائر ليطلب التمسوى والمعاينة بالنسبة  
للاعتداءات الماضية ، والضمائم بشأن المستقبل ( ونصت التعليمات التي  
أخذها ) على أن لا يكون « متصلا جدا في هذه المطالب لأن هناك  
أشياء صغيرة قد يقع التماسي عنها » ولكن عليه أن يتشاور مع القنصل .  
فاذا لم يحصل على أية ترصية فإن من حق ناربورو أن يعلن الحرب .

ولكن ناربورو لم يبحر في الحال . ففي أكتوبر وصلته قائمة بالسفن  
الحربية الجزائرية : اثنتان بثمان مدمر ، وحسن بأربعين ، وواحدة  
بثمانية وثلاثين ، واثنتان بستة وثلاثين . وثلاث بأربعة وثلاثين ، وثلاث  
بثلاثين ، وواحدة بأربعة وعشرين الى جانب عدد من السفن الصغيرة ،  
قوة كل منها من عشرة الى عشرين مدمر . وكان القنصل طالما أنذر ،  
منذ عشر سنوات . بأن الأسطول الجزائري كان أدنى بقليل مما كان  
عليه ، ولكنه مسلح تسليحا قويا . وكانت أحواض السفن في الجزائر  
قادرة على بناء السفن من نوع المرقطة ذات الخمسين مدمر . ولكن  
الذي أبقى ناربورو في انكلترا لم يكن هو حجم البحرية الجزائرية ،  
وانما هو أمر آخر . ففي التاسع من أبريل سنة 1677 تزوج من الآن  
اليزابيث كولمادي Colmady . ولم يمنحه بييس Pepya

وزير البحرية ، الوقت لشهر على غريرل اد سالك ، عن قصد . قائلا  
« متى تسمح لك احوالك الجديدة بالنظر في احوالك القديمة  
وتعيدها ؟ »

امير نابورود بحر البحر الأبيض في شهر أغسطس سنة 1677 .  
ورب تكون رواجه الجديد قد شعله ودمه ، كما انه حصل على رتبة  
امير البحر . وكان لفرانس في اسطوله انه من القوة بحيث مرمي  
الاحترام ، وصل الى طنجة فوجد الماء محاصرا من قسبل المدبرة  
المجاورين ، ويدلا من المكوث هناك ، اعطى نابورود من يته في التوجه  
الى الجزائر للسلالة « بالترصيب » عن الاساءات الكثيرة والاعتداءات  
التي حدثت لرعايا الملك . . . « ولم يكت حتى يحصل على « الترصيب »  
ففي شهر جيتير ، استولى ، انطلاقا من طنجة ، على أربع سفن للبحرية  
الجزائرية . تحصل بين سبعة عشر واتين وعشرين مدعا ، كما حارب  
عددا آخر من السفن التي تسكت من الهروب ، ولكن بعد أن تكثرت  
حسائر حصة . ثم انه وهو في طريقه الى الجزائر تطلب على لنبسة  
( وردة الجزائر ) التي كانت قوتها ستة وأربعين مدعا ، وأسر صابطها  
الملك الألماني (1) . وكل هذا دون اعلان الحرب . ومع ذلك فانه كان  
مستعبرا عدما وعد الجزائريين « مصممين وعازمين . . . على عدم  
التعامل . . . ولا الانصات لأي نوع من السلام ، بل انهم أطلقوا النار  
على مركبي عدما اقترب من الرصيف . . . » وهذا الحوار عادر

1 - ان هذه المصادقات البحرية لم تكن انتصارات سعة بالغة الاكتبر ، فقد من  
الضابط هيرمان Herman وهو ضابط السفينة « سفير (Sapphire)  
التي المعاربة ضد السفينة (الجزائرية) - الحصان الذهبي - واثاء انتصارا من  
السفينة مونتسي (Guercency) - 52 مدعا - والجزائرية (الحصان الاسفري) -  
50 مدعا - حاول الجزائريون ملقة حراثة ان يصفوا ، ولكنهم خسروا على انتصار  
مع خسائر جسيمة للطرفين ، واحتجبت كما هي عترب سفينة حراثة ذات طامتين  
decks وتصل 54 مدعا ، وقد أصبت في ( الناقور - القبة - ) الاكثيرة  
ذات الست والأربعين مدعا ، وسجنت ثلاث سفن نابورود وسجنت حواجز بين ابي  
انشال . واحده تسمى (شجرة الليمون) - 32 مدعا - والاخرى تسمى (السباح)  
(Calabash) 46 مدعا - وقامت باحراقها ، ولكن طانصا بسكر من  
الهروب انظر كلاوس Clowes (البحرية (الكتاب) ج 2 ، ص 451-453 )  
وتدعى داي Dyer (نابورود) ص 165-169

عربود الجزائر بعد أربعة أيام في الميناء ، وتوجه الى ليفورني ليبيع أسراة . فقد أمره ( ودير البحرية ) ببيع بتحرير المسيحيين وشنق الأعداء وبيع المسلمين .

وربما يكون بعض الراس الجزائريين قد رحب بهذا الهجوم الذي جاء دون الإعلان عن الحرب . وقد صدق القنصل مارتان عندما أشار في نهاية أكتوبر سنة 1677 قائلا : « ان الحارة الفرنسيين قد أسدوا حركة السفن الهولندية والألمانية من البحر الأبيض ، وأصبح البحر « يبيع بالسفن الانكليزية ... » وعليها مضاعف جميع الأمم تحت أعلامنا ، وكان الراس « قد بدأ يترجم اليأس من الحصول على الفائم » . وما هم الآن أحدوا في الاستيلاء على السفن الانكليزية . وعندما حاول القنصل مارتان ان يحررها سقضى الماهدة « كاد أن لا يبحر بحياته » . كان شمر بالمرن ، ولاحظ أن الحرب قد كلفت مآت العنيمات والأرقاء ، سنا السلام ، مدعوما بالرشوة ، كان لا يكلف الا القليل . وكان له الحق أن يشعر هذا الشعور لأنه كان قد وضع في الحديد ونجا فقط « باحتضاره » بحكم صداقته مع الداي وصداقة صهر الداي . بينما شهدت السنة والنصف التاليين مائة وسما وخمسين سفينة تجارية انكليزية احتجزت كمائمه . وحوالي أربعة آلاف رجل أصبحوا أرقاء ، وسقطوا ربح سنة 1678 كانت رسائل مارتان قد أصبحت احتجاجات تشر الشفقة فقد كان يعمل معاملة المحرم ، وكان الطاعون يهدد كل واحد ، وكان صدقه نانا حسن . صهر الداي الطاعن في السن ، على رأس جيش بناحة وهران . سنا لا جواب ولا نقود من لندن تكافئه وتمريه على إخلاصه وخدمته .

x هولندا ، 1660 - 1688 :

يمود فشل نابودو في عقد السلام ، حزبي . الى انتشار الطاعون في الجزائر ( ويبدو أن مارتان كان أحد ضحاياه ) . ولكن وصول بعثة هولندية كانت تتطلع الى عقد السلام مهما كان الثمن ، كان على درجة مساوية من الأهمية . ذلك أن التجارة الهولندية قد أبدت تقريبا

من البحر الأبيض بعد سنة 1672 من قبل التجار الحوام الفرنسيين ،  
 ثم أن سمعة الحرية الهولندية بعد هزيمة القوات الحرة الآيبانية -  
 الهولندية عند صقلية سنة 1675 ، كانت في أحضن نقطة . واية سمعة  
 هولندية كان يمكنها أن تخرج من الفرنسيين ، كانت تقع فريسة للجزائريين .  
 غير أن الوصح الأوروبي بدأ منذ سنة 1678 يتمير . فكل أحد كان يعرف  
 أن على الفرنسيين أن يعاوضوا لانهاه ما سمي بالحرب الهولندية أو  
 يواحبوا احتمال التدخل الانكليزي الى جانب أعدائهم . وقد ظهرت من  
 جديد قطع من الأسطول البحري الهولندي في البحر الأبيض واقترح  
 المفاوضون الهولنديون ، مكلمات معسولة - اسلام مع الجزائر . ومحاة  
 وحد الاتصال الفرنسي والانكليزي نفسيهما كعظيمين يحدولان منع مثل  
 هذا السلام . وحين علموا أن الهولنديين كانوا يستعبدون « لرشوة »  
 الجزائريين « باناوة » لم يعرف شعورهم بالاهانة أية حدود . فالانكليزي  
 والفرنسي ، وكل منهما كان حريصا على سمعة ملكه ، ومحميا بقوة  
 بحرية أكبر ، كان يمسكها نسي رأى أكثر تعصبا نحو « القراصنة »  
 والساحين وغيرهم من الأوباش « في الجزائر » . ولكن التجار الهولنديين  
 قد انتهوا الى هذه النتيجة وهي أن « شراء » الحماية سيكون أرخص  
 من مرضها بالقوة الحرة . وكانوا أقل اعتمادا على « قانون الشرف »  
 وأكثر قدرة على وضع توازن بين تكاليف حملة بحرية مشكوك في  
 نجاحها وبين الفوائد التجارية التي لا تعرض لها ربحا شديدا مرفقية .

الأوخلال شهر أبريل 1679 . وقع الهولنديون أول معاهدة وافقوا عليها  
 على دفع « الاناوة » التي وصفها الفصلا الفرنسي والانكليزي بأنها  
 « مضجلة » . كانت معاهدة سنة 1679 أكثر معاهدات السلام التي  
 وقعت بين الجزائر ودولة أروبة تمقدا . فقد اهتمت بنودها انواحد  
 وامشرون بكل أنواع المشاكل ، بما في ذلك اليهود الذين يتدسون  
 مع أبناء حشهم في الجزائر وأمستردام ، ولكن أساس المعاهدة كان  
 اتفاقا على منح داي الجزائر المدافع الثقيلة cannons والصواري  
 وكور المدافع ، والبنادق والرصاص والبارود والحبال ، والأشعة وغيرها  
 من المعدات البحرية ، سواء في شكل هدية لفسان المعاهدة أو في شكل

هدية سوية مستمرة . وقد اكتسبت شروط المعاهدة بين الجزائر  
والأراضي المنحصة بإضافة اتفاقات سنة 1680 وسنة 1681 رادت في  
صدة الفصلين الإنكليزي والفرنسي ، ولكن بسكن للفرنسيين أن  
ينظروا قليلا بين الرعي ما دامت المعاهدة لم تسمح للهولنديين بأعادة  
شراء مواطنهم من الرق شس السح الأصلي . بل كان عليهم (الهولنديين)  
أن يشاغلوا مع كل ذلك بطريقة هندية (1) .



إن المعاهدة الجزائرية مع الأراضي المنحصة قد عقدت الأمور مع  
الإنكليز فقد أزيلت حركة السفن الهولندية من احتمال العائم ، ومن  
ثم أعطت أهمية أكثر لفرصة الاستيلاء على العائم الإنكليزية . كما  
إن المعاهدة أعطت سودجا جديدا في التعاقد للحكام الأوروبيين ، سودج  
لا يرضى الإنكليز بالموافقة عليه طالما اعتقد ضابطهم الحربيون بأن القوة  
هي التي تعمل إيالات شمال إفريقيا تقبل الانساق على الشروط  
الإنكليزية . ومن جهة أخرى فإن الداي في الجزائر كاس له مشاكله .  
فقد حل الطاعون بالمدينة وهلك الحود والحجارة والبلدية ( لعصر )  
والأرقاء بدون تمييز . وقد عانت القرعة الانتشارية والمؤسسة البحرية  
على السواء من أصاباته . وكان بابا حسن الذي كان الحاكم الفعلي  
باسم صهره الداي ، قد وحد نفسه بين « الصقور » الذين يحتاجون  
الحرب ضد انكلترا للاتقاء على ازدهار الإيالة ، و « الحمام » الذين  
كانوا يفسدون عاقبة الحرية الإنكليزية . وكان « الصقور » هي البداية  
يظهرون على حق ، ولكن ذلك تغير سنة 1680 ، عندما تولى أمير الحر  
أوثر هيريت Herbert ، قيادة أسطول البحر الأبيض . فقد استطاع  
أن يستولي على مدينتين جزائريتين صميرتين ، وأن يحبر أخرى ( ذات

1 - ستكون هذه المعاهدة الهولندية ، خلال القرن الثامن عشر ، سودجا للبلون الصغير  
الأخرى التي كانت ترف في التجارة بالبحر الأبيض ، يملكون تدخل من قبل البحارة  
( الجزائريين ) . وستعلم الجمهورية العديدة للولايات المتحدة الأمريكية ، عندما لم  
يبد عياض سجنها بولمبون العلم الإنكليزي الذي يضمن حمايتها ، أن لمن سلامة  
التجارة في البحر الأبيض أما أن تكون في أتباع هذه النظرة الانارة ، وأما القيا  
بمثل بحري قوي . انظر فونون ، 76 ، 1 ، ص 404-406 .



الانكليزية في مضيق جبل طارق وفي غربي البحر الأبيض • فلا حاجة الى المملكة الانكليزية للفتح ( الاناوة ) لضمان سلامة تجارتها •

ترك امير البحر هيريت احد مساعديه ، وهو الصابط جون نيفيل Nevill كقنصل في الجزائر • وبعد حوالي سنة كتب نيفيل مذكرة طويلة لعائلة الوزارة بانكلترا • ان مقترحاته ، وكذلك مقترحات صويل دي بار de Pax ، قد رست الخطط الأساسية لسياسة البحر الأبيض الانكليزية نحو الجزائر • وأول مطلوب هو الإنقاء على قطع بحرية من الأسطول يصعب دائمة لتحويل مضيق جبل طارق وتزود موانئ شمال افريقية • فهي التي « ستعطى سمعة ... للقوة البحرية الملكية وتمنع احلال التجارة بالسلام » • والمطلوب الثاني هو تعيين قنصل لا يقوم بالأعمال التجارية ، ولكن يدفع له راتب جيد ويعطى « كسب قليلة من النفود » لاستعمالها في الرشوة • « ان رشوة قليلة قد تمنق دولة أخرى من عقد السلام معهم » وتمنع آخر الأمر من اهدار مصاريف أكثر من أجل الحرب • وعلى القنصل أن يختار هو مترجمه الخاص • وفي ذلك الوقت كان الداي عدو للقفصل الانكليزي علما هولنديا يقوم بهذه المهمة ( الترجمة ) ولكونه كان يماون الهولنديين بدل الانكليز • وكلتا المذكورتين تحت على ان على القنصل أن يشجع الداي على الدخول في حرب مع كل من فرنسا والأراضي المنخفضة ، وأخيرا فان كليهما تقترح أنه يجب ألا يسمح للتجارة الانكليزية باستلام خدمة في النفس الأحسية ، ومن ثمة تسعون في مشاكل للقفصل • وفي هذه الأثناء طلعت روجة الصابط نيفيل من الملك أن يسمح لزوجها بالرجوع • فقد كان عائنا في البحر وكقفصل مدة أربع سنوات ، وهي تده أن يعود • وبدوا أن شارل قد شعر بأن حبيبته قد أدى واحة ، لأن السيد فيليب ريكوت Rivaut قد حل محل نيفيل ، الذي كانت مقترحاته قد أحدثت بعض الاعتبار عندما حددت المعاهدة الانكلو - جزائرية عند تولي جنس الثاني عرش انكلترا (1) •

• • •

1 - لقد كتب دوق أوف جرايمس Grafton • 6 أكتوبر سنة 1687 مقترحاً بأن المعاهدة الانكليزية في ذلك الوقت كانت أمه أن القرارين أن يتقدروا السلام

كان الداي والديوان قد قرروا الدخول في حرب ضد فرنسا منذ كانت سمن أمير البحر هيريت راسية في الميناء الجزائري . ولم يكن ذلك قرارا سهلا . فقد كان هناك مثل في الجزائر يقول : ان الفرنسي يمكنهم طبع انشرة في مرسليا صاخا وأكلها في الجزائر في مساء خمس اليوم . ذلك ان فرنسا كانت قريبة من الجزائر ما يكفي أن يجعلها تشكل خطرا ، حتى عندما كانت قوتها الحرة ضعيفة بريا . ولكن قسرب المساعة لم يكن وحده هو السبب . فطالما كانت فرنسا حليفا ، أو على الأقل صديقا ، ضد أسايا الهاسبورجية ، فهي ( فرنسا ) مسورد « مناسب » للبلاد الحرة والعربي ، وكان الجزائريون ما يزالون في حاجة إلى مدخل إلى الأسواق الفرنسية . وبالإضافة إلى ذلك فإن الحصن ، كمرکز تعاري ، لم يكن فقط يستورد المؤن للرياس ، ولكنه كان أيضا عبارة عن سوق حيث رجال القائل يمكنهم بيع انتاجهم للحصول على النضائم ، وكذلك الحصول على النخود التي يحتاجونها لدفع الضرائب لحكومة الإيالة . وفي نفس الوقت كان الحصن يدفع « اتاوة » سنوية إلى الإيالة ، وهو المبلغ الذي تحتاجه كثيرا لدفع أجور الملبشا الانكشارية . ان كل هذه الأمور جعلت الإيالة تفضل النظر عن كون أعلية فرنسا مائنة كانوا فرنسيين ، وأن كثيرا منهم كانوا ضاغطا في الحرية الفرنسية نفسها . وكل ذلك كان يمكن عثراته لو أن الملك لفرنسي كان مستعدا من جديد أن يكون حليفا للحارة ( الجزائريين ) ، أو حتى كان مستعدا أن يحافظ على التزاماته نحو المعاهدة التي بينهم . ولكن لويس الرابع عشر وورثاه لم يكونوا مستعدين أن يصبحوا حلفاء ، ولا كانوا مستعدين أن يرجعوا إلى الإيالة أولئك الأنكشارك والجزائريين القادمين بديا والذين كانوا أرقاه في سمهم الحرية . ان أولئك الذين أرجعهم منهم إلى الجزائر ، حسب شروط المعاهدة ، لم يكونوا فقط طاعين في السن وعجزة ، ولكن أكثرهم لم يكن حتى عضوا في الجماعة الجزائرية . ان الفرنسي لم يكونوا يريدون أن

مع فرنسا ، ولكن 131 ما حدث وانتقد هذا اللام . نرى انتم ان حربا ضدنا مستحق ذلك عاجلا . « انظر : (Pro. Ind. 13396 fol. 425)



برحموا أي رفيق قد يحبر عن الآخرين الذين كانوا موثقي ( «الحديد» )  
 إلى مقاعد التعذيب . وليس ذلك هو كل ما في الأمر . ذلك أنه عندما  
 اشتكى الحرائريون لم يحسم الملك ولا وزرائه . وعندما بعث  
 الحرائريون بأمدار تحاطله الفرنسيون . ان لويس الرابع عشر وورثاءه  
 لم يستطيعوا احياء امتاعهم من « جمهورية قطاع الطرق » و « رعاة  
 النقر » و « الأكلج » الذين كانوا هم « السادة اعظم والأسيود  
 للجزائر » . ان ذلك الامتاع هو الذي قاد الداي والديوان في النهاية  
 إلى اعلان الحرب . وحلال شهر واحد أصبحت تسعا وعشرين سبية  
 فرنسية عائم وأكثر من ثلاثمائة فرسي أرقاء .

كان هناك كثير من الناس في فرنسا يرغبون في التوصل إلى اتفاق ،  
 غير الحرب ، معكام الحصن كانوا دائما يمسرون عن رأيهم بأن  
 الحرائريين كانوا محافظين بكل ولاء على شروط المعاهدة . وكانت هذه  
 الشروط هي الحقيقة مميعة لأنها جعلت من الخطر على اسرار الفرنسي  
 أن يقل اسفل في سينة أجسة . وبالإضافة إلى ذلك فإن تلك اشروط  
 تتدخل في تحارة المنافع الفرنسيين . وقد اقترح أحد النصارى بمرسيميا  
 بأن المدد القليل من الأرقاء النائمين في السجن الحرية ( الفرنسية )  
 الذين يعادون ( إلى الحرائر ) كانوا بالتأكيد أقل قيمة من السفن  
 والبحارة والفرنسيين الذين قد يقومون في سبية البحارة الجريين .  
 ولكن هذه الأصوات الداعية إلى الاعتدال واتصاهم لم تجد أدفا  
 صاغية . فقد استمر الفرنسيون الحرائر للحرب ، عن عمد . وقد كتب  
 كولبير إلى متصرف البحرية بطولون قائلاً « انها عزيمة الملك في أن  
 يدخل الحرب ضد البحارة الحرائريين » وأمر بارسال حاسوس ليصم  
 تصميمًا للتحصينات والمراسي وغيرها من المؤسسات حول الجزائر .  
 وتوحد عدة عوامل وراء هذه السياسة . فأهل الدين الأنقاء في البلاط  
 كانوا يمتقدون بأن الملك المسيحي يجب أن يعيد الكفار القهقري وأن  
 يسعف المسيحيين المقيديين . فهم لم يسوا إلا فانسان الذي أصبح  
 اسمه . القديس سان فانسان دي مول . ان قسوسه ما يرالون في  
 ساحل الشمال الاقريقي . على أنه في الوقت الذي كان فيه السماوسة

في الجزائر يحثون على الاعتدال ، كان هناك قساوسة آخرون يرغبون من الملك أن يمن الحرب على الكفار . وكانت هناك صموط أخرى من أجل الحرب ضد الجزائر ، ذلك أن مؤسسة كولير البحرية النامية تحتاج إلى فرصة لتجرب نفسها ، ومن ثمة تلفت نظر الملك . وأخير كان هناك قتاع اشترك فيه جميع ووراء لويس ، بعد سنة 1679 ، وهو أن السمعة الفرنسية تتطلب ردود فعل عيعة لأي اعتراض على السياسة الفرنسية أو تشبطها . ان ذلك هو العهد الذي كانت فيه صورة الفرنسي في أوروبا قد أصبحت « تثير السحرة » و « متهوجة » و « مجيعة » . وقد أكد كولير عقيدته في العمق قائلا : « ان اراهاب أسدحة الملك في المشرق وما تفعله ارادته لمعاينة معاندة الجزائر سبب سبب تطارة المشرق ... جبيبا تقريبا في أيدي رعايا الملك ... ان الارهاب سيهجر جميع الأطراف على تمديد المعاهدات بدقة ... » ويدعو واصفا أنه كان يعني « جميع الأطراف » عدا المملكة الفرنسية ، ولكن مهما كان الأمر فإن هذا الرأي قد أبعد الأصوات الداعية إلى الاعتدال ، وقد قرر لويس الرابع عشر ، بناء على نصيحة وزيره ، أن يرسل أسطولا ضخما ( إلى الجزائر ) ليحقق العمل الذي فشل في تعقبه جده الهابسبورغي ، شارل الخامس ( شارلكان ) . به سيقتم « على القرصنة » من الجزائر .

لقد فشل دعاء الاعتدال ، ففي سنة 1682 أبحر أمير البحر دوكن Duquesne على رأس أسطول عظيم متوجها إلى الجزائر ، مع الأوامر بتحرير لمدينة عن آخرها . لقد كان الفرنسيون معتمدين على سلاح جديد ، وهو مدفع الهاوون ، الذي ابتدعه س . رينو ديليكاغاري S. Renu d'Ellicagaray ، وهو مدفع يطلق قذيفة ضخمة من المتفجرات على مسافة تقدر بـ 700 توار Toises ( حوالي 1350 متر ) من لفروص أو تحطم أي بناية تكون في واحدة المتفجرات . ان هذا اسلح سستعمل عما قرب في الأراضي المحفظة وهي حنوة ، لفرص الارادة الفرنسية عن طريق الارهاب والمعاينة أي عصيان للملك الفرنسي . وصل أسطول دوكن إلى شرشال في 25 يوليو . فقبل هذه لمدينة الصغيرة وأحرق سفيتين . وفي 29 يوليو كان أمام لجزائر

ورفض أن يتعاضد . بعد جاء لمقاومة الجزائر على مجازفها في إعلان الحرب على فرنسا . واستمر قصف المدينة من 20 الى 22 أغسطس ، ثم يوم 26 أيضا ولكنه لم يتسبب الا في أضرار خفيفة . فقد سقطت الغدائث دون هدفها ظهرا « لرداءة البارود » ، وفي 30 من الشهر أغلقت مدافع الهاوون مائة وأربعين قديمة أصابت المدينة . وفي الثالث من سبتمبر حاول الجزائريون الهجوم على السفن الحاملة للمدافع ، ولكنهم أجبروا على التراجع . وطلب الداي الشروط ، ولكن دوكن رفض التفاوض . وفي الثاني عشر من سبتمبر أبحر الأسطول الفرنسي بقيادة مع نية الرجوع في الربع الموالي . إن القصف قد أودى بحياة حوالي خمسمائة شخص وهدم حوالي خمسين بناية ( عمارة ) . وكل من لويس الرابع عشر وكولبير كانا محزونين من أن مدافعهما لم تكن أكثر فعالية ، وامرا أن تمنح عناية أكبر لمحاولة السنة القادمة . أما بالنسبة لدوكن فقد اعترف الملك بخدماته في الجزائر وفي جزيرة كيوس Chios حيث أحرق جزءا من أسطول بحارة طرابلس في الميناء . وقد حصل دوكن ( من الملك ) على هبة بمائة ألف فرنك وترقيته الى لقب ماركيز تحت اسم « دوكن du Quesne » .

وعندما رجع الفرنسيون في السنة الموالية ، كان دوكن خشنا خشوته السابقة . فقد رفض أن يقدم كرسي القسيس فاشي Vacher الذي كان طاعنا في السن ومرضا ، عندما جاءه هذا القسيس المبعوث الى السفينة عارضا عليه عروض المفاوضة من الداي . بل أنه هانه بقوله انه كان تركيا أكثر منه مسيحيا . وقد رد عليه الأب فاشي فقط بقوله : « أنني قسيس » .

والقصف الذي أعقب ذلك كان أكثر فعالية من قصف السنة الفارعة وقد عرض نابا حسن أن يقبل أي شرط . وأرسل الرهائن الى دوكن ، وأعاد مئات من الأوراق الفرنسية بدون دفع القداء . ولكن عندما تصعب دوكن في الشروط بطلبه دفع أموال طائلة كعويض ( قدره سبعمائة ألف فرنك ) ، احتج نابا حسن بأنه لا يستطيع أن يوفر هذا المبلغ الكبير من النقود . وأثناء « سوء التدبير » الذي حدث بعد ذلك ، عرض

بيرو مورتو (ب) ، وهو أحد الزهائن لدى الفرنسيين وأكثر الراس  
 تأثيرا أن « يجد حلا لأي مشكل » اذا ما سمح له فقط « دخول الى  
 الرصيف » وقد فعل : فجمع من حوله الراس ومعظم الميثب  
 ( الانكشارية ) ، واغتال بابا حى ( أما الداى الطعن في اسس فقد  
 مرب الى تونس ) ، وجعل نفسه دايا متحبا . ثم أعلن أنه سيقتد  
 من أفواه المدافع كل الفرنسيين في الجزائر اذا اسمر دوكين في  
 القصف . ولم استولى الفرنسيون على الجزائر سنة 1830 وجدوا  
 « المدفع القمطي » ، لقد كان من صنع أحد رجال البندقية سنة 1572 ،  
 وكان يمكنه أن يقذف القديمة على مسافة 2500 نوار Tolson  
 ( حوالي 4800 متر ) مع « دقة مساوية » . وعندما استأنف دوكين  
 القصف ، ربط الحرائقون القيس فاشي وعيره من انفساد  
 والمواطنين الفرنسيين الى هذا المدفع وقذف بهم شدر مدر .

وكان للفرنسيين أمل كبير في سلاح آخر جديد . فقد أحصروا  
 قنبتين عظيمين من كل مها سعة آلاف رطل ومسلحة بأربعة وثمانين  
 قنطارا *quintaux* من البارود ( عارة عن فلة ذرية قبل تفتت بذرة ) ،  
 وأرادوا إطلاقها . ولكن المدافع فسلت في إطلاق هذ السلاح الوحشي .  
 وهكذا كاث مهشم فاشله . ومع ذلك فان اعصف بالقفل التي تزن  
 كل مها بين اثني عشر وخمسة عشر رطلا قد تسبت في حشائر حسيمة  
 لمدرل الواحه في المدينة . وقد تهدم منها أكثر من خمسمائة منزل .  
 بالاضافة الى عدد من المساجد وحمام . ولكن مجموع عدد الموتى كان  
 غير مرتفع لأن جمهور السكان هربوا من المدينة وتوجهوا الى الصواحي  
 قبل بناء القصف . والذين ماتوا من جراء قصف القنابل كانوا أقل من  
 الذين ماتوا بالطاعون الذي ضرب ضربه خلال الصيف السابق . وأكبر  
 الحماير كانت في مازل البلدية ( الحضر ) ، أما الداى ومساعدوه ،  
 وكذلك الراس والانكشارية ، فلم يعانوا الا قليلا ، ولذلك لم يروا أي

\* - يدعى الحاج حسين بيرو مورتو ، وكان من ماتوا الحرائق اسدرين ، وقد نقل  
 في وظائف أخرى بعد أن قادم الجزائر . ( المترجم ) .

سب يسمح باحارهم على قبول الشروط . وقد تجدد ميرو مورتو  
الاقتراح الفرنسي بأن اوقف قد حان لعقد معاهدة .

بعد كان وضع دوكن صحا . فالداي ميرو مورتو غير مستعد  
للتفاوض ، واستمرر المصم ادى الى اعدايات أخرى لفرنسيين  
المكودين في الحرائر . وقد كتب كولير الى دوكن يقول له . ان  
الملك « يطلب منك ان يحملهم يدفعون اثنى عالا للسلام الذي  
يطلبونه . . . » ولكنهم لم يطلوه ! وذهب كولير الى القول بأن الملك  
« سيكون حد مرور للصبر الذي سيحققه والفوائد التي سيجلبها  
جمع البلاد المحجة يهدم تلك المدينة هدمًا كاملا . . . » ان قايه مد  
سب اصرارا . ولكن المدينة لم تحرب . ونقل ان دوكن ذهب الى  
عرشه وترك اداره العمل الى مساعده يدبى سرعان ما فقدوا الثقة  
في وافته . انه لم يستطيع ان يهدم الحرائر . اد لى به لا المشاء ولا  
لمدفعه المدفاه الضرورة لمرور الى الر وانهوم . وأخير أبحر دوكن  
الى فرسا ، تارك الحرائر في حرب تصاعد بها الدخان ، ولكنها لم  
تركم . وقد كتب اعصل الانكبرى ريكوب الى اللورد دارمموث  
Dartmouth « انظر كم هي قسمة لمالاه سى اعطاها هؤلاء ،  
الناس الى اناس الفرنسيه سى احصت عندها وكان حولي ستة  
آلاف ( 6000 ) . . . وأولى المصوبات . . . احصت عنها تقدر عدد  
العثاكن والمبارل التي هدمت شدة . . . وذكر احصاء تركي  
ان العدد كان هدم ثلاثمائة وخمسين . . . من الناس قتلوا »  
كما ان ابحاصم الأعظم قد بصر اصرار . . . من سبه لعارطة .

وفي هذه الأثناء كان ابوصح في ا . . . سى سلى من حديد  
السبه افرسه نحو جماعة لبحاره في حرائر . ذلك أن قصص  
دوكن المضحى لكوس Chios وسفبه حجاره في مباء طرابلس .  
قد أدى عملا الى مقاطعة من الباب العالي وفرساي عندما هدد الصدر  
الأعظم ، قاره مصطفى ، صراحة برمي القصر الفرنسي في سجن . ان  
حكومة السلطان كانت عبر مساعده أن تفعل الكثير لمساعدة الحزائر ،  
ولكن كيوس كانت أقرب بكثير الى مركز حكمه . وكان يبدو في تلك

لمحظة كان لويس الرابع عشر سيدخل عاجلا حرب بحرية ضد كل من  
 الجزائر والدولة العثمانية . غير أن سياسته قاربه مصطفى بم تكن سياسته  
 في اتجاه البحر ، بل كان يحطّط لهجوم كبير في أعالي الدانوب ضد  
 الأراضي النمساوية لتامة للإمبراطور يوبولد الأول . وكان هناك أكثر  
 من مائتي ألف (200000) رجل يتجمعون عند الدانوب الأدنى مستعدين  
 لالهة هذة العشرين سنة التي أنفق عليها بعد هزيمة العثمانيين في سان  
 عوتبرت سنة 1664 . فهي ذلك الوقت كان لويس الرابع عشر ،  
 باعتباره مارغريف لالزاس Margrave . قد أرسل فرقة فرنسية  
 لمساعدة الجيش الألماني . ويشهد كل من وصف المعركة ولخصائير  
 مرعبه التي تكبدتها صباط الحش الفرنسي على أن الفرنسيين كانوا  
 أكثر غنادا وكذلك أكثر فعالية بين المسيحيين الذين رحلوا تلك المعركة .

وكن عندما علم لويس الرابع عشر بحطه قاره مصطفى بنار من  
 الهزيمة السابعة . كانت توجهاته السياسية محتمة بسما عن تلك التي  
 تساهلها منذ عشرين سنة خلت . فقد أقامه السيد دي فوبن de Vauban  
 والماركيز دي لوفوا de Louvois بأن عليه أن يحيط مملكته بنظام من  
 التحصينات التي تضمن الانتصار في أي حرب مقبلة مع الهولنديين  
 والألمان والأسبان . ولكن معاهدة يموين Nymwegen الأخيرة لم تعطه  
 كل الإقليم التي يحتاجها لإكمال النظام المذكور ، وكان في طريقه في  
 حصار ذلك الحصون على الأراضي بطريقة غير عاديه تماما ، وهي طريقة  
 صمم اشامل على أساس العلاقات الاقطاعية سواء في الماضي انغري  
 أو البند . ن ساسة ما يسمى « بإعادة التوحيد reunions » والضم  
 اشامل بملديبات والمدن ومدينة سراسبورج ( سنة 1681 ) وغيرها  
 من المقاطعات على طول الحدود الشرقية والشمالية لفرنسا ، كانت بدون  
 أدنى شك ساسة اعتداء مكشوف ضد الأمراء الألمان وحكم الهابسبورج  
 لكل من أسسها والدولة ( الامبراطورية ) الألمانية . وقد أحدث الروبط  
 والتحالفات في ألمانيا تتكون لوقف هذا الاعتداء الفرنسي ، وكان  
 الامبراطور ليوبولد في الظاهر مستعدا للحرب . ولما علم بويس بمخطط  
 العرب العثماني لحوض الدانوب ، ظهرت خطة عمل عظيمة كأنها قابلة  
 للتنفيذ ، وتكون تحتها هي الاعتراف بتوسعاته ( لويس الرابع عشر ) ،

بالإضافة إلى بيل السمة والمعد للملكة ومثلك فرنسا . وتلك اللحظة هي أن الملكة الفرنسية ستقف على الحياد عندما تستولي الحشود التركية على النمسا ويهدد بالاستيلاء على جميع أوروبا الوسطى . وعدد يمكن للملك فرنسا أن يظهر في اللحظة المناسبة على أنه الدرع والسيوف للسلبيات ، فيعتقد الألمان من العبودية العثمانية ويقل لنفسه أو لانه تاج الدولة ( الامبراطورية ) الرومانية المقدسة ، ومن ثمة يبعد الهاسبورغ الماضي لذلك وأرضه عن عرش ، اذا ما توسع مع مملكه فرنسا ، يمكنه أن يخلق من جديد أوروبا مسيحية متحدة . لقد كانت حقا فكرة عليه . ومجاهد أوقف لويس كل خطته العربية ضد السلطان وأسر سميره أن يؤكد نقارة مصطفى بأن الجنود الفرنسيين لن يقفوا في طريقه إلى فيينا .

ورغم انها كانت فكرة سخفه من وجهة نظر الملك الفرنسي فانها لم تحقق تماما بالطريقة التي توقعها . فقد وصل الجيش التركي إلى فيينا ونصب الحصار حولها ، ولكن فيينا لم تسقط . لقد اشترك في الدفاع عنها ، كارل أوف لورين Lorraine على الجيش الألماني ، وحان سوسكي Sobieski مع الجيش البولندي . فمكا الحصار على المدينة وأسدا عنها قوات فارة مصطفى نحو الهر . ولم يشترك أي جيش فرنسي في تلك الحصار على فيينا ، وليس هناك حاجة إلى جيش فرنسي . ولكن لويس الرابع عشر لم يكن ليلعب بالانتصار الألماني - البولندي . فعندما أصبح واضحا أن فيينا لن تسقط ، غزا الجيش الفرنسي الأراضي المنخفضة الاسانية ولوكسمبورغ ، ضاربا المدن بقذائف ( مدافع الهاون ) الحديثة لأرهاب السلطات الاسانية والهاسبورغية حتى توافق على الاعتراف بفرعية اللعاقات ونقل لوكسمبورغ إلى مملكة فرنسا .

في الوقت الذي رجع فيه دوكين من قصفه الثاني للحزائر ، كانت مملكة فرنسا في أزمة . فملك الهاسبورغ في أسبانيا قد أعلن الحرب . وكاد امراطور الهاسبورغ في ألمانيا ياقش ما اذا كان سيحارب فرنسا في الغرب أو الدولة العثمانية في الجنوب الشرقي . وسقطت مدينة

لوكسبورغ المحصنة في أيدي الفرنسيين . ولكن المشاعر المتعاضدة في أوروبا كلها تركت باب الحرب أو السلام مفتوحا . وأمام الأوضاع قررت الحكومة الفرنسية أن تتبع سياسة معتدلة نحو حماية التجارة في الجزائر ، ذلك أن البحرية الفرنسية قد تكون معبدة في مكان آخر حيث الحاجة إليها قد تكون أشد . وفي الخامس من يناير سنة 1684 كتب الماركيز دي سيبيلي de Seignelay ، وزير الشؤون البحرية إلى أمير البحر ، تورفيل Tourville ، بأن « الوضع الحالي ( أي الحرب ضد أسبانيا وربما مع الامبراطور ليوپولد ) يعمل من الضرورة القصوى عقد معاهدة مع الجزائر » .

ونتيجة لذلك ، وشنا أوروبا تنتظر ما اذا كانت الدولة الألمانية ستعرب على الحصة الغربية أو جهة الجنوب الشرقي ، وصل أمير البحر تورفيل إلى الجزائر يوم الثاني من أبريل سنة 1684 مرفوقا بسبعون (Capitaine) من السلطان ، مهمته أن يوضح بأن فرنسا والدولة العثمانية على وفاق تام ، وأن السلطان يرغب في أن تكون الادلة الجزائرية أيضا صديقة مع الفرنسيين . وكان تورفيل مرنا في مفاوضات بقدر ما كان دوكس خشنا . وخلال عشرين يوما من المفاوضات كتبت معاهدة ستدوم « مائة سنة » . وقد نصت على تبادل الأسرى وحللت القصل من أي قروض سيئة من قبل مواطنيهم . وحددت طريقة المرور . وأكدت على الحصص ما جاء في المعاهدة الفرنسية - الجزائرية السابقة . وقد نص أحد الشروط على زيارة شحنة جزائرية هامة لسلام الفرنسي عقد اسلام مع الملك ، وفي الرابع من يولييه سنة 1684 ، كان محاج حمير آغا مقابلة مع لويس الرابع عشر ، وفي أربع المرات ، لمحاج محمد بخصائين فارهي هدية للملك الفرنسي . وقد حاول كل من القصل لانكلزي والهولندي مع اتمام هذه المعاهدة ، ولكن القصف كان قد أتمم الجزائريين بأن عليهم أن يلجأوا إلى السلام اذا كانت جميع الشروط مرضية .

غير أن الأحداث في أوروبا سرعان ما حطت الملك الفرنسي ووزرائه أكثر ثقة في سياستهم القائمة على الارهاب . فقد قرر الامبراطور الألماني أن يعقد السلام ، أو بالأحرى الهدنة . مع فرنسا ، وأن يذهب



الى الحرب ضد ابدولة العثمانيه . وحين رضى الامبراطور ( النماني )  
 بهدنة العشرين سنة لم يبق للملك اسبانيا طريق آخر للسلام مع بوس  
 الرابع عشر . وفي فرنسا كان يبدو ان هذه الهدنة المسماة همدنة  
 راتيبون Gatisbonne ، هي شاهد واضح على ان الاحاقات التي  
 جرت خلال السنوات السابقة ، ستأكد في المستقبل . فاروبا لا يمكنها  
 ان تقف في وجه قوة الاسلحة الفرنسية . وقبل كل شيء كلن على أهل  
 جنوة ان يمانوا من هذه الاسلحة وذلك لمعوتهم الأسبان أثناء حربيهم  
 الصميرة حديثة العهد . فقد توجهت السفن حاملة مدافع الهاوون الى  
 حوة مرفوقة بأطول صمم وحرب قسما كبيرا من هذه المدينة ، ثم  
 أن دوق حوة أحر على أهانة نفسه في بلاط الملك الفرنسي . ان  
 «وجه» فرنسا في أوروبا . بعد قصف الجزائر والأراضي المنخفضة وحوة  
 وحصار ثم الاستلاء على كل من تراسبورغ ولوكسمبورغ والطريقة  
 الخسة في مرض الارهاب على الرونسات في الأراضي التابعة لدوق  
 صافوي (صافوا) — كان حقيقة وحها يجعل الناس يرتعدون — أو  
 يحملهم سدون أنفسهم لمواجهة القوة الفرنسية بقوة أخرى من عندهم .

وسرعان ما اكتشف الجزائريون ان الاحتقار الذي طالما آكته لهم  
 اساسة الفرنسيون في الماضي . معمر دملك ووزرائه ما يزالون  
 ينظرون الى الحكومة الجزائرية على انه جماعة من اللصوص والأوغاش  
 الذين لا يحتاج المرء الى التدخل معهم بحذره (هـ) . وهم لم يرضوا بفقد  
 السلام معهم الا بسب الأحوال في أوروبا . وعاد نفس المشكل القديم  
 اى الظهور . وهو مشكل الأتراك والجزائريين المقدين في مجديف  
 السفن الحرة الفرنسية . وكثير من هؤلاء كانوا من الانكشارية الذين  
 كان أصدقائهم وعائلاتهم تطالب باعادتهم . وكان آخرون منهم رياسا أو  
 صباطا آخرين في الحرية ولهم اتصالات قوية في انجزائر . وكان قد مضى  
 على بعضهم وهم مقدون عند المحاديف من خمس عشرة الى عشرين سنة.

٥ - يذكر القزويني ما ذكره المؤلف في مدة ساسات من « المسعودي للرجي كادوا  
 يستعطفون من حكام الجزائر « معسرين اباهم » « حدة دولة من مطاع الطرق » الخ  
 المنزحة .

وبالإضافة إلى هؤلاء كان يوجد آخرون في السبع الحربية الفرنسية لهم اتصالات وثيقة مع النظام الحاكم ، فحرض الجزائريين كانوا من عائلات عية أو ذات مكانة ، فكانت لهم بعض القدرة أيضا على التعبير عن رغبتهم للهداية . وهو لا يستطيع حقا أن يجعل المطلب الداعي إلى أن هؤلاء الناس يجب أن يكونوا أحرارا . ولكن الفرنسيين بكل بساطة لا يطلقون سراحهم . فهي عملية ثوبيس الربع عشر إلى مفاوضات ، أمره أن عليه أن يتفادى ، مهما كان ذلك ممكنا ، أي موافقة على إعادة الرجال القادرين ندسا على العمل . وعندما لم يسع تورجيل إلا الموافقة على تبادل وارجاع الأسرى ، رجع الفرنسيون إلى نفس القصة القديمة . فهم لم يرجعوا إلا المسنين والمرضى . وكثير منهم لم يكونوا حتى «أراكا» من الجزائر ، بدل ارجاع الانكشارية الذين كان الذي يتوقعهم . وكانت الاحتجاجات بأن هؤلاء الأرقاء لم يكونوا أبدا في الجزائر ، وأن ارجاعهم يضر عثا على الجزائر . أما ردها الفرنسيون بلطف أو لا يجيبون عنها أصلا . ولم يكن هذا هو المشكل الوحيد ، فقد قتل أسطول فرنسي بقيادة أمير البحر . جان ديبري *d'Estaes* طرابلس بقذائف مدافع الهاون . «بأسفاته التهديد باستخدام نفس السلاح . أحمر التومس على التمتع على معدته حديدة أعطت التحار الفرنسيين امتاراب حاصه كات أي ذلك الحين سمح بها الانكسر . وقامت قطع بحرية حربية ورسه أخرى بالأسلاء على حسن سفس جزائرية . وقد استطاع لأنه اثري منها أن يعبر ويحوي إلى لشاطيء ، ولكن طاقم اشلائ الأحدى أنه وا . «له استطاع لداي أن يحصل على إطلاق سراحهم .

وحلال سببي . مد حدد تورجيل المعاهدة . ولدي واسدون حاويون . بدون حدودي . اقناع الفرنسيين باحرام التزامتهم . نقد مات كولسر . ولكن انه سيلي *Seignelay* ، الذي يشارك والده في احتقار جمهورية «الداحين» كان هو طبعه . وقد رفض لاحابة على رسائل الداي . أو فعل أي شيء بالنسبة للأتراك والجزائريين الموثقين في السبع الفرنسية . وعد اليأس أعلى جزائريون أخيرا

الحرب ضد فرنسا من جديد . وبدأ الراس يجلبون العائث الفرنسية . ولم تكن هذه الحركة محبوبة عند كل الناس في الجزائر . ذلك ان القصف الفرنسي قد أدى الى اضرار كثيرة في الأملاك أو في الأرواح ، ولكن أثقل الأعباء من ذلك سقط على كاهل البلدي ( الحضر ) الذين لا يكاد يذكر لهم تأثير على مجرى السياسة . أما طائفة الراس فقد كانت تؤكد الحرب ، وكان لها تأثير قوى في مجالس الندى . وطالما كانت الجزائر في سلام مع انكلترا أو الأراضي المنخفضة وفرنسا فالعائث كانت قليلة . وكان الندى ، الذي هو نفسه عضو في جماعة الراس ، يملك على الأقل سيطرة واحدة من بين الحارة . وتدل التقارير على أنه كان لا يسه القصف ما دام هناك غنائم وفيرة . وكان التحارب الفرنسيون ، ولا سيما أولئك الذين كانوا في الحصن ، حائقين من عواقب حرب جديدة ، ولكن عندما كتب ديس دوسول Dossol ، حاكم الحصن ، الى الندى بحثه على السلام ، أحابه الجزائريون بسحرية بأن عليه أن يصي نتجارتهم ويترك السياسة للأحبال الذين يحكمون . ومن الواضح أنه بالرغم من أن الحرب قد اندلعت بسبب رفض الفرنسيين احترام لتراتاتهم في المعاهدة ، فانها لم تكن محل أسفه كل من كان يعيش في الجزائر .

أعلن الجزائريون الحرب في أغسطس سنة 1687 ، وأخذ الراس في احصار العائث الفرنسية ، وأول السفن الحربية الفرنسية وصلت أمام الجزائر في 13 بوبو سنة 1688 . وفي السادس عشر من أغسطس هناك أسطول صمم يحتوي على سفن من نوع الغلايات ، galley و نوع البولاكل polack و نوع المطاردات tartans ، ونوع السفن حاملة القذائف ، والسفن الحربية . وقد أرسل أمير البحر ، ديستير ، رسالة طافية ( فوق الماء ) الى الرصيف موجهة الى الندى ، وطلب ميزو مورتو من صابط انكليزي أن يعينه بأنه « اذا كان له ( أي لديستير ) ما يقول فيمكنه أن يرسل علم هدنة الى الرصيف وسوف لا يصيبه أذى » وأضاف ( الندى ) ميردمورتو بأنه اذا وقع قصف ، فان القنصل الفرنسي والنسيس العام وغيرهما من الفرنسيين سيوصلون في قوحدات المدافع . وقد قيل أن ديستير أخبر الصابط هولمان Hobman « لو لم تكن انكليزنا

شقتك على حصارك هذا العواقب . . . وبدأ الفعاب الفرنسي يوم 22  
 يونيو ( جوان ) د مع اصناف ناله للمنازل وانذاك كتي « بالجزائر »  
 وقد وضع ثلاثة من الفرنسيين في أهواء المدافع ولكن القنصل بها من  
 هذا الاعدام الأول . وقد وصف أحد البحار الانكليز ذلك بقوله . « ان  
 مصيبتكم كان على استعداد ليكون ضحية . . . ولكن على راييس القنصل  
 حياته ، فأبعد الى اناسو ( البحر ) . . . ولكن ذلك كان مؤقتا فقط .  
 وعرض انجز اقربون التفاوض ، ولكن دبستير رفض ، اذ ما يزالون في  
 نظره مستحقون العقاب . وفي الثاني والعشرين بدأت اعدائهم تتطارب  
 بكثرة وقوة . . . حتى بلغ مجموعها ثلاثة آلاف . . . ولم تحدث المدافع  
 شكة الا اضرارا طعنة . . . ولكن على الساعة الرابعة مساء قد  
 بالقنصل ( الفرنسي ) واربعة آخرين من الفرنسيين . « فامر دبستير بقتل ثلاثة  
 اترك وترك حشتم نظموا الى الرصف على حشة ١٠٠ . وفي يوم 25  
 قدى بالقنصل العام واربعه فرنسيين آخرين من أهواء المدافع . وفي  
 اليوم التالي كان هناك ثلاثة حشث لأمر ك آخرين نظموا نحو الرصف  
 على حشة ١٠٠ ثم انطلقت اعدائهم من جديد يوم 27 . فأحصى ستة  
 عشر فرنسيا آخرين لأعدامهم . . . ككهم انظروا البحار بأن يصحروا بهم دا  
 فقلوا ابحار سبعة . وهناك معه حاشية سطلق بالقنصل في لسانه .  
 الذي قل « رسالهم اتصوا ب سبعة مومي . . . وقد رفض اخرقرون  
 الآن أي اقراء . . . فإدى لأحظ ان الفرنسيين سيهدرون  
 عندما يطقون آخر طائفة في حشهم . . . وفي أوالي أغسطس انقضى دبستير  
 بأوامر الرجوع الى حرب . فقد كانت « حشث حصص عبره فرنسي لأرض  
 الرابي ، وقد يكون الأسطول اكث فئده ( ر ) في فرنسا . مسلحا ومجهزا ،  
 منه في هذه البعثة الصده حيث بعد مصعب « روده وعلقته . »

عبرت المذكورة لفرنسية الى أعبد لعدد الى المجلس الملكي عن عدم  
 ارتدحها لطريقة الحروب بمرسة سيد الخرتو . فقد استطاع الانكليز

\* - لا بدري يد ر حكم يرد من ريمة لاصحاب مدني في بحر « بعل »  
 ويدل من ذلك حال في امة اخرى ، وفي الدول سفي من كز  
 امام يد الاسطول حصار في هر . امة ١٧٩٤ ، يد بائمة في بلاد ؟  
 « المترجم » .

أن يحطموا ثلاثين سفينة للبحارة خلال حرب دامت أربعة عشر شهرا ،  
 بينما لم يستول الفرنسيون إلا على خمس فقط . قام الإنكليز بالحرب  
 سرا وبهدوء ، بما حارب الفرنسيون بضجة كبيرة . أن السفن الحربية  
 الفرنسية لم تتمكن من ادراك السفن الجزائرية الأكثر خفة ، لأنها ( أي  
 السفن الفرنسية ) كانت سمنا من الخشب الثقيل ، محملة بالمدافع  
 الثقيلة . . . وفيها قطع المبار مضاعفة . . . أنها سفن محملة للقيام برحلة  
 إلى سيام . . وبكمية كبيرة من الخمر والماء وكل أنواع الطعام . .  
 أما الجزائريون فلا يحملون غير الزيتون واليسكوت ، ومؤونة لا تزيد  
 عن ثلاثة أسابيع . ويبدو أن كاتب المذكرة كان لا يعرف أن القصف  
 كان قد سبب خسائر « أعظم مما كان متوقعا » ( بعد التجربة الأولى التي  
 كانت لسيما غير فعالة ) . وكان ثلث المدينة ( الجزائر ) خراب . .  
 وصوف لي تبي أبدا بنس الفخامة القديمة . »

وقد لاحظ السيد كول Cole . وهو تاجر إنكليزي في الجزائر  
 « لقد تسوا مع ذلك ، في أصرار فعلية . . . أن عشرين سنة لن تجعل  
 مدينتكم حملة مثل حملتها السابق . . . » وما هو أيضا غير معلوم  
 في سنة 1688 هو أن ذلك القصف قد بولد عنه خوف كبير وكره  
 للفرنسيين حتى أن الإرادة الخرة التي نابها الفرنسيون خلال القرون  
 السابقة لن تطبع السياسة الجزائرية مرة أخرى . فقد تركت سياسة  
 الإرهاب التي اتبعها لويس الرابع عشر في الأراضي المنخفضة والمالسيا  
 وإيطاليا بالإضافة إلى الجزائر . تركت تراثا من الحقد الذي لول الأراء  
 مدة أجيال قادمة .

أن دبستير قد استدعى إلى فرنسا عشرة الغزو الفرنسي لأراضي الراين ،  
 وهو الغزو الذي كان المقروض فيه أن يمنع الدولة العثمانية من انهيار  
 حربيا مع الإمبراطور ( ليوبولد ) ، ويجبر الألمان على جعل هدنة  
 راتيسبون معاهدة سلام دائمة . فكان أن مع محادثات السلام العثمانية ،  
 ولكن فيليبسبورغ Philippsburg صمدت أكثر مما كان متوقعا . أن  
 الألمان لم « يحنوا » في وجه القوة الفرنسية ، وحالما كان الجيش  
 الفرنسي مشغلا بالراين ، استطاع أمير أورانج ، ويليام الثالث ، أن يجر

الى انكلترا لكي « يعمي الحرياب الانكليزية وادبي لبرومستاتي »  
بالاصافة الى جلب انكلترا الى الحلف ضد فرنسا أو ما يعرف ( بالثورة  
المجيدة ، سنة 1689 ) - وان هذا المشروع الذي خطط به لويس الرابع  
عشر جاء محتقلا عما كان قد توقع منه ، مثل مشاريعه الأخرى الكثيرة -  
فقد كان الجزائريون هم الراسخين ، ففي أبريل سنة 1689 وصل سموت  
فرنسي سريا الى الجزائر ، وفي الثالث عشر من شهر مايو وصلت أيب  
سبعة حربة فرنسية وعليها مسؤول مستعد للمفاوضة طبقا لشروط  
الجزائرية ..

وان المعاهدة الجديدة قامت على فواعد المهادنات القديمة ، ولكن  
الفرنسيين وافقوا هذه المرة على اعاده السلم العسلي التي اضطرت اليه  
بداية الحرب ، وعلى دفع مبلغ مالي سخيف مقابل سعة تقود الى أحد  
الرياس ( أصبحت البغداد ، وهو محمد ( Memet ) راس والتي كانوا  
قد احرقوها - كما وافقوا على مد لحرر اثنين سبعة آلاف عسلة ( عدده )  
وأربعة مدافع هادون وقائد مدعاه لحصار وهران - وهذا الأمر يترص  
فيه أن ساعد الجهود الفرنسية في الحرب ضد اسباب - وكذلك اعترفوا  
بأنه سكر للرياس الجزائريين أن يسترقوا « الأحاط » الذين يحدونهم  
فوق السلم الفرنسية ، ووافقوا على أن السلم الحرية الفرنسية لن تقوم  
تحرركات على ساحل الشمال الاريقي - أما الجزائريون فقد وافقوا على  
فداء الأروء الذين يختبرهم الفرنسيون من 150 رمال للاتراك و 100  
ريال للجزائريين ، وأن يصدوا الضائع التي استولوا عليها من اسلم  
الفرنسية عندما بدأت الحرب ، وأن يسحبوا باعادة شراء الأرقاء الفرنسيين ،  
ولكن بأسعار يفدرها المالكون للارقاء - وكان عدد الفرنسيين تسعون  
يوما للمصادقة على المعاهدة وأن سلموا القابل - انه لموقف يبر علاقات  
لويس الرابع عشر مع الجزائر - فالفرنسيون أولا أعهروا الاحتقار ، ثم  
قصعوا المدينة ، وأخيرا ، تحت ضغط الأحداث في أوروبا ، حددوا معاهدتهم  
مع تنازلات للشحارة ( الجزائريين ) - غير أن تعارب القصف الثلاث كانت  
لها نتائج خطيرة على محرى الحرب الحرية الجزائرية ، ذلك ان المستقل ما  
يزال سيتضرب بالحروب الأروية ، ولكن الحارة لن يستعوا أبدا من جديد

بالأروما الذي عرفوه مدة طويلة خلال القرن السابع عشر ، لأن أروما  
التي برزت من هذه الحروب كانت تختلف تماما عن أماطها القديمة .

إن الأهمية الحقيقية للحرب البحرية الأنكليزية التي استطاعت أن تطرد  
ومضى صفاليه الوحدات البحرية الخاصة للبحارة الهولنديين ، والمصم  
الفرنسي الذي عاقب المذبحة ( الحرائر ) عذبا شديدا ، لم  
يمسح بأروما تماما مدة ربع قرن آخر . وبين 1689 و 1714 حرب  
حربان عظميان شملت القوات العسكرية لأروما البحرية .  
وعندما اقتضت كآل حرم البحر الأبيض والناس الذين يعيشون على  
صفاته بحب وجميع ساسي - عسكري جديد ومختلف اختلافا واسطا .  
كما حدث بوارن جديد للفرقة كان مسؤولا على توجهه جديد لعدد  
الطارة في شمال إفريقيا .

## التفصل الثاني عشر الحروب العظمى، 1688 - 1714

أمر لويس الرابع عشر أنه . أواخر صيف سنة 1688 . أن يعود حثا إلى الراينلاند لمحصنة فله فلسبورغ الكثرة . بعد كاث سكت حركة من لويس تهدف إلى منح السلطان لشماي من عقد سلام مبدئ مع الامبراطور ليوپولد والجنحة المقدسة (1) . ولم يكن الفرنسيون وعين في هذا السلام . ذلك انه يؤدي إلى جعل الجيش الألماني لدى حكمه المدرك ، ذلك الجيش الذي يمكن اتصاله بفتح الاعاقاب الفرنسية . وهي المسافة لاجداد Réunion — بانرايلاند . وقد كنا رأينا به عندما هربت الجيوش الألمانية اسميه والبريدية الانزال في مسا . وقع امبراطور اهوره معاهدة مع لويس الرابع عشر . تكن في الحقيقة سوى هدنة . فهي لم تعرف شرعية « الاتحاد » . وهكذا . هذه عندما ظهر أن جيوش ليوپولد يمكن حلها من البحر ، قرر لويس برفع عشر ان الوقت قد حان لاجداد الألمان على الاعراب باحدته . غير أن الفزوة الفرنسية لم تتب كما توقعها الفرنسيون . ذلك أن فيلسبورغ كانت أقوى مما اعتدوه . ثم ان امطار الخريف قد حولت منطقة الحصار إلى بحر من الوحل . ان اقلعة قد سقطت فعلا . ولكن لجيش الألماني .

1 — ان الجمعية القائمة الدولة الامبراطورية لانه وبنديه وويلد وروسا قد ولد خلال 1683 — 1684 سنة فشل بعمار بركي ليد . وبحلول سنة 1688 من صغارات هذه الجمعية إلى طرد الألمان من البحر وأصبح الجيش الألماني الرسمي تحت اعمار في سبقت في سنة 1688 وكان المداولة قد استولوا عليها على لينوبويس بالبريد وصور حدوده الصادر بالبلاد أخرى . ذلك السلطان وولداؤه مستعدين لتفقد السلام .



كان ، عند سقوطها ، في طريقه من المجر الى المانيا . ولم يكن في وسع الفرنسيين ان يهزموا في جواب افضل من الحراق وتخريب جميع المدن والقرى الواقعة على حزام حرم حول الراينلاند الالمانية . ولكن هذه الحركة الفرنسية لم تجعل الالمان يتحدون السلام ، بالعكس فان اعمال الارهاب هي التي سحت الملاد للقومة (+) الالمانية (1) .

وعندما علم الباب العالي بالغزو الفرنسي للراينلاند لم يعقد السلام مع الجمعية المقدمة . ولكن لويس الرابع عشر وجد نفسه بسرعة في حرب مع تحالف من القوات التي شملت الامبراطور الالمانى ، وأغلب قوامها الالمان ، وممالك أنكلترا واسبانيا ، وكذلك دوق صافوى . ان التعصبات التي احاط بها فوناز Vaubert مملكة فرنسا كانت صانعا ضد أي اعتداء ، ولكن التحالف كان من القوة بحيث مع تدخل فرنسا خطيرا في المانيا او هولندا . ونتيجة لذلك ، كان لويس في حرب لمدة تسع سنوات ، وهي حرب الاستنزاف التي كانت عثا ثقلا على مملكته وشعبه .

وليس هناك حرب بهذه الصعامة يسكن خوضها دون ان تترك أثرا على الجزائر . فقد رأيا انه في الصيف السابق لغزو الراينلاند ، أرسل لويس الرابع عشر قاتل معه Ketches مدعومة بقوة بحرية عظيمة لضرب الجزائر ، حتى الاستسلام . وان آثار هذا انقصف كانت مهلكة بالنسبة للمساكن والأسواق والمساكن ، رغم ان الحصار في الأرواح منها كانت طقبة . وقد عادر الفرنسيون متوجهين الى بلادهم تاركين في الجزائر كرها عيقا ضد فرنسا وضد ملكها . ومع ذلك فانه عندما أصبح الفرنسيون

(\*) - نحن نزيد ما ذهب اليه المؤلف هنا من ان الارهاب الفرنسي أعظم القومية الالمانية . ولكن لما لم يقل ذلك من بعض الارهاب الفرنسي حظه دوكن ، العصر الحادي عشر ، بالنسبة للجزائر ؟ (الترجمة) .

1 - لقد كان للاعتداء الفرنسي على الراينلاند مبعثة اخرى خطيرة جدا ، ذلك انه عندما أصبح الجيش الفرنسي موزعا في محاصرة فليسبورغ مع برلمان الأراسي المحصنة الان الى وليم اوب أورانج لقل جيشه الى انكلترا للدفاع من القصة البروتستانتية . وقد مر الملك جيمس الثاني ومملكته وابنه الذي لم يعطى على ميلاده وقت طويل ، مروا الى خارج المملكة ، ونتيجة لما يسمى بالثورة المجيدة أصبح وليم ودوجو ساري ، وهي الست الكبرى لجيمس الثاني ، ملكا ومملكة لانكلترا .

متورطين في حرب بأوروبا ، فانهم كانوا مستعدين في شمال افريقية لتطبيق  
 المثل الذي يقول : ما فات مات . فقد كان ذلك هو النموذج المتبع دائما ،  
 فكما كان لويس الرابع عشر متورطا في حرب بالقارة الأوروبية ، لجأ  
 ووزرائه الى بشدان السلام مع جماعة شمال افريقية . فهم لا يريدون  
 نزاع صغيرا على جانبهم اذ كانوا مهمكين في حرب حقيقية في مكان  
 آخر . وهكذا نجح السفير الفرنسي باسطنبول في تعيين اسماعيل باشا  
 ليكون باشا الجزائر ، وليعقد السلام . ولكن اسماعيل ، الذي كان دعيا  
 وصبيحة من صائغ لويس الرابع عشر ، لم يسمح له بالنزول في الجزائر ،  
 بل قيل له ان حياته ستكون في خطر اذا حاول ذلك . ان رسالته الى لويس  
 الرابع عشر تقدم لنا صورة كئيبة لرجل مريض ، بالإضافة الى انه مرآة  
 بذلك الكره الذي اثاره القنابل الفرنسية .

ولا يمكن عقد السلام خلال حرب سنة 1688 ، ومع ذلك فانه في  
 اوائل السنة الموالية ، كانت للداي ( حسين ) ميرو مورتو اقساعات واسعة  
 للوصول الى اتفاق مع فرنسا . فقد كان رجع الى الجزائر من حملة  
 تاديبية على حدوده الغربية ، بالسيط عندما كانت القوات البحرية الفرنسية  
 بهي نصعها . واكتشف في يناير الموالي انه كان يواجه حلقا من سلطان  
 مراكش وداي تونس سيساعد قواته في نزاع يائس . وهذا الوضع  
 جعل عقد السلام مع فرنسا يظهر مقترحا معقولا . ولكنه عندما تلقى رسالة  
 من الملك الفرنسي يقترح فيها السلام ، كان جواب الديوان هو الصمت  
 الرهيب . وقد تكون الداي ووزرائه مستعدين لعقد السلام ، ولكن  
 الديوان كان م يزال معارضا . غير ان ميرو مورتو استمر في المفاوضات  
 سرية ، واحيرا وافق على معاهدة كانت في الأساس هي نفس المعاهدة  
 السابقة . فقد وقعت يوم 24 سبتمبر 1689 ، قيل ان يوم الذي انطلق  
 فيه ميرو مورتو على رأس جيشه متوجها نحو الحدود الشرقية لمحاربة  
 باي تونس .

وسكن الحملة كانت فاشلة فشلا ذريعا ، وقد طالب الانكشافية برأس  
 الداي ، وهو الأمر الذي غالبا ما كان يحدث في مثل هذه الأحوال . غير  
 انه هرب ، وانتهى في خدمته بأن أصبح باشا وأمير أسطول السلطان في

البحر الأسود . وقد أصبح الحاج شعبان - وهو جندي صلب المراس . هو داي الجزائر . لقد كان أول حلقة في سلسلة طويلة من الدايوب الجيود الذي حكموا نضاعة ( بالجزائر ) خلال القرن الثامن عشر . ان عهد الدايوب المحذرين من الرئيس مد انتهى . وقد واجه الداي ( + ) نفس المشكل الذي واجه سلفه ، وهو الحدود انونسيه . ذلك ان داي تونس قد أصبح من حدة متحافا مع عدد من اهالي القبائل الجزائرية ، وكان من نتجه ذلك ان اوثت الاهالي رفضوا دفع الضرائب الى حكومة الجزائر . وما دامت هذه الضرائب البعده كانت ضرورة جدا بدفع الحرائر . فانه كان على الداي ان يركز اهتمامه المطلق على احود الانكشارية ، فانه كان على الداي ان يركز اهتمامه المطلق على استعادة سلطة على اهالي القبائل ومعاينة داي تونس . وكان على الحاج شعبان ان يضع اليدوان بان عقد معاهدة مع فرنسا كان امر ضروريا وقد شرع في ارسال رسائل مفصلة كل من لويس ابراهيم عتر وسيولي Scipione يقول بان المعاهدة كانت غير محبوبة لان قسب كبير من اليدوان يعتقد ان ميرومورتو قد ملاحه الخاص عند الموافقة عليها . على انه من الواضح ان المعاهدة يجب عقدها . وبعد اتحاد عدد من لشميدلات الطيفه المقبولة ، اعس ( اي الحاج شعبان ) ان فرنسا وايضا الجزائر قد عقدنا معاهدة سدوم مائة سنة . ان هذا النوع من الأسلوب اللامعي كان شائع الاستعمال ، ولكنه في هذه الحالة رهس نهضه على انه كان صادقا ذلك ان المعاهدة قد دامت فعلا الى عهد ثوره فرنسا .

ان عقد معاهدة بين فرنسا والجزائر قد خلق متشكلا لميث انكسرا العديد ، وتمام الثالث ، الذي كان في نفس الوقت حاكما ( Stadtholder ) للأراضي المنخفضة المتحدة . ان الحرائر لا يمكنها ان تكون في سلام مع أكثر من اثنين من الدول المتطارية الثلاث الهامة ، وقد كان الرئيس يشعرون بالضغط عندما كانت الحرائر في حرب مع اثنين على الأقل من الدول الثلاث . وما دامت اتكلترا والجزائر في سلام - في الوقت الراهن ،

(1) - حتى صلبان باشا ، ظهر منه عدد قليل من هذا الفصل وانظر به ايضا مقال  
 1 من أخبار عثمان باشا ، داي الجزائر ، كما جليت في كتابي ( الشهيرة المعركة )  
 لاسد برمار ، في مجلة الترويج ، عدد المصنف الثاني من سنة 1984 ، عدد خاص  
 بالرحوم احمد فوفيل الذي بالقرم

على كل حال — وما هي فرنسا قد استطاعت أن تعد معاهدة معها  
 ( الجزائر ) ، فان ويليام الثالث قد فهم انه من غير المحتمل ان تستطيع  
 الأراضي المنخفضة أن تعد أيضا السلام مع الجزائر . ولم يكن ممبر  
 مواطنيه الهولنديين هو المنضم الوحيد ، ذلك ان الجزائريين كانوا قد  
 عقدوا معاهدة مع ملك انكلترا ، جيمس الثاني ، وكانت الحوارات لمصر  
 بها من قبل الرئيس موقعة باسم جيمس الثاني . وقد كان من نتيجة  
 « الثورة المجددة » صعود ويليام وماري على العرش الانكليزي ، وتعي  
 جيمس الى فرنسا . وقد سارع الملك جيمس الثاني بالكتابة الي سلطان  
 لدولة العثمانية وداي الجزائر ( ١ ) ، مشيرا لهما بأن ويليام كان قد  
 اعتصب منه الملك ، وانه كان حلفا للإمبراطور الألماني اسدي احتلت  
 جيوشه بلتراد ، بالإضافة الى انه حليف مجلس شيوخ الدقة الذي  
 احتلت جيوشه واسطوله البحري جزا من اليونان ، وكانوا يصطيدون  
 جميع تجار المسلمين بالشرق . وقد حث جيمس بأن لا ينفرد رياس  
 الجزائر بأي حوارات موقعة من قبل ويليام الثالث . ولذلك كان القنصل  
 الانكليزي بالجزائر في وضع حرب . فبالسنة لبعة اسلام بين الجزائر  
 والأراضي المنخفضة المتحدة ، كان يعلم ان السلام مع الأراضي المنخفضة  
 قد يعني الحرب مع انكلترا . وبالإضافة الى ذلك ، فان مشاكل القنصل  
 قد تضاعفت من جراء انه بينما كان ملك انكلترا في دوره كحاكم  
 ( Stadtholder ) للأراضي المنخفضة المتحدة يبحث على السلام بين  
 الجزائر وهولندا ، فان السياسة الانكليزية في الماضي كانت تقوم على  
 تشجيع الجزائريين على أن يكونوا في حرب مع هولندا ، وانه حتى بعد  
 أن أصبح ويليام ملكا على انكلترا ، وان كثيرا من الناس في انكلترا كان  
 يستعدون أن يردوا الجزائر تدخل في حرب مع أكبر منافس بحاري لهم  
 ( أي هولندا ) .

ومنذ وقت بعيد كان الانكليز والهولنديون قد قرروا اتباع سياسة  
 حازمة ، مدهونة بالرشوة ، وفي حالة هولندا اتباع سياسة انهاء التي تعني

١ - اجبر القنصل الانكليزي حكومة من رساله الملك جيمس يمكن شرورها بحسين  
 بولارا .

الأتاوة - وهي سياسة أكثر فعالية وأقل ثما من السياسة الفرنسية القائمة على الإرهاب . ذلك أن العمل البحري ضد عدو كثير المداورة يقتضي الإبقاء على أسطول كبير في البحر لمدة طويلة ، كما أن القصف البحري الذي يبدو فعالا جزئيا فقط ، كان عملية باهظة الثمن . والواقع أن كلامي يقتصر أنكلترا وفرنسا في الجزائر كان يحدّث على استعمال الرشوة باعتبارها البديل المناسب للعمل البحري . فقد كتب القنصل جون نيفيل Neville إلى من هو أعلى منه ، سنة 1683 ، على أثر القصف الفرنسي للوحشي لمدينة الجزائر قتل : « سيدي ، إن هؤلاء الناس سيفعلون أي شيء يطلبه منهم من أجل النفود ... » والداي سيقطع أي رأس حسب الطلب ... من أجل الدراهم . حقا ، إن الداي قد سأل فعلا كم كلف القصف الفرنسي ، وبعد أن سمع رقم التكاليف لاحظ أنه « يمكنه هو هدم مدينة الجزائر كلها من أجل ذلك المبلغ . » غير أن سياسة قائمة على الرشوة قد تكون أيضا سياسة صعبة . إن « الهدايا » التي قدمها القنصل ريكولت Rycoult سنة 1684 والبالغة 442 دولارا هولنديا نقدا ، متراوحة ما بين ستين دولارا للمستشارين الرئيسيين للداي وبعض الدريهمات ( بياسترز ) للآخرين الأديبي ، قد أصبحت « سابقة » . لأن إعطاءها مرة جعلها « متوقعة » في كل مرة . وقد وجد القناصل اللاحقون صعوبة في توضيح أن تلك الهدايا لم تكن أجرا منتظما . وحدث وضع مماثل بعد سنوات قليلة عندما وصلت حمولة من البارود والرصاص إلى الجزائر على ظهر سفينة حربية . فقد اعتقد الإنكليز أنها للسم ، ولكن للداي أكد لهم بأنها حتما كانت « هدية » ، أناعا للسابقة التي أنشأها أمير البحر هيربرت Herbert عدة سنوات خلت . ولما احتج القنصل ، لاحظ له الداي ، مبكرا ، بأنه سيكون من السهل عقد سلام مع الأراضي المنخفضة إذا كانت أنكلترا راغبة فيه . إن هذا التقليد جعل القناصل قلقين ، ولكن إذا ما تطورت الحرب في أوروبا ، فإن جميعهم كانوا حريصين على اتباع سياسة الرشوة أو الأتاوة - سمها ما تشاء - لتحييد الجزائريين ضد عدوهم .

وعندما تحشما حكوماتهما على تأمين دخول البحارة الجزائريين ضد العدو القوي ، كان القنصل الإنكليزي والفرنسي يصران ، في حديثهما

الخاص أو المنفصل ، على أن النقود هي العامل الحاسم في هذا المجهود .  
وبعد سنة 1690 أكد القنصل الانكليزي لحكومته بأن حوالي عشرة  
آلاف دولار هولندي ستكون كافية للحصول على قطعة جديدة من  
الجزائر وفرنسا . لقد كان هذا مبلغا ضخما ، وليس من السهل نقله هناك .  
لأن البحر الأبيض كان عاصا بالسفن الفرنسية الخاصة والسفن الحربية .  
ومع ذلك فإن تلك النقود استطعت أن تصل أخيرا إلى هدفها عبر ليورنيا .  
وفي نفس الوقت كان القنصل الفرنسي يشتكي مرادة من شح حركة  
حكومته بالمقارنة مع الكرم الذي ياله سافيه الانكليزي . ولكن عندما  
انكشفت جميع الأوراق ، فشل الطرفان ( الانكليزي والفرنسي ) في الحصول  
على التدخل الجزائري في الحرب . وقد شرح الفصل الانكليزي بأنه في  
اللحظة التي حصل فيها على النقود الضرورية لتكس الموقف ، وصل  
المهندسون الفرنسيون ومعههم أجهزة جرف قادرة على جرف الرمال من  
المرسى الجزائري إلى ما وراء الرصيف البحري ( المول ) . ان الجزائريين ،  
مثل السياسيين في أماكن وأوقات أخرى ، أهدوا الرشوة ولكنهم فشلوا  
في تقديم البديل . وقد كان للحاج شعان . هـ 1691 ، مررات في أخذ  
النقود من أنكلترا وفرنسا . ولكنه تقادى اتورط في الصعوبات مع  
كلتيهما .

ان أكبر مشاكل ايداي هي راعه المستمر مع جيرانه اتونسيين  
والمراكشيين . لقد حاول مزدومورو إقامة أمير تابع له على عرش تونس .  
ولكن جهوده فشلت . وفي الأخير بيع هو عرشه عندما ثارت حوذه  
ضده . وسرعان ما أصبح الحاج شعان مورطا في نفس النزاع . كانت  
أول جهوده العسكرية موجهة ضد سلطان مراكش الذي عتدت حيوشه على  
البابليك الغربي . وقد هزمه شعان وحصل على معلومات تفيد أن هناك  
مشروعا لتقسيم الايالة الجزائرية بين مراكش وتونس . ثم أسرع  
شعبان بالتوجه إلى تونس متحالفا في ذلك مع طرابلس . وقد تكبد  
محمد ، باي تونس ، الهزيمة واختار المنفى ، بينما وضع الجزائريون  
المنتصرون حاكما جديدا تابعا لهم على عرش تونس . ولكن عندما رجع  
الحاج شعبان إلى الجزائر ، وجد المدينة ثائرة ضد حكومته ومهددة  
بعدوى أخرى خطيرة من الطاعون . واستطاعت الانكشاف أن تضع

جدا للتردد ، ولكن الطاعون أودى بحياة الكثير من الناس في المدينة .  
والواقع انه من الممكن القول أن الزيارات المزمعة للطاعون الدبلي هي  
التي كانت السبب الرئيسي لتدهور الجزائر في القرن الثامن عشر .

ولكن الانتصار على محمد ، ماي تونس ، هد برهن على أنه قصير  
الأمد . ذلك لأن السلطة السياسية والعسكرية في شمال إفريقيا كانت  
متارجحة وغير عقلانية . وكان جزء من ذلك يعود إلى التقنيات العسكرية  
الصالحة ، التي كانت لدى هؤلاء الناس . ولم تكن ميليشيا الانكشارية  
قوة مضبوطة ومظلمة بآية حال . ولم يكن لاعضاءها الا قليل او لا شيء  
من التدريب . وكان تكتيكها في المعارك معتمدا على مربعات أو صفوف  
مقاربة وضعيفة التشكيل من رجال البنادق الذين يطلقون النار عشوائيا ،  
تساعدهم مدفعية ذات فوهات صغيرة جدا تحتاج إلى حماية المشاة .  
وتنفس التكتيك كانت تستعمله الميليشيا التونسية التركية ، ولكنها كانت  
على درجة أقل بكثير مما كان مستعملا في الجزائر . أما بالسبة للباقي ،  
فإن جماعات الفرسان من البربر والعرب كانت تعتمد في أغلب الأحيان  
على الجلبة الصوتية أكثر مما كانت تعتمد على الرماح والبنادق التي  
تحملها . ويبدو أن هذه الجماعات كانت غير مضبوطة ، وسرعان ما تضعف  
مموياتها بغيران المدافع والبنادق . فالمعركة غالبا ما كانت تتميز بمظهر  
مأساوي طالما تميزت به أيضا محومات الفرسان الاقطاعيين الفرنسيين  
صد النشابة الانكليز أو الرماحة الفلامنك . وذلك أواخر العصور  
الوسطى . ولعل العرق هو أن الفرسان البربر والعرب كانوا أسرع بالهرب من  
الفرسان الاقطاعيين ان هذا الاتجاه إلى الهرب من معركة مستحيلة قد ترك  
رجال القبائل أحرارا في المشاركة في المعركة القادمة حيث يكون هناك  
خط أوفر من الجاح والعنفة . ولعلمهم كانوا حكياء في معاداة ميدان  
الهزيمة بأسرع ما يمكن ، ذلك ان النمط المسموع هو انضمام الانكشارية  
التركية المنهزمة في الجيش التونسي إلى المتصرين في القبض على العرب  
أو البربر ، وإذا لم يستطع هؤلاء أن يأتوا بالقضاء الجيد ، فإن رؤوسهم  
تقطع وتحمل كعلامة على الانتصار .

كانت الحياة السياسية في المغرب دائما تسير سيرا انفاقيا ، أو قصاء  
 وحيدا . ففي خلال فترة قصيرة رجع محمد باي الى السلطة في تونس ، ومن  
 اسبغهم التحررك في الجزائر . وكان سلطان مراکش الذي كان يتطلع الى  
 إعادة النظر في العلاقات مع الجزائر ، سريرا في الانضمام الى الباي  
 التونسي ضد العدو المشترك . ان هذا التطور للأحداث قد كلف الحاج  
 شعبان مرة أخرى حوالي أربعين ألفا *Ecus* ، وهي الصربية  
 التي كان من الواجب دفعها الى الخزنة من البايك الشرقي . لقد كانت  
 نقودا هرة في أشد الحاجة اليها لدفع مرتبات الجود . ولم يكن هناك  
 بديل ، فأعادت المليشيا الجزائرية ( الانكشارية ) الكرة ضد تونس ،  
 متحالفة هذه المرة مع باي طرابلس الذي كان له أيضا ما يؤاخذ به محمد  
 باي .

وبحلول سنة 1695 استطاع شعبان أن « يهدي » شمال افريقية وان  
 يخرج رؤية جديدة لدوره (1) . فمن مجموعة الرسائل التي كتبها الى  
 لويس الرابع عشر والى وراثته نرى الحاج شعبان ، ذلك الجندي الداي ،  
 يصارع من أجل تحقيق تصور لشمال افريقي موحد من جديد تحت

١ - كتب الحاج شعبان في 6 مارس سنة 1695 الى لويس الرابع عشر يعبره من انتصاره  
 على التوسين ، فلم أن خدمهم كان أكثر . فإن الله العلي العبد مد مشعا المبر ،  
 دون انظر الى ذلك العدد ، وعندما المي العيشان كان كل جندي منا يحارب  
 باسمي ( ولعل هذا سألته صحة ) . وكانت الثمرة الجزائرية الواحدة  
 تحارب أربع فرق من العدو . أكثر من اربعين ألف جندي بين فارس وراجل ،  
 ولكن بفضل الله بعدوا السحابة والعدو ، وجمعنا اسارا كاملا ، فاسولينا على  
 جميع امتهم وسادتهم وسادتهم وجباهم واعلامهم وساطعهم وسادهم العرس ،  
 وقد هرب الحاشي محمد باي الى تونس ، وكان الناس قد طلب الأمان في سبعة  
 مرسية . ان هذا الانتصار حصل في سهول الكاف ، كما نصبا على فترة الاو  
 ثار من العرب الذين والوا محمد (باي) ، وقد أعطوا الأمان الى 2700 تركي كانوا  
 قد انضموا اليها . واستمر الداي شعبان على ذلك الحو لبين أنه « اما هو  
 الذي شاء الله تعالى أن يحلني وسيله لخلعي تونس من الظلم ومعاينة

الأشوار . » وقد أحرر أن السلطان قد كرمه على انتصاره بمسحه مدية هي « نطاش  
 شرف عظيم ، منححه لكي يظهر للناس مدى وصاه . . . ولي نفس الوقت عبي  
 أميراً وقائدا عاما للجمهوريات الثلاث ، وساموه في الدولة ( الامبراطورية ) . وهكذا  
 فاني أرى نفسي أميراً وحاكما وصانطا وقائدا مطلقا لدول شمال افريقية الثلاث ،  
 انظر بلاشي Planetet مراسلات دانات الجزائر 1/451-452 .

ما بين العوسين توصيح من المؤلف نفسه ( المترجم ) .



سلطه مايلاراي باشا . وكان يرى ان هذا السنجق ( الاقليم ) الفرنسي ما هو الا جزءا من الدولة ( الامبراطورية ) العثمانية . انه فاكهة « كثرى » لامش السلطان ، وتأمين حدوده في البحر الأبيض المتوسط . وكان شعبان ينظر الى « العرب » ( وهي عبارة تجمع بوضوح الربر والبر على السواء ) ( + ) ، على انهم الإعداء الحقيقيون الذين يجب السيطرة عليهم لتأكيد السلطة التركية وضمان الدعم المالي للمنشبا الانكشارية . ومن الواضح انه كان يعتقد انه هو الرجل الذي يمكنه ان يحكم مصوع المدن والاعراس وغيرها من الكيانات الساسية . فهذا ماي توسس العديد كان ناعما له ، وهذا باي طرابلس كان طيعا له ، وكانت حملاته العسكرية القوية قد برهنت على انه كان حديا قادرا على المحافظة على حكمه . ولكن قل ان يقرر السلطان رايه في حملة مايلاراي ، كان اصاح شعبان هذا لمؤامرة اغتيال . وقد نجح في افشال هذا المشروع الأول ، ولكن اتقاه الوحشي أيمد عنه فسا كبيرا من اصحاب النموذ في الانكشارية . وعندما وقعت مؤامرة جديدة ضده نحت فقد حمل الى اسجن وحق . ومن السخرة ان الحاج شعبان كان قد اخبر لويس الرابع عشر ، قبل ذلك سنوات قليلة ، بأن محال تحركاته كان محدودا ، لأن الدلي كان بكل ساطة عبارة عن « مخلوق » للمنشبا ، « مخلوق » لا يستطيع ان تصرف بدون دعمها (هم) . ولم يمض الا عشر سنوات أو نحوها على ذلك حتى غير الدايات ذلك السط من الدستور حتى يتمكنوا على الأقل من الحكم دون أن يكونوا قلفين من جانب الديوان . ولكن خلفته ، وهو رجل أقل مفاخرة منه ، لم يتم مشروع توحيد ايلات شمال افريقية . وبدو أن ايرز غاباته كانت الحصول على الطعام اللذيذ والرعة في العيش للتمتع به .

وواضح أن الحزائرين ، ظلما كانوا في حالة حرب مع جيرانهم ، لا يريدون الدخول في نزاع مع عدو خطر خطورة الملك الفرنسي الذي ما

١٠ - ما من الفرنسي لم يصبح من الملوك نفسه المحدث

١١ - كما مر شعبان باشا مقالة اسديا بها الى ما كتبه عنه أحمد برنال صاحب كتاب لشوب المعركة ، مشرف في مجلة التاريخ ، الحرارية ، عدد 18 ، 1985

تقال آثار قصف قنابله للجزائر حديثة العهد . ومع ذلك فإن العلاقات مع فرنسا لم تسر سيرا حسنا ، فالمشكل المزمن للأتراك والجزائريين ، وهم أولئك الأرقاء المقبدين على السفن الحربية الفرنسية ، قد أسمر يقصص أبناء أو أقارب للرأس أو غيرهم من أعيان مدية الجزائر ، بينما كان آخرون منهم مجرد جنود انكشارية ولهم أصدقاء في الملبش ، ومنهم من كانت له علاقة عالية بالعائلات الحصرية في المدينة ذاب ابهوذ أيضا . وكان أولئك الأرقاء يكتبون الرسائل الى بلدهم يقصون فيها أحوالهم ويدكرون فيها أسماء آخرين كانوا مثلهم مقبدين على السفن . وكانت هذه الرسائل تحمل الى الداي مع الالاح عليه في التحرك . وعلى الوجه الآخر من الصورة نجد ضباط السفن الحربية الفرنسية يتمتعون بأدوار هامة كحراس سواحل وسعاة بريد . وكانوا لا يريدون زعزعة قوة التحديف عندهم تنحية خيرة المحققين لديهم . لقد كان المحرمون والهوغنيات Huguenots المتمردون (1) الذين يؤتى بهم من الأراضي الفرنسية الى السفن الحربية ، كانوا في العادة ضعفاء جدا ، وكانوا غير ممنوعين على حياة البحر ، ولذلك كانوا غير صالحين للتحديف . وكانت هناك دائما معاذير « مقنعة » لرفض اطلاق سراح أولئك الأرقاء ( المسلمين ) من قيودهم في السفن ، وهي معاذير ليس لها أي معنى في الجزائر .

أرسل الحاج شعبان الى فرنسا أفصص رحاله لسافا ، وهو محمد المين El-Mine ( الأمين ؟ ) ، لمحاولة اقناع الملك الفرنسي بتنفيذ مواد المعاهدة التي تنص على اطلاق سراح الأرقاء المسلمين ، أو على الأقل اطلاق سراح أولئك الذين لهم روابط في الجزائر . وقد وصل محمد المين الى فرنسا في وقت غير مناسب . فالحرب في أوروبا كانت بكل وضوح قضية دائمة تكلف المملكة ( الفرنسية ) الكثير وتعبها بالقليل ، فقد كانت تستنفذ

1 - بعد الماء معاهدة مرسوم باب Edict of Nantes سنة 1685 وجهت جماعات كثيرة من اليهوديات المنحدرين الى الأسطول الحربي ان هؤلاء ارجال اسكودس لم يرتكوا أي ذنب سوى معارضة دينهم . وهناك دلائل تدل على أن معظمهم ، ولا سيما التساوسة والمنعمين ، كانوا مدنيا غير صالحين للعمل في السفن الحربية ، ولكن ما داموا قد أرسلوا الى هناك عقابا لهم ، فإن عدم قدرتهم الدنية لم تؤخذ بعين الاعتبار

الكثير من طاقة الملك ووقته . ولعل أكثر من ذلك أهمية دائمة للمسؤول  
الجزائري هو أن سيولي Seignelay ، الوزير الذي كان يستعاضد عنه  
كان مريضا ، مرض الموت ، بحيث توفي بعد عودة محمد المين إلى الجزائر  
بمليل . وما دامت التقارير المرسلة إلى الوزير من قبل متصرف مولو  
تشير إلى أهمية الأرباء ( المسلمين ) في الأمن الحربية بالنسبة للمسلمين  
الناحية التي يقوم بها الأسطول في البحر الأبيض فان محمد المين وحده قد  
دائما في الظل Antechambre . ولم يتمكن أبدا من رؤية سيولي . في  
رسائله نعر عن الشكوى المرة لرحل كان يرى نقوده ووقته وطاقته تضيع  
بدون أدنى فائدة لها فاحاجة لمهته . وأخيرا أمرته الوزارة أن يباد  
فرساي وأن يتوجه إلى مولوون حيث سينظر المتصرف في فضته . ولكن  
لم يصادف هناك نجاحا أكثر مما صادف في فرساي .

وسا كان ميمونه في فرسا . كان الحاج شعبان يكتب إلى لويس  
الرابع عشر وإلى سيولي لبحث الفرنسيين على القدم بشروط المعاهدة .  
إن هذه الرسائل هامة لا من حيث الضوء الذي تلقى على المشكل بل من حيث  
الضوء الذي تلقى على شعور الداي بسسه . إن الحجج التي قدمه  
الداي كانت مصاغة في ذل موعظ فقهية عريضة ، ومناقشات بلغفون  
الاخلاق ، وتكرار مضاعف لوجاهات النظر الجزائرية في القضية . وبما  
الواضح أن الحاج شعبان كان يسل على هذه الرسائل نفس الروح التي كان  
يحاضر بها أو يحط بها في الدنوان . وسكون من المهم معرفة كيف  
استقبلت رسائله في فرساي .

وبعد وفاة سيولي سنة 1690 برهن وزير البحرية الجديد .  
بوشارتراي Pontchartrain على أنه لم يكن أكثر مرونة ، وخصوص  
بعد سنة 1692 . عندما أصبح مسؤولا أيضا على تنظيم الجهود  
الملكية المتعلقة بمكافحة المعاعة في فرنسا . ورغم ذلك ، فإن دي لا كرو  
الاس de la Croix . الذي قام بترجمة الرسائل الجزائرية ، والذي  
كان كذلك هو المترجم في كثير من المفاوضات قد أوضح ، في مذكره  
أعدها . بأن معاهدة سنة 1689 كانت معاهدة حدة ، وأن الجزائر  
بصفة عامة قد التزموا بها واحترموها ، ولكنها كانت قد انتهكت

بالمؤامرات ومن قبل الأُمراء والمُؤولين في فرنسا ، أولئك الذين ولا يعمرون البلاد ( الجزائر ) ، ولا يتكلمون اللغة ولا يعرفون عادات ومبادئ المفاوضات ، ولا التاريخ الماضي ... وعلى إثر قراءة الرسائل الواردة من الجزائر ، فإن المرء لا يكاد يفهم لماذا لم يقطع الداي كل العلاقات مع فرنسا ، ولكن ما دام معظم الأسطول الجزائري كان يؤدي الواجب مع البحرية العثمانية وما دام الحرس الأكبر من القوات البرية الجزائرية كان مشغولا بالحروب على الحدود ، فمن المحتمل أن تكون الحجة التي المونة ( التقديرة ) من حصص فرنسا ، بالإضافة إلى الخطر الكامن في الحرب ضد فرنسا ، هي التي قررت الموقف في صالح السلام . ومن يملك الوثائق التي توضح هذه النقطة .

إن المعاهدة في أوروبا (1) سنة 1692 حملت أسواق الحبوب في شمال إفريقيا عاملا هاما في مسيرة الحرب . فقد اعترف انقضاء الانكليزي في الجزائر بأن قطع تدفق الحبوب . وخصوصا من تونس ، يمكن أن يكون له عواقب خطيرة على جهود الحرب الفرنسية . وفي نفس الوقت اعترف بوشارترا أن أيضا ، باعتباره وريثا مكثفا لمكافحة المعاهدة ، بأن تونس قد أصبحت مهددة حدود الحبوب بالغة لحبوب فرنسا . إن كلا من المعاهدة والتك في مصر الحرب بأوروبا قد تتجعه وصنع فرنسا أكثر استمدا للتمتع . ومع ذلك فإن قصة الإبقاء الجزائريين والأفرك في مقاعد التحدي على الأسطول الحرس الفرنسي قد استمرت تشكل المعركة الكاداء في العلاقات بين البلدين ( الجزائر وفرنسا ) .

وبينما كان اصحاب شمال مديون في حربه مع مراكش وتونس . كان النزاع الأوروبي يبدو وكأنه لا جادة محتملة له ، لقد كان وصفا متعبدا . لا سلام ولا حرب . . . غير أن الحرب قد أدت في الأخير إلى تسعة أثرت على جماعات اسبحارة في شمال إفريقيا . إن معركة لاهوغ La Hougue سنة 1692 ، كانت تدو لأول وهلة نصرا غير حاسم لكلا الطرفين ، حقا أن الفرنسي قد أمروا بأقامة دعاء « الشكر لك

1 - ان الطروحة الدكتوراه التي تقدم بها د. ب. ب. Berger من هذه المعاهدة

( مكتبة جامعة شيكاغو ) نصير فرنسا مستغنا للتمويل الطروحة معدلة

يا رب « Te Deum ، يسا ادعى الانكليز والهولنديون مصداق  
 الاستثمار . أما في الجزائر فالأمر كان بعيدا عن الموضوع ، ولكن خلال  
 سنة تبين أن معركة لاهوغ قد سجلت نهاية التفوق الفرنسي في البحر .  
 ذلك أن أسطول كولبير ، قد عانى من المواقف بعد المعركة . وبعد  
 وفاة سيبولي لم يكن هناك أحد يبعث لويس الرابع عشر على سرور  
 لقوده على الأسطول . وصلول سنة 1695 أصبح نشاط الفرنسيين  
 مقصورا على عمليات السعن الخاصة ( القرصنة ) في المحيط الأطلسي  
 ومراقبة السواحل القريبة في البحر الأبيض . ومن جهة أخرى فإن الشد  
 قاعدة انكليزية مبرزة في قانس قد سمح للحرية الانكليزية - الهولندية  
 بمراقبة مضيق جبل طارق ، ومداخل المحيط الأطلسي نحو أوروبا  
 واحتمال مأساة ضغط بحري قوي في البحر الأبيض . وما دام معظم  
 هذه الجهود الأخيرة كانت مستعملة للسيطرة على البحر على السواحل  
 الحوية والشرقة لاسانا (1) ، فإن الجزائر قد اعترفت بالقوة البحرية  
 الانكليزية ، ولكن - وهذا ما أحرز القنصل الانكليزي في الجزائر -  
 ليس باعتبارها القوة المهيمنة التي تقع الداي ضرورة قطع العلاقات  
 مع فرنسا .

والواقع أن الجزائريين كان عليهم أن يمتنعوا بأنه لا أحد من الطرفين  
 ( الانكليزي والفرنسي ) يمكنه ادعاء النصر . ان دعاء « الشكر لك  
 يا رب « Te Deum الفرنسي ، الذي وقع انشاده للاستيلاء على  
 تصور Namur كان حيدا وطيبا ، ولكن من الواضح أن أعدائهم  
 الانكليز والهولنديين لم يقبلوا . ولم يكن فرنسيون في وضع  
 يجبرونهم به على تشديد السلام . بالعكس ، لقد كان ملك فرنسا هو  
 الذي حاول أن يشكل « حزبا ثالثا » من المحبدين ليندخلوا في محاولة  
 وضع حد للمنازعات (2) .

- 1 - أن ذلك لم يمنع من حقوق التفتك التي تمت بوجده بحرية انكليزية مدعاه منطقت  
 عاصمة هوجا ، منطقة كاملة من الأسطول
- 2 - لقد منح رينارد مسامح Bingham في أطروحاته للدكتوراه : حاشية  
 اليسوي ، شيكاغو سيمبل ، هذه القصبة بالتفصيل .

وهذا الوضع كان مناسباً للداي وودرائه . لقد كانوا مستعدين للاستماع لمقترحات الدخول في الحرب من الطرفين ، مع عدم القيام بأي شيء نحوها . وكون الطرفين قد اتصلوا بهم ( للداي وودرائه ) في هذا الموضوع له فوائد عملية . ذلك أن القناصل والتجار الأجانب قد أمطروهم بالمهدايا : بالملابس ذات الصلابة الممتازة ، وبالساعات ، والمسدسات ، والساعات الحائطية ، والخواتم ، والمرايا ، والفواكه المصنعة ، والخمور المعتقة ، والمجاهير الراقية . وكان القنصل الانكليزي كثير الاهتمام بتذكير حكومته بأن زوجات السلطات ( الوزراء ) الجزائرية كن طامعات كما كن صاحبات تأثير . فمن يحتج أيضا الى « هدايا » ، ومن جهة أخرى فان النقود أيضا قد تبادلتها الأيدي ( أي الرشوة ) بهذه المناسبة . ولكن لا الحاج شمان ، ولا خليفته الحاج أحمد ، قد قطع علاقته بالانكليز أو بالفرنسيين .

ولكن الحرب في أوروبا قد انتهت في الأخير بمعاهدات ريسويك Ryswick وبمعاهدة سافنة بين ملك فرنسا ودوق صافوى ، بدون التدخل الجزائري . حقا أن الحاج أحمد قد استطاع أن يموت موثا طبيعيا بالطاعون سنة 1698 بدون التورط في الحرب على أية جهة من حدوده . ولكن خليفته ، حسن شاوش الذي كان أيضا ضابطا من الانكشارية ، لم يكن محفوظا مثله . وكانت تونس هي مشكته . فقد كانت هناك عدة عائلات متنازعة على السلطة في تونس . وفي سنة 1699 ظهر شخص يدعى مراد باي منتصرا . وكان ماضيه معروفا بأنه ماض عاصف . ففي إحدى المرات أمر عه بأن تعلق عيناؤه ، ولكن طبيبا فرنسيا صديقا عرف كيف يجري العملية دون أن يفقده بصره فعلا . وعندما دارت الأبام وأصبح مراد في السلطة ، حمل رأس عه على رمح . وعندما أصبح مراد على رأس الحكم رجع الى السياسة التي كان محمد باي قد سلكها مد عشر سنوات خلت ، وهي التدخل في الصربية التي كانت تدفع الى بايليك قسنطينة بالجزائر . وفي ربيع سنة 1700 حدثت معركة بين القوات التي كان يقودها باي قسنطينة والتونسيين ، وقد خرج منها مراد منتصرا وارتكب مجزرة في الأسرى ، بما في ذلك

حوالي حصانه من الانكشارية ، وأرسل آذانهم الى تونس دليلا على  
انتصاره ، ثم فتح المفاوضات مع سلطان مراکش للقيام بعمل مشترك  
قد الجزائر .

وكانت أبحار المجرة قد حاصت من ملشبا الانكشارية الى قصر  
الداي طالين الأخذ بالتأثر . فما كان من حسن شاوش الا أن استقال  
في الحال من منصبه ، وخلفه فيه الحاج مصطفى ، الذي كان جديدا قويا ،  
وأصبح هو الداي . وقد نظم الداي الحديد حملة لعك حصار مراد  
باي على قسطينة . كانت قواته أقل من قوات التوسيين ، ولكنه هاجم  
مسكرهم خلال الليل ، فكانت مفاجأة كاملة — وهي حقيقة هامة توضح  
ما كانت عليه هذه الجيوش — وانتصارا حاسما . وقد قام السدي  
مصطفى بارتكاب مجررة ضد العرب والبربر الذين أسرهم . أما الإكراك  
فقد سمح لهم بانقاذ جلودهم ، وذلك بالتجند في فرقة الانكشارية  
الجزائرية .

وكانت المشاكل التي واجهت الداي مصطفى هي نفس المشاكل التي  
واجهها الحاج شعبان منذ عشر سنوات مضت . فقد اعتدى المراكشيون ،  
بعد ذلك ، على بابليك الغرب بجيش ضخم ، معظمه من الفرسان ، من  
المرومر به أنه جيش من القوة بحيث يستطيع سحق الجزائريين .  
ولكن المليشيا الجزائرية كانت أفضل انضباطا ، وكانت قوة نيرانها أفضل  
توجيها . وقد هزمت قوات القبائل تحت ضغط النيران ، وحقق الحاج  
مصطفى نصرا جديدا . ورحل الى مدينة الجزائر بحوالي ثلاثة آلاف  
رأس ، بالإضافة الى خمسين من القواد المراكشيين الأحياء الذين كان  
يتوقع منهم توفير فدية جيدة .

أعلن الداي انتصاره الى لويس الرابع عشر وذلك بارساله اليه عددا  
من الخيول الجميلة التي كانت حزا من عائلته . وقد وصلت هذه الهدية  
الى فرنسا في اللحظة التي كان فيها الملك يتقبل عرش أسبانيا لحفيده ،  
فليب ، وهو التقل الذي كان ذا أهمية بالغة للجزائر . لأنه قد وحد  
عرشي فرنسا وأسبانيا تحت عائلة البوربون . فقد كانت احدهما تقيديا

مدينة للجزائر ، والأخرى كانت عدوتها التي لا تعرف التراجع . ومنذ  
هذا أصبح من الطبيعي أن ملك فرنسا لا يمكن الاعتماد على  
في أنه سيرحب بالغارات الجزائرية على أسبانيا ولا على السمس  
الإسبانية .

إن قول العرش الإسباني لفيليب لا يعني بالضرورة أن الحرب ستكون  
هي التالية ، ومع ذلك فإن ذلك هو ما حدث فعلا . أما أسبابها فمعقدة  
وهي خارج نطاق هذا الكتاب . ذلك أن الداي مصطفى كانت له  
مشاكل أخرى غير تلك التي كانت تواجهه الدول الكبرى في أوروبا .  
فهذا مراد ، باني تونس ، الذي كان قد مر عندما ملك الجزائريون الحصار  
عن قسطنطينة ، قد تمكن من استرداد قوته بعد الهزيمة وكان يحسب  
لاعتدائه آخر على القطر الجزائري سنة 1702 . ولكن قبل تحريك قواته ،  
قام إبراهيم الشريف ، وهو أحد قواده ، بانقلاب ، وتمكن من وضع  
رأس مراد ، مع رؤوس أربعة من أقاربه ( بما في ذلك رأسا لمصطفى )  
على الرماح . وقد عرضت تلك الرؤوس من شرفة القصر بتونس .

وخلال سنتي 1703 و 1704 كان الداي مصطفى وإبراهيم الشريف ،  
الذي هو الآن باني تونس ، حلفين في مشروع هجوم على طرابلس ،  
ولكن قبل إبحار المشروع اكتشف مصطفى بأن باني تونس كان يمد  
مؤامرة مع باني طرابلس للذبح الجزائريين عندما منزلون على ساحل  
طرابلس . ولكن الجزائريين نعادوا المؤامرة ، ساء مع التوسيسيون من  
الحرك لأن الطاعون ، الذي كان يقتل يوما المئات من الصحابة ، قد  
صرب مدينتهم وكذلك معسكرهم ( سنة 1704 ) .

إن عواقب هذه القصة تبدو وكأنها مأساة ( درامة ) من النوع  
الباروكي baroque فقد عزا الحاج مصطفى تونس لمعاينة إبراهيم  
الشريف على الحياة . وانهمزم باني تونس واحتير في مكانه باني آخر  
سرعان ما أصر على أن الجزائريين كانوا يحاربون إبراهيم الشريف الذي  
كان أسيرهم . ومن ثمة فإن على الحرب أن تتوقف وأن على الجزائريين  
أن يعودوا إلى بلادهم . غير أن مصطفى كانت له أفكار أخرى . فقد



كان يريد عقد معاهدة ودفع تمويصات حتى يكون قادرا على دفع مرسى جنوده . وكان مصطفى قد تجاوز امكادات نفسه عند محاولته فرض ارادته وهكذا مثل في تحزقة التونسيين . وأخيرا قام حوده السلطان عليه بعزله عن الحكم ، ثم رجعوا الى مدينة الجزائر مع داي حليد . وذلك سنة 1705 .

وفي نفس الوقت أصبحت الحرب في أوروبا أكثر عنفا من ذي قبل . فقد كان القائدان الموهبان ، أمير صاموي ، يوجين ، ودوق مارلبورو Marlborough ، ينارلان الجيش الفرنسي في أوروبا ، ثم أن الحركة البحرية التي حدثت في خليج ملقة Malaga ، سنة 1704 ، قد أعطت للانكليز الفرصة لاقامة قاعدة لهم في جبل طارق . ولكن المراكم الحرة في حد ذاتها لم تكن في الواقع انتصارا حاسما . فقد تنازل الأسطولان لمدة ساعات ، وكلاهما تكبد أضرارا كبيرة ، وأصبح تقريبا بدون مارود ولا قتال عندما حان الوقت لملك المنازلة . ولكن الانكليز وصلوا حتى نزلوا الياسة في جبل طارق ، وأقاموا هناك قاعدة بينما كان الفرنسيون يحتفلون بالانتصار بدعاء « الشكر لك ، يارب » ولكنهم لم يتحدوا سيطرة الانكليز من جديد تحديا خطيرا على مضيق جبل طارق . والواقع أن الحرية الانكليزية خلال السنوات اللاحقة قد تمكنت من التقدم السريع نحو غربي البحر الأبيض . فقد استولت على ميناء ماهون بحزرة مينورقة ، وراقت السواحل الايطالية ، ودعت اعتداء فاشلا على جنوب فرنسا نفسها .

ان هذا التحول في القوة البحرية . يضاف اليه البناء السياسي الغرب في أسبانيا ، قد عبد الطريق أمام الهجوم الجزائري الناجع ضد القاعدتين اللتين كانتا تحت أسبانيا وهما وهران والمرسى الكبير . لقد كانت ككتاهد من أقدم الأماكن التي احتلتها أسبانيا على ساحل الشمال الافريقي . فقد تم الاستيلاء عليهما عقب موت ازايلا بقليل . وكانت قوة تحصينتهما قد وفتت ضد الهجوم تلو الهجوم خلال القرنين المواليين . وكانت وهران والمرسى الكبير تعطيان البحرية الأسبانية قاعدة لمراقبة مداخل البحر الأبيض الى مضيق جبل طارق ، بالإضافة الى مواقع مراقبة من جهة

الشرق نحو مدينة انجراي نفسها . وكانت التحصينات أيضا تسيطر على دواخل البلاد على مسافة أميال من حولها . وكان بعض الأهالي قد تشجعوا على جلب اقتاحهم وبضائعهم الأخرى إلى السوق الواقع خارج حصون وهران ، كما كان مسودا لبعض الأهالي بالعيش داخل المدينة . غير أن الواقع هو أن وهران كانت مدينة أسبانية ، مدينة عبارة عن معسكر ، قاعدة للعمليات البحرية من جهة والعروات ضد القائل الأهلية من ناحية أخرى . أن هذه العارات الدورية كانت بحره مستمرة بالنسبة للقبايل الرحل وشبه الرحل الواقعة حوالي مائة ميل من وهران ، كما كانت مصدر إخراج لبي النابيك الغربي . ولورم يكن أمرا قد أكل عليه الدهر لقلنا : أن وهران كانت « عظما في اللهاة الجزائرية ! » . أن التحول الذي طرأ على القوة البحرية ، وكذلك شكل النزاع على

خلافة العرش الأسباني ، قد خلق وضعا شجع على الهجوم على المدينة . فقد ادعى أميران عرش أسبانيا : أحدهما فيليب الخامس النمساوي المدعوم من قبل ملكة جده الفرنسي ، والثاني كارل ( كارلوس الثالث ) الهابسبورغي المدعوم من قبل جده النمساوي ، وكذلك من قبل ملكة انكلترا ، والأراضي المنخفضة المتحدة . وكلا الأميرين جاء بالعنود — جنود أجنب — على الأراضي الأسبانية . وبما كان مؤيدو فيليب هم الفرنسيين من الكاثوليك الرومانيين ( تابعي رومة ) ، كانت جيوش كارل مؤلفة من الانكليز والبروتستانت الهولنديين ، والهوغينوت الفرنسيين ، والألمان اللوثرين ، بالإضافة إلى بعض الكاثوليك الألمان . وكان الجنود البروتستانت في الجيوش الهابسبورغية كثيرا ما اندهشوا من الممارسات الدينية التي رأوها في أسبانيا حيث مدت لهم المعابد والكنائس عبارة عن وثبة وليس مسيحية . ومن نتيجة ذلك أن سلوكهم كثيرا ما أثار دهشة الشعب الأسباني على حساب قصبة المدعي الهابسبورغي . وقد وصل المشكل إلى شمال إفريقيا حيث رفض الحاكم الأسباني هناك ، الذي هو من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، أن يكون له أي دور مع الخوارج ( الهراطقة ) الذين يحاولون وضع كارلوس الثالث على العرش . ومن سوء حظه وحظ جنوده أن أنصار

المدعي الهابسبورغي كانوا هم الوجددين الذين لهم قوة بحرية يسكب  
أن تنقذ وهران .

بدأت المحاولة للاستيلاء على وهران على اثر معركة خليج ملقة ،  
وكان الداي الجزائري ، الحاج مصطفى ، في تونس في حالة حرب مع  
حاره الشرقي ، عندما قرر باي الأقليم الغربي ، مصطفى بوشلام ، أن  
الوقت كان ناضجا لمهاجمة المواقع الاسبانية . لقد كان هذا الباي جديا  
مقداما وطموحا غير أن القوات التي كانت تحت امرته لا تكاد تكفي  
لفرض الاستسلام على وهران . وكان الباي قد بدأ الحصار سنة 1704 ،  
ولكنه لم يزد على أن وضع أسس الحصار . غير أن حصاره أصبح  
سنة 1705 أكثر فعالية عندما جاء رجال البربر والعرب للمشاركة في  
قواته . وبهناية تلك السنة أصبحت وهران مقطوعة من جهة البر  
ومعتمدة في تموينها على البحر . لقد كانت تلك هي السنة التي تم فيها  
عزل الداي الحاج مصطفى . ثم استقال خليفته في السنة الموالية . وقد  
استمر حصار وهران هو الشغل الشاغل لبابليك الغرب ، كما أنه استمر  
حصارا غير حاسم . ولم تقرر الحكومة في الجزائر ضرورة الاستيلاء  
على وهران الا سنة 1707 . فقد اعترف الداي أن انتصارا هناك قد  
يملا خزائنه ، بينما الحصار سيشفل عددا كسرا من جنوده بعيدين عن  
مدينة الجزائر ، حيث لا يشكلون خطرا عليه .

وقد جمع الداي كل القوات التي يمكنه توفيرها ووضعها تحت قيادة أوزن  
حسن ، القريب منه (1) ، والذي برهن على بعض المهارة كجندي . وكانت  
مدافع الحصار قد نقلت عن طريق البحر ، وتحرك الجيش عن طريق  
البر ، وفي طريقه استطاع الجيش أن يضم اليه جماعات من القرصان  
البربر الذين أحسوا بإمكان النهب ، بالإضافة الى الجهاد ضد عدو  
مكروه . وعندما وصل أوزن حسن ، أصبح حصار وهران هجوما

1 - ليس واضحا ما اذا كان ابن عم أو عديلا له ، ولكنه على كل حال كان صدوقا ثقة ،

شيئا (٥) . وكانت مطالب الحاكم الاسباني للدعم قد أصبحت عصية ولكن فليب الخامس لم يستطع أن يقدم له معونة معتبرة ، كما رفض ذلك الحاكم أن يكون له أي علاقة مع « الحوارج » الذين كانوا يؤيدون كارلوس الثالث ، وقد قال بأنه يفصل ، بدلا منهم ، التعامل مع الشيطان . ومن سوء حظ الاسبان أن هذا لم يكن بديلا ممكنا .

ولكن وهران كانت موقعا حصيا لا يستسلم بدون حرب . فقد كان على المعاصرين ، لكي يستولوا على المدينة ، أن يستولوا أولا على أربعة مواقع محصنة من حولها ، كل منها مستقل عن الآخر ، ولكن في اتصال سهل مع المدينة الواقعة وراء الأسوار . وحتى بعد الاستلاء على هذه القلاع الأربع فإن المدينة وقصبتها كانتا ما تزالان صامدتين . وحتى عندئذ فإنه لم يكن هناك انتصار نهائي ، إلى أن وقع لاستلاء أيضا على التحصينات التي تحرس المرسى الكبير . فلا عرامة إذن أن يعرف عن فشل الهجومات الواحدة تلو الآخر في الماضي ، ذلك أنه طالما كانت النوبينات والامدادات تصل من البحر ، فإن وهران والمرسى الكبير كانتا صامدتين تقريبا عن السبل منهما .

كان مع الجزائريين عدد من المهندسين الأعلاج ، أو على الأقل أعلاج يهتمون بالأعمال والمتفحرات التي يمكنها شق ثلوم في الأسوار . وقد سقطت القلعة الأولى ، وهي سان فيرديناندو ، في الثامن من سبتمبر 1707 بعد وقوع انفجار فتح فيها ثلعة . وقد أعطى ذلك إلى أصحاب المدافع المسلمين مكانا أفضل بصرى من قلعة سائتا كروز التي سقطت أيضا في آخر سبتمبر على اثر انفجار آخر أوقع ثلعة في سورها . وكانت القلعة الثالثة ، وهي سان فريقوار ، أكثر صعوبة ، ولكن بنهاية نوفمبر ، أدى انفجار لنهم إلى فتح ثغرة في سورها ولم تسقط إلا بعد الهجوم عليها . وكانت المقاومة العنيدة التي أبدتها المدافعون عنها قد أعطت

(٥) - من المصادر العربية عن فتح وهران الأول : كتاب ( التمتع المرسى ) لمحمد بن ميمون بتحقيق محمد بن عبد الكريم ، مطبوع ، وأرجوحة الخلفاوي ، ثم شرح الجاسي عليها من المخطوطات ، أنظر أيضا ما جاء من هذا الفتح في كتابنا ( تاريخ الجزائر الثنائي ) . ومن الطبيعي أن يختلف تسمية أحداث فتح وهران في المصادر الأسبانية والأوروبية . ( المترجم ) .

للاكتشافية العذر في ارتكاب مجزرة ضد الدين طلوا منهم على قيد الحياة . أما آخر قلعة تقع خارج مدينة وهران ، وهي قلعة لامون . فقد سقطت بعد عدة أيام ولقي المدافعون عنها نفس المصير أيضا . وإذا كانت معاملة المهزومين تبدو قاسية - وحشية - فتعسر الملاحظة أن الأسباب غالبا ما ارتكبوا نفس الشيء ، ذلك أن الحرب بين المسلمين والمسيحيين في شمال افريقية كانت ، منذ وقت بعيد ، عملا داميا وقاسيا .

ثم بدأ الهجوم على مدينة وهران نفسها . وقد سقطت قلعة وهران في الثاني من يناير سنة 1708 . بينما استبسل المرسى الكبير المحصن الى منتصف أبريل . وبهذا التاريخ كانت الحرب في أوروبا قد وصلت الى درجة الأزمة التي استحوذت على كل الاهتمام . ولم تكن وهران تعني الا القليل أو لا تعنى شيئا لأولئك الذين كانوا متورطين في الصراع . أما الجزائريون فقد كانوا يحتفلون بانتصار عظيم . فبعد حصار دام أربع سنوات ، ومر مرحلة الاخر والاسلم ، تمكنت الاكتشافية الجزائرية من الاستيلاء على المواقع خلال حملة دامت عشرة أشهر . وكان عدد الخسائر في الأرواح من الجانبين عظيما ، ولكن عندما رجع الجزائريون الى مدينتهم ( الجزائر ) بالتمين من الماسحين ( كثير منهم كانوا من ذوي الكفاءات ضباط ، وبعض فرسان مالطة الفرنسيين ، وبعض العائلات الاسبانية الهامة ) كان الاحتمال حقا عظيما . كما كانت هناك غنائم معتبرة في قطار الصنائع ، وكانت القنائل التي اشتركت في الحصار والهجوم قد تأثرت لنفسها من الاعتداءات الاسبانية السابقة .

وقد أرسل الداي مفاتيح وهران الى اسطانبول (بي) ومعها طلب منح أوزن حسن لقب باشا . غير أن هذا الطلب لم ينفذ أبدا . ولا بد أن وهران كانت تبدو سنة 1708 بعيدة جدا ، بعيدة كثيرا من القرن الذهبي ، كما كانت غير هامة نسبيا . ان حكومة السلطان كانت ما تزال

(\*) - في الأصل 'To Oran to Istanbul' أي الى وهران الى اسطانبول ، والعواب  
أرسل الداي مفاتيح وهران الى اسطانبول - (المترجم) .

ترجع من العزيمة التي لقيتها على أيدي الأمير يوجين ومن المعاهدة التي فرضها الإمبراطور ليو بولد على الباب العالي . وكان المستشارون الأعريق ( اليونانيون ) ، الذين انضموا إلى حكومة السلطان عندما هدد التجار الإيطاليون والقساوسة الجزويت دينهم وتجارتهم ، غير مهتمين بالتوسع في المحيط الغربي ( ١ ) . ذلك أنه بعد سنة 1700 لم تكن القضية الكبرى للدولة العثمانية هي التوسع ، بل إن وزراء السلطان كانوا في الحقيقة يكافحون من أجل بقائها هي . وكان الانتصار في وهران بالنسبة لوزراء السلطان ، قد جاء متأخرا كثيرا عن وقته بمائة وخمسين سنة .

وعندما رجع الجنود المنتصرون من وهران أهدى القنصل الفرنسي إلى الداي قطعة من القماش الراقي ، رغم أن منافسه الانكليزي قد فاقه ، كما كتب هو ، عندما قدم هدايا تبلغ قيمتها على الأقل خمسمائة بياستر . لقد كانت هذه سنوات صعبة على الفرنسيين . فهم كانوا يرون منافسهم الانكليزي يصلون إلى مكانة الهيمنة في البحر الأبيض ، وكان العيش الانكليزي والهولندي المحارب من أجل قضية المدعى الهاسبورغي في إسبانيا قد حصل على الخول والحبوب وعلف الدواب من الجزائر ، وعندما طارد القراصنة الفرنسيون السفن الانكليزية ، استطاعت أرسون منها على الأقل في مدة سنتين ، أن تجد مأمنها في وهران التي أصبحت الآن تحت أيدي الجزائريين ( ٢ ) . كذلك عندما هدد الطاعون المرعب في نهاية العقد الأول من القرن باحبار لويس الرابع عشر على قبول أي شرط يتقدم به أعداؤه ، تمكن الانكليز من منع تصدير الكثير من القمح إلى فرنسا من شمال افريقية . ولم يرفع الداي حتى صوته بالاحتجاج عندما أغرقت سفينة انكليزية حربية سفينة فرنسية تحت مدافع عنانة ، بحجة أن السفينة كانت تفرق تبيحة أصابتها نيران مدافع قل رسوها بعناية . وقد أسر القنصل الفرنسي إلى حكومته بأن « السبب الحقيقي

( ١ ) - المحيط الغربي . - ( النجم ) .

Western Ocean كذا .

( ٢ ) - المقصود أن السفن الانكليزية أصبحت تفتني في وهران بعد أن أصبحت في أيدي الجزائريين . - ( المترجم ) .

هو أن الداي لم يكن يريد أن يصح متورطا مع الانكليز الذين يعشى  
من قوتهم الحرية ... »

ومما كان الأمر ، من القصل الانكليزي كان أيضا يواجه صعوبات  
مع الجزائريين خلال هذه السنوات الأخيرة من الحرب . فقد كانت  
الممارعات التي لا نهاية لها حول الجسبه عندما كان العلم الانكليزي  
يرفع أكثر فأكثر على السفن الايطالية والاسبانية ، بل أحيانا كان يرفع  
على سفن ليس لها فرد انكليزي واحد . وقد حدثت أزمة حادة سنة  
1711 ، عندما أطلق بحار ( قرصان ) انكليزي النار على سفينة حرائرية ،  
بعد أن فشل في أمر يعارها الجزائري تخفض علمه . وكان الزال الذي  
تلا ذلك غير متواز : فقد كانت السفينة الانكليزية ذات أربع وأربعين  
مدفعا بينما كانت السفينة الحرائرية ذات اثني عشر مدفعا فقط . وخسر  
الحرائريون نصف الطاقم قتلا أو حريبا ، وكادت سفينتهم أن تفرق .  
وقد أندر القصل حكومته بأن الحادث قد يقود الى تنفذ الاعدام في  
الانكليز الذين بالجزائر أو قد يؤدي حتى الى اعلان الحرب ضد انكلترا .  
وكانت النتيجة . أن قام السيد جون جيننجز Jennings بأرسال  
الصابط بالشير Bulchen الى الجزائر ، حاملا رسالة تعد بأن السيد  
نوريس Norris ، وهو الضابط البحار ( القرصان ) الذي سبق  
ذكره ، سيعاقب على هجومه غير المرخص به . وكانت هناك أيضا «هدايا»  
عديدة في الموضوع ، ومدو أن الداي كان قد سر بذلك سرورا  
كبيرا .

وحتى امكابة اصعاف فرنسا اضمافا شديدا بمهاجمة تجارتها دون  
التعرض للعقوبة ، لم يقع الجزائريين باعلان الحرب على هذه المملكة .  
إن الوثائق حول هذا الموضوع قليلة ، ولكن هناك كثير من الدلائل  
التي تدل على أن سيل « الهدايا » الى الداي وورثائه و كبار الرئاس ،  
كان له أثر على موقف الحرائر الحيادي . وكل من انكلترا وفرنسا كانت  
ندفع ، من أجل « الحماية » ، ولكن ليس بالطريقة التي ندفع بها الدول  
الصغيرة والتي وصلت الى حد الصربة ( الاتاوة ) النقدية ، ومع ذلك  
فإن « الهدايا » التي أصبحت شتا فشتا « تقليدية » كان لها نفس

التأثير . وفي سنة 1712 استطاعت الأراضي المنخفضة المتحدة أن تنهي عهد الحرب الطويل بين الهولنديين والجزائريين . فمعاهدة سنة 1712 قد نصت على الدفع المنتظم في شكل معدات حربية ، بالإضافة الى النقود ، لضمان أمن التجارة الهولندية ضد الغارات الجزائرية . لقد تدهورت القوة البحرية الهولندية خلال هذه السنوات الصعبة من الحرب ، ولم تكن الأراضي المنخفضة المتحدة في وضع يسمح لها باستعمال قوة ماثلة لقوة فرنسا أو بريطانيا ، والواقع أن الأراضي المنخفضة أصبحت تدريجيا ، بعد سنة 1714 ، معتمدة على القوة الانكليزية لحمايتها . ان الأيام التي كان يمكن فيها لهذه الجمهورية الصغيرة ( هولندا ) أن تخطط للسلام أو للحرب على قدم المساواة مع مملكتي فرنسا وانكلترا وأسابيا ، قد انتهت . وان القوة الهولندية في أعين الجزائريين أصبحت تعادل قوة السويد والدانمارك ، ولذلك فإن السلام مع هولندا لا يمكن أن يستغرق وقتا طويلا .

ان هذه السنوات الأخيرة من الحرب كانت أيضا صعبة بالنسبة للحكومة الجزائرية . ذلك أن فتح وهران لم يضمن للداي ولا لقائده الحصانة من القصاصا السياسية الجزائرية . فخلال السنوات الأخيرة من الحرب في أوروبا وجد الرياس صعوبة يوما بعد يوم في الحصول على الغنائم . وكادت التجارة الفرنسية تخفى من البحر ، بينما كان الحلفاء ( انكلترا وهولندا ) يرافقون ، خوفا من القراصنة الفرنسيين ، معظم السفريات التجارية سواء المتعلقة بسفنهم أو بسفن محايدة . ونتيجة لذلك تدهور مع النفس المستولى عليها ، حتى انه خلال ثلاثة أشهر لم يحضر الى الماء سوى اثنتين . وكانت الملهيا ما تزال تتوقع دفع أجورها ، وكان الداي دائم البحث في قاع خزينته عن النقود . وقد عرفنا أن من أهم مصادر النقود هي تلك الاتاوة ، أو الضريبة ، التي تدفعها القبائل في الأقاليم الثلاثة . وكان باي كل إقليم يحضر شخصا النقود التي جمعها . وأثناء الممارسة العملية كان البايات في العادة يتفادون القيام بهذه المهمة ، وذلك بارسالهم خليفة عنهم بالنقود . ذلك أنه من الأفضل البقاء في الأقليم حيث الحماية متوفرة من الجود الذين



سكن الاغنياء منهم ، أما التوجه الى الجزائر فبمعه التمر من الجزائر  
فقد راس والحرية (ج) . وقد قتل باي العرب مقره الى وهران بعد  
الاستلاء على هذه المدينة ، وكان بانتظام يقدم القرية المتوقعة منه .  
أما باي الشرق فقد كان مطاش في تقديم صريته . وقد أمره الداي سنة  
1710 أن يحضر ضريته الى الجزائر ، ولكنه عصى الأمر . وبدلاً من  
ذلك جمع كل النفود التي تسكن من وضع يده عليها وأسرع بالتوجه  
الى مكان محمول ! وعندما أصبح الداي يدون لقود لم يستطع أن يقدم  
رواتب الانتكشارية . وقد حاول أن يشرح الأمر ، ولكن ثورة حدثت  
أدت الى مقتل كل من الداي وأوزن حسن ، بطل وهران .

وكان الأوغاد الذين قادوا الهجوم هم الذين وضعوا واحدا منهم على  
كرسي الحكم . ولم تعرف مدينة الجزائر مدة خمسة أشهر سوى  
القوضى . ولم يكن الداي الجديد ، وهو ابراهيم ، الذي يلقب بالمجون  
The Mad ، رجلاً حكيماً . فقد حاول أن يفتصب زوجة أحمد  
الانتكشارية ، ولكن المرأة الفاضلة طلبت النجدة . فأسرع اليها المييد  
وأطلقوا النار على الداي وهو يلوذ بالقرار ، وأعلنوا الفضيحة على  
الملا حتى تسمع كل المدينة . ولم يستطع القصر أن يكون ملجأ لمن  
حاول الاغتصاب ، فقد كان له عدد من الأعداء الذين كان يسرهم جدا  
أن يجدوا فرصة لذبحه ووقع انتخاب داي جديد . وقد ظهر على  
شاوش رجلاً قويا تسانده العناصر الأكثر تمهما من الميليشيا وقام بقطع  
رؤوس أصدقاء وأنصار الداي السابق ، وغير من نظام الحكومة حتى  
يعطى لوزرائه السلطة في الحكم . كان حكمه قد فتح الطريق الذي  
حصل فيه الداي على قوة أكثر وأدى الى اضعاف دور الديوان ، حتى  
انه ( أي الديوان ) أصبح ، بعد حين ، عارة عن « ختم من المطاط » .  
فعندما وصل أحد الناشوات المعين من قبل السلطان الى الجزائر ، رفض  
على شاوش أن يسمح له بالنزول بحجة أن الجزائر ليست في حاجة الى  
« رجل غريب » لحضر مجلس حكومتها . وقد قتل السلطان في النهاية  
هذا القرار ، ووافق على تعيين على شاوش ليكون هو الباشا .

(\*) - والتوجه الى الجزائر المقصود به الرياسة المروعة بريادة الدوش . ( المترجم ) .

وبعد أن انتهت مفاوضات 1713 - 1714 الحرب في أوروبا ، قام علي شاوش بكل ما يستطيع لبناء أسطولته البحري حتى يكون في امكانه ، اما ان يجد النقود لدفع رواتب جنوده من بيع السبى والضائع المحتجزة ، واما من الاتاوات التي تدفعها الدول الصغيرة التي يرغب في تأمين المرور البحر لنفسها . كما أن علي شاوش كان قادرا على جعل البابات في الإقليم يدفعون اتاواتهم ( الدوش ) ، بالإضافة الى أنه شرع في إنشاء مراكز قوية ، أو تحصينات ، في الإقليم ( البليكات ) يكون في امكانها ضمان فعالية أكثر للسيطرة التركية على القسائل المنشرة .

ولكن الداي القوي لم يكن محبوا من الجميع . ففي سنة 1713 حدثت محاولة على حياته قام بها الجنود الذين كانوا يريدون وقف تقلص سلطة الديوان . غير أن المؤامرة فشلت ، وكان مصير المدبئين الخنق . ثم حدث سنة 1715 زلزال محف حطم قسما كبيرا من المدينة وخلق كثيرا من الاضطراب والهم والمؤوض السياسية . ومع ذلك فإن الداي لم يتجاوز الأزمة ، بل أنه كان قادرا على أن يموت عن فراشه ، بعد ثلاث سنوات أخرى . مئة هادئة .

ان الحربين الكبيرتين اللتين وقعتا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر قد سجلتا بداية عهد حديد من القوة البحرية اسي سيكون لها تأثير حاسم على ايلات شمال افريقية . ذلك أن اسفن الحربية الجديدة التي أصبحت تملكها مملكتنا انكلترا وفرنسا كانت أمد من أن يستطيع الجزائريون حشدها . ان سفن المراك البحرية من الدرجة الأولى ، التي كانت تحمل أكثر من مائة مدفع ، كانت عبارة عن قلعة عائمة ، بينما أصابت السفن قاصفة القنابل bomb-ketches التي في مقدورها رمي القذائف ذات القوة المخربة الكبيرة — أضفت عاملا جديدا في الارهاب . وكل ما كانت الحاجة اليه خلال القرن الثامن عشر لاحتواء البحارة — القراصنة هو سفن المراك البحرية من الدرجة الثالثة . وقد استطاع الأسطول الجزائري أن يستولى على عدد من هذا النوع من السفن الحربية ( نوع القرقاطة ) ، ولكن معظم سفن

الجزائريين كانت لا تحمل أكثر من خمسين مدفعاً ، ولم تكن فدا للسفن  
الحربية التي تمتلكها الدول البحرية الأوروبية . ان التقدم التقني للملاحة  
البحرية ، الذي عدها السباق البحري خلال الثمانينات من القرن السابع  
عشر والحروب الكبيرة ، كان في طريقه الى أن يجعل أسطول البحارة  
الجزائري التقليدي يكاد يكون نشاراً في ترابط الأحداث التاريخية .  
فلم يعد في قدرة الراس أن يفتروا تجارة الدول التجارية الكبيرة .

## المصل الثالث عشر القرن الثامن عشر، حكومة الداي

من أكثر الوثائق دقة في تناول حكومة الحرائر في منتصف القرن الثامن عشر تلك الوثيقة التي كتبها القنصل الفرنسي ، لومير Le Maire وقد قال أن بية الأيالة السباسة محدود سنة 1750 ، قد أصبحت إلى حد ما مستقرة سواء من حيث ممارسة السلطة المركزية أو من حيث حكومة النابات ( الأقاليم ) . ولكن هذا لا يمي أن جميع الدايات في القرن الثامن عشر قد ماتوا على فراشهم أو أن أهل القائل البربرية والعربية قد استسلموا استلاما تاما لسيادهم الأتراك . ( ١ ) فالواقع هو أن العكس هو الصحيح . ومع ذلك فإن الفوضى التي سيطرت على منتصف القرن السابع عشر ، عندما كان الديوان وطائفة الرياس يمارسون نوعا متطرفا من الديمقراطية المروحة بالإغتيال ، قد انتهت بنمو سلطة الداي كحاكم مطلق .

ولكن هذا الوضع لم يحدث بين عشية وضحاها . فعندما أجزر الجنود ميزومورتو على تسليم منصبه ، أصبح ضابط محسوب من فرقة الانكشارية ديا متحدا ، وهو أول حلقة من سلسلة طويلة من الدايات المحذرين من صفوف الجنود بدلا من طائفة الرياس . وقد سار هذا النظام في البداية سرا متحررا ، غير أن المنصب احتاح ، منذ أوائل القرن الثامن عشر ، عندما أصبح على شاوش ديا بعد اعدام ابراهيم المدعو بالمجون ، إلى حكم قوي يعرف كيف يسيطر . فقد عاش علي شاوش

( ١ ) - هذا الإساج من المؤلف ليس محددا على من قرأوا آراء المؤرخة التاريخية الفرنسية الاستعمارية حول تاريخ الحرائرين ، ( المترجم ) .

عدة مؤامرات ضد حياته ، وأجبر السلطان على تعيينه ناشا ، وعاش أيضا خلال الرلازل والطاعون الذي سببه « المرابطون الدراويش » الى سياسته المعادية لله ، وقد حكم الایالة وعرف كيف يموت على فراشه ، غير أن حليفته ، ابداي محمد ، لم تكن محظوظا مثله ، فقد تمكن البحارة المتآمرون من اعدائه ، أي أولئك الذين اعترضوا على سياسته البحرية ، ولكمهم في النهاية قد أنقذ عليهم القصص وقطعت رؤوسهم أو سلحت حلودهم من قتل ووراء الداي المعتال ، الذين سموا بعد ذلك واحدا منهم هم ليتولى منصب الداي .

وكان الداي الحديد ، عدي ( ناشا ) آغا الصابحية ، أقوى في الحكم من علي شاوش ، كما كان أكثر مه حكمة . وبخرا لومير أن عدي كان الرجل الذي استطاع أن يثبت قواعد الحكم في الایالة . وقد كان حكمه ، كما رآه اليوم ، يشبه الى حد ما مكانة سيد ( بوس Boss ) المدينة الكبير في الولايات المتحدة ، مع الأحاد في الاعتبار طمعا بأن فرقة الانكشارية وطائفة الراس تملأن دائرته الانتخابية . وكان قد بدأ حكمه بتأمين الوزراء في مجلسه الخاص وكذلك أولئك الذين يخدمونه ، في حياتهم وفي أملاكهم وفي حقهم في توريث المقارات الى أبنائهم . وكان هو نفسه نزيها ومتحررا من الفساد ، ولكنه كان يفسد النظر عندما كان عماله يملأون حرمهم ما دام ذلك لا يشكل خطرا على الدولة . ان هذه السياسة جعلت مجلس الوزراء قوة متلاحمة وصلة لواء . وقد اعتبر هؤلاء الرجال ( الوزراء ) أن مصالحهم وسلطتهم وثروتهم متوقفة على رضی الداي ، وأن الداي بدوره متوقف عليهم . وبخرا لومير بأن عدي لم يعمل مسؤولا أبدا طالما كان يؤدي واجبه ، ولكن عندما يموت واحد منهم فإن عدي كان دائما سلا مكانه بقریب له أو صديق أصله من منامن Menemen . وهم الناحية التي كان الداي قد ولد فيها بأناصولا . وهذا التصرف هو الذي أدى الى ندانة عهد ما يسمى بحكم عائلة سامس التي حكمت الحرائم خلال أغلب القرن الثامن عشر .

ولعل أبرز نتائج هذا الوضع الحديد هو تدهور سلطة الديوان . ومع ذلك فإن الحرية من « ديمقراطية » الديوان لم تكن تعني حرية الداي

ليعمل بدون أي اعتبار للمعاصي . حقا ، انه كلما أصبح الداي حاكما مطلقا فقد حقه في أن يكون متقلب الأطوار . فقد تصرف سلفه سلف واستبداد وطفيا ، ولم يكن يوقمهم عن ذلك الا رصاصة او حجر من مختال . وكان عبيدي وخلفاؤه الناجحون قلما يصدر عن قرارا عندما يواجهون المشكل لأول مرة . فقد كان ، مثل لويس الرابع عشر أو غيره من الحكام المستبدين ، يتلمس من الاجابة عد الطلب ، لقد كان يعيل القضايا والمواقف السياسية الى مجلس الوزراء ، لاتخاذ القرار بشأنها . فاذا لم يتوصلوا الى اتفاق كان كل عضو يرسل « اصدقاءه الكوفياء » - ولعل التعبير الأفضل يجب أن يكون « جواسيسه » - لمعرفة رأي الجنود . وهكذا ترى بأن الديوان ، وان لم يعد يسيطر على السياسة ، فان رأي الميليشيا الانكشارية كان ما يزال له وزنه . ذلك ان الحزائر قد استمرت تحت حكم زعماء « لجيش احتلال » .

وبعد صعود عبيدي الى السلطة أصبحت العلاقات مع الباب العالي أيضا علاقات محددة . فقد أقنع علي شاوش السلطان بتسميته باشا ، ولكن عندما قتل الداي محمد ، أرسل السلطان مسؤولا من اسطانبول ليتولى المنصب الشرفي وهو منصب الباشا . غير أن عبيدي رفض السماح له بالتزول . وبعد بعض المفاوضات وافق السلطان على ارسال القمطان أو خلعة الحكم ، الى الداي ، وبذلك جمع لقب الداي والباشا في شخص واحد . ولكن هذه الطريقة لم تكن هي أفضل حل من وجهة نظر وزراء السلطان الذين فقدوا بذلك حق التمين الذي قد يعطي الى الأصدقاء أو يباع الى من يدفع ثمننا أعلى . ولكن ذلك الحل لم يكن بالضرورة غير مقبول للباب العالي . لأن حكومة السلطان غالبا ما يمكنها الحصول - وقد حصلت فعلا - على المساعدات البحرية من الأسطول الجزائري ، وكذلك فان الوزراء باسطنبول كانوا ، في مقابل خدمة من هذا النوع أو ذاك ، قادرين على الحصول على « هدايا » من الجزائر . وكان الدايات من جهتهم فخوريين بلبس القمطان الذي جاءهم من الباب العالي ، وكانوا في حاجة الى حق تجييد جنود جدد من المشرق لدعم الميليشيا الانكشارية . ( وقد تطورت عن ذلك علاقات عربية : فالسلاطين العثمانيون

خلال القرن الثامن عشر كانوا مطمئنين الى أن الداي - الباشا في السور  
 العربي ( الجزائر ) « كان دائما مستعدا للطاعة كخادم لمن هو مستند  
 الله اعظم الإمامة ... ظل الله في الأرض » ومع ذلك فانه كلما تناقصت  
 أوامر السلطان مع رغبة أو إرادة الداي فانه يقع تعاهلها . ان المسرحية  
 التي حدثت أوائل القرن الثامن عشر عندما استولى البحارة الجزائريون  
 على غيبة غنية لأوستاند Ostend ، تعتبر مسرحية معبرة . فالسلطان ،  
 الذي كان في سلام مع إمبراطور الهابسبورغ الذي كان أيضا حاكما  
 للأراضي المنخفضة النمساوية ، أمر بأن تعاد الغيبة الى أهل أوستاند .  
 وقد مثلت هذه الكوميديا في الديوان حيث ادعى الداي أنه هو وكيله .  
 فقد كانت الأصوات في الديوان على هذا النحو : « اتنا في سلام مع  
 انكلترا وفرنسا ... وليس هناك دول أخرى مسيحية . ولا يريد أي  
 شيء من سلام السلطان مع الإمبراطور الروماني المقدس » . انهم لم  
 يخافوا من شارل السادس ولا من الأمير يوجين خوف السلطان ووزرائه  
 منها . وفي مناسبة أخرى يخبرنا مورغان Morgan أنهم أصروا على  
 أنهم « سيحرقون سفنهم ويصبحون رعاة ابل » بدل التسليم في حق  
 اتخاذ القرار حول أي أمر من أوامر السلطان يطبعون . ففي خلال القرن  
 الثامن عشر كانت العلاقات بين الجزائر واسطنبول أكثر رفاة وأكثر  
 ضعفا مما كانت عليه في العهود السابقة . ومع ذلك فانها لم تقطع .

وحتى مع القبطان ومع لقب الباشا - الداي . فان المنصب لم يكن  
 كله بركات صافية . فقد كان الداي ما يزال سجيناً في قصره ، وكان دائما  
 مهددا بالاغتيال . كان راتبه هو راتب أعلى صابط في المليشيا ، بما في  
 ذلك نصيب يومي من الخبز ، وكانت مائدته على حساب الحكومة ،  
 وكانت اقامته بالقصر مجانية اذا كان أعزب . واذا كانت له زوجة فلا  
 يجوز لها أن تقيم معه في القصر . وقد كان لهذا المنصب فرص لجمع  
 الثروة : الهدايا من كل نوع ، من القناصل ، والبايات والقياد ، والجالية  
 اليهودية ، والتجار الذين يرغبون في الحصول على خدمة ، بالإضافة الى

سهم من الغنائم البحرية . ولكن ماذا لو جمع الداي ثروته ؟ اذا كان له  
ورثة فانهم عادة يسارعون بتوزيعها والا فان الداي الجديد قد يصادر  
ممتلكاتها . ونتيجة لذلك قاما نجد معظم الدايات اللاحقين يقومون حافلا  
على شرفهم وسمعتهم ، ببناء مساجد جديدة أو حمامات ، أو يمدون  
بماء القديم منها ، وينشئون مصعرا للمدافع أو يقرون التحصينات . وما  
دام لا يمكن توريث المنصب من الأب الى الابن ، كما كان الحال في تونس .  
فان الاهتمامات العائلية dynasty لم تسيطر على السياسة الحزائية .  
وقد لحص الأسقف جوان كانو Cano هذا الوضع البائس فيما يلي :  
« وهكذا كان يعيش والد بدون أطفال ، وزوج بدون زوجة ، وطاقته  
بدون حرية ، وملك على عبيد ، وعبد لرعاياه . » وربما كان الوصف  
أسوأ من ذلك ، لأن حياة الداي كانت غالبا في خطر . ففى الثلاثين داي  
الذين حكموا بين 1683 و 1818 لم يست منهم مائة سوى ستة  
عشر . والأربعة عشر الآخرون منهم ماتوا مقتولين . وقد صدر الأب  
القيسى فو Fau حين كتب سنة 1729 قائلا : « ان الداي في العال  
لا يخرج ... فقد يحدث أنه اذا خرج من قصره أن تستقله طليقة من  
بندية تعيه من لقب الداي ومن حياته معا . » ويبدو لومر متاكدا من  
أن النظام ، بسقف القرن الثامن عشر . كان من القوي بحيث يستطيع  
حماية الداي من الاغتيال . ولكنه كان محط . اذ أنه لم تكند بمضى  
سنة أو نحوها حتى كتابه لمذكرته . حتى استطاعت شلة من « الألبانيين »  
أن تقتال الداي وخرجه ( وريره لسله ) . ولكهم بدورهم صفوا  
عن آخرهم من قبل رئيس الطلحين وعبيده . والداي الجديد . وهو  
عبدى المعين من الداي السابق . كان قد حياه الديوان على هذا النحو :  
« انها ارادة الله . » وعلى همدى اغسل الداي وخزناحه توجد قصة  
طريفة ، وهى أنه كسب في أوراق الحراماخي القليل أنه كان يعد لمشروع  
كبير يقوم فيه بقتل الداي نفسه وحمل حكم الجزائر وراثيا فى عائلته .  
وكانت مؤامراته قد استع حتى شملت الأفانيم ، بالإضافة الى شلة  
فى فرقة الانكسارية . لقد كان ذلك هو آخر مرة يحاول فيها أحدهم  
انشاء منصب وراثى للداي . وقدم الداي الجديد . الدى كان متسككا  
فى كل أحد ، تمييز الاعدام فى المتأمرين ، وخلال سنة أو نحوها ، قتل



أيضا كثيرا من كبار المسؤولين الآخرين ، بما في ذلك رئيس الطباقس  
الذي كان قد قتل الإلبانيين ورفض قبول منصب الداي لنفسه حين  
عرض عليه .

إن الخليفة لهؤلاء الدايات ، خلال القرن الثامن عشر ، كان أحد  
وزرائهم الذي هو في العادة الخزنجي أو وزير المالية ، رغم أن المسؤولين  
الآخرين كان يسكنهم أن يطمحوا إلى كرسي الحكم . وكان الشرط  
الرسمي الوحيد هو أن الداي يجب أن يكون تركيا بالأصالة . ذلك أن  
الإصلاح والكرافطة كانوا مستمدين لتولي هذا المنصب من أجل حماية  
قوة وهيمنة جيش الانكشارية المحتل . ويمكن أن جيش الانكشارية  
المحتل . ويمكن أن يكون الرجل الراغب في المنصب الداي شبه أمي ،  
وأن يكون ابن فلاح ، أو كما حدث في إحدى الحالات ، ابن « بائع السنة  
البقر » . ونتيجة لذلك كان الرجال الذين أصبحوا دايات قد جاؤوا  
معهم بأنواع كثيرة من التجارب والقدرات والخصائص الذاتية . وهناك  
عدد منهم كانوا حكاما كرماء ومتفهمين ، بينما كان آخرون طغاة متشككين  
لا يثقون في أحد ، كما كانوا يسيئون الحكم .

ورغم سيئاته ، فإن النظام كما تطور خلال القرن الثامن عشر قد أدى  
إلى استقرار أكثر مما كان عليه الحال في العهود السابقة ، وذلك أنه قد  
أدى إلى ظهور نوع من البيروقراطية . إن السلطة الحقيقية للإيالة كان  
يمارسها الداي والوزراء ، وكان الأخيرون موظفين يمينهم الداي ويعملون  
بإرادته . وكانوا في العادة أصدقاء له ، ولكنهم كانوا في الواقع أيضا  
« صناعته » . وكان أول مسؤول في هذا « المجلس الوزاري » هو  
الخزنجي ، الذي كان في نفس الوقت نوعا من الوزير والخليفة الطبيعي  
للكل في منصبه . أما القوة العسكرية فقد كانت مقسمة بين آغا  
الانكشارية ، والخوجة أو قائد الفرسان ، وآغا جيش السكان  
الأصليين (١) ، ووكيل الخرج أو وزير البحرية . وكان كبير عمال القصر  
هو رئيس الطباقس ، بينما كان خوجة الخيل هو الذي يستقبل الضرائب

(١) - كذا ، والمقصود به ما يعرف بأما العرب . (الترجم) .

(أو وزير الخيل) ، وبالإضافة إلى ذلك هناك العرجات (الكتاب) ،  
 ومسؤولو الشرطة ، والمبعوثون ، وآخرون ممن يحتاج إليهم السيد  
 الأوامر . وكثير من هؤلاء الناس حادوا من مركز الموهبة المنتسب للنبأ  
 الانكشارية ، وهم الخوجات : (Codex) (١) أو هؤلاء كانوا  
 أناسا قادرين على القراءة والكتابة وكانوا يشترطون وظيفة السرجية .  
 وكانوا في الحقيقة هم الكوادر (الامارات) التي يأتي منها عمال الخدمة  
 المدنية . لقد كانوا يدبرون بيع الخيول والحبوب والجلود وغيرها من  
 الأشياء التي تسيطر عليها الحكومة . (٢) وكانوا أيضا يذهبون إلى البحر  
 على سفن البحارة (القراصنة) باعتبارهم كتابا لتسجيل المعائن المحتزة ،  
 وكمية البضائع ، وعدد ونوع الأرقاء المأسورين . وقد أصبح عدد منهم  
 رياسا ، كما أصبح بعضهم « وزراء » في حكومة الداى .

وكان الوزراء (Powers) قد اعتصوا السلطات التقليدية . مثلا  
 فقد استمر آغا القمرين في أداء مهمته كقاض في العرائم التي يرتكبها  
 أعضاء فرقة الانكشارية ، ولكن سلطة قادة الفرقة ، بالإضافة إلى  
 القوات الاحتياطية ، كانت قد أعطت للوزراء في مجلس الداى الصيق .  
 ونفس الشيء يقال عن البحرية . فطائفة الرياس قد استمرت في انتخاب  
 أمير البحر (أميرال) ، ولكن أثناء القرن الثامن عشر كانت معظم السفن  
 في الأسطول مملوكة أما من قبل دائرة الداى (الدليك) أو من قبل  
 أفراد كانوا بدورهم وزراء في حكومة الداى ، بدلا من ملكية أفراد  
 الرياس أو ملكية جماعة بين تحار مغامرين . وهكذا فإن القوة الحقيقية  
 في الشؤون البحرية قد استولت عليها الحكومة ، لأن وكيل الخرج أصبح  
 هو الذي يسيطر على أسطول البحارة (القراصنة) .

ومرافقة لهذا التطور حدث تدهور تدريجي في الأسطول البحري .  
 وهناك أسباب كثيرة وراء ذلك أولها أن عدد الرياس ذوي الكفاءات قد  
 هبط بدرجة كبيرة خلال القرن ، ويعود ذلك جزئيا إلى أنه لا يكاد يوجد

(١) - كذا كتبها المؤلف . وقد ترجمتها بالخوجات بحكم الوظائف التي ذكرها لهم  
 ولكنها قد تترجم أيضا بالكوامي (جمع كاهية) . (الترجم) .

(٢) - يعرفون بحوجة الجبل ، وحوجة الردع ، وحوجة العلد ، الخ . (الترجم) .

أي صاعد من الإصلاح للانضمام إلى الطائفة ، وربما يكون ذلك متدا  
 إلى أن التجارة الانكليزية والفرنسية كانت بعيدة المثال على البحارة  
 الجزائريين خلال القرن ، بينما عرف الهولنديون والسويديون  
 والهامبورغيون ، والديساركيون ، والأمريكيون ، وحتى البساقدة -  
 هموا كيف يشترطون الحماية . بل استطاع حتى الأسبان في نهاية القرن  
 الثامن عشر توقيع معاهدة . وهذا التطور لم يترك إلا القليل من فرص  
 الفئام . لقد كانت الإيالة تقطع علاقاتها من وقت لآخر مع دولة أو أخرى  
 من الدول الصغيرة ، ولكن ما دامت التجارة كانت تحصل على السمن  
 الانكليزية أو الفرنسية أو الهولندية ، فإن الرئاس الجزائريين قد  
 أصبحوا يصادمون باستمرار صعوبات في الحصول على الفئام .

وهناك عامل آخر يمكن ملاحظته في تدهور الأسطول البحري  
 ( الجزائري ) خلال القرن الثامن عشر : وهو التحول المستمر نحو استعمال  
 السفن الصغيرة ( الشبيكات ) التي كانت ملاقتها بين العشرين والثلاثين  
 مدفعا ، باعتبارها الشكل القياسي لفئة البحارة . وبينما لا يمكن لهذه  
 السفن الصغيرة أن تقف في وجه السفن الحربية الأوروبية ، حتى ولو  
 كانت من الدرجة الثالثة ، فإنها كانت سفنا مجوفة السطح ، وسهلة القيادة ،  
 وسريعة ، بحيث يمكنها أن تسبق السفن الحربية التي تحمل معدات  
 حربية ثقيلة ، ومن ثمة يمكنها ( الشبيكات ) أن تستولي على سفن الصيد  
 الصغيرة وكذلك سفن التجارة المحلية التي تنقل على سواحل البحر  
 الأبيض ، وليس السفن المسلحة الثقيلة . وكان الأسطول الجزائري في  
 منتصف القرن يضم عددا من الفرقاطات ، ولكنها في كل حالة ، كانت  
 سفنا ، بطريقة أو بأخرى ، أما وقع الاستلاء عليها وأما وقع شراؤها ،  
 ولم تكن سفنا مصنوعة في الجزائر من أجل الأسطول البحري .

وقد ظهر مشكل ثان في القرن الثامن عشر : وهو لماذا سمح الداوي بكل  
 التجارة الدولية للإيالة تقريبا لتكون في أيدي التجار الأوروبيين أو اليهود ؟  
 إن جزءا من الجواب على ذلك يمكن تلمسه في دور اليهود المتعاطف الهام في  
 حكومة الجزائر . أنه بقدر ما أصبح نظام حكم الداوي معتمدا أكثر على  
 البيروقراطية ، بقدر ما لعب فيه أصحاب المال اليهود دورا كبيرا . وقد كان

لأنك يظرون أني أقسم على أنهم حدود وحكام وليس أرباب مال .  
 وبذلك أصبحت دور التجارة اليهودية ، التي كانت لها صلات مع مختلف  
 أنحاء أوروبا ، ذات أهمية أكثر فأكثر للحركة الاقتصادية والمالية في الأقاليم .  
 ومع النمو جاءت القوة والأهمية الأعظم في المجتمع التجاري . لقد كانت  
 حكومة الداي هي الوكيل الرئيسي لمعظم الضرائب التي تسد الخزائر  
 إلى أوروبا : فالصوف والجلود والحيول والسمك ، وغيرها من مثل هذه  
 الضرائب الأولية : كانت في الواقع من احتكار حكومة الداي (الباليك) .  
 ولكن الداي لا يستطيع تسويق هذه البضائع بنفسه ، فكان عليه أن يعتمد  
 على التجار الأجانب - ومعظمهم فرنسيون - واليهود للقيام بأعماله  
 التجارية (بيرتس) . ولماذا لم يتحرك الرأسمال ويشارك في هذه الأعمال  
 التجارية (بيزنيس) المربحة ؟ إن الجواب بسيط عندما ننظر إلى القواعد  
 والتنظيمات التي كانت تضعها الدول المسيحية والمراسم المسيحية للتجارة  
 الإسلامية . فهناك عدد من القواعد ، والتشريعات والتنظيمات - وكلها  
 تهدف إلى الإبقاء على التجار المسلمين بعيدين عن الأسواق الأوروبية . (١)  
 والرأسمال ، إذا كانوا أيضا أعلاها ، يضاف إليهم الحظر على جانبهم  
 إذا نزلوا بمرسى مسيحي .

وهكذا فانه بالرغم من أن حكومة الداي كانت تبدو رابحة من حيث  
 الاستقرار ، فانها لم تتحرك في الواقع نحو وضع يضمن لها المساواة  
 التجارية مع جيرانها الأوروبيين . فداء الأرقاء كان ما يزال في أيدي الرهبان  
 أو القناصل أو التجار اليهود أو المسيحيين . وكانت تجارة الأيالة في أيدي  
 التجار على غير المسلمين . فالداي قد يكون له احتكار تصدير كثير من  
 البضائع الأولية ، ولكنه كان ما يزال معتمدا على الآخرين في إدارة أعماله .

فاذا ترك المرء مدينته الجزائر واسفل إلى الأقاليم (الباليكات) ، فإن  
 تداخل المشاكل كان يزداد حدة واتسعا . وتشير الدراسة التي قام بها

(١) - واضح أنه كانت للأوروبي حطة في منع دخول المسلمين أرضهم سواء باسم التجارة  
 أو غيرها ، ومع ذلك فالأوروبيون هم الذين كانوا يرمون المسلمين بالتعصب وشيق

الامق الح . المرجع

ومن ههنا من الجزائر تحت الداي الأخير ، (هـ) إلى أن العصور  
(الجزائرية) نشأ كثيرا مع مسائل أوروبا في المصور الوسطى ، حيث  
كان الملوك يحكمون ومنهم تشكيلة من السادة (اللوردات) والحكام  
الإقطاع والمدين المنظمة في شكل نقابات ، انهم «رعايا» ولكنهم «سادة»  
ما كانوا أكثر قوة من الملك نفسه . لقد كان ذلك هو الوضع في الأقاليم  
(الجزائرية) : كان الملوك (هـ) والشيوخ الذين يحكمون السكان العرب  
والبربر داخل البلاد ، يبتغون على علاقات مؤدبة مع البايات الذين يدعون  
أنهم يحكمون البايليك باسم الداي في الجزائر . أن قوة الباي كانت تقوم  
في الغالب على علاقاته الشخصية أو العائلية مع الناس الذين «يحكمهم» ،  
أو على نظام من «مراكز المراقبة» تحرسها حاميات من الانكشارية  
وهي المراكز التي كانت تسيطر أو تكاد على طرق الاتصالات الرئيسية .

وليس هناك من شك في أن الوضع السياسي في الأقاليم كان ، بمنتصف  
القرن الثامن عشر ، قد أصبح أكثر استقرارا من ذي قبل . ويعود ذلك  
في جزء غير يسير إلى التخلي عما كان معمولا به وهو استدعاء البايات  
بعد مدة تتراوح من سنتين إلى أربع سنوات . فهذا مصطفى بوشلائيم ،  
مثلا ، الرجل الذي بدأ حصار وهران الذي أدى إلى سقوط هذه المدينة ،  
قد حكم أقليمه حوالي خمس وعشرين سنة ، وكان مقدرا له أن يعيش  
حتى يرى الأسبان يستعيدون الغنيمة ، وهي وهران ، التي كان قد  
فتحها في شبابه . ولكن الشيء المهم فيما يبدو هو أنه في خلال تلك الخمس  
والعشرين سنة كان الباي قادرا على أن يتعلم كيف يحكم ، وربما لا يقل عن  
ذلك أهمية ، هو أنه تعلم كيف يقيم علاقات مع الشيوخ والمدين في إقليمه ،  
وهو الأمر الذي سمح له بتنصيب عائلته بشكل يكاد يجعلها تتوارث منصب  
البايات في الغرب (الجزائري) . لقد كان يكفي أن تكون متزوجا من  
ابنة الباي حتى تنال السمعة والمكانة في البايليك . فحبشا كان كثير من

(\*) - يشير إلى الدواية التي كتبها ونشرها الصابط الدرمسي لويس دين بعموان  
مملكة الجزائر في عهد آخر الدايات . (المترجم) .

(\*\*) - كذا يطلق عليهم المؤلف : ملوك Kings ، والمقصود بهم رؤساء الأعراس  
وشيوخ القبائل الخ . (المترجم) .

التبوح والأمراء يحكمون الدواوير (هـ) التي نصح السطر عليها .  
تصبح العلاقات الشخصية ذات أهمية كبرى في التطور السياسي .

وفي الأقليم الشرقي كان كيبان Kellano حياً ، الملقب بوكمة ،  
مد حكم قسطنطين حوالي خمس وعشرين سنة . وقد تعلم هو أيضاً من  
أخطائه . ففي أوائل عهده بالحكم كان « جيش » من القائل مد وسم  
له كميناً في الهضاب العليا عندما وضع خطة للقيام « بمرورة » قد أعدت  
أعداداً سريماً . لقد تعلم بعد ذلك أن يحصر نشاطه العسكري تحسباً  
دقيقاً ، كما كان قد طور نظام « مراكز المراقبة » لتأمين الطرقات . إن هذه  
التحصينات كانت تشبه المراكز الحدودية في السهول المرة خلال القرن  
التاسع عشر بالولايات المتحدة الأمريكية . وقد يظهر أنه كانت بين رجال  
القائل ( في الجزائر ) وهنود السيوكس شمال أمريكا أمور كثيرة  
متشابهة .

وجميع الكتابات تدل على أن هذين البابين ( بوشلانغ وبوكمة )  
وكذلك أكثر خلفائهم نجاحاً ، كانوا قد حكموا شوع خليط من القوة  
والمكر والتآمر والرشوة والاقناع الودي . وكون العرب يعتبرون  
أنفسهم أرقى من البربر ، وكذلك أرقى من الأتراك ، قد سمح للبايات  
بممارسة سياسة « قسم واحكم » ، خصوصاً وأن القبائل البربرية كانت  
هي نفسها أبعد ما تكون عن الوحدة . فالوضع كان يظهر إذن من جديد  
أنه كان يشبه ما جرى بالغرب الأمريكي في منتصف القرن التاسع عشر .

ومن المهم كذلك أن نلاحظ أن الكراغلة كان يمكنهم أن يطمحوا إلى  
منصب الباي . والواقع أنه في كل من بايليك الغرب وبايليك الشرق ،  
قد تولى الأبناء منصب آبائهم . وكان مؤسسو هذه العائلات الحاكمة  
أتراكاً بالأصل . وكان أبناؤهم هم أبناء نساء « أهليات » بالأصل .  
ولم يبطل هذا التقليد في القرن التاسع عشر عندما « ورث » عثمان  
باي — مثلاً ، وهو ابن محمد الكبير ، ورث منصب والده في بايليك

(\*) — يسميها المؤلف « برى الحيام » ، وقد فعلنا ترجمتها بالدواوير . (الترجم) .

الحرب بعد سنة 1815 . لقد كان والده هو أبي الذي فتح وهران سنة  
 1772 . وكذلك كان جسي ماي ، الذي حكم قطنة أوائل القرن  
 التاسع عشر . فقد كان هو أبي صالح (هـ) أبي الذي تولى المنصب سنة  
 ويضمها الملاحون الواحد بعد الآخر أن المسؤولين الكرغاة كان  
 ويكرهون الأراك مصطفى السكان البربر ، ولكنهم عندما يرون  
 من حكم الحاكم ، صموا الصرايب وساسوا البلاد تماما كما ساس  
 آناؤهم من قبل .

ولم يكن حكم الفياثل الرجل ونصف الرجل ، أمرا بسيط بالاضافة  
 الى حكم القرى والمدن الأكثر استقرارا الواقعة على الساحل وفي داخل  
 البلاد ، فقد كانت حامية تركية مؤلفة من خمسين الى عدة مئات من رجال  
 المدفعية الانكشارية قادرة في العادة على أن تحافظ على الأمن في المدينتين  
 ومع ذلك فان تلسان وكذلك عدة قرى ومدن أخرى كانت قادرة على  
 طرد الحامية وأن تقيم حكومة من الأعيان أمكنها أن تدوم سنوات ،  
 وحتى عشر سنوات ، قبل أن يستطيع الأتراك استعادة سلطتهم . وكان  
 الحكم في داخل البلاد ( الريث ) أكثر صعوبة ، لأن قسما كبيرا من  
 الايالة الجزائرية كان يقع على الهضاب وعلى مناطق جبلية ، أو على  
 مشارف الصحراء . أما الأراضي السهلية الخصبة فلم تكن تشكل سوى  
 جزء صغير من البلاد . . وقد كان الكثير ، ان لم يكن معظم سكان هذه  
 المناطق الجبلية سكانا رحلا يتبعون قطعانهم من مكان الى آخر . غير أنه  
 كانت توجد أيضا بعض القرى والمدن ذات الماضي الطويل حيث السكان  
 يمارسون الزراعة وبعض الأعمال اليدوية أو الآلية المنتجة لبضائع تباع في  
 الأسواق . وكانت قرى الخيام أو الدواوير يحكمها شيوخ ، وقد يحكم  
 مجموعة منها أمر ، أما في المدن فقد كانت هناك حكومة من الأعيان  
 يراقبها في العادة تركي بعناية ، وهو نفسه قائد الحامية . وكل هؤلاء  
 الناس كانوا يخضعون للشريعة الاسلامة والقانون العرفي ، وهو القانون  
 الذي ينفذه في العادة مسؤولوهم الطبيعيون أو الوراثيون . وجميعهم

(\*) - في الأصل ملاءة ماي ، والمعروف أن صالح سي اسنر من الحكم مدة طويلة ،  
 وكان من اماموليا ، ومات مقتولا . ( المترجم ) .

أولاً ، وادعوا الاناث التي يصعب الأتراك كسرهم ، وكانوا مهربون  
من دمعها كلما أمكنهم ذلك . فلا قرابة أدنى أو حكام بوس ومراكس  
على الحدود قد وحدوا حلفاء مستعدين بين القبائل المنتشرة ( في العراق ) .  
وقد كان البايات في حاجة ، لكي يحكموا ، إلى كل الحكمة وكل المهاره  
التي يمكنهم توفيرها .

وفي كثير من الأحيان كانت الاناث لا تدفع الا اذا قامت محلة تركية  
بقيادة قائد . بل أحيانا بقيادة الباي نفسه ، « مغزوة » لجمعها . ولكن  
هذه « الغزوات » قد أصبحت بنهاية القرن السابع عشر وخلال الثامن  
عشر أكثر صعوبة لأن السكان ( ١ ) كانوا يملكون الأسلحة النارية ،  
ولكنهم لم تعلموا حيل ( تاركيك ) الممارك بطريقة أكثر فعالية . وقد  
يكونون شجعانا بما فيه الكفاية ، ولكن كثائب الفرسان كانت غير قادرة  
على مواهبة نيران الجنود الأتراك المركزة ، خصوصا عندما أصبح هؤلاء  
الجنود يملكون أيضا مدافع صغيرة . ومع ذلك فقد حدثت حالات وقع  
نهبها الطابور التركي في القنخ أو في الكشاش بالعبال وهزم شر هزيمة .  
وقد كانت مراقبة المدن إلى حد ما أسهل ، ما دامت في المادة كانت مستعدة  
على حماية تركية تحت قيادة قائد مقره فعية ( قلعة ) المدفنة . وكان دور  
الحامية هو حماية السكان بالإضافة إلى السيطرة عليهم . ان وجود  
الحامية يذكر بأن جميع البلاد كان تحت حكم جيش احتلال ( ٢ ) .

وفي أواخر القرن الثامن عشر بدهورت السلطة التركية في الأقاليم  
( الباليكات ) لأن الامدادات بالجنود من المشرق أخذت تنقص وكان  
على الملشيا الانكشارية ، التي لم تعد من القوة بحيث تستطع أداء  
مسؤولياتها ، أن تعزز بحش احتياطى معتمد من السكان البربر والعرب .  
ولم تكن هذه القوة الاحتياطية محل ثقة كما هو الشأن في الانكشارية ،

( ١ ) - يستعمل المؤلف عبارة nature tribesmen ، وقد قلنا ترجمتها بالسكان  
بدل القبائل الاصلية .

( ٢ ) - لا نرى ضرورة لهذا الاشارة الى كره المؤلف في هذه مسائل من كتابه ،  
كما رأينا ، ذلك ان السعة للحكمة حتى في الدور المتفقه ذات القيادة تبين  
على التكتات والحاميات العسكرية في مختلف نقاط العفر ، والعبارة في نظرها ليست  
في تواجد الجيش . أي جيش . وليس في لماسة . ( المترجم ) .



ولكن لم يكن هناك بديل آخر . حينما وصل الفرنسيون سنة 1830 لم يكن يوجد سوى قليل من مليشيا الانتكشارية في أي اقليم من الأقاليم . بل أنه حتى في دار السلطان ، وهي المنطقة التي كان يحكمها الداي مباشرة ، كان الجنود البربر والعرب الذين كانوا تحت قيادة قائد وأغا العرب الاحتياطيين ، كانوا هم الجنود الوحيدين الذين يخدمون المدين . ولم يكن في اقليم التيطري كله سوى خمسين انتكشاريا من الرماة ومائة وعشرين من الانتكشارية المشاة ، بينما كانت مليشيا الانتكشارية في كل من الأقليم الشرقي ( قسنطينة ) والغربي ( وهران ) مجرد قوة رمزية . والواقع أنه في جميع الايالة لم يكن يوجد من الانتكشارية ( سنة 1830 ) سوى ألفين وخمسمائة رجل ( 2500 ) ، وكان كثير منهم غير صالح للحرب .

وربما يكون من الحق أن نقول أن النظام ، الذي كان قائما على جيش احتلال مجند من مناطق خارج حدود الايالة ، كان عمليا نظاما خربا عندما وقع الغزو الفرنسي . والواقع أن كون الدايات لم يستطيعوا خلال القرن التاسع عشر علاج عدوى الثورات التي قامت بها القبائل البربرية والعربية ، وكذلك تلك التي قام بها سكان المدن التقليدية - يعتبر دليلا على أن حكومة الداي لم تتحول من نمط حكم معروف لأي جيش احتلال الى نمط حكم معتد على تأييد السكان الأهليين . وربما كان مثل هذه الحكومة غير ممكن في البلاد ذات الأنماط الثقافية التي نجدها في المغرب الأوسط في أوائل القرن التاسع عشر .

## الفصل الرابع عشر القرن الثامن عشر، الجزائر وإسبانيا

يقطع النظر عن الدولة المسيحية التي قد تكون في حرب مع الجزائر ، فإن إسبانيا وممالك الملك الاساسي كانت دائما عدوه . ولا يمكن ان يكون سلام مع اسبانيا . ذلك ان صادي السمك الاسان وسفن النقل الساحلي كانت هي « القرية الطيبة » لمراس . وادا انهدمت الغنائم الأخرى ، فإن الاسبان سوء الحظ كانوا دائما هناك . ان ابراج المراقبة على طول الساحل الاسباني ، والقرى العائمة على جنبات الروابي أو على قطع الجبال الصخرية ، وكذلك تحصينات المراسي في المدن - كانت كلها شواهد صامتة على التهديد الذي كان يشكله شمال افريقية ، بينما المثبات ، بل الآلاف ، من رعايا الملك الاسباني المترقين في شمال افريقية تشهد بأن جميع الاحتكاكات لم تمنع الفوارق سواء من البحر أو من البر .

وفي السنوات الأخيرة من حكم شارل الثاني كانت سلطة العرش الاسباني قد تدهورت لدرجة أنه لا يمكن القيام معها الا بعمل ضئيل لحماية رعايا الملك . وعندما توفي شارل الثاني سنة 1700 وانزلت حروب أوروبية لتقرر حق الخلافة على العرش ( الاسباني ) ، أصبحت الحرب الأوروبية حرما أهلية في اسبانيا مع أنصار شارل الثالث الهاسبورغي النمساوي يحاربون أنصار فيليب الخامس البوربونى . لقد حارب الاساسي ، وكان الجنود الفرنسيون والانكليز والألمان وغيرهم من الأوروبيين قد أصغفوا الى هذا الخليط ان هذه الحرب قد أعطت للأتراك الجزائريين الفرصة في الاستيلاء على وهران والمرسى الكبير . ولم تكن هناك نجدة متوفرة للمدافعين ، ولكن ضياع وهران كان صدمة

هامة للشرف الاسباني وللوصح البحري الاسباني في العاية القريبة  
للبحر الابيض . وكان ضياعها أيضا حزيمة للمسيحية ، لأنها كانت آخر  
احتلالات القرن السادس عشر الاسبانية العامة في الحرب ضد المسلمين .  
ولذلك كانت الرغبة في استعادة وهران رغبة دينية ، بالإضافة الى كونها  
مطلبيا سياسيا واضحا ووضح المطالب القومية في القرن التاسع عشر .

لقد كانت قرارات ميدان المعركة هي ترك فيليب الخامس ليسطر على  
عرش اسبانيا ، وتحول في السيادة الانكليزية مهد الطريق لمساومة تعطيه  
حق تلك التيجان الاسبانية ، بينما كان مافيه قد حصل على تيجان  
ايطاليا والأراضي المنخفضة الاسبانية . ولكن فيليب لم يكن عندئذ  
حرا حرية تامة ليقوم في الحال باستعادة وهران . لقد كان مشكله  
المستعجل هو توحيد الممالك الاسبانية من خلال تطور حكومة بيروقراطية  
على النمط الفرنسي . لأول مرة منذ وحدة تاجي أراغون وكاستيل ،  
انتج نظامه هياكل ادارية ومالية مكنت مملكته من الوحدة . انه لم يقم  
حقا بضم التيجان العديدة لاسبانيا في وحدة معنوية مع كاستيل ، ولكنه  
فرض نظم كاستيل على جميع التيجان ، وبذلك أعطى للمملكة دفعة  
اقتصادية وسياسية جديدة . وبالطبع فإن هذه التغيرات لم تجعل القوة  
الاسبانية على قدم المساواة مع قوة أنكلترا أو فرنسا ، ولكن تلك التغيرات  
أثرت على توازن القوى الذي كان موجودا بين اسبانيا ودول شمال  
افريقية الاسلامية . فالجيش الاسباني الذي أصبح الآن صلبا بالانضباط  
الفرنسي ، قد أصبح وسيلة أكثر فعالية من ذي قبل ، كما استعادت البحرية  
الاسبانية شيئا من قوتها السابقة . ورغم ان الملك ووزرائه كانوا منشغلين  
كثيرا بأمور أخرى في السنوات التالية لسنة 1714 تمنعهم من اعطاء شمال  
افريقية اهتماما جديا ، فانهم بحلول سنة 1721 كانوا قادرين على فك  
الحصار علم ستة ، وبحلول سنة 1730 كانوا مستعدين لتخطيط استعادة  
مدينة وهران .

وفي يونيو ( حوان ) من سنة 1732 تجمعت ارمادة ( أسطول ) ضخمة  
مؤلفة من خمسمائة وخمس سفن تتراوح ما بين البواخر الحربية الكبرى  
الى مراكب التموين والبريد ، حاملة لجيش من ثلاثين ألف رجل الى

وهران . وبالإضافة إلى مدافع البوادر البحرية كانت هناك حراش مائي  
 مجمع حصار لفرض استحکامات المدينة . وكان قائد الحملة ، وهو  
 الكونت دي مونتمار Montemar مدعوماً بضباط أكفاء ورجال مدرّبين  
 ولكن لم تكف تحدث أية حرب . فقد كان مصطفى بوشلاغم ، الذي  
 الذي كان قد وجه الحصار التركي الذي أدى إلى سقوط وهران منذ أربع  
 من مضي ، هو الذي يقود الدفاع ، ولكنه لم يكن لديه عملياً أي دعم ،  
 ولم يكن الداي عبيدي باشا ، الذي كان مريضاً مرض الموت والذي بلغ  
 الثامنة والثمانين من عمره ، قادراً على أخذ القرار لإرسال المساعدة من  
 الجزائر . فقد توفي عبيدي في شهر سبتمبر . وحاول الداي الجديد ،  
 الذي كان صهره ( عذيله ) ، أن يعصم جيشاً ، ولكن الوقت كان قد فات .  
 فقد سقطت وهران والمرسى الكبير في أيدي الغزاة بدون مقاومة تقريباً .  
 وكان ذلك حبة مرة في حلق بوشلاغم ، لأنه كان عليه أن يتخلى عما استولى  
 عليه في شبابه بدون أن يكون قادراً على خوض حرب حقيقية .

وعندما وصلت المساعدة من الجزائر حاول بوشلاغم أن ينصب حصاراً  
 حول المدينة . ولكن الأسبان لم يكونوا ، هذه المرة ، ضغفاء بسبب  
 الحرب الأهلية ، كما أن الأتراك لم يكونوا بالقوة التي كانوا عليها فيما  
 مضى . فقد تمكن الأسبان من القيام بهجمة حملت معظم المدافع الجزائرية  
 غير صالحة للاستعمال ، كما تمكنوا من قتل عدد كبير من الجنود المسلمين  
 الذين كانوا يحاولون نصب الحصار ، وكذلك أفسدوا أعمال الحصار .  
 وقد كلفت هذه الخرجة ( أو الهجمة ) الأسبان ألفاً وخمسمائة رجل ،  
 ولكن الجزائريين خسروا فيها أكثر ، ما في ذلك إمكان نصب حصار  
 ناجح .

وقد حكم الأسبان من جديد مدينة وهران من سنة 1732 إلى عهد  
 الثورة الفرنسية ، حينما كانوا مجبرين أيضاً على التخلي عنها للجزائريين .  
 ولكن احتلال وهران خلال القرن الثامن عشر كان يختلف عن احتلالها  
 خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . فلم يعد الأسبان يرسلون  
 غزوات إلى أعماق دواخل البلاد ( الريف ) ، وأصبحت وهران مدينة  
 إسبانية فيها حامية إسبانية ، وكان تمويلها من إسبانيا بطريق البحر .

وكانت هناك عائلات مسلمة قليلة تعيش في وهران ولكن المدينة كانت  
اسبانية وموجبة توجيها كاملا نحو اسبانيا . ويبدو أنه لم يكن يوجد  
برنامج لتوسيع الواجهة الاسبانية الى مناطق أبعد من المناطق المجاورة  
لوهران والمرسى الكبير .

ولكن إقامة التجهيزات والاستحكامات أعطت الاسبان قوة أكبر لمقاومة  
تسللات الرياس الجزائريين . فقد أصبحت وهران ومرساها قاعدة هامة  
للمراقبة البحرية في غربي البحر الأبيض . وكانت السفن الحربية لاسبانيا  
ومالطة وقابولي تستطيع أن تقوم بمبلياتها من وهران الى مالطة . فقد  
كانوا يراقبون البحر ويغيرون على قرى ومدن الايلاتين الجزائرية  
والتونسية . بحلول آخر القرن الثامن عشر كاد ساحل شمال افريقية  
يتحرد من القرى ، بل من الناس ، لأن السكان مثلهم مثل القرويين  
الاسبان ، قد تخلوا عن سكنى الساحل ، باعتباره مكانا من الخطر أن  
يميش فيه الانسان . ان الحروب البحرية ( القرصنة ) الجزائرية والاجراءات  
التي تطورت لمكافحةها ، كانت غليظة وقاسية وباهظة الثمن ، وربما كان  
السكان الفلاحون على الجانبين من البحر الأبيض بينهم أمور مشتركة  
نتيجة لهذه الحرب أكثر مما كانت بينهم وبين حكامهم الذين كانوا  
يوجهونها .

لا وخلال السنوات الواقعة بين استعادة وهران ( 1732 ) وسنة 1775  
كانت الحكومة الاسبانية مضطرة الى تركيز اهتمامها على الحروب  
والتهديدات في أوروبا بدل التركيز على خطة تفرض بها على الجزائر وقف  
هجوماتها على اسبانيا والسفن الاسبانية . وسنرى أنه خلال فرص عديدة  
في هذه السنوات ، عندما كان الفرنسيون يفكرون في الحرب ضد جماعة  
البحارة ( الجزائريين ) ، طرحت فكرة تعاون فرنسا مع اسبانيا في مثل  
هذه الحرب ، ولكن الفكرة رفضت على أساس ان المصالح والمشاريع  
الفرنسية والاسبانية كانت مختلفة من بعضها البعض وانها غالبا ما كانت  
في الواقع متعارضة . فالاسبان كانوا يرغبون في القضاء النهائي على جماعة  
البحارة الجزائريين . بينما كان الفرنسيون خلال القرن ( الثامن عشر )  
ليس فقط لا يتمنون هذه الخاتمة بل انهم كانوا يقرون بأن سلاما بين

اسبانيا والجزائر قد لا يكون في صالح المصالح الغربية ما دام سيحرم  
لبنى الاسبانية من تهديد الحارة الجزائرية ، ومن ثمة يؤدي الى خلق  
مخاطر خطيرة للرئيس . والحقيقة ان الاسبان كانوا يطعنون الى القضاء  
على الجزائر قضاء مرما باعتبارها « عش القراصنة » ، ولم يكن الامر  
يتوقف سوى على الوقت المناسب والطريقة الأفضل لتحقيق ذلك .

أصبح شارل الثالث ملكا على اسبانيا سنة 1759 . وكان اول مشكل  
واجهه هو ايجاد مخرج من حرب السنوات السبع لا يضر بمملكته ، وفي  
المشر سنوات الموالية حار لنفسه لقب « الطاعة المستر » من خلال  
اصلاحاته التي ادخلت حياة جديدة على حاسة الاسبانية . وبحلول سنة  
1774 كان مستعدا أن ينظر في قضية الجزائر . وكانت الخطة تقتضي  
هجومًا مباشرًا على المدينة من البر ومن البحر أيضا . وان الانتصار  
في هذه الخطة سينهي الى الأبد تهديدات « عش القراصنة » .

وقد عهد بقيادة الحملة الى الكونت أوريلي O'Reilly وهو جندي  
متميز وعضو من عائلة ذات أصل ايرلاندي أصبحت متمركزة في اسبانيا .  
ورغم السمعة التي كان يتمتع بها أوريلي فان الاختيار كان اختيارا سيئا  
الحظ . فقد برهن على انه كان ضابطا يمكنه أن ينفذ الأوامر الصادرة  
من غيره . ولكنه كان غير قادر على اتخاذ الاحتياطات التي قد تسهل  
المفاجآت ، كما انه لم يكن يملك الحسم الذي هو ضروري عندما تبلغ  
الحوادث درجة الازمة .

كانت الحملة قوية الدعم . فقد ضمت وحدات المشاة التي تتألف من  
حوالي عشرين ألف رجل ، وحوالي ثمانمائة فارس ، وتسعمائة مدفعي  
مع مدافعهم . وقد حملت السفن ثلاثة آلاف وخمسمائة بحار ، وعددا  
كبيرا من الأرقاء للقيام بالاعمال الشاقة . ومن الخمسمائة وثيف من السفن  
التي تتألف منها الارمادة ( الأسطول ) توجد خمسون باخرة حربية ،  
ذات طاقة نارية أبعد ما تكون عن أن يستطيع الجزائريون اعدادها .  
وكانت الحملة مستعدة للانطلاق في صيف سنة 1775 . لقد كانت تشكل  
منظرا مهيبا ، فمن حق أوريلي أن يأمل انه سيكرر النجاح الذي حققه  
سلفه ضد وهران سنة 1732 .

وان حله على هذا النحو من الصعوبة لا يمكن ان تبقى سرية . ومن  
ثم ان الجزائريين قد حصروا أنفسهم لمواجهة الاسان بكل القوة التي  
كانت في وسعهم . فقد جاء البيانات الثلاثة بأفضل حودهم ، وأرسل  
شيوخ القبائل الذين كانوا تطلعون الى المبدأ وإلى اعطاء الفرصة  
لفرض معركة ضد أعداء الله (+) ، أرسلوا كتاب كتبة من القربان .  
وجيز وزراء الداي كل القوات التي كانت تحت تصرفهم . وتبعة لذلك  
فان القربان وساقني الابل ، بالإضافة الى نوع من الجيش النظامي .  
كانوا جميعا ينتظرون الاسان قبل وصولهم . وقد أعلن الداي انه  
س يدفع عشرة دنانير عن كل رأس مبيح يؤدي به الى الجزائر . وهذا  
صاحب كتاب ( الزهرة النيرة ) يكتب عن ذلك قائلا : « ان هذا الاجراء  
كان حكيما لأن الطمع في التعويض المالي كان يجعل الجندي يقطع رأس  
كل الذين وقعوا بين يديه ، ويحصل الدليل الدامى الى اقدام الباشا »  
وكان من الممكن أيضا أن يؤدي ذلك الى احداث فوضى كاملة في صفوف  
الدفاع الجزائري لو أن الاسان لم يفتروا بقوتهم بحماية ، لأن الاضطراب  
الناتج عن الحدث ، بدون تمييز ، عن الرؤوس وقطعها كان يمكن أن يكون  
كعبة .

لقد كان الله ، أو مجرد الحظ ، مع الجزائريين ، لأن الاسان قد  
ارتكبوا أخطاء ، بل هي أسوأ خطأ مما فعلوا ، انهم نزلوا على نفس  
الشاطئ ، الذي نزل عليه شارل الخامس منذ قرنين وأربع و ثلاثين سنة  
خلت . كان الانزال قد بدأ حوالي الساعة الرابعة صباحا يوم السابع  
من يوليو سنة 1775 . وسحرد ما نزل الجنود وجدوا أنفسهم منهمكين  
مع المناوشين الذين حاولوا منعهم من النزول . وسرعة أجبرهم الاسان  
على التقهقر ، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام نيران الرماة المختبئين وراء  
الخنادق أو خلف الحواجز الواقعة على سفح الجبل . وكلما نزلت قوات  
جديدة وحاولت توسيع المقدمة وجدوا أيضا أنفسهم في مواجهة قربان

(\*) - هذا التقديم كانت الشهادة والفيضة الدامى الرئيسيين للجهاد ، ولكن المؤلف لم  
يجمع الكتاب يركز على الدفاع الثاني من انه يسميه حد التهم والسلب الخ .  
( المترجم ) .

بذلك . وبدلاً من الانسحاب وحسين شاطئه النزول ، كلما أراد  
 دون الحدود ، فإن الأسبان رموا بثقلهم في المعركة . وكان تقدمهم قد  
 أسر في ثمر لأن الحرائرين نارعوهم الطرق العائرة وساح البسات  
 وغيرها من الاعمال الدفاعية . وكانت اسيران قاتلة . وفي هذه اللحظة صدر  
 الأمر بالراجع والصح ، ولكن من طاعة الأمر ساق رجال المائل  
 البرية قطعاً ضخماً من الابل على الجانب الأيمن من الموقع الاسباني .  
 فأصاب الرجال والخيول الرعب من هذه الحيوانات الفتية ، وبات الانسحاب  
 الدماراً موضوياً (+) . وقد كتب أحد المسؤولين فيما بعد يقول : « بدون  
 الجمل المطبق للعدو الذي لا يعرف كيف يستمد من فرصهم ، فانه لا شيء  
 كان ممكن أن يتخذ الاسبان من الانكسار الكامل . » ان عرض عشرة  
 دنائر للرأس قد يكون انقذ جزءاً من الجيش الاسباني . وقد انسحب  
 الاسبان في فوضى الى نقطة النزول لكنهم وحدوا الحرائرين قد ثقلوا  
 المدافع الى المرتفعات المجاورة وأصبح بإمكان ضرباتهم أن تخرق صف  
 الانسحاب فلم يعد هناك من حل آخر سوى الرجوع الى السفن بالكبر قدر  
 من الجنود الذين أمكن انقاذهم . وهكذا فثلت الحملة فشلاً ذريعاً .  
 وبعد شهر من الهزيمة نسب أوريلي النكبة الى « الحساسية غير المتبصرة »

من قبل الجنود الذين « هاجموا . وهم بدون نوم ، بسرعة كبيرة وأضاعوا  
 فرصتهم » . ولكن الأمر كان أكثر من مجرد حساسة غير متبصرة . فقد كان  
 لدى كل جندي من جنود المشاة احدى وثمانون طلقة خرطوش ، وعندما  
 بدأ انسحاب الهزيمة كانت المشاة قد استنفذت كل ما عندها من ذخيرة  
 اضافة . وحتى لو لم تضطرب أمورهم من قطعان الابل فانهم كانوا واقعين  
 في مشكلة على كل حال ، لأن الحدود كانوا قد انزلوا على الشاطئ ، بدون  
 مؤونة ، ودخلوا المعركة دون أن يحضروا شاطئاً حصيناً ، كما أن طلائعهم  
 فشلت في معرفة ان الحزائرين قد وضعوا المدافع على المرتفعات المطلّة  
 على جسر النزول . ونحن نملك عدداً من الكتابات الحيدة عن هذه المعركة

١٩١٠ - لا يذكر ان المصادر الاسلامية شارب الى دور الابل في هذه الحملة ، وبدون ان  
 المؤلف سي ان الاسبان بالخصوص كانوا يعرفون الابل ولذلك لا تحيفهم حتى تكون  
 ما في هربهم . وبدون ان المسألة مسألة اتحاد صرد غير هادي للهزيمة مثل  
 المواسف والحيوات مع . والصريح ان المؤلف سار مع هذه الرواية . (الترجم)



كيبا وحال كانوا حاصري لها . وجيئها متفقة على ان الحملة كانت  
مرقنة ترقيا مانتالات سبنة وتقديرات سبنة وتخطيط سي . . وقد كتب  
أحد البعاد الاسبان ، الذي وسايح ان تكون له فينا بمد الكلمة الاخيرة  
في الموضوع ، يقول : « ان الحملة قد تمت على معرفة ضئيلة بالميدان  
وبعدد العدو ، وبالتحضير للدفاع » وهذا يؤدي الى السكبة .

ان الهزيمة لم تكن في الحجم الذي عاناه شارل الخامس ( شارلكان  
سنة 1541 م ) ، ولكنها كانت هزيمة مهينة يرغب الجيش الاسباني ، في  
نسيانها . فقد خسروا جميع المدافع التي ازلوها ، ومعظم البنادق  
والأسلحة الصغيرة التي تعود الى المشاة ، وكل المؤونة التي ازلت على  
الشاملي . وقد قتل سبعة وعشرون ضابطا وخمسمائة جندي ، وجرح  
مائة وواحد وتمسكون ضابطا وأكثر من ألفي ( 2000 ) جندي . ولا ندري  
كم من هؤلاء قد مات أيضا ، ولكن نسبة الشفاء من الجروح في القرن  
الثامن عشر كانت أقل من نسبتها في القرن العشرين . ان المؤلف التركي  
الذي حيا الانتصار قد أخبرنا بأن « الاسبان يقولون ان الرصاص كان  
مسموما لأن جميع جرحاهم قد ماتوا . . . فله الشكر ا »

ان النكبة التي حلت بحملة أوريلي لم تؤد الى انتهاء الجهود الاسبانية  
في اجبار الجزائريين على طلب السلام مع العرش الاسباني ، ولكن الحرب  
الأوروبية العامة ، المعروفة بحرب الاستقلال الأمريكي ، قد حولت انتباه  
البلاد الاسبانية الى ان وجد هذا النزاع نهاية له . وكان المسؤولون ،  
من جهتهم ، يفكرون من جديد في امكانية نصب حصار جديد لوهران ،  
لأنه في هذه السنوات ، عندما تركز الانتباه على شمالي القارة الامريكية ،  
استطاع باي الاقليم الغربي ، محمد الملقب بالكبير ، أن يسيطر على  
القبائل الواقعة داخل حدوده الاقليمية وان يجعلها تحت نظره . وقد  
فجع ، باستعمال ذكي للقوة والاغراء ، أن يحصل منها على دفع اتاوات  
بشكل منتظم الى حد ما ، كما حصل على بعض المعونة العسكرية لنصب  
حصار جديد على وهران . ولكن الاسبان جعلوا هذا الحصار عملا شاقا ،  
ذلك انهم قد حصنوا المدينة تحصينا أكثر فعالية مما كان عليه الحال من  
قبل ووفروا لها حامية مناسبة جيدة التمويل . حقيقة ان الاسبان كانوا

صحة عامة أخرى داخل الأسوار التي أقاموها ، ولكن من الحقيقة أيضا ان تلك الأسوار كانت تمثل دفاعا هائلا . وبطلول سنة 1760 استطاع الباي محمد أن يصب الحصار حول المدينة من جهة البر ، ولكن البحراك الجزائريين كانوا بعيدين جدا من الاستيلاء على المدينة طالما كان في استطاعة الأسبان الاحتفاظ بالبحر مفتوحا .

وبحلول سنة 1783 ، عندما انتهت ، في الأخير ، الحرب الأمريكية ، كان البلاط الإسباني مستعدا لردود الفعل سواء من جهة حصار وهران من قبل الباي محمد ، أو من جهة مشكل الثار للهزيمة التي لحقت بحملة أوريلي . ومرة أخرى كان لا يمكن للتحضيرات أن تبقى سرية . وكان الداي خائفا من تكرار ثورة قام بها الأرقاء حديثا ، فقام بإرسال حوالي ألف وخمسمائة رقيق إسباني لخارج المدينة ( الجزائر ) ، ودعا البايات لإرسال الجنود للمساعدة في مقاومة الاعتداء المتوقع . ولكن الأسبان قد اكتفوا في النهاية ، بقبلة ( المدينة ) والاستعراض البحري بدلا من القيام باعتداء كامل الجوانب . فقد ظهر أسطول أمام مدينة الجزائر مكونا من عشر فرقاطات ، وخمس وعشرين شبيكة وأربعين شلوب *Cheloupes* وكان ذلك يوم 29 يوليو 1783 . وقد بدأ القصف بالتقابل في اليوم الأول من اغسطس . وخلال تسعة أيام رمى الأسبان حوالي أربعة آلاف قنبلة ومثلها من عدد الكور أما في اتجاه المدينة نفسها وأما في اتجاه القنبلة . وكانت الخسائر أقل مما كان الأسبان يأملون ، ومع ذلك التحصينات . فقد كانت خسائر معتبرة . فقد وقعت اضرار بليغة بعملة مشات من فقد كانت خسران معتبرة . فقد وقع قصر الداي نفسه ، وقتل حوالي مائتي ( 200 ) المنازل ، بما في ذلك قصر الداي نفسه ، وقتل حوالي مائتي ( 200 ) شخص . ان فعالية القصف قد ازدادت نوعا ما منذ جهود الفرنسيين قبل قرن ، ومع ذلك فان « التقدم » في هذا الصدد لم يكن كبيرا . ففي سنة 1783 لم يكن الأمر يقتضي سوى حوالي نصف ذلك العدد من السفن لانجاز حوالي نفس الحراب الذي خلفه قصف دوكين *Duquesne* سنة 1682 . وليس لدينا سبيل لمقارنة الخسائر التي تركتها الحملتان ( الفرنسية والإسبانية ) .

وفي سنة 1784 ظهرت ازمادة ( اسطول ) اسبانية أخرى أمام الجزائر وحاولت من جديد قسلة المدينة ، ولكن الجزائريين ، بما لديهم من نارود وطلقات ، ومنع المدافع الحديدية التي قدمت لها السويد والأراضي المنخفضة والكترا - كانوا قادرين على منع الاسبان من الاقتراب الكافي الذي يمكنهم من تسديد القصف الى المدينة وكان تبادل الطلقات بين المسلمين العربى والتحصينات لم يسب الا في خائر طليعة الطرفين . ومن الواضح ان القصف بالمقابل لم يؤدي الى اخضاع الجزائر .

كلاورغم ذلك فان نمو التجارة الاسبانية ومعها اعتداءات الرياس الجزائريين كان يتطلب فعل شيء ما حول العلاقات الجزائرية - الاسبانية وفي سنة 1785 حصل الاسبان ، من خلال المساعي الحميدة التي قام بها القنصل الفرنسى ، على حق ارسال بعثة الى الجزائر لتفاوض على السلام . والتنازل الكبير الذي كان يمكن للمفاوضين الاسبان تقديمه هو ارجاع وهران والمرسى الكبير الى الأتراك الجزائريين . وكان الاسبان يعتقدون ان ذلك لا يعنى تخليهم عن أمر عظيم اذا استطاعوا أن يؤمنوا بعد ذلك مركزا تحاربا مع تنازلات شبيهة بتلك التنازلات التي حصل عليها الحصن الفرنسى في البايلىك الشرقى . ومن الواضح ان الجزائريين من جهتهم كانوا يعتقدون أن تقديم دفع سنوي ، بالإضافة الى استعادة وهران ، كان بديلا مناسبيا لا استمرار المنازعات . ومن جهة أخرى فان نمو القوة البحرية الاسبانية جعل « تجارة » البحارة الجزائريين غير مربحة بالطريقة التي كانت عليها من قبل . ومهما كان الأمر فان الداي ووزراءه قد وافقوا على معاهدة سلام مع المملكة الاسبانية ، وهى الأولى من نوعها بين الحكومتين ( الاسبانية والجزائرية ) في تاريخهما كله . والنقطة الرئيسة فى المعاهدة قد تركزت على ارجاع وهران .

ان ظلال ايزابيلا الكاثوليكية . والكاردنال خيمينز دي سيزفروس Cisneros والجنود الاسطال الاسبان الذين دافعوا عن وهران طويلا - ان هذه الظلال الماضية قد أضيفت الى الشرف الجريح للاساقفة الكاثوليكين المعاصرين والوطنيين النبلاء الاسبان . وكلما تفاقم النقد

للمساعدة كانت الحكومة الإسبانية تعيد المرور نحو الآخر ناحية الخلا  
من وهران . وقد خلف شارل الرابع ولده على العرش سنة 1788 .  
ولم يكن هناك وقت لنقل الجنود من وهران . ثم طأبت الثورة الفرنسية  
سنة 1789 ، فاستولت على اقله جميع أوروبا . ولكن الإمبراطور النمساويين  
كانوا مستعجلين بوهراة أكثر مما كانوا متشعنين . بحق الإنسان  
والمواطن « أو بقضايا المملكة الفرنسية . لقد أرسل الناي محمد  
المبحوثي ، أو ذهب هو بمعه ، الى جميع الدواوير والقرى والمدن في  
بإقليم الغرب . وما دام الإنسان لم يسلموا وهران فامه كان يطلب  
المساعدة لتجديد « الجهاد » لاستعادتها . وقد يكون نصح لديه ، بحلول  
سنة 1789 ، حوالي خمسين ألف رجل حاضرين للحصار ، رغم ان معظمهم  
لم ينفذوا سوى في مراقبة الطرق والحقول لتدعم الحصار . ثم ان  
الطبيعة — وليس البارود والالغام الجزائرية — قد حاطت لمساعدته  
المحاصرين (١٠) .

ففي أغسطس سنة 1790 حدثت عدة زلازل صغيرة الحجم في النواحي  
المحيطة بوهراة . وفي الثامن والتاسع من أكتوبر اهترت الأرض أموي  
هزات . لقد كان ذلك انذارا بأشياء ستحدث . وفي 21 — 22 أكتوبر  
تداعت الأرض واهتزت فسقطت المباني والخطان . ان وهران كانت  
انقاضا . وجميع الأطباء في المدينة قد قتلوا . كما قتل الحاكم ( الإسباني )  
وجميع أفراد عائلته . وكذلك قتل ثلاثة صباط سامين وواحد وثلاثون  
ضابطا برتبة كاتانات وليوتانت . اما الناس العاديون والجنود فقد قتل  
منهم حوالي ألفين . وكان الاحياء الناعون المرعونون يشطون الانقاض  
بحثا عن الأصدقاء والأقارب . ومرت أسابيع في دفن الموتى . اما الحكومة  
الإسبانية فقد بعثت في الحال بالامدادات والمؤونة ، ولكن الحقيقة هي  
أن الأرض استمررت في الاهتزاز مدة شهر كامل بعد الزلزال العنيف الذي  
حدث في 21 — 22 أكتوبر . مما تسبب في بقاء الجهود الرامية الى

\* — من جديد يعود ، ولد لعناصر الحارثي للعادة كسب من اسباب هزيمة الأتوميين  
وهو من الرثائل (المرحم) .

الاستعداد لمواجهة الجزائريين (١) القادمين وحلفائهم البربر . ولم يك  
ينتهي الزلزال حتى وصل الباي محمد أمام وهران لتجديد حصار المدينة .

كان الباي محمد وقواده متأكدين من أن الزلزال كان من عمل الله  
الذي يدخل إلى جانبهم في النزاع (٢) . ولكنهم عندما حاولوا  
المجوم على المدينة قابلتهم الأسبان بيران مميتة أجبرتهم على التقهقر في  
اضطراب . ثم أن الباي محمد أصبح مقتنعا بأن عليه أن يستعمل وسائل أكثر  
تدولا للاستيلاء على وهران : الحصار الضيق وعمليات التلغيم . والواقع  
أن نهاية وهران أصبحت أمرا لا شك فيه ، وهي حقيقة اعترفت بها عندئذ  
الحكومة في مدريد . وكان موت الداي المن والمريض في الجزائر قد  
حان إلى الحكم بالداي حسن ، الذي كان خزانجا أو وزيرا للنالية .  
وكان الداي حسن مستعدا للاصفا إلى العروض الأسبانية الدبلوماسية .  
وقد وقعت معاهدة جديدة في سبتمبر سنة 1791 ووافق عليها الطرفان  
أوائل شهر ديسمبر . وقد نصت من جديد على الجلاء عن وهران وإنشاء  
« حصن » إسباني في المرسى الكبير لتسهيل العمليات التجارية الأسبانية  
مع بايليك الغرب ولاستعمال المياه الإقليمية لصيد السمك . وفي مقابل  
ذلك كان الأسبان سيدفعون إلى الداي معونة مالية محددة . وفي اليوم  
الأخير من شهر فبراير سنة 1792 دخل الباي محمد ، الملقب الآن بالكبير ،  
وهران دخولا رسميا . وفي الوقت الذي دخلها فيه كانت معظم العائلات  
الأسبانية المقيمة هناك قد رجعت إلى أسبانيا . وقد أكد للسبعين عائلة  
أو نحوها الباقية بأن نمط حياتها سيتأمن معه ولن يصيبها أذى طالما  
بقيت ودية . وبعد وقت قصير أرسل السلطان تهانيه إلى الداي وإلى الباي  
على استرجاع المدينة التي طالما خضعت للاحتلال المسيحي إلى السيطرة  
التركية .

(\*) - الظاهر أن المقصود بالجزائريين هنا الإمدادات الواردة من مدينة الجزائر ، سيما  
الأراك . (المترجم) .

(\*\*) - من المصادر الإسلامية من فتح وهران الثاني : كتاب النصر الجسماني لابن  
سحنون ، تحقيق الشيخ السعدلي ، مطبوع ، تم رحلة ابن دودة وعجائب الأسفار ،  
لامس وأمس ، كلاهما مطبوع بالمطبعة ، لكن الأخير مترجم إلى الفرنسية . (المترجم) .

وباسترجاع وهران للمرة الثانية تكون الاية الجزائرية قد تمت في  
 النهاية في احراج الاسبان من المغرب الأوسط . ان القصة التي بدأت  
 باحتلال الكاردينال حيمينيز ويبدو تحارو للندن الساحلة المسند من  
 وهران الى طرابلس قد انتهت . فهي خلال تلك السوات الثلاثة تقريبا  
 حارب الاسبان الاتراك والبربر والحرب حروبا سميت بأشكال مختلفة جهادا  
 او صليبة . انها حروب دموية وقاسية دنت الثروة احيانا على المتصرين  
 . وعدت دائما الموتى بالخلاص في الآخرة . ويجب على المؤرخ ان يصف  
 سطوة المصلين ، وبالعاطفة للقصة ، وبالتاثير المأساوي ، بالاصافة الى  
 لحظات الابتهاج بالحوادث . أما الفيلسوف فقد يبال ما اذا كانت مجرد  
 حكاية شكسبير رويت من قبل أحد الحمقى ، أو درس يعلم الأجيال  
 اللاحقة أكثر فأكثر عن الأحوال البشرية وعن قضايا حكم الناس (هـ) .

---

(\*) - بمصر المؤلف بذلك عن رايه الليبرالي الواضح وموقفه ، كملوخ ، من المواقف النحكة  
 في مصر البشرية ، ( المترجم ) .

## الفصل الخامس عشر القرن الثامن عشر، بقية أوروبا المسيحية والجزائر

خلال القرن الثامن عشر كله بقيت أنكلترا وفرنسا في حالة سلام مع الجزائر . ان القوة البحرية التي كانت لدى هاتين الدولتين قد أقيمت الجزائريين انه من الأفضل لهم المحافظة على السلام . ثم حافظوا عليه ، ولكن فقط طالما كان ذلك ضروريا لاقتناع « أصدقائهم » الأقوياء ان الحرب مع الجزائر ستكون أبهظ ثمنا من الابقاء على ما يسمى بالعلاقات « السلمية » من خلال الدبلوماسية . وكانت السفن الحربية الانكليزية والفرنسية تزور مرسى الجزائر من وقت الى آخر لتسهر الداي ومستشاريه بالحقيقة ، وهي ان القوة البحرية المهيمنة كانت موحودة ، منما كان قنصلا الدولتين الكبيرتين يشرحان بانتظام بأن حكومتهما تصران على ضرورة التزام الجزائر بنصوص معاهدة السلام .

وبتقدم القرن استطاعت دول اوروبية اخرى ايضا ان تعقد السلام مع الجزائر ، وبذلك ضمت الحصانة من احتجار سفنها : الأراضي المنخفضة المتحدة ، وهامبورغ ، والدنمارك ، والسويد ، والإمبراطور ( بالذات عن أراضي المنخفضة المساوية ) ، والبندقية ، ثم في نهاية القرن جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة . ان هذه المعاهدات قد ضمنت الأمان مقابل ثمن . كانت حكومة الداي قد حصلت على حوالى ثمن الدخول من الأتاوات التي يدرها الأسبلاء على السفن في البحر ، في شكل غنائم نقدية . ورعب ان المعاهدات لم يكن من السهل المفاوضة بشأنها لأن الراس والتجار المعنيين بالأرباح من الغنائم كانوا في العادة غير سعداء

عندما يحمل علم دولة أخرى على الحصانة . ولن يكون ممبدا أن سافر  
المفاوض المحتفقه التي قادت الى هذه المعاهدات ، ولكن قصة المثال  
التي وفت في إحدى منطقات التطور في المعاهدة التي بين لأراضي المصحة  
المتحدة والجزائر في وسط القرن الثامن عشر تقدم لنا توضيحا مفيدا .

✗ في الفترة ما بين 1714 و 1720 احتجز الجزائريون أربعين سفينة  
هولندية كنائب وحوالي سبعة آلاف وخمسمائة بحار هولندي أصبحوا  
أرقاء . وإذا أخذنا في الاعتبار حجم الأسطول الهولندي التجاري فإن  
هذه الأرقام لا تدل على خسائر كبيرة . انه يمكن أن تكون حتى الخسائر  
من المواقف ومن أخطاء الربانة تعادل ما حدث من خسائر مالية . غير  
أن هذه الخسائر كانت خطيرة في نظر التجار وملاك السفن الذين فقدوا  
تقودهم ، وكذلك في نظر العائلات التي فقدت الرجال ، بالإضافة الى  
البخارة أنفسهم الذين أصبحوا أرقاء . وهناك مشكل آخر كان يزعج  
ملاك السفن الهولنديين ، وهو أنه طالما كانت السفن الهولندية تواجه  
خطر الاحتجاز ، فإن التجار الأجانب كانوا مترددين في أن يعهدوا  
ببضائعهم وأشخاصهم الى السفن الهولندية ، وهذا يعطي الفرصة لحركة  
السفن الانكليزية والفرنسية .

كان أول اقتراح بانهاء هذه الهجومات الباهظة هو بناء أسطول بحري  
هولندي ، ( للقرصنة ) لمحاربة الجزائريين . وقد قدمت عريضة بهذا  
المعنى الى البرلمان Estates General تصر على أن أسطولا من ست  
سفن حربية ، ثلاث ذات خمسين مدفعا ، وثلاث ذات أربعين مدفعا ،  
يمكنها أن توقف الغارات الجزائرية عن طريق حصار مضيق ، وثمن هذا  
المشروع هو 383 و 400 فلورة في السنة . ولم يتحقق شيء من هذا  
الاقتراح . ولكن السفير الهولندي في اسطنبول حاول في السنة الموالية  
أن يحصل على مساعدة الباب العالي لعقد معاهدة مع الجزائر ، كما قام  
القنصل الهولندي في ازмир باتصال مع بكير ريس ، وهو أمير بحر  
( أميرال ) الطائفة الجزائرية ، وهو الاتصال الذي أغنى الأخير غنى



كبيرا (\*\*) . ونتيجة لذلك حث السلطان الداي على النظر في السلام مع الأوراسي المحصنة ، وقد نسي بكير رايس على الاقتراح . وعندما وافق الداي على استقبال بثة هولندية ، أخبر ( أي الداي ) القنصل الفرنسي بأن القرآن يحتم عليه أن يسمح إلى أية دولة « تطلب » السلام .

وصلت أمام الجزائر ست سفن حربية بقيادة وكيل أمير البحر . وقد عين الداي رقيقا من أصل فلاماندي ليكون مترجما . وعندما تقدمت المفاوضات أصبح من الواضح أن معرفته للغة التركية كانت بدائية . فقد كانت المفاوضات لا تسير إلى أي هدف . وفي هذه اللحظة ظهر أيضا في الجزائر السفير الفرنسي الجديد في الدولة العثمانية وهو داندريزيل d'Andrezel الذي جاء على ظهر باخرة حربية لمناقشة القضايا المعلقة بين الجزائر وفرنسا . وأثناء تبادل الزيارات سأل وكيل أمير البحر الهولندي السفير إذا كان يمكنه استمارة السيد لينوار Lenoir ، المترجم الفرنسي ، فوافق داندريزيل على ذلك بسرعة وأعلم لينوار أن يبقه على اطلاع حول سير المفاوضات . لقد فهم الفرنسيون أن السلام بين الجزائر والهولنديين سيضعف من نشاط التنافس الهولندي في ميدان التجارة . وكانت « ترجمات » لينوار صحيحة ومع ذلك فإن المفاوضات انقطعت . ولكن لينوار لم يكن العامل الوحيد في قطع المفاوضات . فقد كانت هناك شكاوى من الرياس ومن غيرهم من أن السلام سيقضي على مشروع اقتصادي هام ، وهو الاستيلاء على الثنائيم الهولندية . ثم أنه في لحظة حرجية ظهرت سحب من الجراد في سماء الجزائر ، وقد أكد المرابطون للأهالي بأن الله كان يتكلم ضد أي سلام مع الهولنديين (\*\*) .

(\*) - واضح أن المؤلف يعتمد أن الهولنديين قد رشوا بكير رايس لكي يسمح في السلام بين الجزائر وهولندا وقد ألح المؤلف كثيرا في كتابه على ظاهرة الرشوة هذه كوسيلة فعالة استعملها الأروبيون للوصول إلى أغراضهم من حكام الجزائر . ( المترجم )

(\*\*) - إذا صح هذا فإنه يدل على مكانة المرابطين بين الكبار ، ولكن المعروف أن الحكام كانوا يتوددون إلى المرابطين لكسب تأييدهم في القضايا المهمة . انظر مثلا « أوسع رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء حاية » في كتابنا « تعاريف الأدب والرحلة » . وكذلك قصر : المرابطون والطرق الصوفية في كتابنا « تاريخ الجزائر الثنائي » ج 1 . ( المترجم )

ان فشل المفاوضات جاء في النهاية من « سوء تفاهم » حول شروط  
 المعاهدة . فالداي طلب حشيشا وستة مدافع برونزية وستة حديدية .  
 وأربعة عشر ألف كورة للمدافع ، وألف قطار من البارود ، وألف وأربعمائة  
 بندقية ، وألف وأربعمائة سيف . كان وكيل أمير البحر الهولندي ، الذي  
 كانت لديه تعليمات بعدم الموافقة على الدفع في شكل معدات حربية .  
 يعتقد ان لديه اتفاقا قديما مع الديوان ينص على تقديم هدية من أربعة  
 آلاف ماسر كل سنة لمدة ست سنوات . وكان لينوار منبها للوضع  
 فاقترح أن يشرح للداي بأنه كان قد أساء الفهم . وقد ادعى الداوي انه  
 كان غاصسا . فعرض عليه وكيل أمير البحر الهولندي بأن يرفع الدفع  
 الى ثمانية آلاف ماسر . فرد عليه الداوي بأنه لا هو ولا سلفه قد قبلوا  
 الدراهم أبدا ، وأن فعل ذلك يعتبر اخلاقا بالشر . فأبحر وكيل أمير  
 البحر الهولندي مبتعدا بدون معاهدة ، ولكن لس قبل أن يؤكد للسفير  
 الفرنسي داندريزل بأن السفير الهولندي في فرساي يشكر الملك الفرنسي  
 على المساعدة الفرنسية في الجزائر . وبعد سنوات قليلة نجت بعثة  
 هولندية أخرى في الحصول على شروط وضعها الداوي ، وهي : كميات  
 كبيرة من المعدات الحربية في شكل هدايا . وقد استنكر القنصل  
 الفرنسي والانكليزي كلاهما المعاهدة الهولندية ، على أنها  
 غير أخلاقية ومخلّة بالشرف . فقد كان الهولنديون يموتون  
 الجزائريين بالمعدات الحربية لمساعدة الدول التجارية المسيحية الأخرى .  
 لا وحب أن نلاحظ أن الدانات المتأخرين لم يحدوا صعوبة في قبول الاتاوة  
 نقدا ، فقد دفعت البندقية . من أجل السلام ، 22ر000 سكبينة ذهبية  
 اتاوة سنوية من 12ر000 سكبينة ذهبية . ودفعت جمهورية الولايات  
 المتحدة القشة 642ر500 دولار واتاوة من 21ر600 دولار ، في شكل  
 معدات بحرية . كما دفعت كل من هامبورغ والسويد والدنمارك وناولي  
 أيضا كميات وافرة من أجل الحماية .

وبينما كان شراء الحماية يعطي في العادة اجراء من الأمن لتجارة  
 البلاد التي تدفع « الاتاوة » فإن الأمر لم يكن كذلك في كل الأحوال  
 فقد حاول الرئيس ، الذين وحدوا ضحاياهم الممكنين قد انحصروا فقط

في أولئك ايام برغموت الاعلام الاسبانية او البرتغالية او الدول الاطلي  
الصغيرة ، أن يحدوا أي غير للاستلاء على السفن كمنهم اذا كانت سود  
الى تلك الدول التي كانت تصافى سلام مع الالة . وقد كان غالبا من  
الصف الحصول على تمويل ذي مال اذا كان الأمر يتعلق بدولة صغرى ،  
بل حتى ولو كان يتعلق بالامبراطور باعتباره حاكم الاراضي المنحصصة  
النمساوية . وكان الملك الدنماركي قد قرر في احدى المرات أن يستعمل  
القوة ، ولكن الأسطول الصغير الذي استطاع أن يرسله الى الجزائر لم  
يستطع أن يقترب بما فيه الكفاية . لكن تصب قتال مدافعه المدمرة ،  
فما باللك في جعلها تتسبب في اصرار الالة ، وكانت مواخره الحربية غير  
قادرة على أن تحاصر أي واحدة من السفن الجزائرية المسلحة بالثسكات  
ذات السرعة والخفة الفائقة . لقد كانت المحاولة الدنماركية نكسة أوجت  
في الجزائر بنظم الشمر الساخر . وأوجت كذلك بعض الانتهاج من قل  
القناصل الآخرين في المدينة .

ان تجربة جمهورية الولايات المتحدة الفتة كانت أسعد حظا من تجربة  
المملكة الدنماركية ، ومن ثمة يجب أن يكون لها مكان أكثر اتساعا في هذا  
التاريخ ما دام من الصعب على مؤرخ أمريكا الشمالية الذي يكتب عن  
الجزائر أن ينسى ان فرقة البحارة ( المارينز ) للولايات المتحدة ما تزال  
تنشد عن انتصاراتها نشد « على سواحل طرابلس » . أو أن أول أسطول  
بحري للجبهة ربة الفتة قد أنشأ ، وفي الذهن البحارة الجزائريون ( \* ) .  
لقد كانت السفن المطلقة من المستعمرات الانكليزية ترفع العلم الانكليزي .  
وباستثناء فترة قصيرة جدا خلال القرن السابع عشر عندما لم يفهم  
الجزائريون لماذا كانت السفن القادمة من « المزارع الأمريكية » لم يكن  
لها جوازات السفر المناسبة . فان المعاهدة الانكليزية - الجزائرية كانت  
تغطي النقل البحري من منعم انكلا أيضا . وفي سنة 1783 ،  
عندما كان السلام بين كوتفدرالية الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا  
ما يزال يكتب ، حاول الأمم تكون . بدون نجاح ، أن يحصلوا على نص

\* - نشر المؤلف ان نسبة البحارة البحرية من التي حملت لأمريكيين ممنوعون  
البل لواء أسطول بحري قوى بنظم الوقوف من وجه لأسطول البحار في يد من  
احرار طلمه امريحة .

يتضمن لهم استقرار الحماية الانكليزية لتجارهم في البحر الأبيض ، ان  
 هذا القتل لم يكن سوى جزء من المشكل الذي واجه المصالح التجارية  
 للجمهورية الغنية . لقد كانت الأسواق الانكليزية والفرنسية التي تعميها  
 ترميمات تجارية - كانت على الصوم مغلقة في وجه الأمريكيين ، بل حتى  
 في الغرب الهندي (West Indies) لم يكن من السهل على التجار من  
 الجمهورية الجديدة ان يقيموا علاقات تجارية مرضية . غير ان هناك  
 منطقة لم تكن مغلقة في وجههم هي الاوطان المشرقية التابعة للسلطان  
 التركي . ولكن عندما ظهر العلم المرصع بالنجوم ( علم أمريكا ) في مياه  
 البحر الأبيض ، أصبح غنية شرعية في نظر رياس شمال افريقية . وقد  
 ازداد المشكل حدة أوائل التسعينات من القرن الثامن عشر عندما عقدت  
 كل من أسبانيا والبرتغال السلام مع الجزائر ، ومن ثمة سمح لفسن  
 البحارة الجزائريين بالتجوال في المحيط الأطلسي حيث وجدوا من جديد  
 سفن الولايات المتحدة . وقد نصح السفير الأمريكي بلندن ، جون آدمز  
 J. Adams ، بـ « شراء » الحماية كما فعلت الدول الصغيرة  
 الأخرى . أما توماس جيفرسون Jefferson ، السفير الأمريكي في  
 باريس ، فقد حث على انشاء أسطول بحري لفرض احترام العلم الجديد .  
 ولكن الكونفدرالية لم تكن قادرة على تلبية أي من الاقتراحين بنجاح .  
 وما دام الواقع هو أن الأسطول البحري لا وجود له فقد أصبحت  
 محاولة « شراء الحماية أمرا محتما ، ولكن أول بعثة أرسلت الى شمال  
 افريقية ( الجزائر ) للتفاوض لم يكن لديها سوى 80000 دولار . وقد  
 عبر داي الجزائر عن إعجابه بالجنرال واشنطن ، بل انه طلب صورته ،  
 رغم ان الدراهم لم تكن كافية للتأثير عليه . وعندما نص الدستور الجديد  
 للجمهورية الفدرالية على وجود حكومة في مقدورها فرض الضريبة  
 ( على الأمريكيين ) ، وضع وزير الخارجية جفرسون ، خلافا لنصيحته  
 الأولى ، ثمانمائة ألف دولار ( 800000 ) لمدية الارقاء التابعين للولايات  
 المتحدة وشراء السلام . وقد كلفت المعاهدة التي وقعت سنة 1795 ،  
 642500 دولار بالإضافة الى ائدة سنوية في شكل معدات بحرية .  
 وفي السنة الموالية وسعت هذه المعاهدة لتشمل هدية لسفينة من نوع فرقاطة  
 ذات ستة وثلاثين مدفعا ، ويبدو ان الثمن كان باهظا ، ففى سنة 1799

مرت حوالي ثمانين سنة باسمه للولايات المتحدة في سلام الى البحر الاسمر  
للبحارة مع الدولة العثمانية . وكانت هذه السفن مصنوعة من الاسواق  
الاسكتلندية والفرنسية معا .

وهناك هامش عرب نقصية هدية السيفه العرفاطية . فعندما سلمت  
الجزائريين لاحطوا انهم لا يملكون سفينة شبيهة لها ، في القدره على  
الامصار . فامر الداي مائتين آخرين ، على حابه . ولكن عندما اصبح  
جيفرسون رئيسا رفض السماح تسليم العرفاطيين كما رفض ايضا ارسال  
المعدات الحربية (\*\*) في شكل اتاوة . ان حصونه نحو المصالح التجارية  
المتنافسة مع دائرته هو الزراعة جعلته معاديا ايضا للأسطول البحري  
وللاتاوة من أجل التوسع التجاري ، ولكن عندما هاجم الجزائريون السفن  
التجارية للولايات المتحدة ، كان جيفرسون هو المسؤول على بناء سفن  
العرفاطيات الشهيرة التي حاربت ، فيما بعد ، في حرب سنة 1812 (\*\*\*) .  
وفي المراسلات التي دارت بين آدمز وجيفرسون خلال السنوات الأخيرة  
من حياتهما نجد ان جون آدمز يذكر فضل جيفرسون على انه هو اب  
الأسطول البحري للولايات المتحدة .

واعظم انتصار بحري مذهش ضد دول شمال افريقية حدث بعد ان  
أطلقت معاهدة غانت Ghent القوات البحرية للولايات المتحدة للتحرك  
ضد دول « القرصنة » . فقد دخل ستيفان ديكاتور Decatur الى البحر  
الإبيض على رأس أسطول صغير من ثلاث سفن وقابل وحارب أمير بحر  
الأسطول الجزائري في يونيو سنة 1815 . وعندما انتهى الاشتباك كان  
أمير البحر ، وهو الرئيس حميدو (\*\*\*) وكثير من رجاله موتى  
وحوالي خمسمائة من البحارة الجزائريين والانكشارية كانوا أسرى .  
ثم توجه ديكاتور الى مدينة الجزائر حيث أعلن نتائج اشتباكه . ولم يكن  
الجزائريون بصدقون ان أكثر أمراء بحارهم شهرة وأكثرهم شعاعة كان

(\*) - كذا ، يذكرها المؤلف بآراء معداة حمسة ودره معداة بحرية . المترجم .  
(\*\*) - لعل المؤلف يشي بذلك الى الحرب التي حرت بين أمريكا وبريطانيا في هذه  
السنة (1812) . المترجم .  
(\*\*\*) - كتبه المؤلف حمادة Hamada المترجم .

قد حزم وصل ، ولكن ديكلود أطلق عددا من الأسرى ، المصريين ،  
الذين أكدوا القصة . وكانت الشحة معاهدة جديدة بين الجزائر وولايات  
المتحدة تضمن الحرية لتجاره الولايات المتحدة دون دفع اناؤه (1) . . .  
السنة الموالية جاء اللورد اكسموث Exmouth الذي قصى عليها عمل  
المؤسسة الحرية الجزائرية بعاره مباحة . ورغم ان الجزائريين استطاعوا  
ان يستمدوا الى حد ما قوتهم فانهم لم يعودوا ابدا يشكلون تهديدا  
لتجاره الولايات المتحدة .

ومن نتائج المعاهدات الموقعة مع الدول الأوروبية الصغيرة مرور الهيئة  
القنصلية في الجزائر بتغيرات هامة . ففي القرن السابق ( السابع عشر )  
كان قناصل الفرنسيين والانكليز والهولنديين هم الوحيدون الممثلين في  
الجزائر . وكانوا غالبا ما يظلون في مكاتبهم القنصلية حتى عندما تكون  
حكوماتهم في حالة حرب مع الايالة ، ولكن حبواتهم وطرق معيشتهم كانت  
في الغالب صعبة جدا . أما في منتصف القرن الثامن عشر ، عندما توسعت  
الهيئة القنصلية لتشمل أغلب الدول الأوروبية التي لها اتصالات تجارية  
في البحر الأبيض ، فان القناصل أصبحوا في الواقع أشباه سفراء  
(quasi-ambassadors) وتطورت فيما بينهم روح التضامن المهر  
esprit de corps . وأحيانا كانت انكلترا وفرنسا في حالة حرب ضد  
بعضهما ، ولكن ذلك لم يمنع قنصليهما من الانضمام الى كامل الهيئة  
القنصلية للاحتجاج على سوء معاملة واحد منهما .

ولدينا صورة وافية عن هذا التضامن بين أعضاء الهيئة القنصلية خلال  
منتصف القرن الثامن عشر وذلك في المذكرة التي كتبها القنصل الفرنسي  
لومير ، ثم في مرحلة لاحقة ، فيما كتبه الباحث الفرنسي دي بارادي  
de Paradis . ان هذه الملاحظات مدعومة بالمعلومات المستخرجة من هنا  
وهناك من المراسلات ، تسمح لنا بأن نرى أعضاء هذه الهيئة القنصلية  
في شكل متنوع . فقد كان عدد منهم مدمنا لسرب الخمر ، ولعل ذلك

1 - ان الفصل عمل يتناول باختصار العلاقات بين الولايات المتحدة والولايات الشمال  
الرقبية يوجد في كتاب جيمس ا . فيلد J A Field الذي عنوانه ابريك  
وعالم البحر الابيض المتوسط ، 1776 - 1882 ، برستون ، 1969 .

يعود حثيا الى خلفيت بيتانهم . فأحد القناصل الإنكليز كان رجلا لا يمكن لأحد أن يمهّد له سبيل من الأسرار لأنه كان في العادة ملازما لكأسه . وكان مصمم ممجبا بمسه الى حد المرور ، فكان يظن أنه أكثر ذكاء . وأفضل اطلاعا مما كان عليه فعلا . وكان أحد القناصل الهولنديين المتكبرين قد ميز نفسه على أنه مرجع فيما يتعلق « بالأساسة العليا » لأنه سبق له أن عاش في باريس وأسير في فراه « المازيت Gazette » . وكان أيضا متزوجا من ابنة القنصل السويدي الذي هو تاجر ذو نفوذ كبير على الداي نظرا للعطايا التي كان يمثيه إياها . ومعظم القناصل الفرنسيين وبعض القناصل الإنكليز كانوا رجالا متمسكين للعمل القنصلي ، بينما كان آخرون تجارا ، وغالبا ما لم يكونوا رعايا للملك الذي من المفروض أنهم كانوا يشعرون . وكان أحد القناصل الفرنسيين ، وهو ابن « لقنصل فرنسي سابق ، قد عاش في الجزائر صبا ، وكان يتكلم لغات الأقاليم بطلاقة . أما القناصل الذين لا نشتمون بهذه التزينة فقد كان عليهم أن يعتمدوا في الاتصالات على مترجميهم .

وبنهاية القرن أصبح حوات هؤلاء القناصل أقل عروسة للحطير . فقد سمح لهم بمعادرة البنايات القنصلية حيث كانت تتم جميع الاعمال ، وأن يسكنوا في مغاني ( قنصلات ) خارج المدينة حيث الحدائق تعطي نوعا من الرشاقة لمعشتهم . كما تطورت أيضا حياة اجتماعية بين القناصل والتجار الأوروبيين من جهة وبين بعض الراس الأكثر تمدنا ، والمسؤولين الأتراك ، وأغنياء السكان من الكراغة والبلدية ( الحضر ) في المدينة ، من جهة أخرى . ولكن معظم المسؤولين الأتراك بقوا خارج هذه الدائرة .

ومن بين أكثر أعضاء هذه الجماعة ، (\*) أهمية تاجر يدعى جورج لوجي Logie ( أيضا Logier, Legier ) والذي ظهر أول مرة في الجزائر يقود سفينة تجارية ترفع العلم السويدي . وكان لوجي هو الذي فاوض على معاهدة السلام للسويد ثم أصبح قنصلا سويديا . وقد

(\*) - عن هذه الشخصية نرى ما كتب عنه في مقالنا من النشاط المصري والتجاري للجزائر في القرن 18 م من المجلة التاريخية القريبة ، عدد 33-34 (أبواب -



استطاع ان يشري عددا من السفن المحتجزة التي كان يفودها تحت العلم السويدي كتاجر وكوكيل تطاري عام للداي . وفي إحدى مراحل حياته كان لوجي يطمح الى ان يصبح قنصلا لانكلترا ، وحصل على تأييد الداي لترشحه . وقد طرد الداي القنصل الانكليزي بحجة من السجج ، ولكن عندما ظهر امير البحر كفافدينس Cavendish أمام الحرائر على رأس قطعة من الأسطول ومعه اليد بلاك Black الفصل الانكليزي ، تراجع الداي وسمح للفصل الانكليزي بالرجوع . ومع ذلك فان مكانة لوجي لم تنس بسوء كثيرا . فقد كان الداي معتمدا عليه في ادارة كثير من الأعمال ( بيزيس ) التجارية للايالة ، وكان هو يقدم للداي ووزرائه هدايا مناسبة . وبجربنا ليوار Lenoir بان الداي كان في الواقع لا يحب بل يخاف هذا القنصل السويدي ، ولكنه كان كثير الاعتماد على خدماته فلم يقطع علاقته معه . وكان لوجي هو والد زوجة القنصل الدنماركي ، وكان عدد من القناصل الآخرين معتمدين على خدماته أيضا . ولم يضاهاه أحد في سلطته الا رجال المال واليهود في مرحلة لاحقة ، الذين جعلوا أيضا أنفسهم لا غنى عنهم للداي ولحكومته .

ان جهود لوجي في جعل نفسه قنصلا انكليزيا توضح اختلافا بين التعميمات الفرنسية والانكليزية . ففي القرن الثامن عشر كان القناصل الفرنسيون أناسا عاديين لهم تجربة في النظام القنصلي ، وكانوا غالبا أناسا لهم معرفة باللغة التركية حصلوا عليها من المشرق قبل ظهورهم بالجزائر . ومن جهة أخرى كان ( القناصل ) الانكليز في الغالب تجارا مقيمين في الجزائر ، أو تجارا لهم مصالح هناك . وكان هذا تحولا من السياسة التي تم بشأنها الاتفاق في منتصف القرن السابع عشر بعد اتهام عدد من التجار - القناصل ، بأنهم كانوا السبب في الحرب بين أنكلترا والجزائر . ونتيجة لهذا الاجراء المتغير ، فانه حتى الداي حاول أحيانا ان يختار بين الخلفاء الموجودين لقنصل انكليزي ماب أثناء أدائه الخدمة ، وكانت الحكومة في لندن في الواقع قد قبلت في عدة مناسبات اختيار الداي . وربما كان من نتائج هذا ان القنصل الانكليزي كان في الغالب في حالة سوء تفاهم مع التجار الانكليز المقيمين في الجزائر الذين لم يترددوا في التدخل في الأعمال القنصلية مع الداي ، أو يكتبوا رسائل شكوى



سد القنصل الى لوزراء في لندن . وقد لاحظ احد القناصل الانكليز  
بان سلوكا كهذا من قبل تاجر فرنسي كان يسج عنه استنفاذه في العاد  
الى فرنسا . ذلك ان الفرنسيين كانوا مشتهرين اكثر من اية دولة من  
الدول الأخرى .

وبينا كانت حياة قنصل ما في القرن الثامن عشر بالجزائر اكثر امانا  
من حياة زميله في القرن السابع عشر ، فان القنصل كان ما يزال يواجه  
مشاكل مع البحارة الجزائريين ومع الداي ، بالرغم من أن معاهدة سلام  
وحماية قد تضمن أمن النقل البحري لهذه المملكة . ومن بين المشاكل  
التي استمرت في الظهور ، فشل الراس الجزائريين في اظهار علمهم الحقيقي  
لا بعد طلبهم حق الصمود الى ظهر السمية ومحض حملتها . فكان ريان  
السبية غير متأكد من انه كان يتعامل مع راس جزائري أو مع فرسان  
من سلا (\*) . ذلك ان قراصنة سلا كانوا ايضا يرمون اعلاما مزيفة  
حتى اللحظة الأخيرة . فادا كان لدى الريان موه تارية كافية تجعله يأمل  
في الانتصار فانه قد يجيب الطلب بقنابل المدافع . والنتيجة : انه اذا فشل  
في صد البحارة عنه ، فانه سيحمل الى الجزائر ، وقد يحبس قنصله ،  
وقد يحاول السكان حتى محاكمة الريان والقنصل معا . وقد قال احد  
القناصل الفرنسيين عن هذا الوضع بأنه « كابوس » بالنسبة له ولموظفيه .  
وكان القناصل الآخرون يواجهون نفس الاخطار ، ولم يكن أمرا سهلا  
أن تلتفت مشاعر الداي « الجريحة » ، أو نهديء من غضب أصدقاء  
وعائلات الجزائريين الذين قتلوا في الاشتباك ، كما كان صعبا في نفس  
الوقت أن تنقذ السفينة المتهمة وطاقمها .

وهناك مشاكل أخرى متصلة بحق « الزبارة والتفتيش » كانت مسجلة  
في معظم المعاهدات . فقد كان على ريان السفينة أن يحمل معه جواز  
سفر ، ولكن الراس وكتبه لم يكونا غالبا قادرين على قراءة اللغة

(\*) سلا مدينة معروفة بالسرقة الامني . والمولاي ، كما سبق له ، فرق بين النشاط  
البحري والقرصنة ، وقد اعتبر افعال الجزائريين من النوع الأول لذلك سمى بهم  
بحارة corsairs و غير افعال السلاويين قرصنة ولذلك سماهم pirates  
( المترجم )

الانكليزية او الفرنسية ، مما يالك باللعنات الاروية الاخرى . وميعة  
 بذلك كان العمل يجري بمقاربه طول السطوح على جوار البحر بالسطوح  
 الموجودة على سطح الرايس . فاما لم يوافق السطوح اعلی بان جوار  
 البحر كان مرورا واحتجزت السعيه . وقد جرت العادة ان الفصل  
 في امكانه ان يطلق السعيه عندما ياتي الى المرسى ، ولكن غالبا ما يكون  
 جزء من العمولة قد « فقد » . كان الجزائريون يكرهون تسليم السعيه .  
 وكان الداي يفر ان فرار بحري السعيه فرار غير محبوب ، وبعد  
 حادث كهذا كب احد الفاصل اليائسين . « ... ان الشره غير العادي  
 من اجل التعود هو الذي يعود هؤلاء البرابرة . انه يجعلهم يشعرون العدل  
 وينكثون بالعهود ... » . ثم اضاف بان « الداي كان كالحوان المفترس  
 لا يفكر الا في مصالحه الجسيمة الخاصة » .

وبالاضافة الى ذلك يوجد مشكل يشكل خطرا خاصا على الفصل  
 الفرنسي وموقفه . وهو ناجم من كون الحجاج الجزائريين والمسوحين الى  
 سكه وكذلك اعيان الجزائريين او الأبرك الداهيين الى المشرق كانوا عاما  
 يسافرون على سفن فرنسية . وفي عدد من المرات كان البحارة ( الفراصنة )  
 الاسبان او المالطيون ، يتعرضون لهذه السفن ، ويحملون المسافرين  
 المسلمين وبضائعهم . الى موابي مسيحية . كاذ الحجاج يباعون في سوق  
 الرقيق . وكانت بضائعهم تصادر . وكلما حدث شيء من هذا كان القنصل  
 الفرنسي في خطر ، فلم يكن من السهل اقناع الاسبان بتسليم المسافرين  
 المسلمين ، كما ان اعادة ملكائهم كان أمرا مستحيلا . وفي عدد من  
 الماسبات كان الملك الفرنسي يقوم براء هؤلاء المنكوبين وبعيدهم الى  
 الجزائر . وله « بفضل » الحكومة الاسبانية الا في ماسة واحدة باطلاق  
 سراح الأسرى الذين كانت من قبل قد رفض الطلب الفرنسي بشأنهم .  
 وذلك عندما كان الاسبان يأملون في تلك اللحظة في الحصول على معاهدة  
 سلام مع الجزائر وكان تفضلهم قد أدى الى ان يفقد القنصل الفرنسي ماء  
 وجهه .

ان المشاكل المتصلة بفرار الارقاء كانت دائمة موجودة في جميع  
 تعارب القناصل الأوروبيين في الجزائر . لقد كان الارقاء طبعاً من الممتلكات

ولم يارح الدول الأوروبية في شرعه للملكية . وكانت الاضطرابات موجهة الى القنصل والتجار الأوروبيين ورياسة السفن بعدم مساعدته الارقاء على المزار . ولكن اذا استطاع أحد الشبانين الممراء أن يسبح الى ساحة راسية في عرض المرسى فانه ليس من السهل اعاده الي مالكه القديم لكي يواجه موبيا محظوظ . ومع ذلك فان المالكين والداي وكذلك الديوان ، كانوا ينظرون الى هذا التصرف على انه لصوصه ، وانه شاهد على أن الأوروبيين لا يحترمون نصوص المعاهدات . وحتى عندما استطاعت جماعة صغيرة من الارقاء أن يغفلوا مركبا ويبحرون فيه نحو ( حريرة ) ميورقة فان القنصل الفرنسي أصبح يواجه اتهامات خطيرة . وعندما استطاعت جماعة أخرى أن تتغلب على طاقم صغير متروكا على السطح ، بينما كان معظم زملائهم يستمتعون بـ « مسرات » الجزائر ، فان القنصل الفرنسي قد اتهم بأن له يدا في كل ما حدث . ان هذه الحوادث كانت باستمرار تثار وتراجع كلما جاء القناصل الأوروبيون باتهامات ضد الجزائريين على انهم لا يحترمون موافيقهم .

ومصدر آخر للنزاع الدائم خلال القرن الثامن عشر بين الداى والعصر الفرنسي والانكليزي ظهر من كون كثير من السفن التي ترفع الاعلام الانكليزية أو الفرنسية كانت في الواقع تحمل أناسا . بل وكان تقودها أناس ، ليسوا بكل وضوح أنكليزا أو فرنسيين . فبعد سنة 1715 كانت قواعد أنكلترا في منطقة البحر الأبيض مراسي عسكرية وتجارية هامة ، وكان من الواضح ان سكان هذه القواعد كانوا أناسا ذوي أصول اسبانية أو ايطالية . وكان في استطاعة هؤلاء الناس الا يحصلوا علم ملك أنكلترا ولا يتكلموا باللغة الانكليزية . ولكن عندما كان الرباس يوقعون سفن هؤلاء الناس . فان الجزائريين كانوا يفترضون أنهم كانوا يحاولون فقط تضادي الاحتجاز . وكانت القضية الفرنسية محسنة الى حد قليل . ذلك ان كثيرا من السفن التي تحمل علم الملك الفرنسي كان عليها ويقودها أناس من مواليد شواطئ البحر الأبيض المسد من مرسيليا وليفورنيا . وكان من الشائع ان الرباس يوقعون سفينة ترفع العلم الفرنسي ولكنها تحمل أناسا كلهم من جنوة . فكان القناصل في الجزائر يواجهون بالادعاء بأن العلم والتسجيل كان مجرد

صحة . لقد كانت هذه حالات صعبة ، فكان الفصل الفرنسي عاليا .  
يسلم في المصفاة التي لها علامة بالصليب ، وكان الفصل الاسكتلندي  
يحاول احداث دفع الداي بان المصفي في جبل طارق او مرسى ماحور كما  
حققه رعايا من رعايا ملك انكلترا .

ومشكل آخر كان يزعج فاصله المرد الثامن عشر جاء من كون النصارى  
اليهود المقيمين في الجزائر قد احرروا على تأثير كبير لدى الداي واسمحوا  
بشكلون ماسة خطيرة بالنسبة للتجار الفرنسيين . لقد أصبح الداي مضطرا  
على عدد من هؤلاء التجار اليهود من اجل المساعدة المالية وفي مقابل ذلك  
سمحهم امتيازات عظيمة . وكان هؤلاء التجار يهودا « أروبيين » ، ولم يكن  
عليهم ان يلبسوا بالطريقة التي يطهر بها اخوانهم في الدين الافريقيين ، كما  
ان ثقافتهم ونظرتهم الاقتصادية كانت قد تشكلت باتصالاتهم مع التجار  
اليهود في أوروبا . وكان القناصل الفرنسيون قد قاوموهم مقاومة تنكاد  
تكون عسيرة ، وكانوا يحثون ملكهم على اصدار قوانين تمنع هؤلاء اليهود  
المحظوظين من التجارة في الموانيء الفرنسية ، ولكن بدون جدوى .  
فقد كان للتجار اليهود اتصالاتهم ، وكانوا يتعاملون في البضائع التي  
تحتجز كغنائم ، بالإضافة الى الانواع العادية من التجارة ، وكانوا ضروريين  
بالنسبة لحكومة الداي . وعلى أية حال ، فاذا كان هناك من يشك في  
قدم او في عمق العواطف الأوروبية المعادية لليهود ، فعليه ان يقرأ مراسلات  
القناصل الفرنسيين من الجزائر خلال القرن الثامن عشر .

وقد سبب التجار المسيحيون أيضا اضطرابا ونزاعا . ومن القضايا  
الصارخة قضية التاجر الذي قبل عنده تخزين بضائع تعود الى الداي  
على وجه الأمانة ، ثم استطاع ان يخلص منه ليس من الأرباح فقط  
بل من رأس المال أيضا ، وهناك حالة أخرى وهي حالة التاجر الذي كان  
مدينا للداي بمبلغ كبير من المال ثم مات بدون موارد . وقد كان الملك  
الفرنسي مضطرا لتعويض الخسائر لكي يتفادى صعوبات اضافية . وكان  
لهذا التصرف مبررات ، لأن حكومة الملك الفرنسي قد أقامت شروطا  
وتنظيمات خاصة بالموانيء وحددت واجبات التعريف الجمركية التي جعلت  
من المستحيل عمليا على التاجر المسلم أن يتاجر في الموانيء الفرنسية .

وهكذا فان الجزائريين لا يستطيعون في الواقع ان يفتلوا باسمهم حولا لهم  
من الصوف والجلود والشمع والتسمع واسفل وغيرها من مثل هذه  
الصائع الى السوق الفرنسي . لقد كانت التجارة كلها في ايدي اليهود  
او في ايدي الفرنسيين . وكانت تلك شكوى شرعية من قبل الجزائريين ،  
لان تنظيمات المياه كانت معهم علما من التجارة مع اوروبا حتى في  
سموم الخاصة .

وكانت المراسيم ( البروتوكول ) ايضا مصدرا للضغوطات . فقد كان  
الجزائريون يشكون من ان السفن الحربية الفرنسية الانكليزية عالى  
ما كانت لا تحييم التحية المناسبة . بحلول القرن الثامن عشر كانت  
التحية في البحر قد أصبحت طبقا محددة ، والفصل في ادائها كاملا  
الى آخر جزئية من تفاصيلها يعتبر اهانة . ونفس الشيء يقال عن انماط  
التحية بالنسبة للسفن الحربية . وامراء البحر ، والقامل ، وربابشة  
السفن العادية في المرسى . وكانت السفن الحربية تحيي المدينة حين تدخل  
مياه المرسى خارج الجزائر ، وكان من المتوقع ان مدافع المدينة ومدافع  
الرصيف البحري ( المول ) سترد التحية . وادا ارسل أمير البحر اشارة  
الى الشاطئ ، للتفاوض ، فان عليه ان يكون متاكدا من ان ( المول )  
قد حيا رجاله التحية المناسبة والا فانهم لن يزلوا على الشاطئ . وادا  
كانت قطعة الأسطول التي وصلت تحمل سميرا فان التحية يجب ان تكون  
مختلفة عن بحلة مبعوث عادي . فلتفصل خمس طلقات مدفعية ، ولتغير  
الملك احدى عشر ، وليس من الممكن الاتفاق دائما على عدد الطلقات  
التي يجب اطلاقها ، فكلما الجابيين كان لا يريد تحمل الاهانة . فاذا أصبح  
المراء بحضرة الداي ، فان هناك مشاكل أخرى تنجم : واكثر هذه المشاكل  
الحاجا تطورت من اصرار الداي على وجوب تقبل يده من قبل القنصل .  
ولم تكن هذه العادة حارة في البلاطات الأخرى . غير ان رفضها قد  
يؤدي ، وقد أدى فعلا ، الى توترات . وهناك قضية أخرى مردها حق  
القنصل في حمل سف . واثناء اليهود الأولى لم يكن ذلك أمرا ملحا  
لان معظم القناصل كانوا من التجار الذين لم يكونوا يحملون في العادة  
سيوفا ، ولكن بحلول القرن الثامن عشر عندما كان القناصل ينظرون  
الى أنفسهم على أنهم « شبه سفراء » وكان كثير منهم في الواقع رجالا

مسير نوحهم المدفوعة ، فان السيف كان رمزا للمسيح .  
دلت هذه الدلائل كانوا لا يريدون أي سلطة في مرفأ المجلس .  
ولم يرحلوا كانوا مجبورين على ترك أسلحتهم عند الباب ، وكذلك  
أما على الفصل الأوروبي ، ان المصالح قد ربحوا القصة عادة  
تقبل الد ، ولكنهم خسروها بالنسبة لحقهم في حمل السيف .

ورغم كل هذه المشاكل فانه لا مرفأ ولا أنكلترا ولا اياهه الجزائر قد  
طلب عملا العلاقات خلال القرن الثامن عشر . حقيقة ان الجزائر قد  
قطعوا علاقاتهم من وقت آخر مع هذه أو تلك من الدول الصغرى التي  
كانت تدفع الاناوة من أجل الحماية ، ولكن حتى عندئذ فان المرسى  
على الحصص كانوا يعمدون كثيرا من الغنائم للرئيس . فكار  
( الجزائريون ) يتجادون النزاع مع أية دولة من الدولتين البحرسيين  
الكبريتين . ولا شك ان الخوف من الانتقام هو الذي أقنعهم ( الجزائريين )  
بالمحافظة على السلام . وكان وجود القواعد البحرية الانكليزية في حوض  
البحر الابيض خلال القرن الثامن عشر قد جعل الوحدات البحرية الانكليزية  
القوية فادرة على القيام بعمليات حرة على طول ساحل الشمال افريقي ، كما  
ان الأسطول الفرنسي الرابض في طولون ومرسيليا كان أيضا على مسافة  
قصيرة تجعل من السهل عليه ضرب الجزائر . ان القصف الذي وقع في  
آخر القرن السابع عشر بالاضافة الى القوة الهائلة للمؤسسات البحرية في  
القرن الثامن عشر قد جعلت فرنسا وأنكلترا فوتين ، ومن الخطورة جدا  
الدخول معها في حرب . ان هذا التفسير للأحداث ينزع عن الجزائريين  
المفضل الذي طالما ادعوه ، وهو انهم كانوا « أوفياء لعهودهم » ، وانه من  
الحق القول بان الدلائل كانوا غالبا ينكلمون عن رغبتهم في المحافظة  
على ما جاء في المعاهدات التي وقعوها . ومع ذلك فانه يبدو من السذاجة  
الاعتقاد بان مجتمعا كان معتمدا كل الاعتماد على أعمال بحرية شبيهة  
بالقرصنة في القرن السابع عشر ، قد أصبح في آخر القرن الثامن عشر  
مجتمعا تقيا محافظا على القوانين . ولا سم اذا عرفنا انه بحلول ذلك  
الوقت ( آخر القرن 18 ) كانت القوة البحرية الأوروبية قد أصبحت هي



ان ذلك المصنف كان حديرا بالتكاليف التي يتطلبا . ان المصنف الذي  
حرى في القرن التاسع عشر قد نسب في أضرار ، ولكن معظم السكار  
حادروا المدينة طفا للأمان ، وأهم نتيجة دائما تحت عنه هي شعور المدا  
المعاد صد الفرنسيين من قبل السكان الجزائريين .

وبدلا من ارسال البص الحربية وحاملات القنابل لقصف الجزائر ،  
فصل الانكليز والفرنسون ارسال قطع الأسطول لاطهار العلم ، وارسال  
« هدايا » ورشاوي للمحافظة على رضى الداى ووزرائه . ولدنيا قوائم  
لهذه « الهدايا » ، بعضها كانت موجهة الى مسؤولين صغار في المرسى .  
ولكن معظمها كان موحا الى الداى ، وموظفيه ، والى كبار الرياس .  
ومن الغريب أن « الهدايا » لم تكن « كافية » الا نادرا . وان التقارب  
القنصلية متلثة بالقصص عن خيالات الأمل في كرم القنصل . ومن أكثر  
القصص المارخة تلك التي حدثت أوائل القرن التاسع عشر عندما أحضر  
القنصل بروطون Broughton هدية الى الداى تتمثل في صندوق نشوق  
جميل يمل بالموسيقى ومعه ابنزم مرصع بالزمرد والأحجار الكريمة .  
فقد نظر الداى الى الهدية ثم سأل القنصل عما اذا كان « ملكه قد اعتبره  
طفلا يلهو بلعبة طان ، طان ، طان ! » ان الهدية قد كلفت ألفا وخمسمائة  
جنيه . كما أن الداى لم يكن قد تأثر برزمة قماش الخوخ الانكليزي  
الحيد الذي أحضره له بروطون أيضا . لقد لاحظ عليه انه كان من  
« النوع الرديء . » ثم رجم القنصل في اليوم التالى بحزمة من المسدسات ،  
ولكن الداى سأل : « أين المدافع التي تجيء معها ؟ » وقد لاحظ بروطون  
بعد ذلك ملاحظة ذكر فيها شيئا عن وضع الجواهر أمام خنزير .

ومن الصعب معرفة ما اذا كانت هذه الردود الخشنة وغير المهذبة مجرد  
طريقة من التلاعب للحصول على أكبر قدر ممكن من الخواتم والساعات  
والدبايس والأقمشة الرفيعة وغير ذلك . أو كانت بكل بساطة خشونة  
في الطباع شائعة بين الناس غير المتحضرين . ان الشواهد الموجودة تشير  
فقط الى مشكل التوقعات والخيالات وتناحجها التي تصدع الرأس بالنسبة  
للقناصل . وهذا أحد القناصل الفرنسيين كب . وهو في حالة يأس وغضب :  
« خلال الستة أيام التي أنا فيها هنا ، يوجد شيء يكدرني باستمرار حول



الهدايا التي أتا مجير على تقديمها إلى هذا الصنيع من المصروفين ، أن كل واحد منهم يريد شيئا ، وكلهم متحدثون من بوجه الإناء الذي أعطاه لهم الدول الثلاثة ، فإذا أتا استعنت اليهم فسيكلف به 225,000 فرنك (livres) والواقع أن التكاليف كانت ترتفع كل عام سنوات . وربما كان ذلك نتيجة هبوط الأسعار من جراء الحادة (الجزائري) . وقد أشار فصل الكيبي كان قد قدم هدايا تكلفت به 50,000 طالر (talers) (\*) ، بأن ذلك كان أكثر مكثرا من وانه هو السوي . أن « الهدايا » كانت نسا للسلام . فمما يرى لفصل يرشون من أجل الخدمة أناسا يتراوون في درجات السلم من الداي إلى مسؤول بسيط في المساء ، فهم بأن الجزائريين لم يعاملوا على السلام لأنهم فقط كانوا يرغبون في احترام المعاهدات التي وجدت سهم وبني أنكلترا ومرسا . وربما كانت هذه الهدايا أيضا شاهدة على أن الخوف من الانتقام الحري لم يكن بنفس الأهمية التي اعتقدها الكثيرون ، أن « الهدايا » من الدول البحرية الكبيرة ، و « الهدايا » مصافا إليها الاتوة من الدول الصغيرة ، هي التي أبقت البحارة مقبدين وحت كثيرا من التجارة في حوض البحر الأبيض من نشاطهم الشبيه بالقرصة (quasi-piracy) .

لقد كانت البرتغال وأسبانيا والحزب الإسباني والدول الإيطالية الصغيرة هي التي قدمت معظم « اللعبة » التي جاء بها الراس الجزائريون خلال القرن الثامن عشر إلى الميناء . ولم تقدم الدول الشمالية الصغيرة الفنائم التجارية والارقاء لساعوا في الجزائر خلال القرن الثامن عشر إلا بعد أن فشلت في توقيع اتفاق حول دفع الاتوة .

(\*) - الطالر = عمله فصح المانه ندسه . المرحم .



١ - تمثل الصورة اعدام قسبي انتقاما من عرب دوكنين مدسة الجرائر  
بالصالح .

مجموعة فيوليت - جامعة باريس )



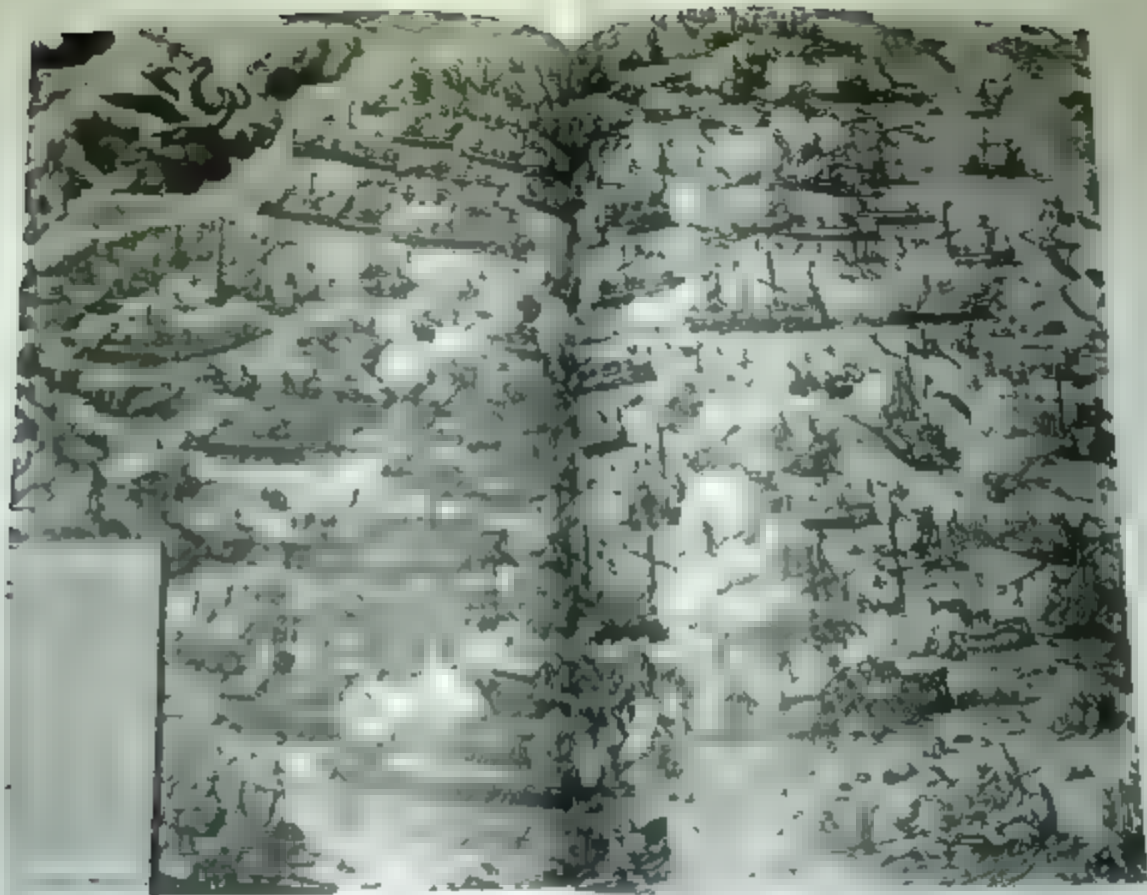
٢ - صورة تمثل المعركة التي حوت بين السفينة الانكليزية ( ماري دور  
مع اربع سفن انكليزية اخرى صغيرة وبين ستا سفن قرصه حرائرية ،  
والنتيجة هزيمة سفن القرصه التي كانت قوتها من 30 الى 40  
مدفعا .

( مكتبة بيل - جامعة منيسوتا )



دشم ايطاليا يوضح الموقع الأول لبركة ليلانو

( مكة يويدي - شيكنو )



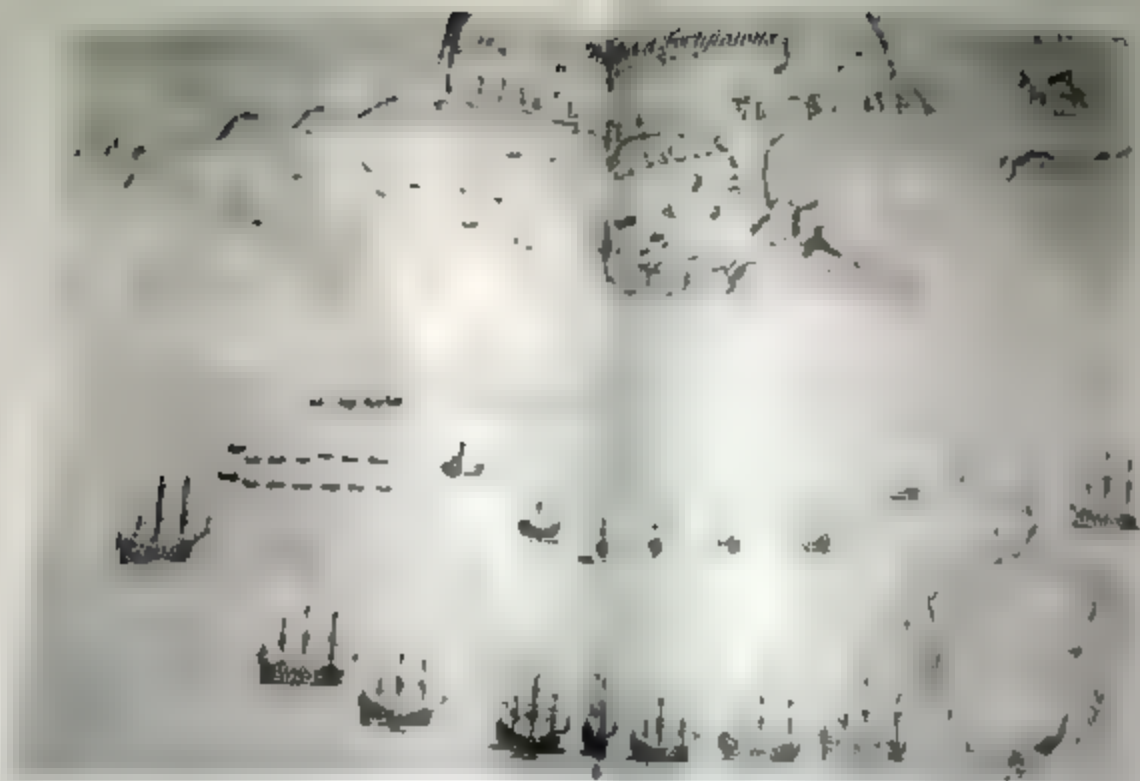
سورة اطفالية لحرمة ليلانج انداء الانعام

المكتبة يومية - شبكات

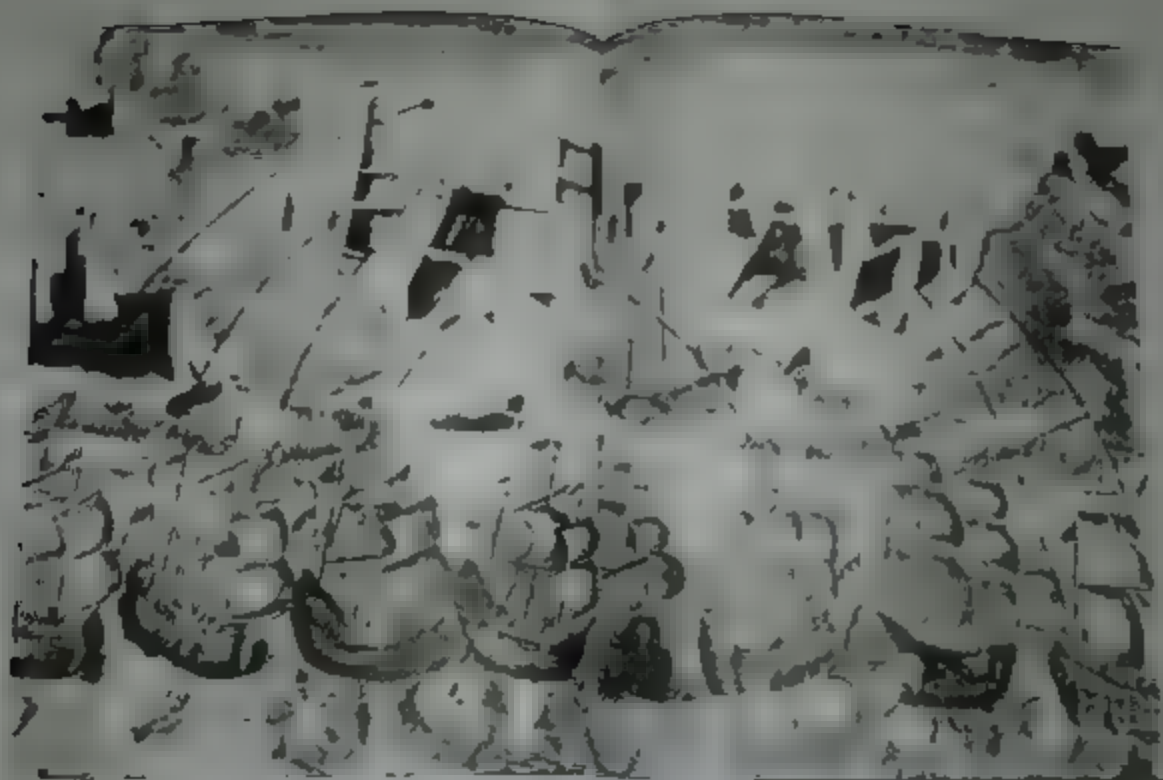


فوسان من الزبير أو العرب في شبه استعداد للمعركة  
مجموعة عرب - ١٩١٥





صورة اخرى من مرفأ دوكين (البحري) مدينة الخرائط والصيد  
(المنطقة الوطنية - نهر)



نصف الزود السموت (الانكليزي) مدينة الجزائر المصايف سنة 1816

المكتبة الوطنية - تونس





أ - سبعة أربعمائة وخمسون رجلاً يطوفون الرمت ليطلوا به هيكل السبعة .  
( مكة بيل - صور جامعة ميسوتا )



ب - منظر من باب عروون بمدينة الجزائر . ويرى رجل محكوم عليه  
لحرمة ارتكها مطلقاً من سارية في الحائط وكان الاعتماد السائد هو  
أن باب عروون يصح ( حرام ) إذا لم يكن هناك شخص محكوم عليه .  
( مكة بيل - صور جامعة ميسوتا )



أ - الساحة الداخلية لأحد المباني (الهيكل) المحيطة بالبريد  
رسم مصور في أوائل القرن 18 أو أوائل 19 -  
(مجموعة هيويت - باريس)



ب - اللباس الحراني في نهاية القرن 17 - الرجل ذو اللحية مؤدب  
تركي ترافقه زوجته ، والزوجان الضامان بشلال البلدة أو الحضر -  
وتمثل الصورة النخبة أحد الملاحين ومعه زوجته ،  
( مكتبة بيل - جامعة ميشيغان )



١ - يمثل الصورة أحد اللطفة ( الحضر ) العراقيين في حالة سفر مع زوجته  
واحد أرقاله .  
( مكتبة بيل - صور جامعة ميسوتا )



٢ - مظهر داخلي لممر أحد الأنرباء عديبه الحرائر ، يعود الى القرن 18 .  
( مكتبة بيل - صور جامعة ميسوتا )

## الفصل السادس عشر نهاية الدّيالة

كاد الصبر الفرنسي ينفذ في عدة مرات خلال القرن الثامن عشر نتيجة التدخل الجزائري ضد التجارة الفرنسية . وكانت حكومة الملك ( الفرنسي ) قد فكرت جدّيا في الدخول في حرب ضد الجزائر لوقف ذلك التدخل . ومن هذه المرات ما حدث سنة 1731 : فقد استولى الجزائريون على سفينة ترفع العلم الفرنسي واعتبروها غنيمة بحجة أن رمانها ومطاقمها كانوا جميعا جنوبيين . وبعد فترة قصيرة أسر راييس آخر أربعة عشر شخصا من صيادي السمك الفرنسيين وابعاهم في سوق الجزائر . ولم تجد احتجاجات القنصل الفرنسي ، وقد أمر الملك أمير البحر دوغيتروان Duguaytrouin بأن يتوجه الى الجزائر على رأس قطعة من الأسطول تضم أربع سفن حربية ( جملة مدافعها 224 مدفعا ) وأن يطلب احترام معاهدة السلام . كان الداى عندئذ هو عبيدي باشا ، وكان رجلا طاعنا في السن وأعور ، وكان يشك في كل شخص . وكان قد نجا من ثلاث محاولات اغتيال خلال السبع سنين التي حكم فيها . وعندما وافق في النهاية على مناقشة القضايا ، استبعد جميع الشكاوى الفرنسية جانبا : فالسفينة ومطاقمها كانوا جنوبيين ، وكذلك كان الصيادون ! ولكن كانت له شكوى خاصة به . فقد كان عهد بثلاثمائة وخمسين كيسا من الصوف الى تاجر فرنسي ، يدعى السيد ميشان Meschein لبيعها في مرسيليا ، ولكن ميشان أصبح مقلبا ، وصادر البلاط الفرنسي أكياس الصوف ليدفع منها ديون الدائنين . وكانت الصوف تعود الى الداى ، الذي كان في قمة غضبه من التصرف الاستبدادي للبلاط الفرنسي . وقد شك أمير البحر الفرنسي بأن الداى قد يكون على حق بخصوص الصوف

وإن كان لابد من الأمر بالفرنسيين لكي يعلن عن شكواه بطريقة  
أوضح . والحق أنه إذا لم يحصل على موافق فان أسرى آخرين  
لا محالة سيموتون في الأسر . ولذلك اقترح أمير البحر قنص المفاوضين .

وبعد اقروا في فرنسا بأنه قد يكون هناك بعض المبررات لشكوى الدان .  
ولكن عندما أصبح المصل الفرنسي متورطا أيضا ، من خلال حطائه وفي  
فه فيما يبدو ، مع عبيد باشا ، غررت الحكومة الفرنسية فصح تحقيق  
واسع . فبينت ( الحكومة ) لومير Le Maître ، الذي أعطته تجربته في  
المشرق تمها كبيرا لطرق العناء والخصائص الإسلامية ، عتته قنصلا في  
الجزائر مع التعليمات بأن يبحث إليها بطرق العمل المسكنة والمحظنة .  
وتعتبر رسائل لومير المكتوبة خلال النيف والعشرين سنة التالية من أهم  
الوثائق قيمة لأنها تطينا نظرات فاحصة عن حكومة ومشاكل الجزائر  
خلال هذا العهد . وعلى عكس آرائه التي عبر عنها فيما بعد ، نجد لومير  
في أوائل الثلاثينات من القرن كان مستعدا جدا لتبني نزاع مسلح باعتباره  
أفضل البيل لاجبار الجزائر على احترام التزاماتها . (1) ولكن قبل أن  
تقرر الحكومة في فرساي نوع الحركة التي تتبناها ، حولت الحرب المسماة  
بحرب الخلافة البولندية ( 1733 - 1735 ) الانتباه الفرنسي . إن الذي  
خسر العرش البولندي هو صهر ( أب زوجة ) لويس الرابع عشر ، ولكنه  
حصل على عرش اللورين فيما بعد ، وهو الحل الذي أعطى هذا الاقليم ،  
مستقبلا ، الى فرنسا . وعندما اقترحت الأحداث الأوروبية ، أصبحت  
تونس وطرابلس ، ولس الجزائر ، هما هدفى العمل العسكري الفرنسي .  
ثم أن « اغتصاب » فريدريك الثاني لسيلسيا سنة 1740 وما حدث  
بعد ذلك مما يسمى بحرب الخلافة النمساوية - كل ذلك جعل فرنسا  
وأروبا مشتبكة في مشاكل القارة الى سنة 1748 .

1 - اقترح لومير في هذا العهد أن نرس الاتفاق على حده الى عشر فرناطات ذات السة  
والخمسين الى السمين مدفعا لى يكون اكثر بكثير من النش المادى فى الانقاذ  
على الأسطول الحرى ، وفى نفس الوقت ، انه سيجعل الحارة يتدربون وسيحلب  
الاحترام لأعمال الملك ، ومن الواضح انه ( أى لومير ) كان معمصا من القوة البحرية  
الحرارية ، وقد اخطأ فى تقدير نرس الاتفاق على أسطول فى مياه الشمال الافرقى ،  
انظر  
AAE, Alg XIII, Fols 109 and passim.

حلا عمارة أدنى أن تكون الحكومة الفرنسية مد منحت مذاقته من  
 حديد ، بمد سنة 1748 ، حول فرنسا الحرب ضد الجزائر . لقد ظهرت  
 قائمة طويلة بالشكاوى من سلوك الرياس الجزائريين بالإضافة الى سيل  
 من الكتيبات والرسائل التي تضرع من الرأي العام الفرنسي المتصور  
 « المتحضر » حول الحاجة الى النظام في العالم ، وجميعها طالت بالمناج  
 بعض الحرك المقايي ضد دول شمال افريقية و عبر المديفة القائمة  
 بالقرصة » ، والتي تعتبر الجزائر حتى الآن أكثرها أهمية . وقد اشار  
 عدد من كتاب الكتيبات بأن أوروبا « المتحضرة » يسكنها بسهولة ،  
 لو شئت ، أو بخلص العالم من عارات الهب المظلمة من ساحل شمال  
 افريقية . (\*)

ولكن عندما درس الأمر في فرنسا تبين أنه لم يكن على تلك الدرجة  
 من البساطة . ذلك أن كل من كتب مذكرة يكاد يبدأ مناقشته بالقصص  
 الذي قام به لويس الرابع عشر في الثمانينات من القرن السابع عشر .  
 ومنذ ذلك الوقت أصبحت الجزائر أفضل تحصينا ، كما أن البحرية  
 الفرنسية لم تعد تملك السفن العامة بحمل القذائف ( القابيل Bomb-ketches  
 التي وجهت القذائف في ذلك العهد . ومن جهة أخرى فإن  
 القوات البحرية الجزائرية كانت أضعف . سنة 1750 ، مما كانت عليه  
 من قبل ، ذلك أن الأسطول الجزائري كان يتكون كله تقريبا من السفن  
 نوع الشبيكات التي تحمل أقل من ثلاثين مدفعا . (\*) أن هذه السفن  
 كانت أسرع وأسهل في القيادة من السفن الحربية الفرنسية ، ولكن ليس  
 لها حظ في النجاح الا اذا استطاعت اثتان أو ثلاثة منها محاصرة الفرقاطة  
 الفرنسية ، وأي سفينة حربية يمكنها أن توقع الهزيمة بقطعة كاملة من

(\*) - طرحت هذه الأفكار ، ومن بينها فكرة شيلر الألماني ، في أوائل عهد الكبير  
 الاستعماري الأروسي ، وبدوا أن المؤلف مبالغ وراء نفس الثبات ، لأنه لم يتألف  
 أو يرفض ذلك الطبق . المرحلة ١٠

(\*) - بود أن يحس من مقابل من الشاط العسكري والتجاري للحرار في القرن 18  
 المصور في مجلة المراجعة الغربية عدد 33-34 يونيو - جوان 1984 ، فقد جاء  
 فيها أن بعض من « أسطول الحراري كانت ذات 52 مدفعا ، و 40 مدفعا الخ .  
 المرحلة

لاستول الجزائر . ومع ذلك فان هذه الشيكات كانت خطرة  
الحارة الفرنسية ، ولا يمكن استبعاد خطرها الا بوجود مراسل  
ملازمة او بعت حصار مضيق على الموانيء الجزائرية . ولكن هذا  
سيكون على التمس كما انه غير مضمون لأمان صلاتا مطلعا للبحر  
الفرنسية . وكثيرا ما لوحظ ان هناك فرقا كبيرا بين سنة 1682 وسنة  
1750 وهو يمثل في ان اسبانيا في الرابع الأخير كانت حليفة لفرنسا ومن  
ثمّة فان الموانيء الاسبانية ستقدم للقوات الفرنسية الماء والطعام والعنصر  
والمعدات البحرية . ومع ذلك فقد كانت هناك معارضة قوية لأي تحرك  
فرنسي - اسباني مشترك . فالاسبان سيطلبون تخريب الجزائر ، وهذا  
سيؤثر على السلطان العثماني ويعرض التعاون الفرنسي - العثماني الى  
الخطر . ان فرنسا لا تشترط القضاء نهائيا على جماعة البحارة ( في الجزائر ) ،  
ولكن تطلب فقط الجزائر احترامهم للمعاهدات . وحتى ولو كان الاسبان  
أقل خشونة نحو الجزائر ، الا يطلبون ، كمن أدنى ، معاهدة سلام بين  
الجزائر واسبانيا ؟ ولكن هذا بالطبع كان ، لسوء الحظ ، ضد المصالح  
الفرنسية ، لأنه سيؤدي في الحال الى التنافس الأسباني في ميدان التجارة  
ويطلق بد الحركة التجارية الاسبانية بحيث يزول عنها التهديد بالاحتجاز .  
وكان لومير ، الذي سبق أن اقترح القيام بتحرك عسكري ، قد اقترح الآن  
ارسال سفير الى الجزائر للتغلب على كل المشاكل . انه كان يكتب من  
فرساي ، ومن الواضح أنه كان يرى نفسه هو هذا السفير المقترح .

وبينما كان لومير وغيره يدرسون التحرك الفرنسي ، حدث في الجزائر  
ما يعرف « بالتمرد الألباني » واغتال الداى ووزير مالبته ( الخرناجي ) .  
وكان معروفا عن الداى الجديد انه متميز بمزاج حاد ، لقد كان رجلا  
يجب أن يتولى هو دور منفذ حكم الاعداد بعد أن يكون قد أصدر هو  
نفسه حكم الموت . ومع ذلك فان لومير زعم أنه ربما تمكن من الوصول  
الى اتفاق معه . وكانت المذكرة التي كتبها بهذا الشأن مؤرخة في سنة  
1754 . وكان ظهور الأزمة التي أنتجت الثورة الدبلوماسية ، وحرب  
السنوات السبع قد أعطاه الفرصة لمحاولة ذلك . لقد رجع الى الجزائر .  
وبعد اقامة قصيرة في السجن الجزائري ، نتيجة نزاع مع الداى ، وجدت

المشكل الرسمية - الجزائرية حلها من طريق « الهدايا » (1) واسمها  
لاعتبار ما فات مات ، وذلك سنة 1757 .

ان ضعف البحرية الفرنسية من جراء حرب السنوات السبع نتج عنه  
كثير من الانتهاكات للمعاهدة الفرنسية - الجزائرية للسلام والصداقة .  
وعندما انتهت هذه الحرب سنة 1763 ، أمر المجلس الملكي أمير البحر  
سوفران Suffren بأعداد خطة لمعاقبة الجزائر ، ويبدو أن سوفران قد  
قام بعمله بجدية ، حتى أنه درس تجارب القرن السابع عشر البحرية .  
وقد برهن ، أمير البحر الهولندي ، ميشيل دي رويتر Ruyter ، على  
أنه كان واحدا من أفضل مصادر . وكب سوفران قائلا عن رويتر :  
« انني أمر بكل سرور بأن المرء لا يخاف من الوقوع في الزلل باتباعه  
نصيحة رجل عظيم عظمة ( رويتر ) في الحرب والبحر » (1) كانت  
مقترحات أمير البحر تتحدث بانتظام عن مشاكل السيطرة على البحر  
للأبيض بطريقة تجعل الجزائريين يطلبون السلام . فهو يحرص حركة  
النقل البحري الموجهة الى المشرق وقادس وسيجعل من الشبيكات  
و / أو المرقاطات في محطات معينة لحراسة الساحل الجنوبي  
الفرنسي ، وسيجوب المنطقة الواقعة بين مالطة والأزورس . وسيضع قطعة  
من الأسطول مكونة من ست سفن حربية عند ساحل الشمال الأفريقي  
لمراقبة السفن الجزائرية التي قد تحاول الخروج من المرسى . وقد أكد  
للحكومة أنه اذا توفرت ثلاث قوافل للحراسة كل منها للمشرق وقادس  
« فانه سيكون من غير الممكن للجزائريين أن يرتكبوا أي ضرر » للتجارة  
الفرنسية . وأظهر اهتمامه للطاقة الحربية الجزائرية في البحر ، وذلك  
بإشارته الى أن السفن الحربية لا تحتاج الا الى جنود قلائل بينما السفن  
من نوع الشبيكات والفرقاطات ستحتاج الى عدد كبير من البحارة لمعادلة

(\*) - ركن المؤلف كثير على ضعف الرشوة ( الهدايا ) كظاهرة أخلاقية اقتصادية في العائلات  
الجزائرية الأروسة ، ولمعه لا يعرف ان اللغة في تقليدنا الإسلامية قد انتصت على  
الرائشي والرششي بسا . ليس الا الرائشي والرششي ، ، ومعنى ذلك انه اذا كان  
الجزائريون مدمنين لآلهم ملوك الرشوة من الأروبيين أيضا ملوكون لآلهم فقدموا الرشوة ،  
ولامر ب ب داف اللغة بالرائشي قبل الرششي . ( المترجم ) .

(1) B.N. mss. franc. N.A. 9431, fols. 225 f.



البحريين . وقد قام شوارول Chouarol ووزير الخارجية العظيم الرئيس  
الحامس عشر شتمه أمير البحر على شمولية مقترحاته .

ولم يكف بذلك حرب المدكرة التي تقدم بها سوفران حتى حدثت حادث  
في البحر أدى الى أزمة . فقد امرت مرفقة فرنسية شبكية جزائرية بدعوى  
انها طلتها سمته لأحد قراصنة سلا ، وكانت النتيجة فقدان كل الطاقم  
في البحر . وعندما وصلت الأخبار الى الجزائر استطاع الداي غصبا ،  
ورس بالقنصل الفرنسي ومستشاروه في السجن مقيدين بالعديد ، وصادر  
جميع السفن الفرنسية في المرسى ، وضرب تاجرا فرنسيا بحجة أنه تتاجر  
مع بحار جزائري ، وأمر باحتلال موقع التنازل للشركة الفرنسية الافريقية  
( وهو المسمى حصن فرنسا قديما ) والقاء القبض على سكانه .

تلقى أمير البحر سوفران الأوامر بالتوجه الى الجزائر على رأس سفينتين  
بحريتين وفرقة ليرى ما يمكن عمله . كانت الأوامر المعطاة اليه : يجب  
عليه « ألا ينضب الداي الذي يتحكم في حياة القنصل الفرنسي » . وأرسل  
سوفران بعيدا عن اصابة الهدف من مدافع الميناء ، وأعطى الإشارة بأن  
لديه مجموعة من الرسائل للداي ، ولا شك أن الجزائريين قد فهموا  
أن أوامر أمير البحر كانت على نحو يجعل السلام أو الحرب مترتبة على  
المفاوضات . وقد ترك لنا السيد دي فابري de Fabry ، الذي قام  
بالمفاوضات الدبلوماسية على لسان أمير البحر ، تفاصيل هائلة عن القضية  
كلها .

وكالعادة ، كانت المراسيم والسمعة قد شكلت العقدة الأولى للمفاوضات .  
فالداي قد أهان مملكة فرنسا بوضع القنصل ومستشاره في السجن ،  
وكونه قد أطلق سراحهما فيما بعد ليس الا قضية ثانوية . وقد أمر أمير  
البحر القنصل فاليري Vallière بأن لا يكون له مع الداي أية اتصالات ،  
ويمكن لتاجر فرنسي في الجزائر أن يعمل كواسطة . وعندما استطاع  
سوفران أن يقنع الجزائريين بأن يسمحوا لفاليري بزيارته على سفينة العلم  
( الرسمية ) ، توصل المسكين ( القنصل ) حقيقة ، بأن لا يعود الى المدينة .  
فقد أعجبه الأمن على ظهر السفينة الحربية . ولكن سوفران قرر أنه جاء

لى الجزائر لمفاوض لا لكي يحسب لفصل . واهل أصبح الامر  
تعلق بشرف وامر السيد دي فابري الذي كان متوقفا ان يبرز للأمر  
ومتفاوض على الشروط . فحكم من طرفه مدفع تطلق نبعته ؟ وهل ستكون  
آت من الاهانة ؟ وهل سيرجع انداي مورا الموقع الى الشركة الفرنسية  
الامريكية ويطلق سراح مسؤوليه ورجاله ؟ لقد كانت المفاوضات حول  
هذه الأمور بطيئة . وحدثت عاصفة نشوبه في الأسبوع الأخير من يناير  
1784 فاجبرت السفن الحربية الفرنسية على الرحيل . ولكن عندما رجع  
الفرنسيون في العاشر من الشهر ، ( ١٠ ) كانت قضية التحات ( المراسيم )  
قد حلت . وعادر القنصل فالير سمية العلم ثلاث طلاقات مدعمة وست  
مرات : « يحيا الملك ! » ولما وصل الى الرصيف البحري ( المول ) تلقى  
خمس طلاقات مدفعية من بطاريات الرصيف تحية له . وعندئذ أرسل  
الداي ذبايح من البقر والغنم والدجاج ، بالإضافة الى الحضرات الطارحة  
الى الأسطول ( الفرنسي ) كهدية . وبعد ذلك غلب نزل السيد دي فابري ،  
الذي تلقى التحية المناسبة كعمود للملك ، وجاء الى الرصيف البحري  
( المول ) ومعه هدية انى الداى تشل في رقيق مسلم كان قد أقضه  
في ميورقه .

→ دامت المفاوضات حوالي أسبوع . وكل جانب استعرض ما عنده من  
مظالم وشكاوي ، وكل طرف اتهم الآخر بخرق المعاهدة . وفي النهاية  
صيفت ، في السادس عشر من يناير ، معاهدة السلام الفرنسية -  
الجزائرية . لقد كانت تحتوي تقريبا على نفس الشروط التي كان لومير  
يأمل في الحصول عليها سنة 1752 . وكانت الاضافات الهامة لا تخرج  
عن ضرورة قيام كل طرف وضع توقيعه بأن يعاقب بنفسه أي بحار أو غيره  
من الأشخاص الذين هم رعايا حكومة الطرف الموقع ، على أي انتهاك  
للمعاهدة ، واشتملت أيضا على بند يمنع قراصنة سلا من البيع ،  
على السفن الجزائرية . للبضائع أو للطواقم التي يستولون عليها ،  
بالإضافة الى ضرورة مغادرة سمن سلا للجزائر خلال أربع وعشرين ساعة  
بعد وصولها . وله يكن الجزائريون على الخصوص سعداء بالنسبة للبند

\* - لم يوضح المؤلف أي شهر يقصد . ( المترجم ) .

الذي من على أن ما مضى من الاتفاقات قد مات ويجب نسيانه . وفي  
السنوات الموالية كانت هناك صرخات في الجزائر تطالب بانتهاء المعاهدة  
سنة 1789 عندما يعين أجلها . فقد كانوا يقولون أن مائة سنة كانت مدة  
طويلة وأن ظروف كثيرة قد تغيرت .

لا وباصراب سنة 1789 كانت هناك أسباب أخرى لاعادة النظر . فالمعاهدة  
مع إسبانيا . كما رأينا ، قد وقعت ولكن شروطها لم تطبق لأن الأسباب  
كانوا ما يزالون في وهران . ولكن عندما يعين موعد تطبيق المعاهدة ،  
سيجد البحارة الجزائريون صعوبة في الحصول على العنائم التي يستولون  
عليها شرعا إلا اذا انتهت المعاهدة الفرنسية . ومن جهةهم كان الفرنسيون  
يعتجون بأن المعاهدة قد جددت سنة 1718 ، ومن ثمة فإنها لا تنتهي  
إلا سنة 1818 . ثم هناك أزمة أخرى : فقد أغرقت سفينة حربية فرنسية  
شبيكة جزائرية . وأصررت الحكومة الفرنسية بسرعة على أن الأمر كان  
خطأ ، وحصلت على تأييد سلطان تركيا ، (\*) ، وقدمت إلى الداي هدية  
ثمينة . وكان البحارة في هذه الأثناء يستعدون للتوجه إلى المشرق لمشاركة  
الأسطول العثماني في البحر الأسود في الحرب ضد روسيا ، وانتهى النزاع  
بهدهو وذلك بأن زادت الشركة الفرنسية الأفريقية من مدفوعاتها السنوية  
على امتيازاتها في الساحل الجزائري . وأن الأزمة التي حدثت في فرنسا  
عندما دعي البرلمان Esteter General لحل المشاكل الداخلية ، جعلت المشاكل  
المنجرة عن الجزائر تعتبر ثانوية وغير ذات بال نسبيا ، لقد كان لدى  
الثورين أحداث أخرى غير أحداث شمال أفريقية تشغل بالهم .

وبحلول سنة 1793 ، وبعد تنفيذ الإعدام في لويس السادس عشر ،  
عندما أعلنت حكومة فرنسا الثورية الحرب على أنكلترا ، بالإضافة إلى  
إعلانها الحرب على معظم القارة الأوروبية — عادت السياسة العليا إلى  
النظر في الصدام مع الجزائر ، لأن كلا من الفرنسيين والانكليز حاولوا  
توريط الداي في الحرب . وكان الداي الجديد . وهو حسن ، من قرابة

(\*) — هكذا ذكره المؤلف : سلطان تركيا ، والتعبير التاريخي السلطان العثماني أو سلطان  
الدولة العثمانية . (الترجم) .

الذي الأخير ، (ج) عاجزا كهرناجي ومتي عاجزا كذلك كندني .  
 فقد كان قد أصبح معتمدا اعتمادا كليا على اثنين من تبار اليهود هما  
 قتال يوشاق ويوسف مكري ، اللذين أصبحا يسيطران على حكومة  
 الإمالة . وقد أصبح اليهوديان في البداية ، مثل ما يعمل رجال الأعمال  
 في إندونيسيا ، بأن يملك النادي ملكا محايدا بين فرنسا وأنكلترا ، ولكن  
 بعد سنة 1794 عندما أشارت الأخبار من أوروبا بأن الفرنسيين ربما  
 يكونون هم الفائزين ، أخذ اليهوديان يميلان نحو فرنسا . ولا شك  
 أن ذلك بعد انتصارا كبيرا للسياسة الفرنسية ، ولكن القصل الفرنسي  
 بالجزائر وجد نفسه شخصا ، وكذلك عائلا ، متورطا في مشاكل مع  
 ( لجنة الانقاذ العام ) . فقد فر أحد أقاربه إلى إسبانيا ، وكان عليه هو  
 أن يفادر سريعا وظيفته . وكانت الحوادث في أوروبا قد غطت سرعة على  
 جميع المشاكل الأخرى ، بينما كان الفرنسيون يتحولون من النظام  
 المبرر عنه بالتجمع ( Convention ) إلى نظام حكم الإدارة ، بعد اعدام  
 روبسبير وأصدقائه ، وأجبر ضباط الحكومة الجديدة ، بما فيهم نابليون  
 بوناپرت ، بروسيا والنمسا على الخروج من الحرب .

ثم تلا ذلك نزول نابليون في مصر . فأرسل السلطان بسرعة إلى  
 الجزائريين يحثهم على الانضمام إليه في الحرب ضد فرنسا . ولكن الذي  
 ومستشاريه قرأوا دروس السنوات القليلة الماضية بطريقة مختلفة : فهم  
 لا ينوون إثارة نابليون ولا حكومة الإدارة ( الفرنسية ) . غير أن الجزائر  
 وجدت نفسها سنة 1802 متورطة من جديد في شبكة السياسة النابليونية .  
 فقد كانت الدول الإيطالية الصغيرة هي التي توفر تقليديا الفنائم للرياس ،  
 ولكن بعد حملة نابليون سنتي 1800 - 1801 أصبحت هذه الدول  
 داخلة في فلك السلطة النابليونية المامية . وقد أرسل إلى الجزائر مبعوثا  
 عه ليعلن بأعلى صوته . إذا لم تستغل الإيالة بأمور نفسها وتخضع  
 للإدارة الفرنسية وتتوقف عن مضايقة رعايا القصل الأول ( نابليون ) ،  
 فإنه سيفعل بالجزائر ما فعله بدولة ممالك مصر . ولم يكن الانطباع

(\*) - نشر بمبارك الهادي الأخير إلى محمد باشا الذي طال بقاؤه من الحكم . انظر  
 به أحمد توميق الهادي محمد عثمان باشا . ( المترجم ) .

بالهيئة الرسمية في أوروبا قد ضمت عندما ظهر أمير البحر الاسكتلندي  
سلون Nelson ، أمام الجزائر لقد جاء لدعم فيصل كان قد أساء  
التدمير عندما دعا النساء المسلمات الى بيته ، ولكن الأوامر التي كانت  
لدى اليهود لا تعطيه صلاحية استعمال القوة . مفادير الجزائر ، تاركها  
الابطاع أن فرنسا كانت هي الأقوى حقيقة ، وأن انتكلوا كانت مبررا  
غير هامة .

وكان فقدان المائم وفقدان الاتاوات النقدية وصعوبة جمع الضرائب ،  
كلها قد عرضت حكومة الداى للخطر . وكان تطاول مستشاري الداى على  
اليهود لم يساعده كثيرا . فكان أن اغتيل بوشناق سنة 1805 وهو مفادير  
القصر . وسارع الداى حسن (\*) بالاعتراف بأن العمل الذي قام به  
القاتل كان في صالح الدولة ، ولكي يبتذ نفسه سمح للانكشارية بنهب  
الحي اليهودي . ولكن ذلك لم ينقده . فقد اغتيل هو أيضا بعد ذلك  
بأسابيع قلائل .

إن هذه الاغتيالات كانت بداية عهد جديد من الفوضى . فقد تولى  
المنصب داى جديد وهو أحمد ، ولكن المظاهرات استمرت . وكان  
مافس الداى أحمد من أحل السلطة ، وهو الآغا ، قد عرض على القيام  
بأعمال القتل والنهب بدون تمييز . وفي نهاية شهر تمكن أحمد من  
القبض على منافسه وقطع رأسه ، واسترجع شتا من النظام الى الجماعة ،  
ولكن مشاكله لم تنتهي . فقد كان يفتقر الى النقود لدفع أجور جنوده ،  
وهو وضع مليء بالأخطار له ولمدينة الجزائر . وكانت الحرب في أوروبا  
تزداد اشتعالا : موقعة أوسترليتز ، وجينا ، وفريدلاندا ، وتقسيم العالم  
بين نابليون والقيصر الاسكندر . وقد حاول الداى أحمد أن يفرض  
أتاوات أكثر على الدول الأوروبية التي تستعمل البحر الأبيض ، ولكنها  
قد أصبحت جزءا من الدولة ( الامبراطورية ) الفرنسية ، وكان نابليون  
مصر على أن مناطق حكمه لا تحتاج الى حماية من الجزائر . وفي ثلاث

(\*) - الداى المنفى بالأمر هنا هو مصطفى باشا وليس الداى حسن كما ذكر المؤلف .  
( المترجم ) .

Tilzit  
اتفق هو والبصر الاسكندر على أن نابليون يمكنه ،  
عندما يكون مستعدا ، الاسيلاء على الجزائر وأقاليم ( نابلونيا )  
كسمره أو كتابة للدولة الفرنسية . ولم يكن نابليون مستعدا لهذا  
ذلك ، ولكنه لم يكن مستعدا أيضا أن يترك الدول التابعة له تدفع الانارة  
الى الجزائر . وعندما لم توفر النقود ، كانت حياة الداي أصعب في خطر ،  
وهكذا قتل في شهر نوفمبر سنة 1808 .

ومور تولى الداي الجديد ، وهو علي الصال  
er R'assel  
واجه مطلباً ملحا وهو أن تفتح الحزبة ويوزع محتواها على الصود  
الذين جعلوا منه دايًا . وقد رد هو بأن الصود يجب ألا يأخذوا أكثر  
من أجورهم وأنه لا يمكنهم الاعتداء على الحزبة . ثم كان المطلب الجديد ،  
وهو إعطاء الجنود حق نصب مدنة الحرار . ولكن هذا المطلب حطم  
الجمعة الصلة التي تتألف منها الفرقة الانكشارية . فقد كان الأعضاء  
المتزوجون والكرافلة مترددين في رؤية مساؤل أقاربهم تقع مرسة  
للاعتداء ، مع ما يتلو ذلك لا محالة من الفوضى . فأخذوا يؤلفون فرقا  
خاصة بهم انضم إليها بعض شبان البلدية ( الحضر ) الأكثر مفاخرة . بينما  
نظم الانكشاريون العزاب أنفسهم ضد هؤلاء . ولم يجروؤ أي تنظيم  
على الدخول في حرب ، ولكن الحياة النظامية للمدينة قد توقفت تماما .  
وفي السابع من فبراير سنة 1809 اغتيل علي الصال ، وانتخب القتلة  
المسمى الحاج علي ليكون خلفه له . لقد كان الحاج على يهتق الخمر  
وكان رجلا مرعبا ، وقد تمكن من استعادة بعض النظام للحياة في الجزائر ،  
غير أنه سرعان ما كان على سوء تعاملهم مع العجالية الأوروبية ، وخصوصا  
مع القنصل الفرنسي الذي ترك وظيفته ورحل الى فرنسا .

وقد رأينا أن نابليون ، باتفاقه السري مع الاسكندر ، كان له الترخيص  
الروسي باحتلال الجزائر . وفي سنة 1808 أرسل ( نابليون ) المهندس  
بوتان Batin الى الجزائر لدراسة الأرضية ووضع تصميم لمشروع  
الاحتلال . ولكن المشاكل التي ظهرت في أسبانيا أجبرته على التأخير .  
وبعد سنة 1809 أصبحت اسبانيا مشكلا عويصا بالنسبة للإمبراطور  
( نابليون ) ، ولم تكن سنة 1811 حتى أصبحت روسيا على وشك أن

تكون مشكلا عويصا له كذلك . وهكذا وصلت خطة حرو الجزائر و  
دعوى الأرنيب ، ولكنها استمدت وأزيل عنها العيار وطفت —  
• 1830 •

ان لأحداث المصطربة التي أعقت قرار نابليون بغزو روسيا قد عطف  
على كل من عادات القرصة التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون ،  
وعلى الحرب الصعبة التي كانت تحري بين الولايات المتحدة الأمريكية  
وأنكلترا . وعندما لم ترسل الولايات المتحدة سنة 1813 الأناؤه ، أعلن  
الداي والديوان الحرب عليها ، ولكن لم تكن توجد سفن رابعة لعل  
الولايات المتحدة في البحر الأبيض ، لأن قوافل الحراسة الانكليزية جعلت  
حركه نقل السفن الانكليزية في ذلك البحر آمنة ، وكان الجزائريون  
مترددين في الاستيلاء على سفن تعود الى الدولة ( الامبراطورية ) الفرنسية .  
حاول الحاج علي أن يحصل على النقود بإعادة فتح النزاع المزمع مع  
تونس ، ولكن حتى هذه المحاولة فشلت في اعطاء النتائج المرجوه . فكان  
ان اغتيل الحاج علي يوم 22 مارس سنة 1815 ، فأصبح خزانجية ، محمد ،  
هو الداي الجديد . ولكنه اغتيل أيضا في الأسبوع الأول من أبريل من  
نفس السنة ( 1815 ) . وقد تولى عمر آغا منصب الداي في الوقت الذي  
علم فيه أن معاهدة عانت Ghent قد أنهت النزاع بين أنكلترا والولايات  
المتحدة . وفي 17 من يونيو ( جوان ) سنة 1815 خاض ستيفان ديكانور  
معركة بحرية مع أمير بحر الأسطول الجزائري . وقد لاحظنا أن القائد  
الجزائري كان قد قتل ، (\*) واحتجزت سفنه . وأجبر الداي على عقد  
السلام مع الولايات المتحدة . وهو السلام الذي ضمن المرور الآمن  
للسفن الأمريكية . وبعد أسابيع قليلة وصل اللورد اكسموث الى الجزائر  
وفرض معاهدة أخرى تشترط حرية المرور للسفن الانكليزية والسردينية  
والصقلية والأيونية . وكان تجريد الجزائر من نفود هذه البلدان قد جص  
من الصعب شيئا فشيئا المحافظه على القوات العسكرية الجزائرية التي  
كانت في تضاؤل مستمر .

(\*) - انظر الفصل الخامس عشر ، فقرة الحرائر والولايات المتحدة الأمريكية . (الترجم) .

من هناك ما هو أكثر من ذلك ما يزل قاعا . ففي أوائل سنة 1816 ظهر الأسطول الإنكليزي من جديد أمام الجزائر . وقد طرح اللورد اكسموث للداي بأن مؤسره فيما قد قرر الماء الرق والقصره . وطلب بأن يعزل الجزائريون هذا المرار وأن يعزروا أرضهم للمسيحيين . وقد كان الداي والديوان كلاهما مستعربين وعاصين من هذا الموقف . كيف يمكن للدولة الأوروبية أن تعطي نفسها حق التدخل في نظام قائم منذ أمد طويل على عادات وموازين بلادهم ، وهو النظام الذي أمره القرآن نفسه ؟ وعندما مسح السكان بذلك لم يصدقوه أيضا . وكان المبعوثون الإنكليز موضع سخرية بل هوجبوا بدنيا في الشوارع . وقد أندر الفصل الفرنسي بأن ذلك سيرب عليه الانتقام ، ولكن الداوي رفض الاصغاء .

وقد جاء الانتقام سريعا ، إذ وصلت أمام الجزائر قوة بحرية إنكليزية — هولندية تتألف من ست وثلاثين سفينة حربية . وأرسل اللورد اكسموث مركبا إلى الرصيف يحمل علم الهدى وإندارا أخيرا . وبما كان الجزائريون يدرسون الإنذار ، تحرك الأسطول الإنكليزي — الهولندي بسرعة واتخذ وصفا يسمح له بأن يطلق النار ويصيب الهدف عبر الرصيف البحري ( المول ) والميناء . وكان المبعوثون عائدتين إلى السفينة الرئيسية بجواب سلبي على الإنذار ، عندما اكتشف الجزائريون فجأة أن الأسطول قد اتخذ وصفا يسمح له بصب النار على سفنهم وعلى تحصيناتهم . وحدث أن أحدا أمر المدافع الموضوعة على الرصيف البحري بإطلاق أساره . فأطلقت ثلاث طلقات . فأجبت موايل قاتل من النيران من السفن بـ ، اشعل الأسطول كله من بعيد ، فقتل المدفعيون الجزائريون . وحطمت مدافعهم ، وأغرقت أو أحرقت السفن الموحودة في المرسى . لقد كانت ضربة قاضية للبحرية الجزائرية . كما كانت خسارة فادحة في الأرواح . أن الاحتياطيين من الجزائريين والأترك حاربوا بشجاعة ولكن ، لضربة كانت غير متوقعة — بل أن الحرائيرين كانوا دائما يعتقدون أنها كانت ضربة خاسرة . حفصة . أن الصريرة لم تكن مسكنة إلا لأن الجزائريين قبلوا علم الهدى كدليل على حسن نية الإنكليزية — الهولندية . لقد كان القناصل الأوروبيون باستمرار يلومون الجزائريين على عذرهم — فلملة يمكن إطلاق نفس الوصف على الأوروبيين أيضا .



وعندما سكنت المدافع شارع الداي عمر بمضد السلام بالشروط  
الانكليزية - الهولندية . وهو لم يكن يدري أن السفن المتحالفة قد  
استسلمت كلها جميعا عندما من بارود وقذائف ، إذ كان لا يمكنها أن  
تقوم بمحرم آخر . وقد أملى اللورد اكسوث شروط السلام املا .  
الماء نظام الرق ، تحرير الرقاة المسيحيين الموجودين ( جميعهم حوالي  
الف ومائتين ) ، ودفع تمويض حربي من خمسمائة ألف فرنك . لقد كان  
ما يزال بإمكان الجزائريين أن يملئوا الحرب على الدول الصغيرة ، وكان  
ما يزال بإمكانهم أن يحتفظوا بأي أسرى كسجناء ولكن ليس كآرقاء .  
ورغم أن الحرية الجزائرية قد عانت من خائر فادحة ، فانه خلال سنة  
واحدة ووقت كل من السويد وتوسكانيا والدنمارك معاهدات وافقت فيها  
على دفع الاتادة مقابل ضمان الأمن لسفنها .

ولم يكذ الأسطول الانكليز - الهولندي يبتعد عن الأنظار حتى ثار  
الانكشارية ونهبوا الحي اليهودي في المدينة . وقد استطاع الداي عمر  
أن يهدئهم بعض الوقت ، ولكنه كان قد اغتيل خلال نفس الشهر . وقد  
خلعه علي حوجة الذي بوصوله الى السلطة كان النظام الذي شرعه خير  
الدين بروس بإدخال الانكشارية الى الجزائر - على وشك الانتهاء .

ان النزاع بين العزاب من الانكشارية ورفاقهم الذين كانوا اما متزوجين  
واما من الكراغلة الذين هم أطفال الإحراك ، قد تسبب في صدمة لمعنويات  
وسمعة الفرقة الانكشارية . ومن جهة أخرى فان كون التجنيد من المشرق  
كاد عمليا أن ينتهي قد جرده أيضا من عنصر البقاء . وقد قرر علي خوجة  
أن يحرق نفسه من طغيان هؤلاء الجنود . إذ أنه لم يكن يتولى المنصب حتى  
انسحب ، ومع الخزينة العامة ، الى حصن القصبة الذي كان يحرسه ألفان  
من المرتزقة الزواويين . ثم أعلن أن أي تركي بالاصالة قد يرغب في العودة  
الى المشرق سيكون حرا أن يفعل ذلك ، ولكن على أولئك الذين يختارون  
البقاء في الجزائر الطاعة التامة . لقد كان علي خوجة رجلا متمسكا  
بأوامر الدين ونواهي ، فقد أغلق العائلات ، وطرد جميع النساء من  
الشكنات العسكرية ، وأعلن عن اجراءات انضباطية قاسية

(draconien)

• (\*) وسرعان ما صار عدد كبير من الانكشارية ،  
متألف من ستة آلاف رجل . وكانت العقوبة على الثورة فظيفة . وقد  
مات علي خوجة سنة 1818 بالمطعون الذي كان ما يزال متوطئا في  
الجزائر . وكان خلقه ، الذي كان رجلا صميحا وكان يتطلع الى ان يكون  
آمنا في منصبه ، قد أصدر المصو على المنفى من الانكشارية والتي بمصر  
المراسيم الخاصة بالتزام الواهي الدينية . ولكن الامر كان متأخرا عن  
استعادة فرقة الانكشارية مكائتها القدسة في السلطة . صميا وصل  
الفرنسيون سنة 1830 كانت الملش الانكشارية ، وهي تقدر بأقل من  
ألفين وخمسمائة رجل ، عاملا ثانويا في المقاومة ضد الغزو ( الفرنسي ) .

ان العقد الأخير من الحياة المستقلة للايالة التركية الجزائرية يعرض  
المشاكل المستظرة التي كان الفرنسيون سيواجهونها عندما استولوا على  
اببلاد . فقد انتشرت الثورات في الباليكات ( الأقاليم ) ، اذ رفض العرب  
والبربر على السواء دفع الضرائب أو الاعتراف بسلطة أسادهم الأمراك ،  
بعد أن تأكدوا من ضعف حكومة الداي وتدهور قوته العسكرية . وكان  
البايات الذين فشلوا في استعادة النظام اما عزلوا واما خنقوا خنقا ، غير  
أن كلا الاجرائين لم يبرهن على فعالته بالنسبة لغزينة الداي . فالضرائب  
التي أمكن جمعها ، والاتاوات التي كانت تدفعها الدول الصغيرة غير  
القادرة على حماية سفنها الخاصة ، ومدفوعات الامتيازات الأوروبية في  
القالة ووهران ، وأثمان الغنائم القليلة التي سعت نقدا - كل ذلك لم يكف  
يثمر نقودا كافية لدفع أجور القوات العسكرية رغم انخفاض عددها .  
ولذلك فانه لم يكن من المستبعد أن يسقط النظام تشحة ضعفه الخاص  
حتى ولو لم يقرر الفرنسيون الغزو والاحتلال .

لقد كانت القوضى الموروثة عن هذا النظام جعلت حياة القناصل  
الأوروبيين صعبة . ان السلطات الجزائرية حولت البقاء داخل الحدود

\* 1 - دراكو Draco حكم ترمير ومنتوخ من القرن السابع قبل الميلاد ، والمراد أن  
مشرطه كان يحرق أو قاسه . المرحم .

الى حدهما صير الدول الأوروبية ، ففي هذه السنوات الأخيرة من  
الأغند ، التخلي عن قسطنطين هولندا والدنمارك ، وأخذ أعضاء  
مستجيبا ( وكانوا يروا وليسوا أروبيين ) بعيدا بتهمة الخيانة . وكان  
الدول الصغيرة لا تملك القوة لمقاومة مثل هذا السلوك . أما الأنكل  
فقد ضربوا الجزائر بالمسائل سنة 1824 عندما طرد قسطنطين من المنفى  
سبب مشاجرة مع الداي . وكان مجموع السفن التي ضربت المنفى  
اثنين وعشرين سفينة حربية ، ولكن القصف كان من مسافة بعيدة بحيث  
لم يعطف الا أسرادا طليعة . وفي النهاية خضع الأنكلين للداي ، مثل  
بقية الحكومات الأخرى ، وعينوا رجلا آخر كقنصل . لقد كان قصف  
المدينة غالبي الثمن كثيرا وكانت ثمراته معدومة . وهذا هو الذي أقنع  
الجزائريين كما أقنع سلطان تركيا ( كذا ) بأن الجزائر لا يمكن قهرها  
طالما لم يستقر الداي أوروبا كلها ضده . ولكن هذا الادعاء يبرهن على  
أنه كان خاطئا ، فقد نزلت حملة فرنسية بالجزائر سنة 1830 ، واحتلت  
المدينة وأنهت حياة الأيالة التركية .

وكانت أصول المشكلة الذي أدى في النهاية الى التدخل العسكري  
الفرنسي تعود الى عهد حكومة الإدارة ( سنة 1796 ) عندما كان التجار  
اليهوديان المنتفذان ، بكري وبوشناق ، قد مونا فرنسا بالقمح ، الذي كان  
معظمه يرجع الى حكومة الداي ( الداي الدايليك ) وليس الى التجار . ولم  
تدفع حكومة الإدارة الثمن ، ولكن نابليون ، بصفته قنصلا ، اعترف  
سنة 1801 بالدين ورخص بالدفع . غير أن النقود لم تسلم ( الى الجزائر ) .  
ولم يحصل شيء للتخفيف من غضب الداي الا بعد عودة عائلة البوربون  
الى الحكم . وفي سنة 1818 صيغت ووقعت معاهدة ( بين الجزائر وفرنسا )  
وقدر الدين فيها بسبعة ملايين فرنك . وبعد سنتين وافقت غرفة النواب  
( البرلمان ) على قانون يسمح بدفع الدين . وعندما وصل الأمر الى هذه  
النقطة تقدمت جماعة من التجار الفرنسيين بدعوى قضائية لجمع الديون  
التي بلغت حوالي خمسة ملايين فرنك ، وهي الديون التي لهم على بكري  
وبوشناق . وقد غادر التجاران بكري وبوشناق الجزائر فجأة خوفا على  
حياتهما ، بينما كان القنصل الفرنسي يشرح للداي أن نقوده لا يمكن  
اعادتها اليه الى أن تجدد الديون حلها وأنه لا يمكن أن يتقاضى منها

إلا انفصلة المثبتة بعد ذلك الحل . ولكن هذا كان شيئاً لا يمكن أن يدخل عقل الداي . فالقود كانت تقوده هو وليس تقود تكسري ولا تقود بوشاق . فكيف يجوز لحكمة مرسية أن تسمح لأي شخص أن يسرق تقوده ؟ وعندما رفضت الحكومة الفرنسية السماح له باستعادة انتاجين ، أصبح الداي مقتنعا انه كان مغشوماً .

ورحمت القضية الى الظهور في الثلاثين من أبريل سنة 1827 . لقد كانت صدفة سيئة الحظ اذ حدثت في نهاية شهر رمضان ، وهو الوقت الذي يصل فيه التعصب الاسلامي درجته القصوى (١) . وأسوأ من ذلك تلك الأخبار التي وصلت : ان الأسطول الجزائري ، الذي كان يدعم البحرية العثمانية في مجهودها للقضاء على الثورة اليونانية ، كان قد حوصر من قبل حملة بحرية أوروبية ، وأنه قد فقد زاده من التموين . وقد شاع لاعتقاد بأن طواقمه وبخارته كانوا يموتون جوعاً . فماذا حدث ؟ ان القنصل الفرنسي اختار هذه اللحظة بالذات ليطلب اطلاق سراح سفينة كانت ترفع العلم الفرنسي ولكنها في الحقيقة ترجع الى دعية من رعابا الدول البابوية ! استشاط الداي غضباً ، فصرخ باعتراضه ضد السلوك الفرنسي ، وسرد جميع شكواه ، وعندما حاول القنصل أن يجيب ، ضربه بمروحة وهدده بوضعه في السجن . ان الامتناع الفرنسي من نظام الداي ، والظلم الذي كان يشعر به هو من جراء اجراءات المملكة الفرنسية ، والمساعدة الأوروبية التي قدمت للثوار اليونانيين ، والاهانة الأخيرة التي لحقته من طلبه ارجاع غنيمة « شرعية » - كانت كلها أموراً فوق طاقة الداي . ولكنها كانت فوق طاقة الفرنسيين أيضاً !

ففي اليوم الحادي عشر من جوان سنة 1827 وصل أسطول فرنسي أمام الجزائر ، وحمل الفرنسيين المقيمين في المدينة ، ثم توجه الى القالة لنقل الفرنسيين المرتبطين بالتنازلات هناك . وبعد انجاز ذلك ، شرع الفرنسيون في نصب الحصار البحري ضد الجزائر .

(\*) - هكذا يصف المؤلف المصادرة في شهر رمضان بأنها تعصب اسلامي قد بلغ أقصى مداه ، ولا تدري ان كان هذا حكماً دينياً أو حكماً سياسياً ، ولكن الظاهر أن المؤلف لم يسلم من الوقوع تحت تأثير المطلق الاستعماري الذي اختلفت منه المبررات لاحتلال الجزائر . (المترجم) .

وقد كان المصارع سببا على الطرفين . ان الفرنسيين قد استولوا على  
 عدة من سائر البحار الجزائرية ، ولكن المحافظة عليها كانت مرصعة  
 التكاليف . ثم حدث « حادث » آخر : لقد تحطمت سميتان فرنسيتان  
 على ساحل الجزائر . ان طاقهما قد احتجزوا من قبل القبائل البربرية  
 وعزلوا في البداية معاملة الضوف ، ثم قتلوا وبيعت رؤوسهم للداي .  
 لقد كان ذلك موقفا اضيق الى النار ، وهو وضع سيء الحظ استمر  
 الى يوليو سنة 1829 ، حينما ارسل الفرنسيون مبعوثا عنهم الى الحرار  
 لمحاولة إنهاء النزاع عن طريق التفاوض . وكان الداوي ، الذي يبدو انه  
 اعتقد ان الاستعداد الفرنسي للتفاوض كان متصلا بمشاكل سياسية  
 خطيرة في فرنسا ، قد رفض منح التنازلات . حقا لقد كانت مشاكل خطيرة  
 في فرنسا حيث كان حزب الغلاة ( Ultra ) الذي كان معاديا للهيئة  
 الانتخابية ، وهي الهيئة المكونة فقط من العائلات الغنية والمحافظة ، ولكن  
 لم تكن رجعية بالدرجة التي كان يعتقد فيها حزب الغلاة . وفي الثامن  
 من اكتوبر سنة 1829 أصبح جول - أرمان بولينياك A Polignac  
 هو الوزير الأول . لقد كان محافظا لدودا ، بل رجعيا ، وكان مثل شارل  
 العاشر ، لم يتعلم ابدا أي شيء جديد ولم ينس أي شيء قديم . وكان  
 عازما على خلق الأزمة التي كانت تذر بقرنها في المملكة ، ولو أدى الأمر  
 الى القيام بانقلاب . وقد اقترح أحدهم بأن الجزائر قد تحول الأنظار  
 الفرنسية عن المشاكل المتولدة عن التشريعات الدينية الرجعية . وفي هذه  
 الأثناء اكتشف أحدهم الخطط المتعلقة بغزو الجزائر والتي كان قد وضعها  
 بوتان لنابليون . لقد كانت خططا كاملة تشمل حتى التعليمات الخاصة  
 بحركة الجنود في البر من أجل الاسنيلاء الأخير على المدينة . انها الخطة  
 النابليونية التي يمكن تنفيذها على يد حاكم بوربونى معاد والتي تجعل  
 الفرنسيين ينسون أمجاد نابليون . وربما كانت هناك أسباب أخرى وراء  
 القرار بغزو الجزائر الذي تمت الموافقة عليه يوم 31 يناير 1830 ، ولكن  
 أهمها هو الرغبة في خلق حادث يؤدي الى تحويل الأنظار عن الوضع المتردي  
 في فرنسا .

ولكن المسألة ما تزل مسألة وجهه نظر أوروبا . لقد كان القيصر الروسي في صالح ذلك سياسياً . (\*) ولم يكن للدولتين الألمانيتين أي مانع . ولم تكن الدول الصغرى في وضع يجعلها تقول شيئاً . ولم تمارس سوى ابتكرا والدولة العثمانية . أما الإكراك فقد حاولوا الإصرار على أن الجزائر كانت جزءاً من بلادهم بالرغم من أن أحداً في الجزائر لم يبد أي اهتمام بمهمات ( مراسيم ) السلطان . وأخيراً قرر السلطان بأن أفضل ما يمارسه هو إرسال مبعوث إلى الجزائر لبحث النهائي على قول النصارى ، فإذا فشل ذلك ، ربما لا تحدث تكتية ما دامت المحاولة تملأ الأخرى للهجوم على الجزائر في السابق قد فشلت فشلاً دريماً — فلماذا لا يفشل هذا الهجوم أيضاً ؟ وأما الإنكليز فقد عارضوا ، لأنهم لا يريدون الجزائر الخاضعة للمرتنيين في وضع يصاق تجارتهم في البحر الأبيض ، أنهم لا يريدون تعديلاً فرنسياً للحالة القائمة في عالم البحر الأبيض . وقد احتج السفير الإنكليزي في باريس ، ولكن الفرنسيين قرروا أن الاحتياجات كانت ، بصحة عامة ، على الورق فقط ويمكن تجاهلها . وهكذا بدا أنه لا وجود لأي مشاكل يمكن أن تفرض طريق الحملة التي كانت بصدد التحضير في موانئ فرنسا بالبحر الأبيض . والشئ الوحيد الجدير بالاهتمام هم المدافعون : فهم لديهم الكثير من الوقت لكي يعرفوا أن الفرنسيين يخططون لضربة ضدهم .

وخلافاً لحمليتي شارل الخامس ( شارلكان ) وأوريلي ، فإن الحملة الفرنسية سنة 1830 كانت معدة أعداداً محكمة . فقد كان بوتان منظماً دقيقاً ، ومهندساً جيداً ، ثم أنه وضع خطته بعد دراسة فاحصة واسعة للأرضية . ولم يحن 25 من شهر أبريل حتى كانت حوالي ستمائة سفينة ، منها ثلاثمائة سفينة حربية ، مستعدة للانحار . أما الجنود فقد التحقوا بالسفن أيام 11 — 18 من شهر مايو ، وفي اليوم الثاني والعشرين منه غادرت الأرمادة ( الأسطول ) كلها الميناء . وحدثت عاصفة أجبرتهم على التوقف في بامة حوالي أسبوعين ، ولكن الأسطول كان أمام ساحل الجزائر

(\*) — كان مصر دوسب مدند هو نقولا الأول ، ويقصد المؤلف أن القيصر كان مؤيداً متحمساً للحملة الفرنسية على الجزائر . ( المترجم ) .

يوم 12 من يونيو ، وفي 14 منه نزلت الدفعة الأولى من الجيود الى البر .  
وفي هذه اللحظة الحرجة حدثت عاصفة أخرى بمعاملة الفرنسيين كما  
« باب العاصفة القديمة شارل الخامس » ، ولكن الفرنسيين كانوا أكثر  
حظا وأبعد نظرا . فقد كانوا قد غلبوا المؤن والمعدات في محويات مصادرة  
لشرب المياه يمكن رميها الى البحر وتركها تطفو نحو البر حيث يمكن أن  
يستغلها الجيود الذين يكونون قد سبقوها الى البر . ولم يكن قد تم  
بهذه الطريقة الا جزء صغير فقط حتى هدأت العاصفة بالسرعة التي كانت  
قد بدأت بها ، ونزل الفرنسيون آمنين الى البر سواء رجالهم ، وجيولهم ،  
ومعدات الاسلحة ، والمدافع ، وعلف الدواب ، والطعام ، والارود ،  
والطلقات ، وحسم الأمور الأخرى المتعلقة بالمؤونة الحربية . ولم تكن  
المقاومة الجزائرية لعملية الانزال سوى مقاومة رمزية .

ولكن المشروع كله تعرض في هذه الأثناء الى الخطر عندما أرسل  
السلطان ، ربما تدخل من السفير الانكليزي باسطنبول ، باشا الى الجزائر  
حاملا أوامر الى الداي بأن يوافق على أية شروط للسلام في مقابل وقف  
الغزو . فإذا وافق الداي على ذلك فإن كل المشروع ( الحملة ) ستكون  
في خطر . وقد فهم القائد الفرنسي ذلك . واستطاع أن يوقف السفينة  
التي تحمل الباشا ( المبعوث ) وأن يوجهها بعيدا ، مع مبعوث السلطان ،  
دون أن يسمح لأي شخص بالنزول أو تقوم باتصالات مع السلطات  
الجزائرية . ولا يمكن للداي الآن أن يزعم أنه ، خضوعا لأوامر سيده ،  
مستعد أن يجعل الغزو الفرنسي غير ضروري .

وكان على الغزاة أن يواجهوا جنودا وخيالة من كل أنحاء الايالة  
الجزائرية . فقد أرسل البايات الثلاثة أفضل ما عندهم من جنود ، وانضمت  
القبائل الى الحرب ضد العدو المسيحي ، الذي يكرهونه أكثر من الأتراك  
ولكن هذه القوات كانت بصفة عامة غير منضبطة ، وضعيفة القيادة ،  
وغير مستعدة لتقف ضد جنود يقودهم رجال كثير منهم تعلموا فن الحرب  
تحت قيادة نابليون .

وسيكون عملا غير مفيد أن نصف تقدم عملية الغزو . ولم يحدث أي  
تعرض لخطر الفشل الا عند نقطة واحدة . ففي يوم 29 يونيو اعتقد الجنرال



رسمى Dreyfus أن لمراب الذي ظهر أمامه وأمام حشده وادعى أنه هو  
لا شاهد على أن خريطة بوزان كانت خاطئة . وقد حثه عدد من أعضاء  
حشده على إعداده لظفر ، ولكنه أمر جميع النساء حشده بما كان سيؤدي  
إلى إتاحة نجاحه كلها . ومن حشر حشده أن الجزائريين لم يتكلموا في أي  
وضع منكمهم من اقتحام مرمه عطلة قبل تصحيحها . أما من التواضع  
الأخرى فقد سار الغزو سيرا دقيقا . وفي الرابع من يوليو سقطت آخر  
حاصات مدينة الجزائر وسام الداي شرط السماح له سفارة البلاد  
ومائلته وثروته تحت حماية الجيش الفرنسي . لقد كان يريد أن يهرب  
بحياته ، وممتلكاته ، ويترك للآخرين أن يقرروا ما يفعلون حول السلام .

ودخل الحشود الفرنسي الجزائري تحت أظفار جموع غامسة . وكان  
الانكسارية قد أعلقوا الشككات على أنفسهم ، أما المتزوجون منهم فقد  
اندمجوا في زحام البلدية ( الحضر ) . ومن الواضح أن هؤلاء « الأساد »  
السابقين في الجزائر كانوا خائفين من جموع السكان في المدينة خوفهم  
من الغزاة الفرنسيين . وفي تلك اللحظة ، تردد الفرنسيون ، اد لا وجود  
لحكومة تتعاملون معها وطلبوا أوامر أخرى من باريس . لقد حدث  
الاتصار ( في الجزائر ) يوم الرابع من يوليو ، ولكن حدثت في يوم  
26 و 27 منه ثورة في باريس . وكان على بوليناك وحكومته وملكيته  
شارل العاشر أن يغادروا البلاد إلى أنكلترا . وشملت الحكومة الثورية  
الماركيز دي لافاييت Lafayette وتاليراند Talleyrand بالإضافة إلى  
ادولف تيير Thiers السحفي - المؤرخ المتميز ، وفرانسوا غيزو  
Guizot الأستاذ - المؤرخ المشهور ، وكازيمير بيربي وهو من أصحاب  
البنوك الأغنياء ، وغيرهم من أمثالهم في القيمة . وهم رجال من الصعب  
على المرء أن يتوقعهم يقودون ثورة تؤدي إلى إقامة الحواجز في شوارع  
باريس . ولكنهم كانوا هم الرجال الذين عليهم أن يقرروا ماذا يفعلون  
بالجزائر . وكان صعبا عليهم أن يقبلوا ، عن رضى ، أن يملى عليهم السفير  
الانكليزي . ماذا يفعلون ، هذا السفير الذي أصر على أن عليهم أن  
يؤسسوا حكومة أهلية ( الجزائر ) ويعودوا إلى فرنسا ، ولكن كان  
عليهم أيضا أن يواجهوا الرأي العام في بلادهم ، الذي تطور في أوروبا  
نتيجة الثورات في أمريكا الشمالية والجنوبية ، وكان منطلق هذا الرأي



انسان هو ان المسمرات تعتبر حلالا قليلا طالما هي لا تقدم الا فائدة صلبة  
للبلاد الام ، وهي ثائرة ممرودة حلالا تصبح ذات قيمة . ومع ذلك من  
القرار جاء في صالح اولئك الذين كانوا يريدون البقاء في مدينة الجزائر  
والقائه نظام حكم فرنسي في الجزائر كلها .

وكان القرار قرارا خطيرا ( مصيريا ) . فعندما حصل الجنرال الفرنسي  
المتصرف على توقيع آخر داي للجزائر على معاهدة تمنح الفرنسيين السيطرة  
والحكم لمدينته وارصه ، لم يكن هناك ما يقدمه حقيقة للمسؤولين  
الفرنسيين الا الشيء اليسير جدا . فقد كان الجيش الانكشاري قد فقد  
منذ امد ، قوته في الحكم . والواقع انه لم يكن في البلاد كلها سوى  
حوالي العين وخمسمائة ( 2500 ) انكشاري قادرين على حمل السلاح ،  
بيما كان شيوخ وامراء البربر والعرب الذين يحكمون قبائلهم ، بالاضافة  
الى اهل المدن الذين كانوا مستعدين الى تأكيد سلطتهم على جماعاتهم ، لم  
يعتبروا انفسهم ملزمين باي اتفاق قد يكون الداي قد وقعه مع المتصرفين .  
وباختصار فان الجيش الفرنسي المحتل وجد نفسه في واقع الامر لا يكاد  
يسيطر الا على قطعة الارض التي يسيطر عليها . وكان زعماءه قد  
واجهوا بالضبط تقريبا نفس المشاكل التي واجهت الايالة التركية في سنواتها  
الاخيرة . فقد رفضت الارياف والمدن ، التي اصبحت مسرحا لثورة مزمنة  
خلال عشر سنوات او تزيد ، رفضا قاطعا قبول الحكام الجدد بشكل  
لا يختلف عن موقفهم من الحكام القداماء .

واذا كان الفرنسيون قد ورثوا نفس المشاكل فان تأثير حكمهم كان  
مختلفا عن تأثير حكم الامراك . ويجب ان لا يتسم أحد عندما يكتب  
الفرنسيون عن « مهمتهم الحضارية » في افريقيا وغيرها لمجرد ان الجنود  
والبروقراطيين الفرنسيين طبقوا ، في بعض الأحيان ، مناهج واجراءات  
غير متناسبة مع تلك المهنة المثالية . ان فرنسا قد ادخلت الحضارة الغربية  
الى الجزائر رغم ان الطريقة التي ادخلت بها أدت في بعض الأحيان ، الى  
تأثير ممزق للعادات القبلية القديمة ، وبدأ ذلك التأثير وكأنه لا يعدو ان  
يكون فرض الحضارة الفرنسية على شعب غير مستعد لتقبلها ، عن طريق  
البنادق والرشاشات . وهذه الحضارة الغربية أخذت شكل نظام اقتصادي

حديث ، وعمران مصري أكثر عملاية ، وتصميم للتعليم والخدمات الصحية العامة ، واحترام أكثر لحكم القانون ، بالإضافة إلى صغير غير مخطط وغير منوع لاطارات ( كوادرات ) فادره على ادارته واسطارتورة ضد الحكم الفرنسي . وليس هناك أحد يرور المستعمرات الفرنسية القديمة اليوم ولا يرى الحقيقة ، وهي أن فرنسا قد أعطت الكثير لهذه الشعوب خلال سنوات حكمها لهم . (\*) ولكن كل هذا لم يكن داخل في مخططات سنة 1830 ، عندما قررت مملكة يوليو الجديدة في فرنسا أن تعمل محل الأتراك كحكام للجزائر وأقاليمها ( مايليكاتها ) . لقد كان ذلك معدرا له أن يكون هو قصة المائة والأربعين سنة التالية من التاريخ الجزائري .

---

(\*) - تسمى المؤلف آراء أمموه العربية ، لاسمعية / وهل يقول آراء الامبريالة اليوم؟ حول نتائج الاستعمار «موانده» ولا سيما مدأ «المهمة الحضرية لفرنسة» - كما تسمى الامبريالية عن الرحيل الأسس - ولو درس موضوعية لعرف أن المعلم الذي أشار إليه كان أسلوبه فقط وأن المهمة الحضرية لم تكن سوى مهمة تدمير حضارة أخرى بالصف ، وعم أسلا لا يارغ في بعض النتائج التي أشار إليها المرحوم .

## التصاريح

A.A.E. Archives des Affaires Etrangères	وزارة الشؤون الخارجية (فرنسا)
A.N. Archives Nationales	الوثائق الوطنية (فرنسا)
A de C de A Archivo de Corona de Aragon	وتتعلق تاج أراغون (إسبانيا)
BN Bibliothèque Nationale	المكتبة الوطنية (فرنسا)
BM. British Museum	المuseum البريطاني
R.A. Revue Africaine	المجلة الإفريقية

(\*) - هذا المصدر من تأليف د. يوسف بوعبدالله . الترجمة .

## المصادر

إن كل من يولي في كتابه لدرج عام من امالة الحرائر التركية - الحرية سيكون مديا كثيرا للأشخاص الذين عاشوا في الحرائر وكسوا في بحريهم فيما بالاماعة الى مسؤولي الدول الأوروبية الذين حاولوا ان يروا حكومتهم على الملأ على الاحوال والمشاكل . وأن هذه الدراسة ليست استثناء . بالمصون الأولة تصمد امعادا كبيرا على المؤرخين وكتاب الأحرار والحرمانين الذين كسوا خلال القرن السادس عشر . وقد وجدت ، مثل كل الباحثين الآخرين ، أن أعمال هاندو ومروون لا تعدر شي . ولولاها لما قارب أى كتاب من المغرب خلال هذا العهد حدود البعة العلمية . وعرف القرنان السابع عشر والثامن عشر كتابات أكثر من نوع المذكرات وكتب الرحالة ، ولكن أهمها بالنسبة للباحثين هي الرسائل والمذكرات التي أعدها الفاضل والمصائد البحريون وغيرهم من المسؤولين الذين كانوا يمثلون الدول الأوروبية في الحرائر . أن رسائلهم تعتبر شواهد تبين يمكن من خلالها التأكد من كتابات الرحالة والأرقاء والتجار والعاصمة وغيرهم ممن تركوا لنا صورا وآراء عن الرجال والأحداث في المنطقة . ومن سوء الحظ أنه لا وجود لوثائق أخرى مكتوبة من قبل الأتراك أو الجزائريين لا تصفهم مسؤولين ولا تصفهم رجاله . يعني بذلك الوثائق المتوفرة لنا نحن الذين لا نعرف غير اللغات الأوروبية .

بعد قمت المواد التي استعملتها الى :

- 1 - رسائل ووثائق مخطوطة ثم رسائل ووثائق مطبوعة طبع في عصرها .
- 2 - كتب وكتابات وغيرها من المواد التي كتبت قبل سنة 1830 .
- 3 - أعمال امتحان باحثون متخصصون وغيرهم منذ 1830 .

وانني لا ادعي بأن هذه الجيوغرافية هي عمل كامل لكل المواد المتصلة بالإيالة التركية ، ومع ذلك فانها تقدم قاعدة صلبة لهذه الدراسة ، ويجب

## المصادر

إن كل من يرمي في كتابه تاريخ عام عن إيالة الجزائر التركية - البحرية سيكون مدينا كثيرا بالأشخاص الذين عاشوا في الجزائر وكتبوا عن تجربتهم فيها بالإضافة إلى مسؤولي الدول الأروبة الذين حاولوا أن يسهوا حكوماتهم على اطلاع على الأحوال والمشاكل . وإن هذه الدراسة ليست استثناء . والمقصود الأربعة الأولى بمفرد اعتمادا كبيرا على المؤرخين وكتاب الأحرار والمحرميين الذين كتبوا خلال القرن السادس عشر . وقد وجدت ، مثل كل الباحثين الأحرار ، أن أعمال هابيدو ومرمول لا يقدرون بشئ . ولولاهما لما عرفت أي كتاب عن المغرب خلال هذا العهد حدود الشعة العلمية . وعرف القربان السابع عشر والثامن عشر كتابات أكثر من نوع المذكرات وكتب الرحالة ، ولكن أهمها بالنسبة للباحثين هي الرسائل والمذكرات التي أعدها العاصل والعاصف الحريون وغيرهم من المسؤولين الذين كانوا يعملون الدول الأروبية في الجزائر . إن رسائلهم تعتبر شواهد ثبوتية يمكن من خلالها التأكد من كتابات الرحالة والأدقاء والتجار والقساوسة وغيرهم ممن تركوا لنا صورة وآراء عن الرجال والأحداث في المنطقة . ومن سوء الحظ أنه لا وجود لوثائق أخرى مكتوبة من قبل الأتراك أو الجزائريين لا تصفهم مسؤولين ولا تصفهم رجاله ، يعني بذلك الوثائق المتوفرة لنا نحن الذين لا نعرف غير اللغات الأروبية .

لقد فمت المواد التي استعملتها إلى :

- 1 - رسائل ووثائق مخطوطة بم رسائل ووثائق مطبوعة طبعست في عصرها .
- 2 - كتب وكتيبات وعيها من المواد التي كتبت قبل سنة 1830 .
- 3 - أعمال انتجها باحثون متخصصون وعمرهم منذ 1830 .

وأنني لا ادعي بأن هذه البيلوغرافية هي عمل كامل لكل المواد المتصلة بالإيالة التركية ، ومع ذلك فإنها تقدم قاعدة صلبة لهذه الدراسة ، ويجب

في يومه ... في زيادة البحث في ...  
 التسمية العربية - البحرية بالحواشي

مخطوطات ومصادر أولية مطبوعة :

1 - المخطوطات :

MANUSCRIPTS

- Public Record Office, London, 772-Sp. 71-1, 2, 3, 4 772 IND 13595-96.  
 Archives des Affaires Etrangères, Paris. France, M et D, 792, 917, 397,  
 366. Algérie, M et D, 12, 13  
 Archives Nationales, Paris K 1334.  
 Archivo de Corona de Aragon, Barcelona Consejo de Aragon, Legajos,  
 555.62  
 Bibliothèque Nationale, Paris Ms. Franc 16141, 16164, 167838, 15873,  
 13466, 16633, 10655, 19608, 5561, 19799, 23353.  
 British Museum, London Newcastle Papers, Add 38093 32779 ; PS 8/  
 10261.

2 - المطبوعات :

- Anderson, R C. *The Journals of Sir Thomas Allen* (1666-1678), Navy  
 Records Society, 1940  
 Barstoll, Jan S. de, *Documentos sobre la armada de liga y batalla de  
 Lepanto sacados del archivo de Simancas*, Madrid, 1842-43.  
 Basset, René, *Documents musulmans sur le siège d'Alger en 1541*, Paris,  
 1890  
 Berbrugger A., "Les Casernes de janissaires à Alger," *Revue* (R A)  
 vol III pp. 138-50  
 - "L'Expédition d'O'Reilly contre Alger en 1775," R A VIII, 172-  
 87, 408-20 ; IX, 303 6 ; XI, 458-67  
 - "Mers el Kébir et Oran d'après Diego Saurez Montanes", R A  
 IX, 251-67, 337-56, 410 29, vol X. 43-50, 111-25.  
 Carrère, S. *Négotiations de la France dans le Levant au XVI siècle*, 4  
 vols., Paris, 1848-60  
 Chappell, Edwin, *The Tangier Papers of Samuel Pepys*, Navy Records  
 Society, 1935  
 Clement, Pierre, *Lettre, instructions et mémoires de Colbert*, 7 vols.,  
 Paris, 1861-70  
 Deny, J., "Charte des hopitaux chrétiens d'Alger en 1694," R A. XVIII,  
 233-44.



Journal de Card, E., *Traité de la France avec les pays de l'Afrique du Nord Algérie, Tunisie, Tripolitaine, et Maroc*, Paris, 1906  
 que, M J H., *Correspondance de H. d'Escoubleau de Sourdis*, Paris, 1859  
 Teita, I de, *Recueil des traités de la Porte Ottomane avec les puissances étrangères*, Paris, 1864

### مؤرخو وكتب العواطف : القرن السادس عشر :

كل الكتاب الذي يسألون ظهور الجماعة التركية - الحرب في شمال  
 Fra Diego Haedo الذي كتبه مراديفو هايدو كان سجيا بالجزائر خلال  
 و هو راعب بنديكيي Benedictine  
 1578 - 1581 . لقد كان ملاحظا وسائل دقيا ودكيا وتشدده الحساسيه .  
 ويعتبر عمله اساسيا لكل الكتابات العربية اللاحقة عن الجزائر .

1. *Topographia e Historia General de Argel*, Valladolid, 1612.
2. *Epitome de Los Reyes de Argel*, Trans. by R.A. de Grammont, 1880.  
 1881, Alger, 1881.

3. *Dialogos de la Captividad*, Trans. by Molinervolle, Alger, 1897.

والتاريخ التالي الذي لا يقل اهمية في القرن السابع عشر ، هو كتاب  
 Pêre Pierre Dan الذي كتبه في مدينة فوتينبلو . وعاش في  
 St. Tinity وفداء الارقاء في مدينة فوتينبلو . ويعتبر كتابه : تاريخ  
 الجزائر خلال جزء من عشرة 1630 - 1640 . ويعتبر كتابه : تاريخ  
 بربرارية ( شمال افريقية ) وبحارنها ، باريس 1637 عمدة لهذا العهد ،  
 ويجب ان نفرض النظر من ميول بيردان المسيحية ، وهو في ذلك مثل  
 هايدو . فاذا فعلنا ذلك فان كتابه يعتبر مصدرا ذا قيمة كبيرة .

والمؤرخ التالي الذي يتمتع بمواد هامة هو لوجي دي طاسي  
 Laugier de Tassy وكتابه هو :

*Histoire du Royaume d'Alger*, Amsterdam, 1725.

وكان طاسي مسؤولا في القنصلية الفرنسية بالجزائر بالاضافة الى انه  
 كان مبعوثا بحريا للملك الاسباني في نيدرلاند (هولندا) ، ولكن عمله معتم  
 لانه لم يستطع ان يقاوم الاخبار عن الحكاية الاسطورية للعلاقة الغرامية  
 بين عروج وزوجة حاكم الجزائر الذي خنقه . ان « الرسائل الحقيقية »  
 التي قدمها لقرائه تعتبر مجرد هديان فرنسي خلال القرن الثامن عشر ،  
 ولكن كتابته عن عهده هو في الجزائر تعتبر جديرة بالانتباه الدقيق .



وقد اعتمد حوريف مورغان (a) *Joseph Morgan* مؤرخ العرب  
 الناس بشر الانكليزي من مرقونه (شمال افريقيا) اعتمادا كبيرا على  
 ما كتبه طاسي ، حتى ان عمله لا يكاد يخرج من كونه ترجمة لتاريخ هذا  
 الرجل العربي ، وبشيء بذلك كتاب مورغان المسمى :  
*A complete History of the Piratical States of Barbary, London, 1790.*

ولمحتوي المكتبة الوطنية الفرنسية على مسحتين مخطوطين من اواخر  
 القرن الثامن عشر من "تاريخ مشروح" كتبهما في رسال *Anté Raynal*  
 بعنوان : *Mémoire sur Alger B.N. Mss. franc 6429 fols. 102-61*  
 (مسحطان من المذكرة) .

وهذا العمل مكتوب كتابه جيدة ويحوي على معلومات دقيقة من  
 مصر .

ومن اهم الكتب المؤلفة : من المغرب العربي في القرن السادس عشر  
 كتاب لويس ديل مرمول كرانجال *Luis del Marmol-Caranajol*  
 الجغرافي ومدون الحوادث ، وهو المسمى بـ :

*Description General de Africa con todos los successos de guerra a Aviedo  
 entre los infideles y el Pueblo Christiano, Granada, 1573*

وهو في ثلاثة اجراء ، وتوجد فيه ترجمة فرنسية غير اتمية قام بها بيمولا  
 سيمون *N. Samson* ، باريس ، 1667 . وقد كان مرمول مع شارل  
 الخامس في تونس . كما كان مسرقا في العرب الاقصى ، وكان يدقضي  
 حوالي عشر سنوات متتفلا في المغرب العربي . فوصفه للمنطقة وشمها  
 يعتبر ذا قيمة كبيرة .

وهناك ثلاثة من كتاب الحوادث الاسبان الذين تعتبر اعمالهم ايضا  
 مفيدة جدا . وهم :

- *Alfonso de Santa Cruz : Cronica del Emperador Carlos V, Edition  
 de la Réal Academia de la Historia, Madrid, 1920-1922, 3 vols.*
- *Juan de Marianai A. General History of Spain from the First peop-  
 ling of it by tribol Til the Death of King Ferdinand, Trans. by Capt.  
 John Stevens, London, 1699.*
- *Prudencia de Sandoval : Historia de la Vida y Hechos del Emperador  
 Carlos V Maximo, Fortissimo, Rey Catholico de Espana y los indias,  
 y Tierra Firme del Mar.*

(\*) - ذكره المؤلف ها حوريف ، وقد وجدناه في بعض المؤلفات حون مورغان ، انظر دراستنا  
 عن كتابه (الكاس في تاريخ الجزائر) في كتابنا (ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر)  
 القسم الاول - فصل : الجزائر في مؤلف انكليزي قديم المترجم .

وله من أول مرة في مدينته سنة 1604 . بعد كان مؤلفه .  
 الثلاثة مظهر حيدا على الأحوال الإنسانية في وقته . ولما كان  
 تعتبر حذره بالاعتبار . مهم كانوا يشعرون أحوال العصر ويكتبون  
 لوارثهم . وبالإضافة إلى هؤلاء يوجد مؤرخ وكتابه حوادث أساسية  
 يسمى *Padra Aberca* الذي  
 De los Anales de los Reyes de Aragon, Salamanca, 1684.  
 باب وقصوا في مظلة الحروب . وكتابه يسمى :

وهناك أيضا تأليف حمراني ومدون للحوادث يعتبر أساسيا أيضا وهو  
 تأليف الباحث العربي المنصر الذي ألهم تحت اسم *Leo Africanus*  
*De Totius Africa Descriptions Libri*, Zurich 1555 (French translation  
 by Jean Temporal, Lyon, 1556).  
 J.B. Gramaye : *Africae illustratae Libri Decem*, etc

وهذا الكتاب ليس مجرد أحوال المؤلفي *Amrkanus* ومردول .  
 أن كتاب الحوادث ومؤرخي القرن السادس عشر والسابع عشر  
 بحسبها عن قصة عروج وأحربه . ولكن أكثر هذه الكتابات أهمية وأدلة  
 لنفسه هو . كتبه *سار شاوش* (الذي يدل اسمه على أنه ربما كان مسوفاً  
 أو رسولا من عند السلطان) ، ونصبي به كتاب عروا عروج وخير الدين  
 ( مؤسس أوحا الحرائر ) . وترجم هذا الكتاب ترجمة ثان وأحسنة  
 اساندر رانج و *Ferdinand Denis* : *La Fondation de la Regence*  
*d'Alger*, 2 vols. Paris, 1837, B.N. LK8-141 *venture de paradis* ;  
 B.N. Mss. Franc N A. 892

وبارادي هو الباحث (الفرنسي) الممجر الذي عاش خلال القرن الثامن  
 عشر ، ربما كتب الترجمة المذكورة في نهاية القرن المذكور . وترجمته  
 مخطوطة في المكتبة الوطنية الفرنسية كما سبق .  
 ومن الواضح أن الوثيقة (العروا) كتبها شخص أما كان يعرف خير الدين  
 جيدا فكان يحلل قصصه بالتوالي ، أو كتبها آخر لكنه يعرف هذا  
 الشخص جيدا . فلا يمكن «لغازي» خير الدين أن ينال تعاطفا أكثر - بل  
 أسطوريا نوعا ما - في غزواته حتى ولو كتبها هو بنفسه . وهناك عمل  
 تركي آخر يجب الرجوع إليه وهو كتاب حاحي خليفة : تاريخ الحروب  
 البحرية للأتراك ( وهو مكتوب حوالي سنة 1645 ) ، وقد ترجمه إلى  
 الإنكليزية :

James Mitchell : *History of the maritime wars of the Turks*, London,  
 1831, B.N. J3-371

وصوابه بالتركية معناه : تحفة الكدر في اسفار امرواى البحار  
ويصور هذا العمل اكثر دقة مما عليه ، وهو يشاوب اشبه الحرفة  
المتوسطة في البحريين الاحمر والاسود بالاسماة الى البحر الابيض  
المتوسط .

وان المؤرخ الفرنسي في القرن السادس عشر ، جيبورد دي برانتوم  
de Brantôme قد عالج مشاكل القرن السادس عشر بكتابة  
دراسات شخصية ( بيوغرافيات ) وسرد واصفا انه كان على سفره  
بالاحبار المتوقفة في اللات العرسي ، بالاصابة الى انه كان على اطلاع  
عام على احوال اوروبا في ذلك العهد :  
- Pierre de Bourdeille, Sgr. de Brantôme . Oeuvres complètes, Paris,  
1864-1882, II vols.

وهناك عمل فرنسي آخر كتبه نقولا دو ميبوا :

- Nicholas N. Dauphinois . The Navigations, Perigrinations and  
voyages of Nicholas

( بدون تاريخ )

وهذا الكتاب ترجم من الفرنسية في :

- Collection of voyages and travels from the library of the Earl of  
Oxford, vol. I, pp. 701 707 1765 (?)

وكانت رحلته قد بدأت سنة 1551 . وقد كان حاحا وحمرا ميا مادبا  
لهنري الثاني ملك فرنسا .

واكثر الكتب رواحا عن سياسته شارل الخامس الاربعية هو :

- Expeditio in Africam ad Algeriam, Paris and Antiverp, 1542

وهو مترجم الى الانكليزية هكذا :

- Lamentable and Piteous Treatise, etc.

Harkian Miscellany

وقد اعيد طبعه في مجموعة هارليان  
لندن سنة 1745 .

اما الترجمة العربية معواها :  
- L'Expédition et voyage de l'Empereur Charles le Quint en Afrique  
contre la cité d'Arges, Lyon, 1542.

وقد كان السيد نقولا ورسا من فرسان القديس يوحنا . وكان مع  
شارل في الجزائر . وكان السيد توماس شالوني  
الذي كان أيضا ورسا من فرسان القديس يوحنا وكذلك كان مع شارل  
( في الجزائر ) ؟ . قد كتب مذكرته في :  
- De Republica Anglorum Instauranda, Hakluyt, vol II, pp 99 ff

- ويعلم لنا الكاتب انني الذي القه فوناس ديمودي « نصب فيه »  
 في كثير من الأشخاص الذي عالجهم في هذه القواسم ، وهو  
 - Puentes, Diego de Conquesta de Africa donde de hallaron agora  
 sueramente recopiladas por Diego de Puentes muchas y muy notables  
 basanas de particulares cavalleros. Anvers, 1590  
 بالاسامه الى كتاب حول مليب الذي يتحدث عن « المعركة » التي  
 حطت الانكيز محل ترحيب في الجزائر في نهاية القرن السادس عشر .  
 - Jones, Philip A true account of a worthy fight performed in the  
 voyage from Turkey by five ships from London against 11 gallies and  
 two frigate of the king of spains at pantalaras within the staights  
 Anno 1586, reproduced in Hakluyt Navigations, voyages, etc vol  
 VII, pp. 229-238, Edinburghe, 1888

### رحالة وجغرافيو القرنين السابع عشر والثامن عشر :

يعطون منتصف القرن السابع عشر احد الاروبيون القريبون بطودور  
 سرعة دوقا في ادب الرحلات والجغرافية وغيرهما من المعارف العامة .  
 وكما يتوقع المرء فان المغرب العربي ساهم بقسطه في هذا الادب . وبعض  
 هذا الادب يعتبر مصدرا هاما للخروج . والمصادر التالية كانت مفيدة  
 للغاية في تحضير هذا الكتاب . غير انه يجب علي ان الاحظ ان المذكرات  
 التي اعدتها القناصل الانكيز والعربون والتي هي موجودة في مكتب  
 السجلات العامة (Public Record Office) وفي وثائق النسؤون  
 الخارجية وفي المكتبة الوطنية ، بالاضافة الى اوراق فانتور دي بارادي  
 الموجودة ايضا في قاعة المخطوطات بالمكتبة الوطنية :  
 (MS Franc N.A. 3158, 3160, 9134-38 and MS Franc. 6429-30)

ربما كانت ( تلك المذكرات ) اكثر فائدة من اي عمل من أعمال الرحالة  
 والجغرافيين ، باستثناء توماس شو Thomas Shaw الذي برهن على  
 انه كان ملاحظا لا يعمل بباهه عن الرجال الذين ارسلوا الى الجزائر ليخبروا  
 من احوالها لفائدة وزراء الملك .

والمؤلفات التالية اعمال مفيدة كتبها رحاله او هي جرائد (يوميات)  
 زيارات للجزائر :

Anonymous, Etat des Royaumes de Barbarie : Tripoli, Tunis et Alger,  
 Rouen, 1703.

ثلاث رسائل من المفروض انها كتبت من قبل القساوسة عن رحلتهم  
 الى الجزائر من اجل العداء ، وفيها تعاليق هامة عن مجتمع كل ابالاة من  
 الابالات .

Anonymous, *Several voyages to Barbary with the hardships and sufferings and the redeeming of Christian slaves With a Journal of the life and commander of Oran* 2d ed London, 1736

Baxter, J. *Algeri's Voyage. Journal or Briefe reportary of all occasions happening in the fleet of ships sent out by the king, his most excellent Majesty against the Pirates of Algiers* etc. London, 1671

Brougham, Elizabeth. *Six Years Residence in Algiers*, London, 1838.

Brown, Dr John. *Barbarossa, a Tragedy* (1852)

نظمه مسرحية مشهورة منحت في فلاديلفيا . وهي قائمة على قصة رومانية (ظهير 9) ، غير ان خير الناس في هذه المسرحية ، وليس احاء مروج ، هو اقبال وهو العالم بدور الاغصان الاروم . وهو حيا قد فعل من قبل مسلم ، ان روميه ، في نهاية الرحلة .

Cacy, Mathew, *A short account of Algiers, containing a description of the climate manners and customs several wars with powers of Europe from the usurpation of Barbarossa to the present With a concise view of the origin and capture between Algiers and the United States* Philadelphia, 1784

وهو كتاب صغير الحجم مع عنوان تكاد تكون في طول الكتاب نفسه لكي يجر شمس الولايات المتحدة الأمريكية لاداء هم يحاوي في شمال افريقية .

Croix, Abbé Nicolle de la, *Géographie Moderne*, 2 vols., Paris, 1769.

Dapper, Olfert, *L'Afrique*. Amsterdam, 1686.

وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية مع بعض الاضافات ( رسوم وصور ، الواردة في الطبعة الفرنسية .

D'Avity, Pierre, *S.O.T.V.Y gent ord de la c. de Roy, Les Estates, Empires et princepantes du Monde*, Paris, 1615 (also printed in English the same year see Newberry Ayer 137/a7/q615 and Case F 09 06.)

Dominici, Alfonso de' *Trattato della miserie, che patiscono i fedeli christiani schiavi de' Barbati, e dell'indusgenze che sommi pontifici han concesse per lo riscatto di quelli*, Rome, 1647.

Dunton, John *A true Journal of the Sallée fleet with the proceedings of the Voyage* (1636) Library of the Earl of Oxford, vol II, pp. 492-98.

Fau, R P. de la Mercy, "Description de ville d'Alger avec observation d'une éclipse de lune qui y arriva le 13 février 1729". R A CXXXIV, 250-56

Faye, J B. de la, *Etat des Régences de Barbarie Tripoli Tunis et Alger*, The Hague, 1704

Frejus, Roland, *Relation d'un voyage fait en Mauritanie par Roland Frejus de Marseille par ordre de S.M en 1666*, Paris 1670

- Journalist, H D de, and Pierre, L. "Un manuscrit du Parc (Paris) Les  
Algeres Capita". R A XXVII, 11-13. 191-193. 193-195. XXVIII.  
Labat, JB ed. *Almanach du Chevalier d'Artois* 6 vols. Paris, 1756  
J. Arveux وشمس دارميو
- Le sieur Tollee, *Nouveau voyage fait du Levant en années 1751 et 1752*,  
Alger, Tunis Tripoli, etc. Paris, 1742  
Ogley, John, *Accurate Descriptions of the Regions of Egypt, Barbary  
and Hildgered*, London, 1686  
Jenati, Philoppe (trans. and with notes by Edward Blaquiére), *Narrative  
of a Residence in Algiers*, London, 1818  
Roxqueville, Sieur de, *Relation du Royaume et du Gouvernement d'Alger*,  
Paris, 1686  
Shaw, Dr Thomas, *Travels or Observations relating to several parts of  
Barbary and the Levant*, 2 vols., Edinburgh, 1808 (from publication  
in folio, London, 1738)  
Spragge, Sr Edw., *A true and Perfect Relation of the Happy Success-  
ful fleet in the Mediterranean under the command of Sr Edw Sprag-  
ge*, (May 1671), London, 1671  
Tassy, Laugier de, *Traité de l'Esclavage des Chrétiens au Royaume d'Al-  
ger avec l'Etat présent de son gouvernement, de pais et de la manière  
dont les Esclaves Chrétiens son traite et réchatez*, Amsterdam, 1731.  
Tindall, Mat Doctor of Laws, *An essay concerning the Laws of Nations  
and the Rights of Sovereigns*, London, 1694.  
Venture de Paradis, "Alger au XVIII<sup>e</sup> siècle", R A XXXIX, 265-314 ;  
XC, 33-78 ; 250-77 ; CXI, 68-118 In manuscript, Bib. Nat ms franç  
n.a., 892.  
Villotte, S J, P., *Voyages d'un missionnaire de la Compagnie de Jésus,  
en Turquie, en Perse, en Arménie et en Barbarie*, Paris, 1739  
Vries, S de, *Historie van Barbaryen en des zelf Zee-roovers*, 2 vols. Ams-  
terdam, 1684.

## مؤلفات عن الرق والفداء :

يوجد عدد من الكتب الهامة التي فيها اناس كانوا ارقاء في الجزائر  
او في احرار اخرى من المغرب العربي ، بالاضافة الى كتابات بعنوان  
« رحلات الفداء » . ويقدم لنا الدكتور ابلان فريدمان  
Ellen Friedman في دراسة عن الاسرى الاسبان في شمال افريقية التي ستنشر قريباً ،  
يقدم لنا افضل قائمة بهذه الكتابات التي فيها مؤلفون اسبانيون . وان

تؤلفات الأبيد التي رحمت إليها فصل الفصل الأعمال الفخرية في مكتب  
 إدوين كينيكاو .  
 Amsterdam, L'Ecluse religieux et ses avantages, Paris chez Desnos  
 Martine, MDCCXC

D'Aronde, Emmanuel, *The History of Algiers and its Slavery* (trans by  
 John Davies) 1666

Devis, William, *A True Relation of the Travels and Most Miserable  
 Captivity of William Davis*, Library of the Earl of Oxford, vol I,  
 1745, pp. 475-88

De la Motte, P. Cornelia, Fran., and Bernard, Jos., *Voyage to Barbary  
 for the Redemption of Captives*, Eng. trans., London, 1785

Knight, Francis, *A Relation of Seven Years of Slavery under the Turks  
 of Algiers Suffered by an English Captive Merchant*, London, 1640,  
 and Library of Earl of Oxford, vol II

أن هذا الفصل الذي ألحقه فرانسيس نايت F Knight من  
 أكثر الأعمال دفعه في هذا الأدب المتعلق بالرق والعداء . لقد كان هو ربيما  
 في نفس الوقت الذي ظهر فيه المسمى (الأب) دان . في الحراس ،  
 ولذلك فإن الرحلين يواحه أحدهما الآخر ، بل أهما - كما هي العادة -  
 يؤكد أحدهما ما جاء به الآخر .

Martin, Maria, *History of the Captivity and Sufferings of Mrs. Maria  
 Martin who was Years a Slave in Algiers. Written by Herself*, Boston,  
 Newberry Library case 4-5779 5

Oakley, William, *Eben Ezer or a Small Monument of Great Mercy Ap-  
 pearing in the Miraculous Deliverance of John Anthony*, William  
 Oakley, William Adams, John Jephth and John Carpenter, London  
 1675.

ويقول ويليام أوكللي W. Oakley من كتابه « لقد كتبت تاريخا  
 الأصدقاء ليعراوه . وإلى أن يكون في استطاعتي أن أظهر على أصدقائي  
 بتعليمهم التحدث بالانكليزية بطريقة أفضل قليلا ، فإنه لن يكون في قدرتي  
 الرعم بأنني أتركهم يذهبون إلى الخارج ... أن المدة والحشو من نصيبي  
 أنا ، أما التنسيق والشكل من عن الآخرين . » ولذلك يكون أوكللي  
 « صادقا » مع نفسه « عادلا » مع قرائه . أن أوكللي كان رفيقا ( في  
 الجزائر ؟ ) من أول أغسطس سنة 1639 إلى 30 يونيو سنة 1644 .

Pellow, Thomas, *The History of the Long Captivity and Adventures of  
 Thomas Pellow in South Barbary*, 1720 1736, ed ND Newberry Li-  
 brary case Y 1565.

Phelps, Thomas, *A True Account of the Captivity of Thomas Phelps*,  
 London, 1685. Newberry Library, Bonapart collection, vol. 8.



Anderson, Henry. *Liberals or Ruffians to the English Captives in Algier*,  
London, 1643  
Underhill, Dr Updyke. *The Algerian Captive or the Life and Adventures  
of Dr Updyke Underhill, Six Years a Prisoner among the Algerians*,  
Harcord, 1816

كتاب ويلسون منذ 1830 :

خلال القرن الماضي قدمت الى جمهور المنعمين أو القراء مسموما في  
فرنسا و انكلترا و إيطاليا حوالي ثمانية أو عشرة أعمال تاريخية تسمى  
بالمغرب العربي خلال سواب الاحتلال التركي . ومن أوائل هذه الأعمال

— The scourge of christendom. Annals of British Relations with Algiers  
Prior to the French conquest, London, 1884

وهو كتاب في الواقع يتناول أنشطة أو بالأحرى حروبا من أنشطة عدد  
من القناصل الانكليز في الجزائر ، كما انه قائم على الوثائق الانكليزية  
خاصة ، ومهتم بالمشاكل الانكليزية بالدرجة الاولى . اما الكتاب الثاني  
فهو ما نشره غرامون H. D. de Grammont

— Histoire d'Alger sous la domination Turque, Paris, 1887

انه كتاب ما يزال اساسيا ، كلاسيكيا . لقد علم غرامون نفسه ان  
يكون مؤرخا ، فكان في الواقع اهم باحث في تاريخ الالبالة التركية (الجزائر)  
من جهتي تأليفه التاريخيه ونشره للوثائق المصدرية . ونحن لم نعد نقبل  
تفسيره للعوى المتحكمة في الالباله ولكن يجب علينا ان نمجبه بعمله .  
ويجب من ناحيه اخرى ان يذكر انه كان مركزا كثيرا بالخصوص على  
فرنسا كما كان يغير مركزا كثيرا على انكلترا .

اما الدراسة الهامة التالية التي نتناول جميع شمال افريقية من القديم  
الى الاحتلال الفرنسي فهي كتاب ميرسييه E. Mercier  
— Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps plus reculés  
jusqu'à la conquête française, Paris, 1891, 3 vols.

ان هذا الكتاب يعبر محما من الحقائق التي لم يكن دائما مهضومة ،  
ولكنه ذو قيمة بالنظر الى التفاصيل . وقد نشر لين بول Lane Poole  
كتابه : The Barbary Corsairs — سنة 1890 ، ولكنه لم يضيف  
شيئا الى القصة ما عدا انه كتاب بالانكليزية . ويأتي بعد ذلك كتاب  
هنري غارو : H. Garrot

— Histoire générale de l'Algérie, Paris, 1907.

الذي هو كتاب عام موجه الى جمهور فرنسي مهتم بدور فرنسا في شمال  
افريقية .



تم ايداع الحرب العالمية الاولى مؤلفا الاحتكام بالبرابر ، ولا سيما  
بالبرابر تحت الاثر ، ولكن في سنة 1931 نشر شريك امريكي جودفري  
Ch. A. Fisher كتابه .

— *Nouveaux de l'Afrique du Nord*.

وهذا كتاب مختار سنال روسي والبرابر ومراكش من الفتح العربي  
الى سنة 1830 . وقد طبع هذا الكتاب ثمانية سنة 1966 وظهر به  
ترجمة انكليزية سنة 1970 قام بها جودفري Fisher  
ورغم ان هولاء لم يحصوا للاحتلال التركي سوى سبعين صفحة . بل  
هذا الكتاب خبير حقاً بالمرأة .

تم نائي دراسة السير جودفري Fisher

— *The Barbary Legend, war, Trade, and Piracy in North Africa (1312-1830) Oxford, 1937.*

ومؤلفه يقدم ادعاء حقيقيا واضحا وهو ان الحصاره الأوروبية لهذا العهد  
كانت حشنة وعبيقة ولا يمكن الاعتماد عليها من مدة وجوه ، لم يصر  
في اتجاهه مبدعي ايضا ان حكام ومخاربه ابالات شمال امريكية كانوا اهل  
ذبا من الأوروبيين بالسمه الى تلك العطايا . وكل جهد لتسريته  
Whitewash ( اهل الجرائر يمكن القيام به موجود في هذا الكتاب .  
انه من المدهش الواضح ان تتبع جهود مبشر في اظهار الشمال امريكيين  
مصحيا للتصرفات الأوروبية بينما هم كانوا دائما رجلا شرما !

لقد قضى السير جودفري وقتا طويلا في البحث . ولكنه منم كتابه  
préjudice معنوس . اما كتاب هيوباك Pierre Hubac

— *Les Barbaresques, Paris, 1949.*

فهو يحاول ايضا ان ينظر الى اهل شمال افريقيه من وجهه نظرهم ، ولكنه  
لم ( يبرئهم Whitewash ) .

ولكن افضل دراسته خلال السنوات الاخيرة هي كتاب سلفسانوري

Salvatore Bono

— *I Corsari Barbareschi, Turin, 1964.*

Radiotelevisione Italiana

وكان هذا الكتاب قد نشر تحت اشراق  
وهو مركز على البحارة ونشاطهم بدل حكومة الابالة التركية ، ولكنه من  
هذه الناحية يعتبر كتابا ممتازا ، كما انه يحتوي على بيلوغرافية جيدة  
تتم بالدرجة الاولى بالمصادر الإيطالية التي هي عادة غير مستعملة من قبل  
الكتاب الآخرين — بما في ذلك مؤلف هذا الكتاب .

Peter Earl

اما كتاب بيترايل

- *Journal of Malta and Barbary*, London, 1970
- هو كتاب يقدّم من جهة فرنسا العربي وبحثا أكثر من بحارة العرب  
لقد استعمل أول الوثائق والأرشيفات الموجودة في مناطق البحر  
صورة أفضل من تلك البحارة المسيحيين . وهناك دراسة أخرى أكثر  
جداً وأكثر عمقاً قام بها أبو النصر J. M. Abun Naser
- *A History of the Maghrib*, London, 1971
- وهي دراسة يقدّم وجهة عامة مساندة للعرب للمغربيين  
وإن كل من يرغب في المزيد من الدراسة أمداً بما كتبه حوليات أو  
موسيقى بالنسبة لتاريخ المغرب العربي قبل القرن السادس عشر ، عليه  
أن يرجع إلى كتاب غوتيه E. P. Gautier
- *L'Islamisation de l'Afrique du Nord*, Paris, 1927
- وكذلك كتاب مارسية G. Marçais
- *Berberie Musulmane et l'Orient au moyen âge*, 1946
- وإنظر كذلك :
- Victor - L. Tapie *France in the age of Louis XIII and Richelieu* New York 1975.
- Alberto Tenenti . *Piracy and the decline of Venice, 1580 1615*, Berkeley and Los Angeles, 1967

### مؤلفات في تاريخ المغرب العربي والجزائر :

- Boyer, Pierre, *La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française*, Paris, 1964.
- Braudel, Fernand, *La Méditerranée et le monde Méditerranéen à l'Epoque de Philippe II*, enlarged 2d ed, 2 vols., Paris, 1966 ; New York, 1971.

يعتبر واحداً من أهم الدراسات التاريخية ، عن أي موضوع ، لمنصف القرن العشرين .

- " *Les Espagnes et L'Afrique du Nord de 1492 à 1577* " . R.A. CXIX, 184-233, 351-410.

Conrotte, Manuel, *Espana y los paises musulmanes durante el ministerio de Floridablanca*, Madrid, 1909.

Friedman, Ellen, " *Spain vs. Islam Christian Captives in North Africa in the Early Modern Age* " .

إن هذه أطروحة دكتوراه (PH D.) روجعت وستنشر قريباً ، وقد تشرّفت بقراءتها . وهي معتمدة كثيراً على الكتابات والأرشيفات (الوثائق) الأسبانية . ولكي كسحت نفسي عن «نهب» هذه الدراسة الممتازة : إن عمل الدكتوراة فريدمان يجب تقديمه رسمياً الخاص .

- Guadalupe Gil, Fundamento del catolicismo y los consules catalanes en Africa*  
Zaragoza, 1910.
- Habaz, Pierre, Les Barbaresques, Paris, 1949*
- Kahane, Henry, Kahane René and Tiersé, Andress, La Langue Francaise  
in the Levant Urbana III 1938*
- Manzor, Paul, Histoire des établissements et du commerce français dans  
l'Afrique barbaresque 1560-1794, Paris, 1903*
- Memoire, P., "Charles Quint et les Barbaresques", Bull. Hispanique,  
LXI (1959) 213-33*
- Monlau, Jean, Les états barbaresques, Paris, 1964*
- Mulhagen, Marquis de, Carlos y la Política Mediterránea, Madrid, 1962*
- Naas, J. M. Abun, A History of the Maghreb, Cambridge, 1971*
- Ontiveros y Herrera, Eduardo, La Política Nordafricana de Carlos I, Ma-  
drid, 1930*
- Prieto y Llovera, P., Política Aragonesa en Africa hasta la muerte de  
Ferdinando el Católico, Madrid, 1856*
- Sorgis, Giancarlo, La Política Nord-Africana de Carlo V, Padua, 1963*
- Teillier, L'Algérie dans la littérature française, Paris, 1961*
- Vilanova, J. M., Una Política defensiva Mediterránea in la España del  
siglo XVI, Zaragoza, 1956*

## التواريخ البحرية :

وهناك عدد من التواريخ البحرية تناول الحرب في البحر خلال  
القرن السادس عشر . ومن أبرز الكتب في هذا الموضوع هو أمير البحر  
(ادميرال) جوربان دي لاغرافير (Gravière) وقد كان بحاراً محرباً  
مارس الحياة البحرية على سفن البحر الأبيض المتوسط بالأسرعة . كما  
كان عالماً له استعداد قوي لدراسه واكتشاف الشواهد الثمينة لديه .  
فكتبه جديره بالفراة :

- Julien de la Gravière . Les chevaliers de Malte et la Marine de Phi-  
lippe II, Paris, 1887.
  - Les corsaires Barbaresques et la marine de Soliman le Grand, Paris,  
1887.
  - Doria et Barbarousse, Paris, 1886
  - La guerre de Chypre et la bataille de Lepante, 2 vols. Paris, 1886
- ان الكتاب التاريخي الاساسي للبحرية الاسانية هو كتاب دورو  
سيزارو فيرناندز : Duro Cesareo Fernandez  
- Armada Española desde La Union de Los Reinos de Castilla y Ara-  
gon, vol. I, Madrid, 1895.
- ومجموعتها تسعة اجزاء صدرت بين 1895 و 1897 .

والذي كان أسطولاً الممطر كلاماً مبرره ومحبته  
 مؤلفها أراد لور  
 اسمها مصادر جديدة  
 the Sultan's Admiral, a Life of Barbarossa, London, 1968.  
 Jon, 1968.

Gullmartin, John F. Gunpowder and Gallies, Changing technology and Mediterranean warfare at sea in the sixteenth Century, London, 1974.

Armas, Antonio Rumeu de, Piraterias y ataques navales contra las Islas Canarias, 3 vols in 3 parts, Madrid 1945-1950.

Barnford, Paul, Fighting Ships and Prisons: the Mediterranean Gallies of France in the Age of Louis XIV, St. Paul, Minn., 1973.

ورغم ان الكتاب لا يتناول العرب العربي فانه ما يزال ذا قيمة كبيرة  
 لاي دراسة عن المشاكل الحربية في البحر الابيض المتوسط خلال القرن  
 السابع عشر .

Christian, P., Histoire des pirates et corsaires de l'Océan et de la Méditerranée depuis leur origine jusqu'à nos jours, 4 vols., Paris, 1846-50.

Clowes, Wm. Laird, The Royal Navy, vols II and III, London, 1898.

Corbett, J.S., England in the Mediterranean, 1603-1713, 2 vols., London, 1904.

Delarbre, J., Tourville et la marine de son temps, Paris, 1889.

Duro, Cesàreo Fernandez, El gran Duque de Osuna y su Marina, Jor-nados contra Turcos y Venecianos, 1602-1624, Madrid, 1885.

Dyer, Florence E., The Life of Admiral Sir John Narbrough, London, 1931.

Field, James A., America and the Mediterranean World, 1776-1882, Princeton, 1969.

Garratt, G.T., Gibraltar and the Mediterranean, London, 1939.

Grammont, H.D. de, " Etudes Algériennes : la course ", Rev. Hist. XXV, pp. 1-24.

Bono, Salvatore, I Corsari Barbareschi, Turin, 1964.

Jal, A., Abraham du'Quesne et la marine de son temps, 2 vols., Paris, 1923.

- Alvarado, Francisco Felipe Olmo, *La Galea en la navegación y el combate*  
Tomo I, RD ha qui inclto en el centro de la batalla de Lepanto,  
Barcelona, 1971
- Boscotte, Charles Duport de la, *Histoire de la marine française*, Paris,  
1917 6 vols
- Rutledge, Ch de, *Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la*  
*Méditerranée* 2 vols., Paris 1841
- Rush, R.M.G., *Tongue, England's Lost Atlantic 1661-1684*, London,  
1913

مالطة وقرسان القديس يوحنا :

- Dockwray, Lord Thomas (Grand prior of the Order in England), *A*  
*Brief Relation of the Siege and Taking of the City of Rhodes by*  
*Sultan Soliman*, 1524.
- Engel, Col B., *L'ordre de Malte en Méditerranée (1530-1708)*, Monaco,  
1937
- Salva, Col Jaime, *Lo Orden de Malta y las acciones navales Españolas*  
*contra Turcos y Berberiscos en los siglos XVI y XVII*, Madrid, 1944.
- أبحاث في دوريات متخصصة :

- Berbrugger, A., « Les consuls d'Alger pendant la conquête de 1830 », *R.A.* IX, 37-60.
- Bardoux J., « Une vie d'un consul auprès de la Régence d'Alger », *R.A.* 63, 1924, 261-286.
- Bourguies, Leon, "Sanson Napoléon", *Rev. de Marseille et de Provence*,  
May-June 1886, May-June 1887
- Boyer, P "Introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger",  
*R.A.*, 1966, pp 297-316.
- Braudel, F., "L'Economie de la Méditerranée au XVII Siècle", *Cahiers*  
*de Tunisie* IV, no 14, pp. 175-97
- Cazenave, Jean, « Un Consul français à Alger au XVIII siècle ; Langois-  
seur la Vallée », *R.A.*, 79, 1936, 101-122
- Capot-Rey, R., "La politique française et le Maghrib", *R.A.* CXXV,  
pp. 176-217
- Clarke, G.N., "The Barbary Corsairs in the Seventeenth Century",  
*Cambridge Historical Journal* XVIII, pp 22-35
- Devouls, A., "Assassinat du Pacha Mohammed Tekelerli", *R.A.* XV,  
pp. 81-89.
- "La Marine de la Régence d'Alger", *R.A.* XIII, 384-420.
- "Le Registre des Prises Maritimes", *R.A.* XV, pp 73-77, XVI, 146-  
157, 234.

Bonnet, Marcel, "Une Marine marchande barbaresque au XVIII<sup>e</sup> siècle", *Cahiers de Tunisie* III, pp. 161-70  
 Gauthier, P., "La prétendue captivité de Saint Vincent de Paul à Tunis", *La France en Tunisie au XVII<sup>e</sup> siècle* 1651-1660 VI, pp. 1-20

A. Hess  
 والأبحاث التالية هي أبحاث معاصرة كتبها أندرو هيس وهي تبين البحث في الأبحاث التركية باسطنبول ، بالإضافة إلى المصادر التي يرجع إليها في المادة الباحثون الغربيون . أن الاستناد هيس قد سيطر أصوات عديدة على التاريخ العثماني .  
 Hess, Andrew, "The Battle of Lepanto and its Place in Mediterranean History", *Past and Present*, no 57 (1972), pp. 53-73

"The Evolution of the Ottoman and its Place in Mediterranean Oceanic Discoveries, 1453-1523", *Seaborne Empire in the Age of Firearm and the Decline of Ibn Khaldun's Military Elite*, *Archivum Ottomanicum*, V (1974), *Amer Hist Rev.*, LXXV, 1892-1919  
 "The Moriscos . An Ottoman Fifth Column in Sixteenth Century Spain", *Amer Hist Rev* LXXIV, no 1 (1968), 1-23  
 "The Ottoman Conquest of Egypt (1517) and the Beginning of the Sixteenth Century World War", *Int J Middle East Studies* IV (1973), 55-76

"A Rough Translation of Hyreddin Barbarossa's *Ghazavatname* for the history of the Moriscos as Taken from the Istanbul University MS", 2636 (Latin text by Ertugrul Düzdağ) "Xerox manuscript.  
 Macabich I., "Sobre la ofensiva franca-turca en la tercera guerra entre Carlos V y François I.", *Hispania*, IX (1949), no XXXVII, pp. 640ff

Mathieux, Jean, "Sur la marine marchand barbaresque au XVIII<sup>e</sup> siècle", *Annales XIII*, pp. 87-93

Mesnard P., "Charles Quint et Les Barbaresques", *Bull. Hispanique*, LXI (1959), pp. 215-35

Pignon Jean, "Osta Moratto Turco Genovese, Bey de Tunis, 1635-1640", *Cahiers de Tunisie* III, no II, pp 331-62

Rinn, L., "Le royaume d'Alger sous le dernier Dey", *RA* XXXXI, pp. 121-52, 331-50.

Robin N., "L'Organisation militaire et administrative des Turks", *RA* XVII, pp. 132-40, 196-207.

Sevillano y Colom, Francisco, "Mallorca y la defensa de Bugia, (1515)", *Boletín de la Sociedad Arqueologica Luliana*, 1972, pp. 332-370.

Watbled Ernest, "L'Etablissement de la domination Turque en Algérie", *RA* XVII, pp 287-99, 352-63

— « L'expédition du duc de Beaufort contre Djidjelli (1664) », *RA* XVII, 215-31.

## الفهارس

- 1 -

- أدمر ( حوث ) : 418 - 419 .  
الإغا : 103 - 104 ، 112 ، 118 ، 124 ، 125 ، 127 ، 128 ، 137 ، 138 ، 139 ، 141 ، 142 ، 143 ، 190 ، 196 ، 217 ، 259 ، 262 ، 270 ، 280 ، 291 ، 299 ، 321 ، 322 ، 326 ، 329 ، 442 ، 444 .  
الإغا ناشي : 125 .  
أما الجيش ( العرب ) : 390 ، 398 .  
أما العمرين : 125 ، 128 ، 391 .  
أما كينان : 268 .  
آن - ملكة : 295 ، 296 .  
إبراهيم ناشا : 139 .  
إبراهيم ناشا ( المحور ) : 382-385 .  
إبراهيم الشريف - باي تونس : 373 .  
إس اباضي - شيخ قبيلة كوكو : 38 - 39 .  
أحمد ناشا - داي : 371 ، 442 ، 443 .
- أدميرال : 110 ، 118 ، 132 ، 144 ، 391 ، 414 ، 434 .  
أدوارد - فرسان انكليزي : 201 .  
أدولف ( غوستاف ) : 288 .  
الارماده - اسطول عثماني : 46 ، 52 ، 56 ، 62 ، 74 ، 80 ، 84 ، 87 ، 88 ، 90 ، 277 .  
أرمود ( مصطفى رابيس ) : 201 .  
أسخاي - أخو مروج : 28 ، 31 .  
الاسكندر - القيصر : 442 ، 443 .  
الاسكوبييتوس - سلاح : 34 .  
إسماعيل ناشا : 74 .  
الإعلاج : 46 ، 101 ، 108 ، 110 ، 122 ، 124 ، 130 ، 131 ، 151 ، 154 ، 156 ، 160 ، 163 ، 165 ، 172 ، 178 ، 182 ، 183 ، 191 ، 196 ، 201 ، 217 ، 225 ، 226 ، 228 ، 231 ، 264 ، 283 ، 298 ، 336 ، 342 ، 377 ، 390 ، 392 .  
الآن ( توماس ) : 323 ، 324 ، 325 ، 326 ، 327 ، 328 ، 330 .







جس : 55 ، 57 ، 59 ، 60 ،  
جس : 69 ، 70 ، 110 ، 113 ،  
115 ، 127 ، 134 .

جس : 123 ،  
440 ، 410 .

جس : 396 .

جس : 371 ، 372 .

جس : 69 .

جس : 176 .

جس : 114 .

- خ -

خناسي : 118 ، 144 ، 389 ،  
410 ، 390 .

خليل بولكباشي : 137 ، 139 .

خوان ( دون - النمساوي ) : 87 ،  
88 ، 90 ، 114 .

الخوذة : 390 ، 391 .

خير الدين باشا - ببروسة : 15 ،

28 ، 31 ، 41 ، 43 ، 48 ، 50 ،

56 ، 60 ، 62 ، 65 ، 70 ، 91 ،

97 ، 99 ، 109 ، 110 ، 122 ،

124 ، 134 ، 143 ، 149 ، 180 ،

182 ، 183 .

خير الدين باشا ( ببروسة ) :

199 ، 240 ، 287 ، 447 .

- د -

دالبراند : 453 .

دروير : 318 ، 319 .

دشرشل ( ويستون ) : 17 .

دودور ( ماري ) : 72 .

دورمل : 349 ، 351 .

دولستوي : 90 .

دستون : 250 .

ديرانوما - دوف : 200 .

ديريبر ( ماري ) : 318 ، 361 .

ديبر ( ادولف ) : 453 .

دورلو : 308 .

ديتة - روجة المؤلف : 19 .

- ح -

الحامعة المقدسة - الاممادة  
المسيحية : 87 ، 88 ، 89 ،  
91 .

جعفر آغا : 349 .

جوليان ( شارل اندريه ) : 108 .

جوهانا - انة الملكة ابرايلا : 25 .

جيفرسون ( توماس ) : 205 ،  
418 ، 419 .

جيمس الاول : 251 ، 252 ، 256 ،  
257 .

جيمس الثاني : 340 ، 361 .

جيننفس ( جون ) : 380 .

الدايتيك : 191 .

دراکو : 447 .

درغوث - مسامد لکير الدين :

53 ، 64 ، 67 ، 69 ، 73 ، 75 ،

80 ، 81 ، 110 ، 114 ، 180 ،

199 .

دريعي - دنان غربي : 267 .

دورليان - دوق : 228 .

دورو ( ليرنادر سيزارو ) : 45 ،

53 .

دوربا ( اندريا ) : 40 ، 41 ، 43 ،

47 ، 50 ، 52 ، 55 ، 57 ، 58 ،

65 ، 68 ، 90 ، 250 ، 287 .

دوسولت ( دنيس ) : 148 ، 352 ،

دوقيتروان : 433 .

دوگين - اميرال : 144 ، 148 ،

343 ، 346 ، 348 ، 349 ، 407 ،

ديري - حترال : 453 .

ديور - الاب : 233 .

ديستري ( جان ) : 330 ، 351 ،

ديستير : 352 - 353 .

ديغباي ( كيلهام ) : 301 .

ديغيون - دوقه : 297 ، 396 ،

ديکاتور ( ستيفان ) : 205 ، 419 ،

420 ، 444 .

ديليکاعاري ( س . رينو ) : 343 .

— 3 —

دار : 148 ، 165 ، 167 .

دار صوت : 346 .

دارديسو : 149 ، 157 ، 161 ،

172 ، 173 .

دارديدا : 137 ، 157 .

دارکور - دوق : 281 .

دالتوديت ( مارين ) : 58 .

دالان - دوق : 267 ، 269 .

دان - الاب : 135 ، 136 ، 153 ،

156 ، 162 ، 174 ، 185 ، 186 ،

207 ، 224 ، 285 ، 288 .

دانديريل : 415 ، 416 .

داسر ( سيجون ) : 201 ، 248 ،

249 ، 265 ، 266 ، 271 .

الداي - الدايات : 124 ، 126 ،

133 ، 137 ، 138 ، 145 ، 146 ،

190 ، 192 ، 195 ، 212 ، 226 ،

229 ، 236 ، 325 ، 329 ، 331 ،

332 ، 336 ، 339 ، 342 ،

344 ، 351 ، 352 ، 359 ، 361 ،

363 ، 366 ، 368 ، 371 ، 378 ،

383 ، 385 ، 391 ، 393 ، 398 ،

401 ، 402 ، 404 ، 407 ، 410 ،

413 ، 415 ، 416 ، 418 ، 422 ،

423 ، 427 ، 430 ، 433 ، 434 ،

436 ، 438 ، 442 ، 444 ، 445 ،

447 ، 454 .

ريكتور ( نيلوب ) : 340 ، 346 .  
ريكتور : 362 .

— س —

سامسون — فرسان الكيرى :  
201 .

سراغ ( ادوارد ) : 328 ، 329 ،  
330 ، 331 .

شيفان — قدیس : 76 ، 214 .

سفورزا ( ماكسيمليان ) : 51 .

سقوللي ( محمد — صدر اعظم ) :  
82 ، 83 .

سليم الاول : 32 ، 98 .

سليم التومي : 97 .

سليم الثاني : 82 ، 83 ، 86 .

سليمان باي : 251 .

سليمان راييس : 201 ، 316 .

سليمان القانوني : 35 ، 38 ، 43 ،

44 ، 46 ، 48 ، 51 ، 52 ، 59 ،

61 ، 63 ، 67 ، 69 ، 72 ، 73 ،

75 ، 78 ، 81 ، 82 ، 86 ، 246 .

سنان باشا : 68 ، 92 .

سندقول — مؤرخ : 96 .

سويسكي ( جان ) : 348 .

دي سورددي : 289 ، 292 .

سوفران : 437 ، 438 .

سيدوبا ( الدوق دي مادينا ) : 26 .

— د —

داريللي ( دي لاس دي — ) : 284 .

رايس — الرايس ( البحارة ) :  
64 ، 101 ، 102 ، 104 ، 107 ،

108 ، 118 ، 131 ، 136 ، 138 ،

142 ، 153 ، 157 ، 179 ، 181 ،

182 ، 184 ، 186 ، 190 ، 192 ،

195 ، 197 ، 202 ، 214 ، 221 ،

229 ، 230 ، 242 ، 247 ، 249 ،

250 ، 254 ، 256 ، 261 ، 266 ،

268 ، 270 ، 272 ، 273 ، 280 ،

284 ، 285 ، 291 ، 295 ، 299 ،

300 ، 308 ، 311 ، 314 ، 321 ،

322 ، 327 ، 329 ، 336 ، 341 ،

352 ، 360 ، 361 ، 380 ، 381 ،

383 ، 385 ، 392 ، 393 ، 399 ،

408 ، 415 ، 416 ، 421 ، 423 ،

430 ، 435 ، 524 .

الرايس حميدو : 191 ، 204 ،

404 ، 419 .

الرشيد — امير حفصي : 46 ، 47 ،

رمضان باشا : 111 .

روبنسون ( هنري ) : 303 .

روكفيل — دي : 148 .

روي ( توماس ) : 257 ، 258 ،

270 ، 298 ، 300 ، 304 .

رويتز ( ميشيل دي — ) : 437 .

ريشيليو — الكاردينال : 140 ،

224 ، 269 ، 270 ، 272 ، 276 ،

280 ، 284 ، 286 ، 288 ، 290 ،

291 ، 293 ، 295 ، 311 ، 315 .

سـ فارس : 229 ، 237 .  
 سـ فارس ( خميس دي ) :  
 26 ، 408 ، 411 ، 437 ، 442 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 74 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 438 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 44 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 349 ، 351 .

سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 370 ، 368 ، 360 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 396 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 110 ، 70 ، 53 ، 134 ، 111 .

سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 25 ، 104 ، 127 ، 117 ، 109 ، 106 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 82 ، 73 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 303 ، 302 ، 299 ، 308 .

سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 309 ، 256 ، 140 ، 315 ، 318 ، 320 ، 323 ، 329 ، 332 ، 334 ، 340 ، 399 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 403 ، 339 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 409 .

سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 31 ، 36 ، 40 ، 43 ، 44 ، 47 ، 52 ، 55 ، 60 ، 63 ، 67 ، 69 ، 73 ، 78 ، 85 ، 87 ، 114 ، 150 ، 244 ، 276 ، 343 ، 504 ، 405 ، 451 ، 452 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 388 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 453 ، 450 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 360 ، 234 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 372 ، 371 ، 369 ، 365 ، 363 .

سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 33 ، 31 ، 27 ، 34 ، 36 ، 65 ، 96 ، 98 ، 113 ، 131 ، 147 ، 170 ، 180 ، 182 .  
 سـ ( مدينا - خالد امباري ) :  
 199 .

فالير . 438 ، 439 .

فرسان القديس شيفان : 76 .  
239 ، 179 .

فرسان القديس يوحنا : 28 ، 45 ،  
50 ، 58 ، 60 ، 64 ، 65 ، 68 ،  
76 ، 79 ، 81 ، 90 ، 114 ، 179 ،  
182 ، 184 ، 201 ، 239 ، 240 ،  
277 ، 279 ، 314 ، 316 .

فرسوا الاول : 35 ، 43 ، 51 ،  
52 ، 55 ، 56 ، 62 ، 63 ، 240 .

فرنس ( جون ) : 313 .

فريدريك الكبير : 127 ، 140 .

فريدريك البلاطيني : 256 .

فريدريك الثاني : 434 .

فريزل ( جيمس ) : 257 ، 258 ،  
299 .

قلبعيني : 248 .

فنزبانو ( حسن ) : 111 .

فو - قديس : 389 .

فوبان - دي : 347 ، 358 .

فوردي ( ريتشارد ) : 257 .

فولتير : 209 ، 228 .

فياردو : 277 .

فيس - عائلة : 282 ، 296 .

فيرديناند - ملك اسبانيا : 24 ،

26 ، 26 ، 29 ، 30 ، 35 ، 44 ،

50 ، 72 ، 73 ، 82 ، 113 .

فيرديناند - فون هابسبورغ : 25 .

على بادشا - الحاج - فاي : 443 ،  
444 .

على خوخة - فاي : 446 ، 447 .

على وايس : 353 .

على شارلوت بادشا : 382 ، 385 ،  
387 .

على - ملج : 84 ، 85 ، 92 ،  
110 ، 111 ، 113 ، 132 ، 134 ،  
184 ، 199 ، 200 ، 246 .

على المسال - فاي : 443 .

عمر بادشا - فاي : 446 .

فايتانو ( ماريا دي ) : 228 .

فرامون ( ه . د . دي ) : 108 ،  
132 ، 219 ، 220 .

فروي ( الدومان ) : 301 .

فنت ( فان ) : 328 .

غوزمان ( غابارد ) : 140 ، 245 .

غوغنهايم - مؤسسة : 16 .

غيتانو ( دون ديفانو ) : 62 .

غيز - دوق دي : 201 ، 248 ،  
249 ، 265 ، 267 ، 269 ، 271 ،  
286 .

غيزو ( فرانسوا ) : 453 .

- ف -

دي فابري : 438 ، 439 .

فاشي - فيس : 344 ، 345 .

فان ساكس - ويمار ( برنار ) : 141 .

مکون ( حران ) : 359 .

الکاهنة : 128 .

کاي : 268 .

کاپان : 268 .

کيللو : 291 .

الکرافلة : 105 ، 124 ، 130 ،

131 ، 151 ، 163 ، 203 ، 229 ،

249 ، 291 ، 390 ، 395 ، 443 ،

447 .

کردوغلي ( محمد ) : 107 ، 111 ،

112 .

کردومويل : 218 ، 305 ، 306 ،

3.8 ، 313 .

کفاندېش : 422 .

کوتنغهام ( فرانيس ) : 253 .

کوريت ( جوليان ) : 256 .

کوريز : 27 ، 33 ، 51 ، 58 ،

213 .

کوسته ( محمد - باي ) : 112 .

کوکيل ( ج . ب . دي - ) :

292 ، 294 .

کول : 148 .

کولبير : 138 ، 140 ، 315 ،

316 ، 319 ، 330 ، 333 ، 342 ،

344 ، 346 ، 351 ، 370 .

کولمادي ( اليزابيت ) : 334 .

کولومبس ( کريستوفر ) : 25 .

کيرلار آغا : 76 .

مستر : 149 .

مغور : 142 .

ميلامون ( ييمولا ) : 58 .

دي ميللا فرنکا : 277 .

ميليپ - زوج ابنة الملكة ابرابيللا :

25 .

ميليپ الثاني : 60 ، 72 ، 73 ،

75 ، 83 ، 87 ، 89 ، 113 ، 220 ،

244 ، 276 .

ميليپ الثالث : 244 .

ميليپ الرابع : 318 ، 373 .

ميليپ الخامس : 375 ، 377 ،

399 ، 400 .

فينشخير ( ج . دي ) : 249 ، 266 ،

قارة علي : 200 .

قارة مصطفى : 347 ، 348 .

قارة يوسف - مرابط : 57 ، 59 .

قورصو ( حسن ) : 69 ، 111 .

القياد : 103 ، 109 ، 118 ، 388 ،

## — ك —

کارلوس الاول : 31 ، 34 .

کارلوس الثالث : 375 ، 377 .

کاسن ( ادمون ) : 304 ، 305 .

کالفن : 83 .

الکاميراليون - وزراء النمسا : 140 .

کاناس ( جون دي ) : 277 .

33 ، 330 ، 325 ، 318 ، 311  
 344 ، 351 ، 347 ، 344 ، 41  
 355 ، 360 ، 358 ، 357 ، 355  
 429 ، 387 ، 372 ، 370 ، 366  
 435 ، 434  
 لوين ( شارل دالير دي ) : 368 ،  
 269  
 ليت : 300  
 لير ( آبي دي - ) : 287 ، 286  
 ليوار : 416 ، 417 ، 423  
 ليوبولد الاول : 347 ، 354 ،  
 379 ، 357  
 ماجلان : 232  
 ماديسون ( جيمس ) : 205  
 ماديشي ( ماري دي - ) : 215 ،  
 249 ، 266 ، 313  
 مارلبورو : 374  
 مارتان : 331 ، 336  
 مارتين القرطبي ( دون ) : 213  
 مارتيل : 330  
 ماردان - الكادريشال : 140 ، 295 ،  
 297 ، 308 ، 309 ، 311 ،  
 314 ، 316  
 ماسون - أسقف : 52  
 ماكسميليان - امبراطور : 82 ، 83  
 ماكيافيلي : 43 ، 55  
 مامي باشا : 111  
 محمد - باي تونس : 364 ، 365 ،  
 371

كسبد : 277  
 كنيان حسي : 395  
 - ل -  
 لاروشيل : 141 ، 201 ، 298  
 لاروسير : 285  
 لاغاليث - دي . انظر : باريدو  
 لانايث - الماركيز دي - 453  
 لاکروا ( انطوان دي - ) : 213  
 لاکروا - دو ، الاس : 138 ، 148 ،  
 155 ، 368  
 لاسير : 262 ، 720  
 لاندروت - اسطول : 200  
 لانفريدوشي : 61 ، 115 ، 175  
 لفتي ( لطفى باشا ) : 52 ، 53  
 لوانج ( سمون ) : 288 ، 289  
 لوثر - حرب : 43  
 لوجي ( جودج ) : 421 ، 422  
 لودين ( كارل اولف ) : 348  
 لوسون ( جون ) : 323  
 لوفوا - دي : 347  
 لوفوري - سفير فرنسي : 51  
 لوميني - عائلة : 65 ، 287  
 لومير : 169 ، 385 ، 386 ، 389  
 420 ، 34 ، 436 ، 439  
 لويس الثالث عشر : 141 ، 218 ،  
 266 ، 268 ، 295 ، 298  
 لويس الرابع عشر : 8 ، 15 ، 16 ،  
 89 ، 140 ، 295 ، 296 ، 309



محمد النجدي ( الامير ) : 367 ، 368 .  
 محمد - مولاي ( امير حليسي ) : 46  
 محمد باشا : 105 ، 108 ، 110 ،  
 143 ، 144 ، 145 ، 349 ، 385 ، 387 .

محمد باشا - داي ( 1815 م ) :  
 444 .  
 محمد رابيس : 355 .

محمد الكبير - باي : 407 - 409 ، 410 .

مراد - باي تويس : 371 ، 372 ، 373 .

مراد رابيس : 200 ، 247 ، 300 .  
 مرمول - مؤرخ : 46 ، 48 ، 49 ،  
 95 ، 96 ، 148 .

مريانا : 96 .

مصطفى باشا - قائد القوات البرية  
 التركية : 80 .

مصطفى باشا - الداي : 372 ،  
 373 ، 374 ، 376 .

مصطفى بوشلاغم : 376 ، 394 ،  
 395 .

مورغان - مؤرخ : 148 ، 157 ،  
 164 ، 167 ، 388 .

موسى - النبي : 174 .

مولير : 228 .

مونتمار - كونت دي : 401 .

مونتورنسي - دوق دي : 288 .  
 هاميلتون : 332 .

موسون ( وليام ) : 253 ، 254 .  
 مونكادا : 33 .  
 ميرر - نائب رئيس شركة بورلي :  
 19 .

ميرومورلو ( الصاح حسين ) : 145 ،  
 345 ، 346 ، 352 ، 360 ، 363 ،  
 385 .  
 ميشان : 433 .

## - د -

دالون ( سانسون ) : 148 ، 218 ،  
 270 ، 272 ، 280 ، 282 ، 288 ،  
 294 ، 298 ، 314 .

داليون الاول : 11 ، 204 ، 205 ،  
 441 ، 442 ، 444 ، 448 ، 450 ،  
 452 .

داربورو ( جان ) : 332 ، 334 ،  
 336 .

دافارو ( بيدرو ) : 26 ، 67 ، 411 .

دايت ( مراسيس ) : 128 ، 136 ،  
 148 ، 160 ، 161 ، 170 ، 202 ،  
 285 ، 302 .

دوردنغين : 288 .

دوريس : 380 .

ديفيل ( جون ) : 340 ، 362 .

ديلسون : 442 .

## - ه -

هارت : 299 .

هاميلتون : 332 .

وكيل امير البحر : 415 ، 415 .  
 والسينهام : 252 .  
 والتنتابن : 141 .  
 وليام الثالث : 167 ، 242 ، 264 ،  
 309 ، 333 ، 354 ، 360 ، 361 .  
 وولف ( جون بايشت ) : 7 ، 8 ،  
 11 ، 13 .  
 وينشيلسي - اللورد : 321 ، 322 .

يعقوب - النبي : 174 .  
 يوجين : 374 .  
 يوسف باشا : 289 .

اليولداش : 77 ، 102 ، 103 ،  
 106 ، 123 ، 124 ، 127 ، 133 ،  
 161 ، 162 .

مابندو ( دبانودو - ) : 71 ، 95 ،  
 105 ، 113 ، 162 ، 172 ، 184 .

مري الثاني : 68 ، 69 ، 72 .

مري الرابع : 241 ، 242 ، 247 ،  
 248 ، 249 ، 265 ، 313 .

مري الثامن : 35 ، 62 .

هوبمان : 352 .

هيريت ( ارلر ) : 338 ، 340 ،  
 362 .

هيز - السير : 138 ، 148 .

هيس ( اندرو ) : 19 ، 44 .

- و -

وارد - قرصان انكليزي : 201 ،  
 324 ، 331 .

ب - فهرس الدول والجماعات والشعوب والقبائل

- ١ -

- 66 ، 67 ، 71 ، 75 ، 78 ، 79 ،  
84 ، 85 ، 87 ، 89 ، 92 ، 96 ،  
96 ، 99 ، 109 ، 114 ، 116 ،  
123 ، 160 ، 166 ، 171 ، 200 ،  
208 ، 220 ، 222 ، 227 ،  
الاسبان : 231 ، 239 ، 240 ، 243 ،  
252 ، 255 ، 256 ، 261 ، 277 ،  
280 ، 281 ، 292 ، 297 ، 314 ،  
327 ، 350 ، 377 ، 378 ، 392 ،  
394 ، 401 ، 404 ، 405 ، 407 ،  
410 ، 424 ، 436 ، 440 ،  
الاستوارليون : 218 ،  
الاسكتلنديون : 62 ،  
الاسكتندامية : 198 ، 208 ،  
الاعريق : 110 ، 233 ، 279 ، 379 ،  
الافريقيون : 175 ،  
الالبانيون : 46 ، 110 ، 389 ،  
اليان : 43 ، 56 ، 74 ، 78 ،  
82 ، 89 ، 172 ، 260 ، 317 ،  
333 ، 347 ، 348 ، 354 ، 357 ،  
58 ، 375 ، 399 ،  
الامريكيون : 205 ، 392 ، 417 ،  
418 ،  
الانراك : 8 ، 11 ، 15 ، 21 ، 24 ،  
35 ، 40 ، 43 ، 44 ، 46 ، 48 ،  
52 ، 54 ، 63 ، 65 ، 67 ، 68 ،  
70 ، 73 ، 75 ، 78 ، 80 ، 81 ،  
83 ، 86 ، 88 ، 92 ، 95 ، 96 ،  
100 ، 108 ، 110 ، 111 ،  
113 ، 115 ، 118 ، 124 ، 153 ،  
1156 ، 160 ، 116 ، 165 ، 167 ،  
169 ، 171 ، 175 ، 177 ، 190 ،  
191 ، 219 ، 234 ، 236 ، 258 ،  
262 ، 267 ، 268 ، 862 ، 285 ،  
316 ، 317 ، 320 ، 324 ، 392 ،  
334 ، 341 ، 350 ، 351 ، 353 ،  
355 ، 357 ، 369 ، 372 ، 385 ،  
407 ، 409 ، 411 ، 424 ، 445 ،  
446 ، 447 ، 452 ، 454 ،  
الانراسييون : 86 ،  
الاراغونيون : 26 ،  
الارتودكس : 233 ،  
الارمن : 86 ،  
الاسبان : 24 ، 27 ، 29 ، 37 ،  
39 ، 40 ، 41 ، 45 ، 48 ، 50 ،  
52 ، 54 ، 56 ، 61 ، 62 ، 64 ،

246 ، 329 ، 217 ، 215 ، 214  
 294 ، 283 ، 275 ، 265 ، 259  
 311 ، 306 ، 304 ، 301 ، 298  
 385 ، 341 ، 334 ، 320 ، 312  
 398 ، 393 ، 392 ، 390 ، 386  
 428 ، 421 ، 42 ، 417 ، 411  
 441 ، 433

البرايون : 75 .

البرايون : 52 ، 123 ، 171  
 239 ، 235 ، 227 ، 220 ، 208  
 413 ، 379 ، 298 ، 97

— ب —

الباب المالي : 51 ، 66 ، 71  
 113 ، 112 ، 106 ، 92 ، 85  
 190 ، 145 ، 138 ، 136 ، 115  
 387 ، 379 ، 246 ، 240 ، 203  
 414

البر : 22 ، 24 ، 27 ، 33 ، 37  
 106

البر : 109 ، 112 ، 125 ، 126  
 178 ، 176 ، 174 ، 165 ، 156  
 372 ، 366 ، 364 ، 317 ، 316  
 411 ، 410 ، 397 ، 394 ، 376  
 454

البرتغاليون : 44 ، 194 ، 233 .

البروفانسيون : 78 .

البروتستنتيون : 81 ، 91 ، 233 .

البلقانيون : 99 .

البنادقة ( الفيسيون ) : 44 ،  
 190 ، 136 ، 91 ، 85 ، 54  
 325 ، 194

بنو اسرائيل : 174 .

الاسمويون : 46 .

الاندلسيون : 57 ، 97 ، 98  
 156 ، 154 ، 116 ، 109 ، 107  
 157

الانكبر : 78 ، 83 ، 167 ، 172  
 199 ، 198 ، 193 ، 191 ، 186  
 242 ، 241 ، 219 ، 218 ، 214  
 255 ، 25 ، 247 ، 245 ، 243  
 255 ، 25 ، 247 ، 245 ، 257  
 304 ، 302 ، 298 ، 294 ، 257  
 317 ، 314 ، 33 ، 309 ، 306  
 332 ، 329 ، 327 ، 323 ، 320  
 353 ، 351 ، 340 ، 339 ، 344  
 370 ، 364 ، 362 ، 361 ، 354  
 375 ، 374 ، 371

الانكليز : 379 ، 380 ، 399 ، 420  
 445 ، 440 ، 430 ، 429 ، 421  
 448

ارائج — مملكة : 167 ، 242  
 354 ، 33 ، 309 ، 264

الاروبيون : 9 ، 12 ، 18 ، 121  
 152 ، 150 ، 147 ، 141 ، 132  
 185 ، 174 ، 172 ، 168 ، 164  
 221 ، 214 ، 1214 ، 199 ، 188  
 259 ، 240 ، 234 ، 229 ، 226  
 338 ، 311 ، 298 ، 272 ، 263  
 429 ، 424 ، 421 ، 393 ، 392  
 448 ، 4 ، 45

الايالة الجزائرية : 36 ، 64 ، 69  
 108 ، 104 ، 95 ، 78 ، 71  
 130 ، 122 ، 121 ، 115 ، 1.9  
 176 ، 139 ، 138 ، 135 ، 133  
 209 ، 201 ، 191 ، 188 ، 177

267 ، 269 ، 271 ، 273 ، 277 ،  
 280 ، 283 ، 285 ، 286 ، 289 ،  
 292 ، 294 ، 295 ، 298 ، 303 ،  
 308 ، 309 ، 311 ، 314 ، 316 ،  
 328 ، 330 ، 331 ، 331 ،  
 335 ، 336 ، 339 ، 341 ، 342 ،  
 344 ، 350 ، 356 ، 361 ، 362 ،  
 366 ، 370 ، 372 ، 373 ، 377 ،  
 381 ، 383 ، 384 ، 388 ، 392 ،  
 399 ، 401 ، 410 ، 413 ، 514 ،  
 416 ، 417 ، 419 ، 420 ، 423 ،  
 424 ، 427 ، 431 ، 433 ، 435 ،  
 437 ، 438 ، 440 ، 441 ، 444 ،  
 446 ، 450 ، 453 ،

الجرويت - حمامة : 248 ، 379 ،  
 الحنويون : 433 ،  
 الحمصيون - الحمصية : 23 ،  
 37 ، 38 ،

— د —

الدماريون : 392 ،

— ر — ز —

الروس : 231 ، 260 ،

الرومان : 21 ، 30 ، 44 ، 159 ،  
 الرومانية المقدسة - الدولة : 31 ،  
 35 ،

الروميون : 375 ،

زواوة - قبيلة : 112 ، 115 ،  
 163 ، 167 ، 174 ، 176 ، 203 ،  
 292 ، 446 ، 447 ،

الريانية - الأسرة : 23 ،

مد ماس : 115 ،  
 مد ملك الواد : 23 ،  
 مد مريس : 23 ،  
 الوردون : 139 ، 372 ، 448 ،  
 البولنديون : 194 ،  
 البيزنطيون : 21 ،

— ت — ث —

التركية - الدولة . انظر :  
 العثمانية - الدولة .  
 ترنسلفانيا : 82 ،  
 توسكاني - نظام رهباني : 29 ،  
 76 ،

التونسيون : 38 ، 49 ، 85 ،  
 109 ، 123 ، 227 ، 243 ، 291 ،  
 306 ، 307 ، 351 ، 363 ، 731 ،  
 372 ، 374 ،

الشغريون : 161 ، 166 ،

— ج — ح —

الجرمان : 159 ،

الجزائريون : 8 ، 12 ، 18 ،  
 29 ، 32 ، 57 ، 59 ، 60 ،  
 99 ، 101 ، 102 ، 116 ، 121 ،  
 130 ، 136 ، 138 ، 142 ، 154 ،  
 164 ، 168 ، 169 ، 185 ، 189 ،  
 190 ، 194 ، 205 ، 208 ، 222 ،  
 227 ، 232 ، 236 ، 237 ، 241 ،  
 243 ، 247 ، 248 ، 249 ، 251 ،  
 253 ، 255 ، 258 ، 261 ، 265 ،

— ف —

فانوا . انظر : الهاسورغ .

الفرس : 159 .

الفرسيون : 8 ، 21 ، 49 ، 51 ، 62 ، 63 ، 69 ، 77 ، 125 ، 144 ، 147 ، 169 ، 174 ، 176 ، 186 ، 187 ، 191 ، 193 ، 198 ، 214 ، 218 ، 219 ، 225 ، 240 ، 241 ، 243 ، 245 ، 247 ، 249 ، 251 ، 259 ، 260 ، 265 ، 266 ، 269 ، 271 ، 278 ، 280 ، 283 ، 285 ، 288 ، 290 ، 292 ، 295 ، 297 ، 298 ، 302 ، 313 ، 318 ، 342 ، 355 ، 357 ، 358 ، 363 ، 364 ، 368 ، 370 ، 371 ، 372 ، 374 ، 375 ، 379 ، 393 ، 398 ، 399 ، 403 ، 407 ، 420 ، 423 ، 424 ، 425 ، 430 ، 433 ، 434 ، 440 ، 441 ، 447 ، 454 .

الغلاذريون : 242 .

الغليشيون : 242 .

الغنيبيون : 21 ، 159 .

— ق —

القبائل ( رواة ) : 9 ، 24 ، 33 ، 36 ، 38 ، 97 ، 102 ، 106 ، 112 ، 116 ، 160 ، 172 ، 207 ، 249 ، 291 .

القلعة — قبيلة بربرية : 39 .

القوطبيون : 21 ، 160 .

قوياناري — جماعة من اليونانيين : 44 .

— س —

السويديون : 260 ، 392 .

السيثيون : 86 .

السيوكس — الهنود : 395 .

— ص — ط —

الصعالي : 172 .

الصليبيون : 76 ، 77 .

الطلاب : 33 ، 41 ، 56 ، 78 ، 89 .

— ع —

العثمانية — الدولة : 13 ، 18 ، 21 ، 24 ، 32 ، 35 ، 36 ، 44 ، 45 ، 51 ، 52 ، 54 ، 60 ، 61 ، 64 ، 66 ، 67 ، 69 ، 72 ، 73 ، 76 ، 79 ، 81 ، 83 ، 86 ، 91 ، 93 ، 97 ، 98 ، 113 ، 134 ، 239 ، 244 ، 245 ، 303 ، 361 ، 366 ، 379 ، 419 ، 457 .

العثمانيون : 12 ، 24 ، 44 ، 45 ، 61 ، 63 ، 69 ، 84 ، 98 ، 190 ، 266 ، 347 ، 415 .

العرب : 9 ، 21 ، 22 ، 24 ، 27 ، 30 ، 37 ، 46 ، 82 ، 106 ، 109 ، 110 ، 126 ، 155 ، 156 ، 159 ، 172 ، 173 ، 175 ، 178 ، 364 ، 366 ، 376 ، 394 ، 397 ، 411 ، 454 .

٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ،  
٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩ ،  
٢٨١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،  
٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،  
٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ،  
٤٢٩ ، ٤٢٤

الكالونيك : ٢٤ ، ٢٥ ، ٨١ ، ١٨١ ،  
كاستيل — مملكة : ٢٤ ، ٢٥ ،  
٣٥ ، ٣٦

الكاستيليون : ٢٦

البحر : ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ،  
٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤١ ،  
٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٦ ،  
٨٩ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ،

كوكو — قبيلة : ٣٨ ، ٣٩ ، ٧٠ ،  
١١٥ ، ١٢٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٩١

## — ل —

لوقيليه : ١٢٧

لوتوا : ١٢٧

الليزابيون — النساء : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،  
٢٩٧

## — م —

المغاربة : ١٨٢ ، ٣٣٦

مارتنيه : ١٢٧

الممالك الاسبانية : ٢٤ — ٢٥ ،  
٣٣ ، ٣٤ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٩٢ ،

المالطيون : ٥٨ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٢٢٠ ،  
٢٣٥ ، ٢٧٩ ، ٤٢٥

٩٣ ، ١٣٤ ، ١٨١ ، ٢٤٣ ، ٢٧٦ ،  
الممالك الاوربية : ٣٩٤

المرابطون : ١٥٤ ، ١٩٥ ، ٣٦٦ ،  
٤١٥

الممالك البربرية : ٢٢٠

المراتشيون : ٣٧ ، ١٠٩ ، ٣٦٣ ،  
٣٧٢

الوحدون : ٢٣

الموريسكيون : ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٦ ،

المسلمون : ١٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ ،  
٣٤ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٤ ،

٣٧ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٤ ،  
٧٥ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٦ ،

١١٨ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٤ ،  
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ،

٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٨ ،  
١٥١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣١

361 ، 347 ، 340 ، 337 ، 333  
414 ، 392 ، 381 ، 375 ، 370  
421 ، 420 ، 416

- و - ي -

الولايات المتحدة الأمريكية : 8 ،  
11 ، 191 ، 205 ، 386 ، 395 ،  
413 ، 416 ، 420 ، 444 ،  
اليهود : 59 ، 105 ، 118 ، 123 ،  
142 ، 151 ، 152 ، 156 ، 157 ،  
167 ، 169 ، 172 ، 124 ، 237 ،  
393 ، 422 ، 426 ، 441 ، 442 ،  
اليونانيون : 46 ، 172 ، 190 ،  
449

- ن - ه -

النصارى : 118 ، 152 ،  
الهابسبورغ - مالوا : 35 ، 43 ،  
45 ، 47 ، 51 ، 56 ، 60 ، 62 ،  
68 ، 69 ، 72 ، 139 ، 244 ،  
256 ، 265 ، 289 ، 314 ، 315 ،  
333 ، 348 ، 388 ،  
الهاسدوفيون : 392 ،  
الهوفينات : 269 ، 367 ،  
الهولنديون : 83 ، 167 ، 193 ،  
198 ، 242 ، 243 ، 245 ، 251 ،  
254 ، 259 ، 260 ، 265 ، 270 ،  
294 ، 302 ، 307 ، 308 ، 312 ،  
314 ، 318 ، 324 ، 329 ، 331 ،



## فهرس الاسمان والبلدان

186 ، 208 ، 211 ، 214 ، 216 ،  
220 ، 222 ، 235 ، 237 ، 240  
247 - ، 251 ، 252 - ، 261  
295 ، 298 ، 308 - ، 309

اسبابا : 318 ، 322 ، 323 ،  
325 - 326 ، 329 ، 333 ، 341 ،  
348 ، 350 ، 355 ، 358 ، 370 ،  
372 ، 375 ، 379 ، 381 ، 399 ،  
400 ، 402 ، 403 ، 410 ، 418 ،  
431 ، 436 ، 440 ، 441 ، 443

اسطابول : 41 ، 44 ، 46 ، 48 ،  
54 ، 64 ، 65 ، 67 - 69 ، 71 ،  
73 - 75 ، 82 ، 84 ، 90 ، 95 ،  
104 ، 110 - 112 ، 119 ، 129 ،  
134 - 138 ، 145 ، 242 ، 246 ،  
247 ، 249 ، 251 ، 258 - 259 ،  
265 - 270 ، 273 ، 278 ، 289 ،  
301 ، 359 ، 378 ، 388 ، 414 ،  
452

الاسكدرية : 236 ،

اسكندنافية : 160 ،

الاسكوريال : 90 ،

اشبيلية : 48 ،

- 1 -

ادم - جزيرة : 80 ،

امبيا : 86 ، 232 ،

آسيا الصغرى : 260 ،

الارودس : 437 ،

الاراضي المحفصة : 31 ، 61 ، 83 ،

84 ، 91 ، 208 ، 218 ، 220 -

221 ، 225 ، 242 ، 246 ، 276 ،

280 ، 292 ، 305 ، 311 ، 312 ،

317 ، 325 ، 330 ، 333 ،

338 ، 340 ، 343 ، 35. ، 352 ،

354 ، 360 ، 362 - ، 375 ، 381 ،

388 ، 400 ، 408 ، 413 ، 414 ،

415 ، 417 ،

اراغون : 24 - 25 ، 34 ، 36 ،

51 ، 244 ، 400 ،

ازمير : 415 ،

اسبابيا : 13 ، 22 ، 26 - 27 ،

31 ، 34 ، 35 - 37 ، 40 ، 43 -

45 ، 47 - 48 ، 52 - 53 ، 55 ،

62 ، 66 ، 69 ، 71 - 72 ، 74 ،

77 ، 83 - 85 ، 87 ، 89 ، 113 ،

116 ، 126 ، 14. ، 153 ، 167 ،

- انكلترا : 35 ، 61 - 62 ، 72 ،  
 77 ، 137 ، 140 ، 157 ، 160 ،  
 186 ، 218 - 220 ، 225 ، 243 ،  
 258 ، 298 ، 300 ، 303 ، 306 ،  
 309 ، 311 - 313 ، 318 - 320 ،  
 322 - 326 ، 328 ، 332 ،  
 333 ، 338 ، 340 ، 352 ، 355 ،  
 358 ، 360 ، 361 ، 366 ، 375 ،  
 380 ، 381 ، 383 ، 388 ، 393 ،  
 394 ، 400 ، 413 ، 420 ، 422 ،  
 425 ، 426 ، 428 - 429 ، 431 ،  
 440 - 441 ، 444 ، 453 .  
 اورناتو - مضائق : 52 - 53 .  
 اوربا : 11 - 12 ، 16 ، 19 ،  
 35 ، 43 - 44 ، 41 ، 61 ، 69 ،  
 77 - 81 ، 87 ، 91 ، 100 -  
 101 ، 127 ، 132 ، 140 ، 141 ،  
 146 ، 158 ، 160 ، 162 ، 166 ،  
 168 ، 171 ، 180 ، 183 ، 185 ،  
 194 ، 208 ، 212 ، 215 ، 220 ،  
 221 ، 224 ، 228 ، 229 ،  
 247 ، 259 ، 275 ، 288 ، 306 ،  
 309 ، 311 ، 318 ، 343 ، 346 ،  
 349 ، 350 ، 55 - 356 ، 359 ،  
 362 ، 367 ، 369 - 371 ، 373 ،  
 374 ، 378 ، 381 ، 383 ، 409 ،  
 413 ، 426 ، 427 ، 429 ، 434 ،  
 441 - 442 ، 451 .  
 اوربا الشمالية : 262 .  
 اووفا الغربية : 275 ، 356 .  
 اوربا الوسطى : 280 ، 348 .  
 اوسترليتز : 442 .  
 اوفس : 82 .  
 الاطلسي - المحيط : 83 ، 140 ،  
 168 ، 186 ، 200 - 201 ، 208 ،  
 242 - 243 ، 269 ، 275 ، 277 ،  
 281 ، 300 ، 316 ، 370 ، 451 .  
 الاطلسي - المحيط : 25 .  
 امريزيا : 58 ، 69 ، 259 ، 454 .  
 امريزيا الشمالية : 151 .  
 النابيا : 183 .  
 الارزاس : 317 ، 347 .  
 المابيا : 35 ، 43 - 44 ، 56 ، 61 ،  
 63 ، 68 ، 69 ، 72 ، 77 ، 208 ،  
 275 ، 281 ، 292 ، 333 ، 348 ،  
 354 ، 358 .  
 اليكانت : 276 .  
 امانوس - جبل : 86 .  
 امريكا : 211 ، 419 .  
 امريكا الجنوبية : 242 .  
 امريكا الشمالية : 252 .  
 امستردام : 16 ، 167 ، 214 ،  
 259 ، 259 ، 260 ، 262 ، 337 .  
 اناضوليا : ( الاناضول ) : 44 ،  
 64 ، 77 ، 99 ، 100 ، 123 ،  
 138 ، 160 ، 163 ، 183 ، 196 ،  
 386 .  
 الاندلس : 30 ، 32 ، 39 ، 84 ،  
 109 ، 151 ، 154 ، 165 ، 166 ،  
 180 - 181 ، 185 ، 93 ، 212 .  
 اندلومبيا : 182 .

62 - 64 ، 66 - 70 ، 73 ، 74 ، 83 ، 85 ، 87 ، 92 ، 96 ، 98 ، 99 ، 105 ، 114 ، 123 ، 133 ، 136 ، 139 ، 140 ، 142 ، 147 ، 143 ، 186 ، 188 ، 191 ، 192 ، 205 ، 2.8 ، 211 ، 214 ، 22. ، 237 ، 239 ، 242 ، 246 ، 248 ، 250 ، 253 - 254 ، 259 ، 260 ، 262 ، 269 ، 272 ، 277 ، 278 ، 281 ، 282 ، 289 ، 292 ، 299 ، 300 ، 305 ، 308 ، 313 ، 316 - 317 ، 321 ، 323 - 324 ، 330 ، 334 ، 338 ، 340 ، 356 ، 363 ، 366 ، 368 ، 370 ، 374 ، 379 ، 392 ، 400 ، 402 ، 417 ، 419 - 420 ، 425 ، 428 ، 429 ، 431 ، 442 ، 444 ، 451 .

البحر الاحمر : 44 ، 82 .

البحر الادرياتيكي : 53 ، 186 ، 202 ، 291 .

البحر الاسود : 82 ، 440 .

البحر الابي : 44 ، 54 ، 190 .

البحر الابوني : 52 - 54 ، 87 .

البرازيل : 213 .

سراغ : 288 .

الارتفاع : 149 ، 167 ، 186 ، 204 ، 216 ، 220 ، 242 ، 259 ، 418 ، 431 .

برشلونة : 34 ، 74 ، 137 ، 151 ، 250 ، 275 - 276 ، 280 .

دومينيكا : 309 .

دومينيكا : 245 .

ايريس : 24 ، 220 ، 244 ، 259 .

ايراي : 51 ، 55 ، 67 .

ايرلاندا : 186 .

اسلاندا : 252 .

ايطاليا : 22 - 26 ، 29 ، 31 ، 35 ، 52 - 53 ، 62 ، 72 ، 77 ، 79 ، 83 ، 87 ، 123 ، 167 - 168 ، 202 ، 208 ، 214 ، 216 ، 220 ، 235 ، 237 ، 239 ، 244 ، 247 ، 276 ، 279 ، 400 .

امع - مورث : 56 .

ابكس - لاشابيل : 325 ، 330 .

- ب -

الباب العالي - انظر ترتيبه في :

- فهرس الدول والجماعات ...

باب الواد : 234 .

بادس - انظر : ماليز .

باريس : 56 ، 151 ، 249 ، 266 ، 269 ، 286 ، 288 ، 418 ، 421 ، 451 ، 453 .

الباليار - جزر : 279 .

بحابة : 26 ، 29 ، 36 ، 71 ، 75 ، 97 ، 176 ، 192 ، 22 ، 297 .

البحر الابيض المتوسط : 10 ، 16 ، 23 - 24 ، 27 - 30 ، 33 ، 40 - 41 ، 44 - 45 ، 47 ، 50 ، 60 .

اليونان : 278 .

برهيسيا : 256 ، 275 .

البريس - حال : 43 ، 139 ،  
275 - 276 ، 280 ، 314 .

— ت —

تابلالت : 319 .

تركيا : 70 ، 250 ، 440 ، 448 .

تليت : 442 - 443 .

تلمان : 23 ، 29 ، 31 ، 33 ،  
36 ، 37 ، 39 ، 39 ، 69 ، 116 ،  
17 ، 396 .

تنس : 92 ، 31 ، 36 ، 117 .

توكانيا : 76 ، 168 ، 179 ،  
214 ، 239 .

توفرت : 70 .

تونس : 18 ، 22 - 23 ، 28 ،  
34 ، 37 - 38 ، 45 - 50 ، 52 ،  
58 ، 65 - 67 ، 73 ، 79 ، 85 ،  
87 ، 91 - 92 ، 95 - 96 ،  
97 ، 114 - 115 ، 119 ، 126 ،  
134 ، 145 - 146 ، 15 ، 166 ،  
170 ، 172 ، 200 ، 229 ، 239 ،  
241 - 243 ، 246 - 248 ، 260 ،  
81 ، 295 - 296 ، 306 ، 317 ،  
330 ، 359 - 360 ، 363 ، 364 ،  
365 - 366 ، 369 ، 371 - 373 ،  
376 ، 388 ، 397 ، 434 ، 444 .

التيطري : افليم : 398 .

برخالديا : 35 .

برديزي : 53 .

بروسيا : 140 .

بروفانس : 51 ، 77 .

البرويشيم : 86 .

بريستول : 253 .

بريطانيا : 13 ، 72 ، 186 ، 205 ،  
257 ، 302 ، 381 .

برومبيا : 53 - 54 ، 65 ، 88 .

بليهور : 300 .

البلاطيق : 259 ، 309 .

بلغراد : 82 ، 361 .

البلقان : 100 ، 138 ، 179 .

بلنسية : 33 - 34 ، 35 ، 182 .

بليرمو : 276 .

البلدقية : 53 - 54 ، 73 ، 76 ،  
85 - 86 ، 88 - 89 - 90 ،  
135 ، 185 ، 190 ، 202 ، 243 ،  
245 ، 251 ، 291 ، 308 ، 345 ،  
413 ، 416 .

بنزوت : 201 .

بودايبست : 82 .

بورثومرينا : 307 .

بولندا : 275 .

بونة - انظر : عنابة .

435 436 - 445 446 - 448 - 455

الجزائر - المدينة : 21 ، 29 ، 30 ، 34 ، 38 - 41 ، 56 - 57 ، 59 ، 61 ، 70 ، 75 ، 97 ، 99 ، 101 ، 102 - 105 ، 107 ، 109 ، 110 ، 112 ، 113 ، 126 ، 124 ، 150 ، 155 ، 157 ، 165 ، 167 ، 169 - 172 ، 173 ، 183 ، 184 - 192 ، 202 - 203 ، 356 ، 362 ، 367 ، 374 - 375 ، 407 ، 419 ، 442 - 443 ، 458 ، 454 -

الحرر - البريطانية : 208 ،

حرر الكاري : 186 ، 200 ، 209 ، 252

حنوا : 13 ، 29 ، 55 ، 67 ، 74 ، 76 ، 90 ، 350 ،

جيجل : 30 ، 96 ، 176 ، 317 - 318 ، 330 ،

جينا : 442 ،

الحرمان الشريفان : 239 ،

حلق الوادي : 34 ، 46 ، 48 ، 50 ، 65 ، 66 ، 73 ، 79 ، 84 - 86 ، 92 ، 96 ، 114 - 115 ، 248 ، 306

- د -

داترك : 149 ،

الدانوب - نهر : 38 ، 44 - 45 ، 82 ، 179 ، 190 ، 317 ، 347 ،

دجلة - نهر : 86 ،

جل طارق - مضيق : 24 - 25 ، 121 ، 140 ، 186 ، 191 ، 200 ، 214 ، 242 ، 251 ، 260 ، 277 ، 323 ، 340 ، 426 ، 22

جربة - جزيرة : 34 ، 65 - 66 ، 67 ، 73 - 75 ، 96 ،

الجزائر : 8 - 9 - 11 - 13 ، 15 ، 21 ، 23 ، 26 ، 32 ، 36 ، 38 ، 40 ، 44 ، 47 ، 50 - 51 ، 53 ، 55 - 56 ، 58 ، 60 - 62 ، 64 ، 65 ، 71 - 74 ، 78 ، 84 ، 85 ، 92 - 93 ، 95 - 98 ، 100 ، 106 ، 108 - 111 ، 113 - 115 ، 117 ، 119 ، 121 - 125 ، 128 ، 130 ، 134 - 138 ، 141 - 145 ، 147 ، 149 ، 151 ، 153 - 154 ، 156 ، 158 - 160 ، 162 ، 165 ، 166 ، 168 ، 17 ، 171 ، 175 - 176 ، 182 ، 185 ، 189 ، 191 ، 194 ، 196 ، 198 ، 200 - 207 ، 211 ، 217 ، 219 ، 221 - 223 ، 225 ، 226 - 229 ، 232 ، 234 ، 239 - 243 ، 245 ، 248 - 261 ، 263 - 271 ، 273 ، 278 - 282 ، 284 - 307 ، 309 ، 311 - 312 ، 314 - 344 - 349 ، 351 ، 355 ، 358 - 365 ، 367 - 370 ، 372 - 373 ، 378 ، 379 - 382 ، 385 ، 387 - 389 ، 392 - 394 ، 397 ، 399 ، 401 - 404 ، 408 ، 410 ، 413 - 414 ، 415 ، 418 ، 420 - 423 ، 425 ، 431 ، 433 ،

سانتا كروث : 277 ، 377 .

سبقة : 214 ، 237 ، 400 .

ستراسبورغ : 347 ، 350 .

سردينيا : 34 ، 279 ، 281 .

سلا : 199 ، 293 ، 423 ، 438 ، 439 .

سوريا : 86 ، 98 ، 100 ، 123 ، 138 ، 163 .

السويد : 325 ، 381 ، 414 ، 417 ، 421 ، 446 .

سيراكوس : 236 .

سيلين كبادوسيا : 86 .

سبسيا : 86 ، 434 .

شارلستون : 211 .

شرنال : 30 ، 38 ، 40 - 41 ، 590 ، 75 ، 96 ، 117 ، 192 ، 343 .

الشرق الادنى : 154 .

الشرق الاقصى : 254 .

شمال ايربيا : 8 - 9 ، 11 ، 16 ، 22 ، 24 - 27 ، 30 ، 46 ، 53 ، 55 ، 59 - 60 ، 62 ، 64 ، 66 ، 69 ، 84 - 85 ، 90 ، 92 ، 96 ، 98 ، 105 ، 109 - 110 ، 112 ، 114 ، 121 - 122 ، 134 ، 147 ، 149 ، 159 ، 160 ، 166 ، 170 ، 175 - 176 ، 179 ، 18 ، 184 ، 92 - 93 ، 193 ، 207 ، 209 ، 211 ، 212 - 214 ، 215 ، 218 ، 220 ، 224 ، 228 ، 235 - 215 .

دلس : 59 ، 117 .

دلماسيا : الساحل الدلاشي : 54 ، 123 ، 163 ، 172 .

الدمارك : 186 ، 381 ، 431 ، 416 ، 448 .

- و -

رالمسبون : 350 ، 354 .

راس الرجاء - الصالح : 232 .

راس سان ماسان : 277 .

راس ساريل : 328 .

الراين - نهر : 249 ، 277 ، 333 ، 354 .

الراينلاند : 357 ، 358 .

الرباط : 151 .

ردوس - جزيرة : 28 ، 38 ، 64 ، 68 ، 77 - 78 ، 80 ، 86 .

روميا : 160 ، 208 ، 275 ، 440 - 441 ، 443 - 444 .

روسيا البيضاء : 250 .

روما : 43 ، 52 - 53 ، 86 ، 375 .

رويسوبك : 371 .

ريفيو - قصر : 62 .

ريفة - : 86 .

- س -

سان فيرديناندو : 377 .

سان قريقوار : 377 .

218 - 220 ، 224 ، 228 ، 235 ، 115 ، 119 ، 134 ، 181 ،  
 237 - 234 ، 245 ، 246 ، 248 ، 200 ، 239 ، 241 ، 330 ،  
 251 ، 253 ، 259 - 260 ، 265 ، 266 ، 276 ، 278 ، 280 ،  
 283 ، 287 ، 289 - 295 ، 298 ، 301 ، 302 ، 309 ، 311 ،  
 313 - 316 ، 318 ، 320 ، 337 ، 335 ، 329 ، 325 ،  
 338 - 340 ، 356 ، 359 ، 364 ، 365 ، 366 ، 375 ، 378 ،  
 383 ، 399 ، 400 ، 402 ، 418 ، 419 ، 428 ، 429 ، 435 ، 440 ،  
 طودوس - جبل 86 ،  
 طولون . 1 ، 5 ، 62 ، 63 ، 65 ،  
 84 ، 191 ، 368 ، 428 ،

- ع - ع -

العالم الاسلامي : 122 ، 215 ،  
 العالم الحديد ( امريكا ) : 25 ،  
 27 ، 232 ، 244 ، 259 ، 276 ،  
 عنابة ( بونة ) : 33 ، 36 ، 38 ،  
 47 ، 50 ، 65 ، 75 ، 114 ،  
 293 ، 379 ،  
 غات : 419 ، 447 ،  
 غرناطة : 24 ، 84 ،  
 شيكاغو سيركل : 16 - 17 ،  
 شبو - جربة : 86 ،  
 شيورمز : 285 ،  
 شيوس ( كيوس ) : 76 ، 344 ،  
 346 ،

- ه -

هاري : 350 ، 358 ، 371 ،  
 374 ،  
 صفليه : 29 - 30 ، 33 ، 45 ،  
 46 ، 50 ، 52 ، 66 - 67 ،  
 73 - 76 ، 79 ، 81 ، 84 ،  
 90 ، 99 ، 114 ، 160 ، 200 ،  
 204 ، 239 ، 277 ، 333 ،

- ط -

طابيس : 86 ،  
 طبرقة : 65 ، 287 ،  
 طرابلس : 18 ، 22 ، 25 - 26 ،  
 45 ، 50 ، 55 ، 67 - 69 ، 73 ،  
 45 ، 50 ، 55 ، 67 - 69 ، 73 ،  
 75 ، 79 - 80 ، 95 ، 113 ،

- ف -

فاس : 23 ، 37 ، 39 ، 69 ،  
 71 ، 85 ، 109 ، 116 ، 126 ،  
 181 ،  
 قالوا : 43 ،  
 فالوسا : 136 ، 185 ، 203 ،  
 291 - 292 ،  
 فليز ( بادس ) : 26 ، 36 ، 39 ،  
 71 ، 181 ،  
 الفرات : 86 ،

فرساي : 346 ، 367 - 368 ،  
 416 ، 434 ، 433 - 436 ،  
 فرسا : 7 - 8 ، 13 ، 35 ،  
 40 ، 47 ، 52 ، 55 - 56 ، 61 ،

— ق —

- قادس : 304 ، 437 .  
 القالة : 267 ، 293 .  
 القاهرة : 86 .  
 قمرس : 76 ، 79 ، 82 ، 84 —  
 87 .  
 قرطاج : 48 .  
 القرن الذهبي ( تركيا ) : 45 —  
 46 ، 62 ، 71 ، 82 ، 84 ، 240 .  
 المرديون : 403 .  
 المسططينية : 86 .  
 قسنطينة : 23 ، 36 ، 38 ،  
 155 ، 290 ، 371 — 372 —  
 373 ، 375 ، 396 ، 398 .  
 القصبة ( بمدينة الجزائر ) : 397 ،  
 446 .  
 قصر الجنيانة ( دار الامارة ) :  
 210 ، 217 .  
 قوما : 213 .  
 القوقاز : 86 .  
 القيروان : 38 .  
 الفيصرية ( شرشال ) : 30 .

— ك —

- كاب متيفو : 58 .  
 كانالونيا : 33 — 34 ، 51 ،  
 182 .  
 كاستلنوقا — حصن : 54 .

- 63 ، 67 ، 69 ، 72 ، 77 ، 91 ،  
 137 ، 140 — 141 ، 157 ، 168 ،  
 171 ، 174 ، 186 ، 208 ، 214 —  
 216 ، 220 — 225 ، 235 ،  
 240 — 241 ، 243 — 244 ،  
 246 — 249 ، 252 ، 266 —  
 269 ، 271 ، 272 ، 275 —  
 276 ، 278 ، 280 — 823 ،  
 285 — 286 ، 288 — 289 ،  
 292 — 298 ، 309 ، 311 —  
 314 ، 319 — 320 ، 324 ، 325 ،  
 330 ، 333 ، 339 — 342 ،  
 344 ، 346 ، 348 — 349 ، 352 —  
 353 ، 355 ، 358 — 363 ، 367 ،  
 369 — 372 ، 374 ، 379 —  
 381 ، 383 ، 388 ، 400 ، 402 ،  
 413 ، 415 ، 420 ، 423 ، 428 —  
 429 ، 431 ، 434 ، 438 ، 440 ،  
 442 ، 448 ، 450 — 451 ،  
 453 — 455 .

فريد لاند : 442 .

فلورنس : 167 ، 319 .

فلوريدا : 19 .

الفولقا : 86 .

فيكو — خليج : 191 .

ميليسبورغ — قلعة : 354 ،  
 357 .

الفيليبين : 244 .

فيينا : 35 ، 38 ، 43 ، 348 ،  
 357 ، 445 .



جاسينيل : 220 ، 244 ، 276 ،  
 900 .  
 الكاف : 38 .  
 كلسري : 43 .  
 كاسوبري - قصر : 72 .

- ٢ -

كرت : 76 ، 79 ، 306 ، 325 .

مارغش : 213 .

كويسي : 63 .

ماروة : 116 .

كلايريا : 46 ، 53 .

كمنسون : 211 .

مالطه : 45 ، 50 ، 53 ، 60 ،

66 - 67 - 68 - 73 - 74 .

76 - 79 - 81 - 83 - 84 - 86 ،

114 ، 179 ، 184 ، 200 - 201 ،

222 - 224 ، 235 ، 239 -

240 ، 246 ، 254 ، 277 -

278 - 279 ، 300 ، 319 ،

329 ، 378 ، 402 ، 437 .

كورسيكا : 270 ، 281 .

كولنو - جزيرة : 53 .

كودث - خليج : 43 .

- ل -

لامايت : 278 .

لافرونل : 296 ، 297 .

لاموان : 378 .

339 ، 422 ، 423 .

لاهوغ : 369 - 370 .

لسدن : 167 ، 214 ، 253 ،

299 ، 305 ، 309 ، 325 - 326 ،

339 ، 422 - 423 .

اللورين : 434 .

لوكمورغ : 348 - 349 ، 350 .

ليبانتو : 73 ، 87 - 88 ، 90 -

92 ، 110 ، 114 ، 184 ، 246 ،

ليفربول : 189 .

المرسى الكبير ( وهران ) : 26 - المكسيك : 58  
 27 ، 37 ، 71 ، 240 ، 374  
 377 - 378 ، 399 ، 401  
 402 ، 408 ، 410

مرسلينا : 151 ، 167 ، 169  
 214 ، 246 ، 248 - 249  
 265 - 272 ، 281 - 286  
 289 ، 298 ، 318 ، 341 -  
 342 ، 425 ، 428 ، 433

مستغانم : 39 ، 109 ، 116 -  
 117

ميسينا : 236 ، 276

المشرق ( العربي ) : 32 ، 54 ،  
 98 ، 100 ، 124 ، 247

- ن -

نابولي : 29 ، 45 ، 50 ، 73 ،  
 90 ، 137 ، 151 ، 201 ، 204 ،  
 260 ، 275 ، 402 ، 416

النمسا : 43 ، 62 ، 140 ، 277 ،  
 348 ، 441

نمور : 370

نيدرلاند : 242 - 244 ، 259 -  
 260

نيس : 56 ، 63

النيل - نهر : 170

نيمويغن : 144 ، 347

نيوارليبار : 211

رومانيا : 186 ، 253 ، 300 .  
 10 ، 217 .

— و — ي —

واشنطن : 16 .

ورقة : 70 .

— ه —

الهاغر — ميناء : 189 .

هامبورغ : 413 ، 416 .

الهرباني — بحر : 86 .

المصاب العليا : 36 ، 395 .

هفانا : 211 .

الهند : 86 ، 232 ، 259 .

هنفاريا : 43 .

هولندا : 13 ، 72 ، 83 ، 208 ، 327 .

اليونان : 44 ، 64 ، 86 ، 91 ، 242 ، 263 ، 311 ، 333 ، 336 .

361 ، 358 ، 361 ، 381 ، 448 .

## محتوى الكتاب

7	مقدمة المترجم
15	مقدمة المؤلف
21	الفصل الأول : استيلاء الأتراك على الجزائر
43	الفصل الثاني : خير الدين ضد شارل الخامس
61	الفصل الثالث : الحرب بين الدولتين العثمانية والإسبانية
95	الفصل الرابع : حكومة إيالة الجزائر : حكم البايلاربابات في القرن السادس عشر
121	الفصل الخامس : حكومة الإيالة : تجربة القرن السابع عشر
147	الفصل السادس : الجزائر : الوضع العام ، والسكان ، والمجتمع
179	الفصل السابع : رياس البحر
207	الفصل الثامن : الأرقاء
239	الفصل التاسع : الإيالة الجزائرية وأوروبا : المرحلة الأولى 1600 - 1630
275	الفصل العاشر : الإيالة الجزائرية وأوروبا : 1630 - 1660
311	الفصل الحادي عشر : الإيالة الجزائرية وأوروبا : 1660 - 1688

357	..... 1714 - 1688 : الحروب العظمى
385	..... حكومة الداى
399	..... القرن الثامن عشر ، الجزائر واسبانيا
413	..... القرن الثامن عشر : بقية اوروبا المسيحية والجزائر
433	..... الفصل السادس عشر : نهاية الإيالة
457	..... المختصرات
459	..... الجغرافيا
477	..... الفهارس -
477	..... فهرس الأسماء والأعلام والألقاب الربية
489	..... فهرس الدول والجماعات والشعوب والقبائل
495	..... فهرس الأماكن والبلدان

